

القاضي

عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي




اليمن
الإنسان والحضارة

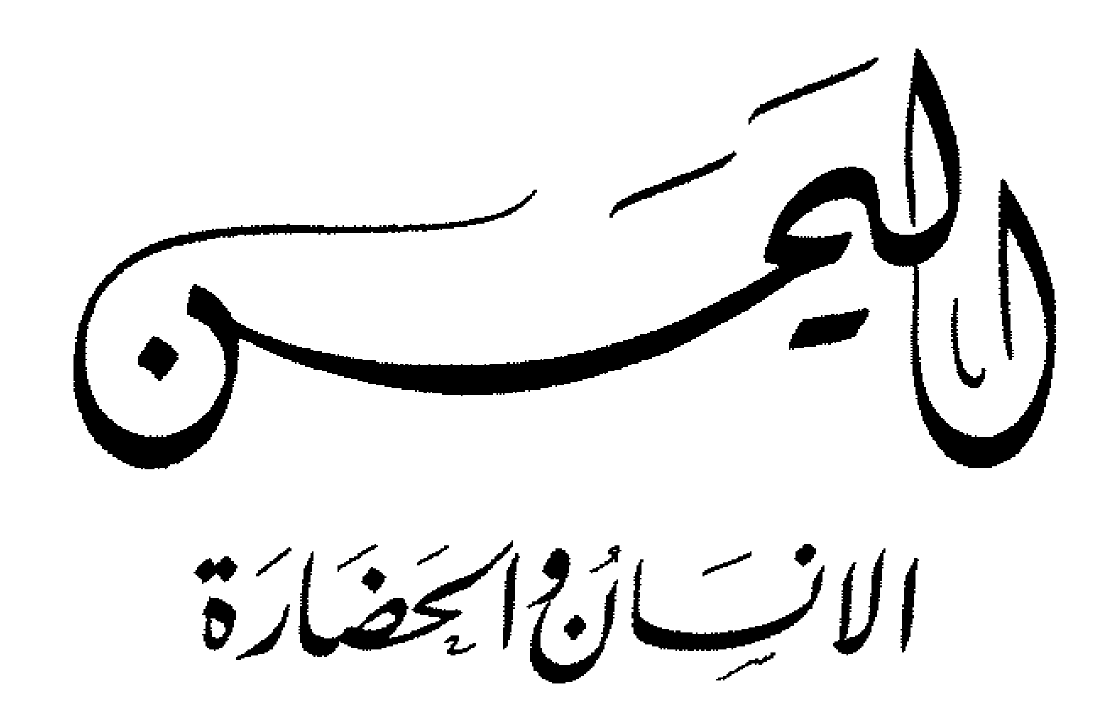
الطبعة الثالثة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

مَنشورات المدينة

ص.ب: ٦١٦٦ - ١١٣ بيروت - لبنان





القاضي

عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي





الرئيس القائد العقيد **علي عبد الله صالح**

رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب (اليمن الانسان والحضارة) للمؤرخ الكبير القاضي العلامة عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشماحي . وقد كان الكتاب منذ ظهر محل اهتمام المؤرخين والباحثين ، ولم يظهر بعده كتاب أو مقال جاء يطرح جانبا من تاريخ اليمن ، إلا كان هذا الكتاب من أهم مراجعه ، لا سيما في التاريخ الحديث حيث لم يكن القاضي عبد الله الشماحي فيه أحد المؤرخين للأحداث وإنما أحد المشاركين في صنعها وأحد المصطلين بنارها ؛ فقد كان منذ نصف قرن أو يزيد في منطقة القلب من الأحداث التي شهدتها البلاد ابتداء من انطلاق أول همسة ضد الإمام يحيى وإلى زوال حكم آل حميد الدين وانقراضه .

وبمناسبة صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب التاريخي النفيس لا بد أن نذكر اليمنيين بأهمية العناية بتاريخهم ، ونذكر الأجيال الفتية بالحرص على توثيق مراحل التاريخ والوقوف في وجه المتطاولين على شوامخ المؤرخين وشوامخ الأبطال الذين جسدوا بدمائهم وكتبوا فصول التاريخ في هذا الوطن الذي لم يكن تاريخه سوى معارك دامية لم تتوقف الا منذ سنوات قليلة ، وعليهم أن يتنبهوا إلى أن التاريخ يزداد أهمية عند الشعوب كلما وهن عزمها ، أو ساء حاضرها ، فالتاريخ يخلق الحافز الدائم إلى استعادة المجد القديم ، وهو الذي يعلم الأمم والأفراد طريق النهوض ويكشف لها عن مواطن الضعف وعوامل

الارادة والقوة . ولأن للتاريخ كل هـذه الأهمية فقـد عكف عدد من أبنـاء اليمن منذ قيام ثورة سبتمبر المظفرة لدراسة تاريخ بلادهم في محاولة لشحذ الهمم وقهـر روح التخاذل والتفكك ، ولكي يضعوا أمام الأجيال الحاضرة والقادمة مزيدا من الحقائق التي انطمست طوال قرون التسلط والاعتساف .

وما هذا السفـر النفيس إلا بعض هذه البـدايات المفيـدة والراميـة إلى سد النقص والمشاركة في القاء الأضواء على تاريخنا القديم ،والحـديث بعد أن تحـررت البلاد من مرحلة الكتابة الرسمية للتاريخ واستنطاق الوقائع والأحداث من خلال الحاكمين بأمرهم والذين لا يقيمون للشعوب ادنى وزن .

وإذا كـانت اليمن بسبب عوامـل مختلفة قـد عـانت من انحـطاط شـامـل اتسعت خارطته الزمنية إلى عـدة قرون ، فـإن منطق التـطور ومنطق الانتـماء إلى الأمة العربية السـائرة رغم المعوقات في طريق النمو الصاعد كفيل بـأن يضعها في المكان اللائق من العصر ، وبالتالي من استشراف عالمها المرتقب .

والله ولي التوفيق . .

دار الكلمة ـ صنعاء
١٩٨٤/٩/١٣



من رام يعرفني ويعرف نزعتي   لهما ليقرأ من ملامح صورتي
من أجل هذا الشعب عمري جله   أفنيته ووهبت شرخ شبيبتي
إن الشعوب على الشباب مصيرها   وقوى الشباب معارف بفتوة
وتمسك بمبادىء غاياتها   صد الدخيل بعزة وبوحدة
فالى الشباب تجاربي أهديتها   فيها كتبت وتلك خير هدية

بسم الله الرحمن الرحيم
(والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه)

تمهيد

اليمن :

صفحة مجد لامعة . وقلعة نضال عربي شامخة . . ومعتصم إنسانية سامية .

اليمن :

الفخورة بماضيها وحضارتها القديمة ، أمجاداً عرفتها . . . أرض العرب عندما أقامت الأرض السعيدة (سد مأرب) .

اليمن .

التي تشهد لها النهضة الإنسانية تحت راية الحضارة بأنها القوة الرافعة لتلك الراية ، والطاقة الدافعة لتلك النهضة .

اليمن :

في تاريخ الإسلام سند الدعوة وملجأ الرسول ، وبانية ذلك التاريخ المشرق الصفحة ، الواضح الغرة ، القوي العزة ، الخصب بآدابه وعلومه وثقافته الرفيعة .

اليمن :

منبع فوار دائم الفيضان بالبطولة والحضارة ، عليه تبرعمت نواة الحياة ووجد الإنسان الأول .

ومنه قبل ثمانية آلاف عام استقى العالم الحضارة التي أخرجت فيها بعد السومريين والبابليين والمصريين والأيجيين . وهو اليوم يتطلع إلى نهضة تعيد إليه السعادة ، وتمكنه من أداء رسالته الإنسانية التي عرف بها قبل الإسلام وبعده .

اليمن :

التي على عبقرية قاداته ، وسواعد فتيانه امتدت الامبراطورية الإسلامية إلى قلب الصين شرقاً وقلب فرنسا غرباً ونطحت بقرنيها منطقتي القطبين ، والتي بعزمات مغاويره أقيمت الممالك ونسفت ، وشيدت الصروح وقوضت .

اليمن :

التي لم تفرغ من نفسها الإباء لأي طاغية ، ولا فتحت أحضانها لأي غاز إلا ليقبر هو وأحلامه تحت سنابك إبائها ، ثم يكون لغيره عظة وعبرة .

إهداء

فإلى أفلاذ أكبادنا ، وامتداد ظل خلودنا ، أبنائنا وبناتنا في المدارس والقادمين من أصلاب المستقبل نهدي ومضة عن تاريخ اليمن .

أيها الأبناء إليكم اليمن بنا وبثقلها تتوجه ، فإنكم أنتم اليمن الخالدة بكم تتكيف اليمن ، إن الأبناء البررة يعز عليهم أن تمس شخصيتهم اليمنية بأذى ، ولن تحتفظوا بشخصيتكم اليمنية قوية مستقلة متطورة إلا إذا كنتم بماضيكم اليمني عارفين ، وبقيمه الأخلاقية معتزين ، ومن حاضركم متزودين بما تدعو إليه الظروف من أسلحة علمية ومادية تجعلكم حماة لشخصيتكم اليمنية وعقيدتكم الإسلامية من التلاشي والميوعة والذوبان والإمعية .

ولكي تكونوا محتفظين بشخصيتكم اليمنية وعقيدتكم الإسلامية المتفتحة متفاعلين مع حاضركم ، بناة لمستقبلكم .

رأينا أن نضع بين أيديكم مواضيع عن اليمن الطبيعية قل أن طرقها المؤرخون لتكون هذه المواضيع فاتحة للدراسة والنقد ، وقد أضفنا إلى هذه المواضيع ومضات خاطفة عن تاريخ اليمن الحضاري والحكومات والدول اليمنية بقصد التسلسل التاريخي الذي يسهل معه تفهم مواقف النضال اليمني ومحطاته الرئيسية عبر التاريخ ، ولم نسمح للقلم أن يسترسل في وصف الحكومات والحضارات بكيفية مانعة جامعة فقد أحلنا محاولة التوسع والمزيد إلى ما كتبه عن

حضارتنا والدول المؤرخون الذين من آخرهم المؤرخ الكبير القاضي العلامة محمد بن علي الأكوع الحوالي والسيد أحمد شرف الدين ومن رجالات القرن الرابع عشر العرشي والويسي والجرافي وغيرهم ، وقد أولينا أحداث القرن الرابع عشر اهتماما خاصا لأن ما كتب عنها قليل .

وإنا لنأمل أن يكون فيما سنكتبه عبرة وموعظة بهما نجنب أبناءنا ويمننا الشر الناجم من تعدد العقائد والمذاهب التي مزقت الوحدة اليمنية وجعلت اليمن السعيد مسرحاً للشقاء والصراع ، ومتورداً للغرباء وعشاق السلطة والمال ، وهو ما يجب أن نتخلص منه على يدي الحكم الجمهوري إن شاء الله .

أرض الجمهورية العربية اليمنية

تقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية يحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق القسم الشرقي من الربع الخالي .

ومن الجنوب أرض الجنوب اليمني ، ومن الشمال إقليم عسير ونجران وجيزان ، عاصمتها (صنعاء) وقد قامت الجمهورية اليمنية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م اثنتين وستين وتسعمائة وألف ميلادية الموافق ٢٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هجرية .

مساحتها وسكانها : تقدر بخمسة وسبعين ألف ميل مربع ، ويقدر سكانها بما لا يقل عن تسعة ملايين نسمة كلهم عرب مسلمون .

أقسامها ثلاثة :

١ ـ تهامة : وهو سهل ساحلي على شرق البحر الأحمر (القلزم) يتراوح عرضه بين ٤٠ ـ ٦٠ ميلا ومعظمه صالح للزراعة ويحتوي على كمية وافرة من المياه الجوفية ، ومن أودية تهامة : حرض ، مور ، سردد ، سهام ، رماع ، زبيد . ومن مدنها : حرض ، ميدي ، الرمث ، اللحية ، الزهرة ، الزيدية ، القناوص ، الضحى ، باجل ، القطيع ، المراوعه ، الحديدة ، الدريهمي ، المنصورية ، بيت الفقيه ، زبيد ، حيس ، المخا . وتتصل ببلاد الزيدية بواسطة

لسان بري في البحر (الصليف) مما جعل الصليف (برمائية) وبالصليف الملح المعدني المشهور .

٢ ـ المنطقة الجبلية : تقع هذه المنطقة شرق تهامة وتمتد من الجنوب إلى الشمال وهي من جبال السراة المبتدئة من المعافر (الحجرية) جنوباً إلى الطائف شمالا ومتوسط ارتفاعها عشرة آلاف قدم ، واعلاها جبل حضور غرب صنعاء، إذ يبلغ ارتفاعها أربعة آلاف متر ، وبقمته (قبر نبي الله شعيب بن مهدم) يضمه مسجد قديم وكانت هناك لوحة كبيرة من المرمر الحجري الصافي عليها كتابة بالخط المسند لا تقدر بثمن حفظها الدهر من العوادي ولكنها سرقت خلال الحرب اليمنية عام ١٩٦٣ م . ومن المحزن أن هذا النص الأثري لم تنقله يد مؤرخ ولا مستشرق ، ونرجو أن يعثر عليه فيزودنا بمعلومات جديدة عن اليمن قبل الإسلام ، سيما عن الناحية الدينية قبل الميلاد فإن لفظ « مهدم » كأنه مأخوذ من اسم (ماتم) المنسوب إليه شعيب وله صلة بلفظ (أميتم) الوارد في اللغة اليمنية قبل الميلاد وقد سمي به جد أحد الملوك الحضرميين وهذا الملك « يدع أب غيلان بن أميتم أبين من ملوك القرن الأول ق . م » .

وعرض هذه السلسلة الجبلية من الشرق إلى الغرب متفاوت ولا يقل أضيقه عن مائة كيلو متر ، وتمتاز جبال اليمن بشدة ارتفاعها وانحدارها وغناها بالمواد المعدنية والمياه ، ومنعتها الحربية وهي آهلة بالسكان وتتخللها الوديان العامر معظمها بالزراعة ، كما أن معظم هذه الجبال تشكل سهولا هرمية لولبية كونتها يد اليمني القديم واحتفظ بها الخلف عبر التاريخ .

٣ ـ السهل : هي هضبة مرتفعة واسعة شرق جبال اليمن وتمتد شرقا إلى الربع الخالي ، ويتخلل هذه الهضبة كثير من الجبال ، وفيها سهول وجبال أراضيها صالحة للزراعة ، وفيها كانت عاصمة المعينيين (معين) و (قرناو) وعاصمة سبأ (مأرب وصرواح) وعاصمة حمير (ذي ريدان) وعاصمة حضر موت (ميفعه) و (شبوه) وعاصمة القتبان (تمنع) وعاصمة اليمن الخالدة (صنعاء)

وتقع صنعاء في أعدل السهول هواء وأخصبها تربة ، وأصحها مناخاً ، وأحصنها موقعاً ، وأغناها معادن ، وأعتاها عشائر ، وأكثرها مياهاً نهرية وجوفية .

تزيد صنعاء جمالا وجلالا :

هذا السهل القائمة بقلبه صنعاء ، مع الجبال المحيطة به فلا هي عنه بعيدة حتى يكون السهل منفهقاً يتعب النظر ويرجع عنه الطرف حسيراً ولا تلك الجبال متدانية تحرج الصدر وتحيل السهل مضيقا يخنق الأنفاس وتحجب نسمات الصباح العليلة المنعشة ، ومناظر الأصيل وألوانها البهيجة ، وإنما هي جبال بين البعد والتقارب متوسطة تثير البهجة وتبدو كأنها وجدت لحراسة صنعاء من طوارق الجو والبر . إنها قلاع طبيعية إذا حصنت علميا تقطعت أنفاس الطيران دون أن تمس صنعاء بقاذفة .

وإلى جانب هذه الحصانة العسكرية فإنها جبال تزخر بالخيرات والمياه ، والعشائر القوية التي تؤكد ما رواه المؤرخون .

إن أول العمالقة نشأوا في منطقة صنعاء فهي مهد للرجال الأشداء كما هي اليوم .

وهذا السهل يعد وسط اليمن وفي سرته تقوم صنعاء ، ويليها من الغرب سوق بوعان مركز قبيلة بني مطر ، ثم مدينة العر مركز الخيمة الداخلية ، ومدينة مناخه مركز حراز الذي من جبالها جبل مسار العملاق المطل بشموخه على البحر المطاول النجوم بشممه وتاريخه . ففيه تكونت دولة (الملك علي بن محمد الصليحي الهمداني) وعنه انطلقت حتى غطت اليمن الطبيعية بوحدة شاملة ، وإلى جنوب مسار جبال براع وريمة .

وفي الشمال الغربي لصنعاء واديا ضلع والضهر ويليهما مدن ثلا ، وشبام وكوكبان والطويلة والمحومت وحفاش وملحان وحجة والظفير والمحابشة ، وفي شمال صنعاء الروضة وعمران وريده ، وذيبين ، وخمر ، وحوث ، وحبور

والسودة ، وشهارة ، وصعدة ، ومن شرق صنعاء السر ، وذي مرمر والكبس ، وجحانه ، وصرواح ، ومارب ، والمطمة ، والزاهر ، والحزم في الجوف مقر المعينيين ، وفي جنوب صنعاء ، وعلان ، ومعبر ، وضوران ، وعتمة ، وأصابان ، وزراجة ، وذمار ، ورداع ، ويريم ، والمخادر ،وإب، وجبلة ، وتعز ، والجند .

وفي بلاد يريم ظفار (ذي ريدان) عاصمة حمير وتعرف المنطقة بأرض (يحصب) بالصاد المهملة مع أنها في الأصل بالضاد المعجمة تخليداً للزعيم الحميري الثاني (اليشرح يحضب) بالضاد المعجمة .

حاشد وبكيل

في اليمن قبائل وعشائر كثيرة كلها ذات إباء وكرم متوارث وكلها تنتسب إلى حمير وكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن الرسول (هود) عليه السلام ؛ ومن هذه العشائر (قبيلتا حاشد وبكيل) ويسميان (الجناحين) ومنها تتكون همدان بن زيد .

ولا توجد قبيلة موحدة الأفراد والمساكن مثل قبيلة همدان بن زيد ، فإن مساكنها مجتمعة تمتد من صنعاء جنوباً إلى صعده ونجران شمالا ، ومن الجوف وبرط شرقا إلى وشحه وحرض غربا أي أنها تشمل الأهنوم والشرفين وحجور الشام وشحه وقاره ومنطقتها ، وحجور اليمن أي كعيدنه ومنطقتها وحجة ومنطقتها وتكاد تكون منازل بكيل في القسم الشرقي ومنازل حاشد في القسم الغربي . ولحرص حاشد وبكيل على اسم جدهم همدان وعلى منطقتهم وحدودها ، أطلقوا لفظ همدان على طرفي بلادهم ، على الطرف الجنوبي بغرب الممتد من شمال غرب صنعاء إلى شيام وتسكنه بطون حاشدية ، وعلى الطرف الشمالي بشرق الممتد حول صعده إلى نجران وتسكنه بطون بكيلية .

الادارة

تتكون الجمهورية العربية من ثمان محافظات :

١ ـ محافظة صنعاء .

٢ ـ محافظة حجة شمالا بغرب .

٣ ـ محافظة صعدة شمالا .

٤ ـ محافظة الحديدة غرباً .
٥ ـ محافظة مرداع جنوب بشرق .
٦ ـ محافظة البيضاء شرق بجنوب .
٧ ـ محافظة إب جنوباً .
٨ ـ محافظة تعز جنوباً .

هـذه هي المحافـظات وكانت تسمى سـابقاً بـالمخاليف ثم بـالامـارات ثم بالألوية؛ كما أن المخـلاف قد يسمى بـه القضاء والنـاحية فيـما مضى ، وتنقسم المحافظة الآن إلى عدة قضوات وكـل قضاء إلى عـدة نواحي وهـذه النواحي هي التي كانت تسمى بها قبلا كثيراً المخـاليف ويعرف الحـاكمون بهـا بالأذوآء الـذي حل محله الآن (الشيخ) أو (السلطان) وعن الجمهورية العربية اليمنيـة نتحول إلى الجزيرة العربية .

جزيرة العرب

بدأنا بذكر الجزيرة العربية لارتباطها باليمن ككل أو جزء ولأنه يتوقف جانب من حقيقة اليمن الطبيعية على تشخيص الجزيرة، وقلنا إرتباط جزء أو كل لأن من المؤرخين من يرى أن اليمن تتناول جميع الجزيرة حتى سيناء .

وتقع الجزيرة العربية في الجنوب الغربي لقارة آسيا ، وتبلغ مساحتها مع سيناء نحو مليون ميل وثلاثمائة ميل مربع ، ومتوسط طولها من الشمال إلى الجنوب ألف ومائتا ميل. يحد الجزيرة غرباً البحر الأحمر وخليج السويس ، وشرقا دجلة والفرات وخليج عمان وخليج فارس (خليج العرب) وجنوباً المحيط الهندي والبحر العربي وخليج عدن ، وشمالا بادية الشام وفلسطين .

وشكل الجزيرة مستطيل من الشمال إلى الجنوب في انحراف نحو الشرق ، ويبدو شطرها الجنوبي من نقطة خط المدار الشمالي متمدداً نحو الشرق في إنحناء هلالي بصوره ساحل الجزيرة الجنوبي بما فيه من تعاريج وخلجان ورؤوس ، ويبتدىء هذا الإنحناء من رأس الشيخ سعيد ومضيق المندب نهاية الغرب بجنوب وينتهي برأس مسقدم بمسقط نهاية الجنوب الشرقي .

انفصال الجزيرة عن إفريقيا

لقد كانت الجزيرة العربية متصلة بأفريقيا الشرقية ، ثم حدث في أحد الأدوار الجيولوجية (طبقات الأرض) حركات أرضية كونت البحر الأحمر وفصلت الجزيرة عن أفريقيا ، يدل على ذلك تشابه الصخور على جانبي البحر الأحمر وأعماق الجانبين .

تطور الحياة على الأرض
والانسان الأول بحق

يقرر العلماء والباحثون أن الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت قطعة من لهب وأنها والشمس كانا يسيران في سرعة متناهية ، وأنه لم يكن للتراب ولا للماء وجود في الأرض ، وأن الأرض لم تصل إلى شكلها الذي نراها به اليوم من ماء وتربة وبحار وبراري وقارات إلا بعد أن اعترتها تقلبات فلكية ومدارية وشكلية كثيرة لا يقل عمرها عن ألف مليون ونصف مليون من السنين وإن لم يكن عليها أثر للحياة النباتية والحيوانية ، وأنه لا يعلم متى بدأت عليها الحياة وأنها بدأت في البحار ثم في اليابسة وبدأت الحياة على اليابسة في المناخ المعتدل بين الطين والماء الدافىء الضحل القليل الملوحة والمعرض لنور الشمس ثم تعرض المناخ المعتدل لفصل جديد من الجليد القارس والتغيرات أكل كل معالم الحياة وأبقى آثارها على الصخور وطبقات الأرض والمعادن كالفحم والبترول .

وبعد تقلبات بين الحر والإعتدال والجليد حل فصل معتدل ، جددت الحياة نشاطها إلى أن بلغت المستوى البدائي للقرد وما يشبهه منذ أربعين مليون من السنين ، ثم دارت الأرض دورة ثالثة نحو عصر جليدي فبرد مناخ العالم وهلك معظم الكائنات الحية ثم اعتدل ثم تثلج ثم جاء عصر مكفهر قارس أدى إلى غربلة كثير من الأنواع الحية ولم يبق إلا أقواها وأصلحها للحياة ثم أخذ شبح الموت الثلجي والجليدي يظهر من جديد ثم اعتدل المناخ ثم ارتكس نحو البرد

والجليد وهكذا استمر التقلب وهذه التقلبات الأخيرة بدأت منذ ستمائة ألف سنة .

ويطلق الجيولوجيون على هذه الأدوار الأخيرة الشتوية اسم العصر الجليدي الأول والثاني والثالث والرابع ويطلقون على ما بينها من فترات الدفء (إسم عصور ما بين الجليدية) وأن العصر الجليدي الأول ، حل بهذه الدنيا منذ ستمائة ألف سنة على حين بلغ العصر الجليدي الرابع أقصاه منذ خمسين ألف سنة تقريباً في أوربا ، وأن في هذا الشتاء الطويل الشامل وبين الثلوج عاشت على كوكبنا هذا أول الكائنات الشبيهة بالإنسان ، وأما الإنسان الأول الحق فإن البحث العلمي لم يصل إلى تحديد الزمن الذي وجد فيه .

ويقرر العلم أن منطقة وجود الإنسان الأول هي أقدم المناخات إعتدالا في اسيا وبعض أفريقيا التي لم تصل إليها يد الباحث المدرب الناقد ، تلك اليد التي تمكنت من إجراء بحوثها في أوربا فعثرت في غربها سيما في أسبانيا على آثار الإنسان الحق ، وتدل تلك الآثار على أنه وجد هناك قبل ثلاثين ألف سنة وذلك لأن مناخ غرب أوربا إذ ذاك كان من المناطق التي بدأ فيها المناخ يعتدل ، ويدفأ وإن لم يتخلص من شدة الزمهرير والبرد القارس .

فأين كانت الجزيرة العربية من هذه الحياة المتطاولة الأماد ومن تلك التقلبات والدورات ، ذلك ما تنقطع عنه أنفاس التصور والخيال ، وحسبنا أن نقف نحن والجزيرة العربية مع العصر الجليدي الرابع والمائة ألف سنة التي يعيش عالمنا في نهايتها ولا ندري إلى أين ينتهي هذا الدور بالإنسان والحياة .

أين الجزيرة العربية من هذا التطور

في أوائل المائة ألف عام الأخيرة من ماضينا العميق كان عالمنا أو معظمه ما يزال تحت وطأة البرد القارس من مخلفات العصر الجليدي الرابع ، وقد بدأ المناخ يعتدل في بعض المناطق القريبة من خط الإستواء المهيأة للإعتدال، وقد كانت الجزيرة العربية على جانب من الإعتدال والخصب المبكرين ، تهطل على

أرجائها الأمطار الغزيرة وتتدفق من هضباتهـا وجبالها الأنهر العـظيمة إلى سهـولها الـواسعة التي هي اليـوم صحارى ، فقـد كانت تلك الصحـاري سهولا عـامـرة بحياة الإنسان البدائية كالربـع الخالي والأحقـاف فقـسمه الغـربي عامـر بالأحيـاء الإنسانية ، وقسمه الشرقي تغمره بحيرة عذبة كونتها الأمطار والأنهر تخبرنا بذلك أصداف الماء العذبة الكثيـرة في شرق الـربع الخـالي ، وقطع متحجـرة من بيض النعام والأسلحة الصوانية في القسم الغـربي يرجـع تاريخهـا إلى ما قبـل عشرات الآلاف من الأعـوام قبل الميـلاد ، ولعل الإنسـان الحق الأول وجد في الجـزيـرة العربية قبل مائة ألف سنة وقد يكشف ذلك يوم يتاح لعلماء الآثار والجيولـوجيين فحص هذه المنطقة التي امتازت بالمناخ المعتدل المبكر حينما كانت فـرنسا وأسبـانيا يغمرهما الجليد والزمهرير المرير .

الجزيرة والخصب والجفاف

لقـد أثبتت البحوث العلميـة والجيولـوجية أن الجـزيرة العـربيـة من أقـدم المناطق التي بدأ العصر الجليدي الرابع ينحسر عنها ، فاستقبل مناخها الاعتـدال قبل كثير من بقاع الدنيـا كما سبق، فدبت فيها الحيـاة في ظل ذلـك الجو البـاعث المنعش،من شمس ترسل أنوارها المغذية خلال سحب ممطرة وعلى سهول خضراء وارفـة وجبال تكسـوها الغـابات وتنحـدر منها الأنهر العـظيمة المنطلقة من قيـود الجليد من آماد بعيدة،فهي أنهار حرة تنساب من القمم شرقـاً وغربـاً إلى السهول تحمل إليها المياه فتحولها إلى جنات ذات قرار معين .

ولقـد كان نهر الـدواسر من أعظم أنهر الجزيـرة ، ينبع من جبـال اليمن الشرقية والشمالية ماراً بالأحقـاف منحنياً نحـو الشمال مختـرقاً الـربع الخـالي إلى شواطىء الخليج الفارسي .

وذلك يجعلنا نفترض أن الإنسان الأول الحق قد وجد في الجزيرة من قبـل مائة ألف سنة ، وبدأ يضع براعم المجتمع الإنساني ونظمه البدائية، ويفكـر ـ فيما نتخيل ـ في التفاهم إلى جانب الاشارات بأي لغة وواسطة، وفي سن قواعد فجة للعلاقات الاجتماعية ظلت تنمو كما تنمو مع الطفل المعلومات والتصورات نمواً في

أفيائه الممتد تكوّنت أول أسرة وجماعة فقبيلة فأمة لها شرائعها وعاداتها وأساطيرها وعقائدها من قبل مائة ألف سنة ، حفظت لنا منها القليل المجمل أخبار تتناقلها الأجيال ، منها قصة نوح عليه السلام والطوفان والسفينة ومنها العمالقة وعظمتهم ، وأن اليمن كانت موطن العمالقة الأول وأنهم من العرب البائدة ، وسلفاً لمن تلاهم من عاديين ومن تلاهم من كلدانيين وعدنانيين وقحطانيين وغيرهم من أمم حدثتنا عنها الأخبار وأيدتها الكتب المقدسة والآثار في أحيان كثيرة .

وقد كان خصب الجزيرة واعتدال مناخها المبكر من عوامل قيام هذا الإنسان على تربتها قبل غيرها ـ فيما نراه ـ ثم لتعرضها للجفاف المبكر .

الجفاف واليمن العربية السعيدة

إن ذلك الخصب والمناخ المعتدل المبكر جعل من الجزيرة المصدر الأول للاشعاع الحضاري الإنساني ومنبع الرسالات السماوية ، ولكن سنة التغيير لا محيص من الخضوع لحكمها .

فإن قرب الجزيرة من خط الاستواء مع تكوينها الجبلي والسهلي ، وموقعها من المحيطات هي التي وهبتها في الماضي العميق ذلك الجو المعتدل حينما كان العصر الجليدي الرابع لم ينحسر عن كثير من الكرة الأرضية أو انحسر تاركاً برده القاسي وزمهريره القارس . وما بدأت بعض تلك البلدان تدخل في دور الاعتدال المناخي وتتخلص من وطأة الجليد إلا وبدأت الجزيرة تتعرض لا للعصر الجليدي الخامس فحسب بل للجفاف البطيء الذي لم تظهر آثاره إلا بعد آلاف السنين فقلت الأمطار تدريجيا ، وارتفعت الحرارة . واختفت الأنهر الكبار ، وتحولت معظم السهول الخضراء إلى صحارى رملية موحشة وتراجعت الحياة من معظم شمالها وشرقها الصحراوي إلى جنوبها وغربها وبعض جبالها الشرقية ، ومن هنا تسمى الشطر الجنوبي من الجزيرة باليمن ، وبالعربية السعيدة - فيما أراه - من تسمية الكل باسم الجزء ، فلفظتا (يمن) (وسعيدة) مؤداهما البركة والسعادة ، ويقع معظم هذا اليمن والسعادة من محاذاة خط المدار الشمالي جنوبا فجبال عمان شرقا والطائف غربا . ومن هنا كان المدار الشمالي أهم ما تحد به اليمن الطبيعية .

اليمن الطبيعية

اختلف المؤرخون فيما يتناوله مدلول اليمن وحدودها . فاليونانيون عندما

يذكرون اليمن أو العربية السعيدة ـ يعنون بها تقريبا الجزيرة العربية وقد يتناولون سيناء . ويبدو لي أن ذلك يرجع إلى أن اليونانيين عاصروا السبئيين « وكان السبئيون إذ ذاك يحكمون كل الجزيرة العربية ، ويمتد نفوذهم الاقتصادي إلى شواطىء البحر الأبيض . ويتبادلون التجارة مع أبناء جلدتهم الفينيقيين وهم الذين وقفوا في وجه الزحف الآري من فارسيين ويونانيين ورومانيين إبتداء من سقوط بابل سنة ٥٢٧ وما بعدها .

١ ـ ومن الكتاب من يقصر اليمن على المنطقة التي تضم عسير والمخلاف السليماني شمالا وخليج عدن والبحر العربي جنوبا ولا يعد حضر موت وعمان من اليمن .

٢ ـ وظهر أخيراً خلال الاحتلال البريطاني لمنطقة عدن من حاول أن يقصر اليمن على القسم المتوسط من الشطر الجنوبي للجزيرة فيحدد اليمن من الشمال بعسير ومن الجنوب بلحج والمحميات الشرقية وهذا ما روجته بريطانيا خلال احتلالها لجنوب اليمن الذي أطلقت عليه اسم (الجنوب العربي) ، ولتغلب هذه التسمية المغرضة سخرت بريطانيا كل الوسائل وبذلت ملايين الجنيهات واستخدمت الكثير من المنظمات والصحافة والشخصيات ، ولكم تصارعنا مع أفراد هذه المنظمات في المؤتمرات والأندية والصحافة منبهين إلى ما تحمله هذه التسمية (الجنوب العربي) من جناية على اليمن ، ولم نجد هذه التنبيهات أذنا صاغية .

وأملنا كبير في أن يتحرر جنوب اليمن من الاستعمار وتخلفه وتحريفه وما ذلك ببعيد[1] .

٣ ـ يرى أكثر المؤرخين العرب وكل عارف بالتاريخ بعيد عن التيار السياسي ، أن اليمن هو الشطر الجنوبي من الجزيرة بما فيه حضر موت وعمان ومشيخات جنوب الخليج الفارسي ومكة المكرمة ، فيحدون اليمن غربا بالبحر الأحمر وشرقاً بخليج عمان وجنوب خليج فارس وجنوباً بخليج عدن والبحر

(١) كان هذا عام ١٣٨٥ هجريا تاريخ التأليف ، أما اليوم عام الطبع فقد تحرر جنوبنا من المحتل وقامت به جمهورية ننتظر أن نلتقي معها في وحدة اليمن الكبرى .

العربي والمحيط الهندي ، وشمالا بنجدويبرين ، وهذا هو الذي يقرره الواقع التاريخي قبل الإسلام وبعده .

والاعتبار الجغرافي والعرفي ، فإن معظم القبائل في هذا الشطر تنتسب إلى قحطان بن هود عليه السلام .

وأدق ما تحدد به اليمن الطبيعية من الشمال المدار الشمالي المار بمحاذاة رأس (برمس) ما بين رابغ وينبع فمهد الذهب فيبرين ثم ينحني الحد نحو الشمال متجاوزاً خط المدار الشمالي . ثم ينحني الحد في تعريج نحو الشرق إلى البحرين وقطر على شاطىء الخليج الفارسي .

وعلى هذا فاليمن الطبيعية هي كما يلي مساحة وأقساماً :

مساحة اليمن الطبيعية لا تقل عن ٩٠٠,٠٠٠ ميل مربع ، تسعمائة ألف ميل مربع وهي تتناول اليوم الأقسام الأتية :

١ ـ منطقة عمان بما فيها سلطنة مسقط وقطر والبحرين والمشيخات بين البحرين وعمان ، وهي رأس الخيمة والشارقة ودبي ، وأبو ظبي ، وأم الكراين ، ولا تقل مساحتها عن مائة ألف ميل مربع .

٢ ـ الجنوب اليمني ومساحته لا تقل عن ربع مليون .

٣ ـ منطقة عسير ونجران وجيزان وما بشمالها إلى خط المدار الشمالي بما فيها مكة المكرمة ورابغ ولا تقل مساحتها عن مائتي ألف ميل مربع .

٤ ـ الربع الخالي ولا تقل مساحته عن ربع مليون ميل مربع .

٥ ـ الجمهورية العربية اليمنية وتقدر مساحتها بخمسة وسبعين ألف ميل مربع .

هذه هي اليمن الطبيعية . وقبل أن ندخل في سرد اليمن ذات الملامح التاريخية الأثريه نضع أمام القارىء ما يلي :

العرب والساميون

إن دارسي السلالات البشرية قسموها إلى ثلاثة أصناف رئيسية :

١ ـ الصنف الزنجي أو الأسود .
٢ ـ الصنف المغولي أو الأصفر .
٣ ـ الصنف الأبيض .

والصنف الأبيض له ثلاثة فروع :

(أ) الحاميون .
(ب) الآريون .
(جـ) الساميون .

ومن أشهر الساميين : البابليون، والعرب ، والعبرانيون ، والفينيقيون ، والآراميون ، والأثوبيون . والحيثيون ، والسومريون ، وغيرهم في رأي المؤرخ[1] (ويلز) ويقول المؤرخ (فيليب فان نس مير)[2] الأمريكي : إن رأي أكبر العلماء أن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب ، وإن مما يجب ذكره أن أديان التوحيد الثلاثة العظمى الموسوية والمسيحية والاسلامية ظهرت بين الشعوب السامية ، وأن الساميين هم الذين حملوا راية الحضارة في العالم القديم .

---

(١) موجز التاريخ صحيفة ٧٣ و ٦٦ و ٦٧ .
(٢) التاريخ العام صحيفة ٧ .

ومما يلفت النظر أن المؤرخين القدامى لم يتكلموا عن الساميين بهذا التحديد والتصنيف ، وإذا تكلموا عنهم فباعتبار ارتباط الكلمتين في المفهوم وإن كلمة العرب تتناول مفهوم السامية ، وقالوا إن العرب مروا في أدوار ثلاثة :

١ ـ العرب العاربة (البائدة) منهم العمالقة والعاديون .
٢ ـ العرب المتعربة القحاطانيون .
٣ ـ العرب المستعربة العدنانيون .

وإن العرب العاربه البائدة هي التي لم يبق إلا أخبارها ، ومنهم العمالقة وعاد وثمود وجرهم ، وإن العمالقة أول ما ظهروا باليمن ومنهم من استقر باليمن ، ومنهم من نزح عن اليمن إلى أفريقيا وإيران والشام والعراق وإنهم والعاديين أسلاف السومريين والكلدانيين وغيرهم .

ولم يكن هناك قبل قرنين من يتكلم عن الساميين إلا اليهود ومن أخذ عنهم ، فاليهود منذ القدم هم الذين أشاعوا هذه التسمية هادفين من روايتها إلى جعل كلمة (عرب) ذات مفهوم ضيق لا تتعدى سكان الجزيرة العربية وتحويل العرب إلى جزء من الساميين لا أصلاً ترتبط به إرتباطاً عضويا ، أي أمة بربطها اللغة والدم .

الهدف الثاني إخراج بعض الشعوب العربية كالشعب المصري القديم فإنه عربي اللغة والثقافة اللذين تأثر بهما قبل التاريخ ، على أثر نزوح اليمنيين إليه وكذلك الكنعانيون والفلسطينيون الذين غزا أرضهما اليهود في الألف الثاني قبل الميلاد واستمروا في حرب مع اليهود إلى الألف الأولى ق . م مع أن هذين الشعبين عرب وساميون دماً ولغة .

وقد بقيت هذه التسمية اليهودية في الأوساط اليهودية كامنة بمفهومها اليهودي إلى قبل قرنين عندما ظهر الاستعمار الغربي الأوربي وطلائعه من المستشرقين ، وهناك انطلقت كلمة السامية تزحف بمدلولها العبري ، لقد رأى فيها المستعمر سلاحا قويا لا يقل أثره عن الأساطيل الجوية والبحرية والجيوش

الجرارة ومعداتها المدمرة التي ساقها الغرب إلى الشرق ليقضي فيه على عدوه الطبيعي وهما الإسلام والعروبة .

فإذا كان حقد اليهود على العرب حملهم من سالف القرون على أن يحرفوا مفهوم السامية والعربية ويحلوا كلمة السامية محل كلمة العربية فإن في استخدام المستعمر لهذا التبديل والتحريف سلاحا يفرق العالم العربي إلى قوميات عنصرية عرقية إلى جانب ما قام به الاستعمار من تفريق العالم الإسلامي إلى قوميات وما يبثه من أفكار مفرقة هدامة ، ولذلك بذل المستعمرون جهوداً لنشر هذا التحريف والتبديل حتى كاد مفهوم كلمتي العربية والسامية الحقيقي يختفي وكادت تمحي كلمة العرب القدامى بمفهومها المتناول ، قدامى المصريين وأبناء النيل وشمال أفريقيا والبابليين وغيرهم .

إلا أن من مفكري العرب ومؤرخيهم من تيقظ لهذه الخدعة فكشفوها كما فعل الأستاذ محمد عزة دروزة ورواه في مؤلفه (الوحدة العربية)[1] ص ٢٦ .

وهذا ما أردنا أن نعرفه لابنائنا فإن السامية والعربية معناهما واحد هو العرب القدامى ومن تفرع منهم فالجميع ينتسبون إلى سام بن نوح أو لغته العربية والجميع بالعرب منذ القدم عرفوا ولولا التفسير اليهودي المحرف وإشاعة الاستعمار له لما احتجنا إلى هذا التنبيه ، ولنتحول إلى الوطن الأول للعرب أو الساميين أينما كان .

---

(١) قال : إن تسميتها بالاقوام السامية خطأ ، ابتكره المستشرق النمساوي « تلوزر » عام ١٧٨١ م استنادا إلى الانساب الوارد في سفر التكوين وليس له سند من تاريخ وعلم ، وإن التسمية الصحيحة هي « الاقوام العربية » .

اليمن المهد الأول للحضارة وللعرب السامية

لنؤجل كلام المؤرخين والمستشرقين إلى أن نستعرض ما توحيه النواميس الإلهية، ومما أسلفناه ، أن المناخ المعتدل المنعش هو الصدف المتكون فيه أجنة الحياة ، ومن الدراسة السالفة يكون اليمن هو الحقل الذي نبت عليه الإنسان الأول قبل مائة ألف سنة حين كانت أوربا بغربها ومعظم الكرة الأرضية في غلاف الجليد الرابع الرهيب الذي لم يجعل الانسان أن يتبرعم على أرض فرنسا وأسبانيا إلا بعد سبعين ألف سنة .

فإن منذ ثلاثين ألف عام بدأ المناخ بغرب أوربا يشع بومضات من الدفء والاعتدال ويبدأ هناك الإنسان وهو يرتعش من الزمهرير الذي ما تزال وطأته تقيد الحياة وترعب الإنسان بينما كانت الجزيرة العربية إذ ذاك في أوج الاعتدال المناخي ونشوة طفولة الحياة المرحة الطموحة المتفتحة تدغدغها أحلام الطفولة الجميلة ، وترقصها الخيالات السابحة مع اللجج على صفحة البحار ، مع أجنحة الطيور على الفضاء ، مع الآرام والسباع أحياناً على قمم الجبال ومهاوي الأودية . ويراح الغابات المتدوحة والسهول النضرة . وأحيانا مع المنام ومرائيه والموت ورهبته والسحب وبروقها ، واختلاف الفصول والليل والنهار ، إننا كلما أطلقنا لخيالنا الزمام ونحن معه إلى اليمن في تلك الأزمان السحيقة الموغلة في القدم فإذا بنا على ربوة تكسوها بهجة الحياة الفطرية تموج على جوانبها طفولة الإنسان الأول ذي العناصر المادية والخيالية والوجدانية والفكرية القوية النمو التي لم تدعه أليف نوم وجمود .

وإنما حركة خاطئة أكثر منها صائبة ، بعثته على أن يصارع الطبيعة وما حوله وعلى أن يؤمن وجوده ومقومات حياته وبقاء نوعه فيبحث عن الأمان في الكهوف والقمم والماء والنار وتسلق الجبال والأشجار كما يبحث عنها في الأنهر والبحار وراء الأسماك ، وفي البراري والغابات وراء الحيوانات يصيدها ثم يستأنس أسلسها فإذا بها تفرض عليه رعايتها متنقلا فيما حوله متأملا يريد أن ينفذ إلى ما تحويه الجبال والسهول من أسرار ومعادن ، ومما توحيه حرفة الرعي إلى ذوي المواهب ، وإلى جانبه أخوه الزارع تسود عليه طبيعة الفلاحة الداعية إلى معرفة شق الأرض وريها ومعرفة الزراعة ومواسمها وطرق استغلالها إلى آخر ما تفرضه معرفة الزراعة ، إلى جانب الصبر والكدح والهدوء والاستقرار .

ومن الصيد والقنص والرعي والزراعة تولدت مفاهيم جديدة للحياة في أحقاب مديدة على محتواها تجاوزت الصلات والروابط .

الأسرة والخيمة والكهف والزوجية ، إلى مجتمع قبلي يفرض حياته نظاماً يحدد العلاقات بين أفراده وأصنافه ، وبينهم وبين من حولهم .

وعن هذه التطورات والتفاعلات يتمخض المجتمع عن أمة عليها حكومة لها نظامها وقوانينها وعقائدها وحكامها .

وإذا كانت اليمن هي الحقل الصالح لولادة الإنسان الأول فلنا أن نتخيل تحت أضواء نواميس التكوين ـ إن اليمن شهدت قبل غيرها تطورات هذا الإنسان في أدوار الماضي السحيق الذي لم يكن لدينا عنه أثر (نعتمد عليه) إلا الافتراض الذي من أجل الاطمئنان نرجع إليه إذعانا للطبيعة البشرية وناموس سيرها والذي يجعلنا نتصور وجود الإنسان الأول على اليمن ، ونتلفت إلى قبر حواء بجدة ، بأنه ليس من قبيل الأسطورات الفارغة بل قصة لها مغزاها ، أنها قصة ترمي إلى تقدم قدم الإنسان في اليمن تقدماً غير منازع ولا مسبوق، وعلى تربة اليمن سار ذلك الإنسان الأول بخطى رتيبة نحو مدنية العالم القديم التي تركت لنا الكتب المقدسة ، منها قصة آدم وقصة نوح والطوفان والسفينة وما حملته من كل زوج اثنين وأن قوم نوح اتخذوا آلهة وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً ،

وهي أسماء عربية يمنية ، وقد أسدل الستار على عهد نوح وما قبله وغمره الماضي بطوفان النسيان ما عدا ما حفظته الكتب المقدسة المسجلة لعروبة ذلك العهد بأسمائه وتقاليده وحضارته .

وتتجدد بعد نوح وطوفانه ، مسرحية جديدة للانسان نرى من فصولها قصة سام بن نوح والتي تدور في اليمن الذي احتضنت أرضه ساما وفروعه ومنحتهم من معطياتها القدرة على أن يأخذ ذلك الإنسان السامي والعربي يسير على تربة اليمن عبر القرون الكثيرة في نمو بطيء مطرد ، وتبرز من صنوفه أمم حفظت لنا الأخبار منها العمالقة وعاد الأولى والثانية وكلها عرفها الإخباريون والتاريخ بالعرب القديمة ، (البائدة) ويرى أكثر المؤرخين الإخباريين وجماعة من الأثريين أن هؤلاء العمالقة كانوا باليمن وأن منهم ومن عاد من أقام باليمن ومنهم من هاجر إلى العراق وإيران والشام وإفريقيا الشرقية منسابين منها إلى وادي النيل وشمال أفريقيا وغيرها ، حاملين معهم حضارتهم ومعلوماتهم ، ولعل منها الكتابة البدائية كرموز للتدوين والتصور والذي منه اقتبست الحضارة السومرية والفرعونية والأيجية فيما اقتبست الكتابة ، فطورتها ثم اهتدت إلى نقشها وتدوين الأخبار بها على الأحجار والبردى وألواح الطين المجفف مما حفظ الكتابة وأخبار تلك الأمم ، ويبدو أن العمالقة وعاد لم يستعملوا هذه الطريقة فضاعت كتاباتهم وأخبارهم أو استعملوها ولكنه لم يعثر عليها إلى اليوم ، وهي في رأينا الأصل للأبجدية اليمنية المعروفة بالمسند ، ومن تلك الأخبار وذلك الافتراض نرى أن السومريين والأيجيين والحيثيين وقدامى الفراعنة والمصريين هم من فروع العمالقة الذين هاجروا قبل التاريخ كما أن من العمالقة والعاديين يعد الكلدانيون والبابليون والفينيقيون والشاسوء الكنعانيون والفلسطينيون والأشوريون والعبرانيون وغيرهم ، وقد أوصلنا إلى هذه النتيجة ما حكاه الإخباريون والكتب المقدسة وما استوحيناه من نواميس الطبيعة وتطوراتها وهذه النتيجة تقرب من النتائج التي استقاها من الدراسة الجيولوجية والأثرية والتاريخية كثير من مؤرخي الغرب وأمريكا والمستشرقين وغيرهم .

فقد قال أحد المستشرقين : إن اليمن وحده هو الذي يستطيع بأن يطالب

تاريخنا بلقب (مهد العروبة) .

وقال المؤرخ (مولر) أنه جاء ذكر المعينين في أقدم نص بابلي عليه نقش بالمسمارية تاريخه ٣٧٥٠ ق . م عام ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين قبل الميلاد وقال لورنس : اليمن هو مصنع العرب .

وقال المؤرخ الأمريكي (ولز)[1] أن السومريين أولو بشرة سمراء وأنوف شماء ، وأن شعبا أبيض قاتما أو أسمر ، هم الساميون جاءوا من بلاد العرب إلى بلاد سومر متجرين ومغيرين وبعد قرون تم لهؤلاء المغيرين فتح بلاد سومر بقيادة (سرجون) الكلداني العظيم في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد وأصبح سرجون سيد العالم كله في الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض ، وإنه لم يأت عهد حمورابي أواخر الألف الثالث قبل المسيح إلا وقد انتشر الساميون على طول حوض البحر الأبيض وتوغلوا في أوربا بأسبانيا وغيرها وأقاموا مستعمرات على شاطىء أفريقيا وأن من الساميين الفينيقيين والحيثيين وعمالقة الشام والعراق والشاسوه الذين فتحوا مصر وحكموها أكثر من خمسمائة سنة ، وقال المؤرخان المصريان محمد عبد الرحيم مصطفى وعبد العزيز مبارك في مؤلفهما (تاريخ مصر القديم)[2] أن الحضارة بمصر بدأت قبل عصر التاريخ بما يقدر بمائة ألف سنة وأنها أغارت قبل عصر التاريخ على مصر قبائل آسيوية من الجنس السامي جاؤوا عن طريق برزخ السويس وقد استطاع هؤلاء الساميون أن يؤثروا في حضارة المصريين ولغتهم تأثيراً كبيراً .

وقد خرجنا عن الاختصار لأهمية المواضيع ، فمفهوم السامية قد حرف كما حرف مفهوم العرب ، واليمن ما تزال تتطلع إلى من يمنحها دراسة من الناحية الجيولوجية وأدوارها في تطور الإنسان وحضارته إلى جانب المزيد من دراسة الآثار والتنقيب عنها لعلها تمنح العالم معلومات جديدة عن الإنسان الأول وتطوره .

ونحن لا ندعي أنا قد لبينا هذا التطلع وقمنا بهذه الدراسة ، إنما لم نفعل

---

(١) موجز التاريخ العام ص ٦٦ و ٦٧ .

(٢) ص ٩ .

أكثر من طرق الباب الذي نرجو أن يفتح لذوي المواهب الجيولوجية والتاريخية .

ونبتدىء سيرنا في بيان ما وصلنا إليه من معلومات ونـظريات حـول اليمن قبل الإسلام وبعده ملتزمين الاختصار إلا في مواطن تستدعي الوقفة .

اليمن قبل الاسلام

من المسلم بـه أن قصة اليمن التـاريخية لا تـزال ناقصـة تتخللها فجـوات يتعـثر فيها الكـاتب والمؤرخ وهـو يحـاول أن يقيم منهـا بنـاءاً متـرابط الأدوار ، متراص البنيان ، واضح المعالم .

ومع ذلك فبين أيدينا مما لمحنا إليه ما نستطيع أن نقول معه :

١ ـ ما قبل العمالقة .

٢ ـ العرب القديمة البائدة ذات الأخبار .

٣ ـ العرب ذات الآثار .

الفصل الأول
ما قبل العمالقة

وما يمكن القول بـه في هذا الفصـل : إن اليمن هي المهد الأول لـلانسان الأول وللحضارة ، وإن على أرضها تكونت أول أسرة عربية أي سامية قطعت بعد ذلك آلاف السنين حتى بلغت مستوى التنظيم والحكم والامتداد إلى الخارج كما أوضحناه آنفاً ، ولم تعطنا تلك الأضواء الخافتة معلومات تفصيلية تتعرف بها إلى أسرة أو شخصيات حاكمة أو غير حاكمة ، وكلما أعطتنا معلومات إجمالية توجيها لنواميس الحياة التي بتطورها وحكمها الصارم جعلت من آخر هذا الفصل انتفاضة تفتحت عن علم ظهر على معالم طريق الحضارة اليمنية ، ذلك العلم هي أسرة العمالقة أو العرب القدامى .

الفصل الثاني
العرب القديمة ذات الأخبار

تعرف هذه الأمم بالعرب البائدة والعرب العرباء ، ولم يبق إلا الحديث عنهم وبعض أخبارهم ، ولم يعثر لهم إلى الآن على آثار ولا كتابة تبين أسماء من حكموا ولا الزمن الذي وجدوا فيه أو انتهوا ، وقد حفظت الأخبار من أمم هذا الفصل :

١ ـ العمالقة
٢ ـ عاد الأولى
٣ ـ عاد الثانية
٤ ـ ثمود
٥ ـ قحطان ويعرب
٦ ـ جرهم الأولى
٧ ـ جرهم الثانية
٨ ـ عمان
٩ ـ حضر موت

١ ـ العمالقة

هم كما يرى الإخباريون أقدم العرب العاربة . وأن موطنهم الأول اليمن ومن المؤرخين من يحدده بحقل صنعاء ومنطقتها ، وقد امتدت أيامهم آلاف الأعوام ونسج حولهم كثير من الأساطير سيما حول عظم الأجسام وطولها والقوة والبطش والبطولات والصحة ورفع الأبنية والسدود إلى غير ذلك مما يتناسب مع

مميزات الإنسان العربي واليمني التي برزت آثارها في أعمال وآثار المعينيين والسبئيين ومن بعدهم من خلف العمالقة ، ولم يكن في أساطيرهم ما نراه في أساطير اليونان والرومان من آلهة وخيالات حب وتناسل بين تلك الآلهة إلى ما هناك من تصورات .

وللأساطير في كل أمة دورها الذي يعد مرآة لجبلة الأمة وميولها ، وأغلب ما تأتي الأساطير مقدمة ينتج منها تاريخ الأمة الحقيقي وقد لا يتخلى التاريخ الحقيقي عن آثار تلك الأساطير ، ومن هذا المزيج قد يكون العمالقة والأخبار عنهم المفيدة أنهم تكاثروا ورحل منهم في فترات متتابعة إلى الخارج عدد كبير يدفعهم فيما يبدو ما دفع من تلاهم هو حب الفتح واكتساب مواطن جديدة ، وقد تكون لطلب الرزق أو فراراً من متغلب يمني جديد على من قبله ، وقد احتفظ هؤلاء المهاجرون لأنفسهم في كثير من المواطن الجديدة بالحكم أزماناً طويلة حتى بعد أن غلبهم في اليمن فروعهم العاديون . فقد كان لهم بعد زوال حكمهم عن اليمن دول في العراق وشمال الجزيرة ، ولعل منهم السومريين في العراق الذين غلبهم بعد أبناء عمومتهم من العاديين في الألف الرابع قبل الميلاد ثم تغلبوا عليهم بقيادة (سر جون) في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان لهم في الألف الثاني قبل الميلاد دولة بمصر وهي المعروفة (بالشاسوا) أو (الهكسوس) أي العرب والرعاة فقد أثبتت الآثار المصرية أنهم حكموا مصر من سنة ٢٢١٤ ألفين ومايتين وأربعة عشر قبل الميلاد إلى سنة ١٧٠٣ ألف وسبعمائة وثلاثة ق . م .

كما يحكي الإخباريون أنه بقي لهم حكم بمكة إلى أيام يعرب فبعث أخاه جرهماً بن قحطان فأجلاهم عن مكة .

وعلى كل فإن العمالقة هي أمة ذكرها المؤرخون ، وأن مساكنهم باليمن وأنهم قدماء العرب ، وأنهم باليمن تكاثروا ، ومنه انطلقوا إلى خارج اليمن وأنه امتد حكمهم في اليمن آلاف السنين حتى غلبهم العاديون وبقي لهم خارج اليمن حكم آماداً متطاولة .

كما أن اسمهم الرنان (العمالقة) استعارته أمم أتت بعدهم .

٢ ـ عاد الأولى

هي الأمة التي تبدو أكثر وضوحاً من دولة العمالقة عنها تحدثت الأخبار والكتب المقدسة ، وقد أخبر القرآن أن موطنها هي (الأحقاف) وهي شمال حضرموت ، وأنها كانت على جانب مهيب من القوة العسكرية والجسمية والحضارية والاقتصادية وأن أرضها كانت على جانب من الخصب والاعتدال ، ذات جنات وأنهار ونعم وعيون ، وأن الله استخلفهم من بعد نوح وزادهم في الخلق بسطة ، وأنه أرسل إليهم من أنفسهم (هوداً) فأصروا على كفرهم وبغيهم ، وتجاوزوا حد الغرور فقالوا (من أشد منا قوة) ولم تنجح فيهم النصيحة فلم يلتفتوا إليها وإلى تذكيرهم بما هم فيه من قوة ورخاء فقد خوطبوا : وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون فلم يؤمن منهم بالنبي هود إلا قليل ، فقلت الأمطار ، واشتد الجفاف وهم سادرون في غيهم فأخذتهم الريح العقيم لمساكنهم ناسفة ولمزارعهم مجتاحة ولأجسامهم رامية ﴿كأنها أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية ؟ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ـ إلى قوله تعالى ﴿ الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ﴾ .

هذه الصورة القوية لحضارة قوية عميقة القدم قامت بعد نوح تعد تصويراً رائعاً وبرهانا ساطعاً على أن اليمن أول مهد للحضارة والعرب أو السامية بالتعبير الجديد ، إنهاشهادة من مصدر قوى الإيمان ، ومع هذا وما ذكره الإخباريون من تحول هود ومن معه إلى حضرموت وأنه مات بها ، وبها قبره الذي لا يزال مزاراً إلى اليوم ، مع كل ذلك فلم يبين الزمان الذي بدأت فيه دولة عاد الأولى ولا قدر المدة التي حكمت فيها وانتهت ، ولا أسماء الملوك والحكام منها إلا اسم الملك (الخلخال) فقد ذكرت القصص أنه هلك مع قومه ، ولنا أن نفترض بمعونة الكتاب المقدس وسنة التطور المناخي الزمن الذي كانت به عاد الأولى فإنهم كانوا في زمن كانت الأحقاف تتمتع فيه ببقية من الخصب والمناخ المعتدل ،

ولم يكن الجفاف قد بلغ بوطأته إلى أن جعل الأحقاف يلفظ آخر نفس من الحياة ، ومن هذه النظرة الجيولوجية يمكن أن نقول : إن آخر عهد الأحقاف بالحياة هو في الألف الثامن أو السابع قبل المسيح إذ قد وجدت في الربع الخالي أصداف المياه العذبة وأسلحة صوانية وقطع متحجرة من بيض النعام يعود إلى قبل خمسة آلاف عام قبل المسيح ، إذاً فعهد الأحقاف بالحضارة العادية وإرم ذات العماد كان قد انتهى قبل المسيح بأكثر من خمسة آلاف سنة فكون عاد الأولى قد وجدت قبل ذلك بما لا يقل عن ألفين أو ثلاثة آلاف عام فتكون زمنها الذي اكتملت فيه الألف السابع قبل المسيح أو الثامن ، ويدعم هذا الافتراض ما يشير إليه القرآن من الخصب ثم الجهد الذي عانته عاد ثم العاصفة المفاجئة التي قضت على ما بقي للحياة من عناصر ومعالم .

وهذا التحول تقره البحوث العلمية الجيولوجية والتاريخية وتكاد تحدد معنا أن عاد حكمت في الألف الثامن ق . م ، والأحقاف قد بدأت تتعرض لغزو الجفاف البطيء الذي لم تأت ضربته الحاسمة إلا في الألف السابع ق . م الذي انتهت فيه عاد الأولى وانتهت فيه الحياة الصالحة في الأحقاف التي تحولت بعد قرون إلى صحراء رملية تبتلع الأثقال تكاد تشارك الكتلة القمرية في الخلو من الحياة ، فقد دب إليها الموت دبيب الخنافس والسلاحف ، ويمكن أن يكون آخر عهدها بالحياة الصالحة كما قدرنا هو الألف السابع قبل الميلاد والذي بدأت فيه عاد الثانية تتكون .

٣ ـ عاد الثانية

لم يحدثنا عنها القرآن وعن هود عليه السلام بعد هلاك عاد الأولى إلا بأن الله نجى هوداً والذين آمنوا به . وإنها عاد الأولى وفي نعت عاد بالأولى دليل أن هناك عاداً ثانية ، وقد أفادت الأخبار أن هوداً ومن معه فارقوا الأحقاف إلى حضر موت وبها استقروا وبها مات هود عليه السلام وكأنهم تكاثروا وتألفت من نسلهم عاد الثانية ولا نعلم متى حكموا ، وهناك من يقول إنهم استمروا في الحكم ألف عام حتى غلبهم يعرب في رواية وهو الأقرب إلى سير التاريخ وقيل ثمود .

وإذا رجعنا إلى سنة النمو فقد يكونون استمروا في التكون بقية الألف السابع وشطراً من الألف السادس الذي في شطره الأخير حكموا واستمروا إلى الألف الخامس قبل الميلاد حتى غلبهم يعرب أو في الألف الرابع كما يأتي وقد ذكر المؤرخون ملوكا لعاد منهم :

١ ـ شداد بن عاد

٢ ـ لقمان بن عاد

٣ ـ الهمال بن عاد

٤ ـ الحارث بن الهمال .

ولا نعلم هل هؤلاء من ملوك عاد الأولى أم الثانية أم منهما ونحن لا نثبت ذلك ولا ننفيه تاركين الحكم للمستقبل الذي قد يكشف لنا عنهم وعن ثمود آفاقا جديدة .

٤ ـ ثمود

تحدث القرآن عن ثمود وأنهم قبل إبراهيم ويقال إن منازلهم الأولى كانت بالجنوب الشرقي من اليمن ما بين عسير وحضر موت ثم تحولوا لسبب مجهول إلى الشمال ونزلوا وادي القرى أو مداين صالح والحجر واتخذوا منها مواطن جديدة ما تزال آثارها إلى اليوم قائمة ، أما في الجنوب فلم يعثر لهم ولا لعاد على أثر إلى الآن ولا يبعد أنهم من فروع عاد ، ويستظهر على هذا الفرض أن يعرب قضى على عاد في اليمن وعلى العمالقة في الحجاز فيكون قد أنهى ثموداً في الحجاز .

العهد القحطاني ـ والعهد اليعربي

٥ ـ يعرب بن قحطان بن هود ٤٠٠٠ ق م

نشأ القحطانيون في اليمن أثر عاد وبقايا العمالقة فيما يبدو وامتداداً لمن سلفهم من العمالقة والعاديين وهم بطن من عاد فإن النسابين يقولون : إن قحطان بن عابر (هود عليه السلام) وإن يعرب بن قحطان وإن حمير وكهلان

هما ابنا (عبد شمس) الملقب (سبا) بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإن سبا غزا أرض بابل وإنه أول من ضرب الأتاوه وسبا ولذا لقب (بسباء) وفيه يقول الشاعر :

ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
له ملك قحطان بن هود وراثة عن أسلاف صدق من جدود ومن أب

ويزعمون أن مدة ملكه أربعمائة وأربعة وثمانين عاما ، ولعل تلك المدة القريبة من خمسمائة عام للملك أسرة سباء ، كما قد قيل ذلك في مدة ما لبث نوح في قومه ، ويقول الإخباريون : أن يعرب هو أول من حياه العرب بتحية الملك (أبيت اللعن وأنعم صباحا) وأول من هذب اللغة العربية في دورها الثاني (العرب المتعربة) ونطق إذ ذاك بأفصحها وأوجزها وأن العربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه . ومن هنا قال حسان بن ثابت فيه :

تعلمتم من منسطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديما مالكم غير عجمة كلام وكنتم كالبهائم في القفر

وإن يعرب بسط نفوذه على الجزيرة العربية وقضى على عاد في اليمن والعمالقة في الحجاز وإنه ولى أخاه جرهما على الحجاز فقضى على من بها من العمالقة . وولى أخاه عمانا منطقة عمان وبه سميت ، وولى أخاه عامر بن قحطان الملقب حضر موت وبه سميت ، وقد قضى فيها على عاد ، وكان مغواراً ويكثر من القتل في المعركة فإذا حضر معركة يقولون : حضر موت ، فلقب به ، ويلقبه سميت المنطقة ، هكذا يقول الإخباريون والنسابون ، ونحن لا نأخذه على علاته وكلما يمكن القول به ، أن يعرب شخصية لامعة عبر التاريخ الطويل مما يجعلنا نحكم أنه من أعلام القادة الذين أثروا في مجرى التاريخ والحياة وتطورها ، ونحن وإن لم نقف إلى اليوم على آثار تحدثنا عنه وعن الزمان الذي حكم فيه فإن وجوده كعظيم دفع الحضارة إلى الأمام ـ تكاد تكون متواترة تتناقل أخبارها الأجيال ومنها أنه من أبناء قحطان وأن إليه يرجع أنساب القبائل

اليمنية الذين منهم المعينيون والسبئيون وكهلان وحمير ، وأن في عصره وبقيادته تغلب القحطانيون على اليمن وامتصوا جميع سكانه من العاديين ، ومن هذه القضايا شبه المتواترة يرد سؤال هو ، كيف يكون يعرب بن قحطان ويكون سبأ حفيد يعرب ، ويكون حمير وكهلان ابني سبأ مع القول بأن القحطانيين بقيادة يعرب تغلبوا على سكان اليمن ، ودولة معين لم يتكلم عنها مؤرخو العرب ، ودولة سباء لم تظهر إلا في أوائل الألف الأول قبل المسيح . ودولة حمير لم تأت إلا من آخر الألف الأول قبل المسيح ، وأين معين التي هي أقدم وجوداً من سباء وأنتم تعدونها قحطانية ؟

والجواب على هذا : أن النسابين كثيراً ما ينسبون الشخص أو القبيلة إلى شخص فيقولون : فلان ابن فلان ، ويعنون به أنه من نسله ويرتفع بنسبه إليه وإن كان بينهما عشرات الآباء كما نراه اليوم وعليه درج الماضون فيقولون فلان ابن رسول الله . أو ابن علي . أو ابن العباس . وأبناء أمية . وأبناء العباس وبنو مروان إلى غير ذلك ، وما نحن فيه من هذا القبيل فإن قحطان قديم ، وقديم جداً جاء ذكره في التوراة بإسم (يقطن أو يقطان بن عابر) أي هود عليه السلام فيكون قحطان من رجال الألف السابع أو الثامن قبل الميلاد عصر تكون عاد الثانية

أما يعرب وجعله ابن قحطان من قبيل اتصال نسبه بقحطان لا أنه إبنه بلا فاصل ، وأن الذي تدل عليه طبيعة نمو الأسرة وتكاثرها هو أن بين يعرب وقحطان عشرات القرون فيها تكاثر أبناء قحطان وتناسلوا في ظل دولة إخوانهم من العاديين وما زال جمع القحطانيين ينمو ويشتد إلى عصر يعرب الذي مكن لهم السيادة على من عداهم من العاديين وبقية العمالقة .

وإذا اعتبرنا معيناً من قحطان وهو الصحيح كما سيأتي وسلمنا بوجود جرهم الأولى والثانية فيكون يعرب من أعلام أواخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع قبل المسيح ، فقد جاء ذكر معين في نصب بابلي تاريخه ٣٧٥٠ ق. م نقش عليه إسم المعينيين وصلاتهم بالبابليين ، وجرهم الثانية كانت قد تكونت بمنطقة مكة قبل إبراهيم بزمن طويل وعهد ابراهيم في أواخر الألف الثالث (ق. م) فيكون

جرهم الأولى هو جرهم أخو يعرب فيكون يعرب من رجال الألف الرابع أو أواخر الألف الخامس ق . م ومما يقرب هذا الافتراض إلى الحقيقة ، أن الكلدانيين كانوا قد بدأوا يزاحمون السومريين في الألف الرابع ق . م فقد مضى ما رواه المؤرخ (ولز) أن ساميين من بلاد العرب جاؤوا إلى بلاد سومر متجرين ومغيرين وبعد قرون تغلبوا على السومريين بقيادة (سر جون) سنة ٢٧٥٠ ق.م، وهؤلاء العرب من بقايا عاد الذين أخرجهم يعرب من اليمن بعد تغلبه عليهم ، ولعلهم نزحوا إلى الشمال ومن هناك بعد قرون دخلوا بلاد سومر ثم تغلبوا عليها. ومن كل هذه الافتراضات المتضافرة مع القرائن نستنتج أن قحطان ابن رسول الله هود عليه السلام من رجال الألف السابع قبل الميلاد ، وأن يعرب من أعلام أواخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع ق . م وربما يأتي المستقبل بما يثبت ما ذهبنا إليه ، وقد ارتبط بيعرب ذكر جرهم وعمان وحضرموت .

٦ ـ جرهم الأولى ٤٠٠٠ ق . م

يروي الأخباريون أن يعرب ولى أخاه جرهما على الحجاز فقضى على العمالقة بالحجاز وبذلك ابتدأت دولة جرهم الأولى التي استمرت إلى أن تغلبت عليها جرهم الثانية ولم يبق لجرهم الأولى إلا الحديث عنها .

٧ ـ (جرهم الثانية ٣٠٠٠ ق.م إلى ٣٠٠ ب . م والعرب المستعربة)

هي قحطانية وامتداد لجرهم الأولى وقد أقامت بالحجاز بمنطقة مكة قبل قدوم الخليل ابراهيم إلى مكة بولده اسماعيل ، وقد نشأ اسماعيل بين الجرهميين ثم تزوج منهم وأخذ العربية عنهم فكانت لسان أبنائه العدنانيين وهم (العرب المستعربة) ومن المعلوم أن ابراهيم عليه السلام من رجال الألف الثالث ق. م عصر (حمورابي) وهو كلداني الجنس فيكون جرهم الثانية ممن عاش في الشطر الأول من الألف الثالث ق . م وقد بقيت تحكم مكة إلى القرن الثالث ب . م حيث غلبتها خزاعة القحطانية وأخبارها كثيرة ولا تعد من العرب البائدة بل من العرب المتعربة .

٨ ـ عمان

منطقة عمان من اليمن وقد ذكر ابن خلدون أنها سميت باسم عمان بن قحطان الذي ولاه أخوه يعرب عليها ويذكر آخرون أن قبيلة الأزد هاجرت إلى هذا القطر بعد انهدام سد مأرب فسموه باسم واد لهم بقرب مأرب .

وسكان عمان هم إلى الآن من الأزد وكانت قبل الإسلام تابعة للتبابعة الحميريين ، وجاء الإسلام وملكها عبيد و جيفر أبناء الجلندي الأزدي وقد أسلما تلبية لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي حملها عمرو بن العاص ثم قاما بنشر الدعوة الإسلامية في قبائل الخليج وإلى مهره وشمل الإسلام جميع عمان إلا من كان من أصل فارسي فقد أبوا ، فكان إخراجهم بأنفسهم وذراريهم إلى فارس .

٩ ـ حضر موت

سبقت الإفادة بأنها سميت بلقب عامر بن قحطان الذي ،ولاه أخوه يعرب على هذا القطر ويبدأ تاريخ حضر موت (بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وكانت منازلهم بالأحقاف ثم انتقل هود عليه السلام ومن آمن به إلى حضر موت وذلك ما يعرف عنها قبل يعرب إلى أن جاء يعرب وإلى أن قامت فيها حضارة لها ملوكها وقلمها وآثارها كما سيأتي في فصل الدول ذات الآثار .

الفصل الثالث
الدول اليمنية الأثرية قبل الاسلام

هذا الفصل يقف بنا على عتبة عهد جديد ، عهد تاريخ اليمن المستمد من الآثار ويتناول هذا الفصل تسع دول هي :

١ ـ معين
٢ ـ سبأ
٣ ـ حمير
٤ ـ قتبان
٥ ـ حضر موت
٦ ـ أوسان
٧ ـ جبا أو حبان
٨ ـ سمعى حاشد
٩ ـ اربع

وأشهرها ثلاث : معين ، وسبأ ، وحمير

دولة معين

١ ـ دولة معين من سنة ١٥٠٠ ـ ٨٠٠ ق.م والذي نراه أنه من خلال ٤٠٠٠ ق . م ويذهب بعض العلماء مما عثروا عليه في جوف اليمن من آثار أن معيناً عاشت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وبقيت إلى القرن الثامن قبل الميلاد وأن عاصمتها الأولى (معين) والأخرى (قرناو) كلاهما بجوف اليمن وأن عدد ملوكها الذين عثر على أسمائهم ٢٨ ملكا ومكرباً في ست سلالات وهم كما يلي :

(أ) السلالة الأولى سلالة يدع

اسم	لقب	شرح
١ ـ أب يدع		
٢ ـ أب يدع ،	يثع	المنقذ
٣ ـ أب يدع ،	ريام	السامي
٤ ـ حفن أب يدع	ريام	السامي
٥ ـ حفن أب يدع		

(ب) السلالة الثانية سلالة اليفع :

اسم	شرح
٦ ـ اليفع	
٧ ـ اليفع ، يفيس	الشهير
٨ ـ اليفع ، يثع	المنقذ
٩ ـ اليفع ، ياسر	السعيد
١٠ ـ اليفع ، ريام	السامي
١١ ـ حفن ريام بن اليفع ياسر	السعيد

(جـ) سلالة وقه :

١٢ ـ وقه آل يثع ، المنقذ . . .
١٣ ـ وقه آل ، بنط ، لقب شرف
١٤ ـ وقه آل صديق ، الصادق
١٥ ـ وقه آل ريام ، السامي

(د) سلالة يثع آل صديق :

١٦ ـ يثع آل صديق ، صادق
١٧ ـ يثع آل ريام ، السامي
١٨ ـ حفن صديق يفع كرب
١٩ ـ يثع آل ريام ، السامي

(هـ) سلالة خال كرب :

٢٠ ـ خال كرب صديق ، صادق
٢١ ـ هوفعت بن اليفع ريام ، السامي
٢٢ ـ خال كرب

(و) سلالة كرب :

٢٣ ـ معدي كرب بن اليفع
٢٤ ـ يثع كرب ريام السامي
٢٥ ـ أم يثع أبو كرب
٢٦ ـ أبو كرب
٢٧ ـ يثع كرب
٢٨ ـ ثوب كرب

هؤلاء ثمانية وعشرون ملكا ومكربا معينياً عثر على أسمائهم في جوف

اليمن وقد فهم من النصوص المعثور عليها بالجوف وغيرها أن الملك في المعينيين كان وراثياً ، وأن دولتهم شملت الجزيرة وامتدت إلى الخليج الفارسي والبحر الأبيض ولم تكن دولة حرب وفتح بل دولة تجارة وفتح اقتصادي تمتد طرقها ومحطاتها أواسط الجزيرة العربية ، كما كانت لها موانىء على البحر الأحمر والأبيض والبحر العربي تستقبل سفنها العابرة إلى الهند وغيرها ، وكانت واسطة للتجارة بين الشرق والغرب ، كما كانت تصدر منتجاتها وصناعاتها من المر والبخور والتوابل إلى دول شرق البحر الأبيض كمصر وغيرها ، وتتبادل مع تلك الأقطار والهند وما جاورها السلع والتجارة ، وكانت لها نظمها التشريعية والاقتصادية وقلمها المسند ، ومن أحب المزيد فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ أحمد أحمد فخري وغيره ، والذي يهمنا عن هذه الدولة معرفة أصلها والزمن الذي بدأ ظهورها فيه وعلاقتها بسباء من ناحية النسب والتسمية واللغة والأبجدية .

فقد ذهب الكثير أنها عاشت في القرن الرابع عشر ق . م وتغلبت عليها سباء في القرن التاسع أو الثامن ق . م ثم يذهب « جرجي زيدان » وأمثاله إلى أن أبجدية المعينيين مأخوذة من الأبجدية الفينيقية وأنهم ليسوا من القحطانيين لأنهم أقدم زمناً من قحطان . وأنهم من البابليين لما بينهم من التشابه في أسماء الأشخاص والآلهة والأحوال الاجتماعية والسياسية واللغوية والدينية . فلما ذهبت دولة العرب (أي بابل) من العراق نزح المعينيون عنها في جملة القبائل العربية فلم يستطع المعينيون حياة البادية ، فبحثوا عن موطن يلائمهم فنزلوا اليمن واتخذوا من الجوف وطناً أقاموا فيه حضارتهم المنقولة من بابل ، وهذه نظرية مردودة ، فإن من أفاد أنها عاشت في القرن الرابع عشر ق . م لم يقرر أنه بداية تكوينها ، وأنه يحتمل أن تاريخ بدايتها أقدم ، وهو كذلك ، تثبت ذلك الآثار والأدلة التكوينية والمناخية كما أشرنا اليه .

وقد جاء ذكر المعينيين في أقدم نصب بابلي (سومري) يعود تاريخه ٣٧٥٠ ق . م نقش عليه بالمسمارية البابلية صلات بابل مع المعينيين ، ومن هذا السجل يمكن أن تبرز عدة أحكام ، أولها ـ أن المعينيين غير بابليين لأن النص يشرح

صلات البابليين بالمعينيين وهذا لا يكون إلا مع أمتين أو دولتين لا مع أمة واحدة أو دولة واحدة .

الحكم الثاني أن السومريين كانوا يعرفون بالبابليين من قبل موجة العرب الكلدانيين السرجونيين ، مما يعطينا تأكيداً أن السومريين من العرب الساميين .

الحكم الثالث أن معيناً من دول الألف الرابع قبل الميلاد وهو عصر عظمة قحطان التي افترضناها والتي برزت في قيادة يعرب الذي سبق أن رجحنا أنه من أعلام آخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع ، وإذا فمعين قد يكون حفيد يعرب أو هو سباء نفسه ، ويكون لقبا ثانياً لعبد شمس كسباء ، فيكون لعبد شمس بن يشجب لقبان (سباء) و (معين) .

اشتهر معين في الشطر الأول للدولة اليعربية وبه عرفت الدولة ، واشتهر (سباء) في الشطر الثاني للدولة اليعربية ، وبه عرفت الدولة .

ويؤيد هذا تداخل الدولتين (المعينية والسبئية) زمنياً وأخباراً وحكماً ، فالآثار تخبرنا : إنه كان للسبئيين مقاماً مرموقاً وصوتاً مسموعاً وحكماً نافذاً في العهد السبئي المبكر ، والعكس مما يدل على أن معيناً وسباء ، أسرة واحدة عرفت أولا بالمعينيين ، وأخيراً بالسبئيين .

ومما يستأنس به أنه جاء ذكر سباء في قصة سليمان مع ملكة سبأ وعصر سليمان القرن العاشر ق . م وجاء في الأخبار . أن سبأ غزا بابل ، وجاء ذكر سباء في نقش سومري وقرر المؤرخ (هومل) أن سبأ عاصرت السومريين .

وكان المصريون القدامى يطلقون على اليمن (فانتر) ومعناها بالمصرية أرض الله ، وكانوا أيضاً يطلقون على اليمن (نبط) وهو في اللغة المعينية (لقب شرف) وقد لقب به الملك الثالث عشر من ملوك معين (وقه النبط) وجاء ذلك في نص مصري يعود إلى ١٥٠٠ ق . م ومادة نبط ما زالت من ضمن اللغة الدارجة باليمن فيقال لمن يريد أن يحط من شرف إنسان يجذبه إلى المصارعة فلان (يتنبط) بفلان أي (يتحرش به) وفلان (متنبط) أي شرير يتعرض إلى أن

يسقط شرف غيره بالملاحة والمهاترة ، ومن هذا نعرف أن دولة النبط فرع من يعرب وأن لقبهم بالنبط جاء عن المعينيين .

ويفيد « جواد علي » أن النصوص المعروفة التي عثر عليها في مصر بالجيزة تقرر وجود المعينيين وسلطتهم أيام البطالسة بمصر وأنها كانت بين البطالسة وبين اليمن والمعينيين صلات وكانت اليمن تزود معابد مصر بالبخور وكانت بمصر جالية معينية ومن المعلوم أن عصر البطالسة في القرن ٣٢٣، ق.م - ٢١ ق.م.

فانت ترى من هذا أنه جاء ذكر المعينيين وسلطتهم في أزمان تعد متأخرة لا تتجاوز ثلاثمائة سنة ق. م بل مائة سنة ، وقد انتهت سبأ وبدأت الدولة الحميرية ، والعكس صحيح ، فقد جاء ذكر المعينيين وسلطتهم في أزمان متقدمة بعضها يتجاوز الألف عام قبل الميلاد بل منها ما يرجع إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ق . م كالنص الذي ذكره المؤرخ (هومل) وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن معيناً وسبأ أسرة واحدة وأن اللفظين كانا لقبين (لعبد شمس بن يشجب بن يعرب) غلب أولاً لقب (معين) من دون أن يختفي الثاني ثم غلب أخيراً لقب (سبأ) من دون أن ينمحي الأول ويزيد ذلك إيضاحاً أن الدولة الحميرية عندما قامت احتفظت بلقب (سبأ) وأضافت إليه لقب ذي ريدان .

وبهذا يتبين أن معيناً وسبأ وحميراً وقتبان وغيرهم أبناء عمومة توارثوا الملك من يعرب في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد الذي يبدو أنه مبدأ الدولة اليعربية المعروفة بمعين ، والتي كانت تسمى أحياناً (سبأ) والتي امتدت فعاصرت الدولة البابلية، (السومرية) ثم الدولة البابلية،الكلدانية(السرجونية) في الألف الثالث ثم الدولة البابلية (الحمورابية) في أواخر الألف الثالث والألف الثاني ق . م ، ومن المعلوم أن ملك معين خلال الثلاثة آلاف سنة لم يبق في سلالة واحدة بل تنقل في عشرات السلالات وأن السلالات الست التي ذكرناها من آخر تلك السلالات ، ويبدو أن السلالات الست التي ذكرناها هي التي عاشت آخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول ق . م ودلت عليها الآثار بجوف اليمن وكانت

قد بلغت الأوج من حضارة عصرها فغلب على المتأخرين منها الترف مما مهد لسلالة أخرى من قرابتها القريبة أو البعيدة التدرج إلى إنتزاع السلطة ودفة التجارة ، وأحبت أن تظهر في مظهر قوي يجتذب الشعب فأحيت لقب سبأ ، لما في مدلوله من القوة والفتوة اللتين عرف بهما عبد شمس مع الاحتفاظ بلقب معين كلقب ثانوي ، ومن هذا وما أسلفناه وبيناه عن قحطان ويعرب ، فالمعينيون من أبناء يعرب بن قحطان وهم والسبئيون أنفسهم أسرة واحدة لها بطون وسلالات ، وأن مبدأ وجودهم كدولة هو في أوائل الألف الرابع ق . م ، ومن تقدمهم الزمني فقد يكونون هم الذين أمدوا الفينيقيين بمبادىء الكتابة فإن الأبجدية الفينيقية لم تظهر إلا في أوائل القرن العاشر ق . م .

وأما المشابهة بينهم وبين البابليين في الأحوال الاجتماعية وغيرها التي اعتمدت عليها نظرية جرجي وأمثاله فإنها لو سلم بشمولها لتوجب أنهم استقوا حضارتهم من البابليين إذ يمكن العكس وهو الأقرب ، فاليمن أقدم حضارة من بابل وغيرها .

ومع هذا فبين أيدينا أسماء لملوك معين ولم يكن فيها إسم بابلي كسرجون ، حمورابي ، وإنما هي أسماء تلتقي مع الأسماء السبئية والحميرية والقتبانية والحضرمية وهذا ما يقرره المؤرخ الأستاذ (مولز) فيقول : إن لغة معين وسبأ وحمير وأبجديتها واحدة أما القول بأن ذهاب دولة العرب (أي بابل) عن العراق هو الذي جعل المعينيين ينتقلون عن بابل إلى اليمن ، فإنه قول غريب فدولة العرب البابلية الحمورابية لم تنته إلا في آخر القرن الثامن ق . م عام ٧٢٨ ق . م وقد حلت محلها دولة أشور العربية البابلية التي استمرت إلى القرن السادس ق . م وكلا التاريخين وقد انتهت معين على رأي جرجي .

وبذلك تبين اطراح ما جنح إليه أمثال جرجي ، وتبين أن معينا وسبأ وحمير وقتبان وحضر موت أسرة واحدة يعربية قحطانية امتدت تحكم من أول الألف الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد عرفت الدولة الأولى وسلالتها بمعين من ٤٠٠٠ ق . م إلى ٨٠٠ ق . م ثم الدولة الثانية عرفت بسبأ .

دولة سبأ من سنة ٨٥٠ - ١١٥ ق . م

مما سبق تبين أن معيناً وسبأ أسرة واحدة يجمعها (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتبين أن عبد شمس كانت له ألقاب منها (معين) (وسبأ) وأنها تفرعت من هذه الأسرة اليعربية سلالات متعددة تعاقبت على الحكم،غلب على دولة الفترة الأولى منها لقب (معين) من دون أن يختفي لقب سبأ ، وغلب على دولة الفترة الثانية لقب (سبأ) من دون أن ينمحي لقب معين كما تدل عليه النصوص الأثرية التي أشرنا إلى بعضها ، وهي تثبت ما قررناه ، وبه توحي الكتب المقدسة ، وقد اعتبر القرآن جميع الدول اليمنية من معينية وسبئية وحميرية وغيرها أمة وأسرة واحدة يتناولها لفظ (سبأ) بمفهومه ، فها هو مع سبأ في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) إلى آخر العرض الرائع ومحاورة ملكة سبأ مع سليمان ، الذي هو من رجالات القرن العاشر ق . م ، حين كانت سبأ في أوج قوتها وخضارتها التي هي وليدة عشرات قرون مضت وها هو القرآن مع سبأ بعهد حمير وبعد الميلاد ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ إلى آخر التصوير لسباء بعد خراب السد .

إن سبأ في نظر القرآن هي سبأ قبل الميلاد بعشرات القرون وبعد الميلاد ، فيا لجلال القرآن وعظمة آياته الظاهرة والباطنة ، الدالة على أنه تنزيل رب العالمين عالم الغيب والشهادة ، أن القرآن جعل جميع الدول معينية وغيرها كلها يتناولها لفظ (سبأ) وهذه هي الحقيقة التي كشفها علم الآثار ، ومن الغريب المعجز أن البحث لم يعثر إلى الآن على إسم بلقيس في آثار ، ونصب القرن العاشر قبل الميلاد عصر ملكة سبأ وسليمان وهكذا القرآن لم يقل أن الملكة اسمها (بلقيس) بل قال :

﴿ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ فالحقيقة تسير مع أحاديث القرآن وأخباره .

ومن كل هذا نكاد نجزم مطمئنين أن جميع الدول اليمنية قبل الإسلام أسرة واحدة وأن دولة معين اليعربية القحطانية ابتدأت من أول ٤٠٠٠ ـ وانتهت ٨٥٠ ق . م .

وإن دولة سبأ من ٧٥٠ ـ ١١٥ ق . م وقد تناولت عهدين عهد المكارب من ٨٥٠ ـ ٦٢٠ ق . م وكانت عاصمتهم (صرواح) .

وهذه أسماء من عثر على أسمائهم من المكارب .

١ ـ سمه علي ينوف بن ذمار علي	٨٥٠ ـ ٨٢٠ ق.م
٢ ـ يدع آل ذرح بن سمه علي ينوف	٨٢٠ ـ ٨٠٠ ق.م
٣ ـ سمه علي ينوف بن يدع آل ذرح	٨٠٠ ـ ٧٨٠ ق.م
٤ ـ يدع آل يبين بن يثعمر	٧٨٠ ـ ٧٥٠ ق.م
٥ ـ يثعمر وتار بن يدع آل ذرح	٧٥٠ ـ ٧٣٠ ق.م
٦ ـ ذمار علي ذرح بن يدع آل يبين	٧٣٠ ـ ٧٠٠ ق.م
٧ ـ كرب آل يبين بن يثعمر	٧٢٠ ـ ٧٠٠ ق.م
٨ ـ يثعمر وتار بن سمه علي ينوف	٧٢٠ ـ ٧٠٠ ق.م
٩ ـ ذمار علي وتار بن كرب آل يبين	٧٠٠ ـ ٦٨٠ ق.م
١٠ ـ سمه بن علي ينوف بن ذمار علي وتار	٦٨٠ ـ ٦٦٠ ق.م
١١ ـ كرب آل وتار بن ذمار علي وتار	٦٦٠ ـ ٦٤٠ ق.م
١٢ ـ يثعمر يبين بن سمه علي ينوف	٦٤٠ ـ ٦٢٠ ق.م
١٣ ـ كرب آل وتار بن سمه علي ينوف	٦٢٠ ـ ٦١٠ ق.م

هؤلاء ثلاثة عشر مكرباً ممن عثر على أسمائهم ، والمكرب هو الذي يجمع بين الحكم والكهانة والرياسة الدينية وإليهم عهد الملوك .

عهد ملوك سبأ من ٦١٠ ـ ١١٥ ق . م

عاصمتهم مأرب ، وعدد من عثر عليه من أسماء ملوكهم ٢٦ ملكا وهذه أسماؤهم ، أولهم هو كرب آل وهو آخر مكرب وأول ملك .

١ ـ كرب آل وتار	٦١٠ ـ ٦٠٠ ق.م

٢ ـ سمه علي ذرح	٦٠٠ ـ ٥٨٠ ق.م
٣ ـ كرب آل وتار بن سمه علي ذرح	٥٨٠ ـ ٥٧٠ ق.م
٤ ـ اليشرح بن سمه علي ذرح	٥٧٠ ـ ٥٦٠ ق.م
٥ ـ يدع آل يبين كرب آل وتار	٥٦٠ ـ ٥٤٠ ق.م
٦ ـ يكرب ملك وتار بن يدع آل يبين	٥٤٠ ـ ٥٣٠ق.م
٧ ـ يثعمر يبين بن مكرب ملك وتار	٥٢٠ ـ ٥٠٠ ق.م
٨ ـ كرب آل وتار بن يثعمر يبين	٥٠٠ ـ ٤٨٠ ق.م
٩ ـ سمه علي ينوف	٤٨٠ ـ ٤٦٠ ق.م
١٠ ـ اليشرح بن سمه علي ينوف	٤٦٠ ـ ٤٤٥ ق.م
١١ ـ دمار علي يبين بن سمه علي ينوف	٤٤٥ ـ ٤٣٠ ق.م
١٢ ـ يدع آل وتار بن ذمار علي يبين	٤٣٠ ـ ٤١٠ ق.م
١٣ ـ ذمار علي يبين بن يدع آل وتار	٤١٠ ـ ٣٩٠ ق.م
١٤ ـ كرب آل وتار بن ذمار علي يبين	٣٩٠ ـ ٣٥٠ ق.م
١٥ ـ كرب يهنعم	٣٥٠ ـ ٣٣٠ ق.م
١٦ ـ كرب آل وتار	٣٣٠ ـ ٣١٠ ق.م
١٧ ـ وهب آل/تمثاله بمتحف صنعاء	٣١٠ ـ ٢٩٠ ق.م
١٨ ـ إنمار يهنعم بن وهب آل	٢٩٠ ـ ٢٧٠ ق.م
١٩ ـ ذمار علي ذرح بن انمار يهنعم	٢٧٠ ـ ٢٥٠ ق.م
٢٠ ـ نشاء كرب يهنعم بن ذمار علي ذرح	٢٥٠ ـ ٢٠٠ ق.م
٢١ ـ ياسر يهنعم	٢٠٠ ـ ١٨٠ ق.م
٢٢ ـ وهب آل يحز	١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م
٢٣ ـ كرب آل وتار يهنعم بن وهب آل يحز	١٦٠ ـ ١٤٥ ق.م
٢٤ ـ يريم أيمن ، وابنه علهان نهفان من الأسرة الهمدانية ثارا على كرب آل وتار وتغلبا على العرش السبئي إلى أن استرجعه (فرع ينهب)	١٤٥ ـ ١٣٠ ق.م

٢٥ ـ فرع ينهب الذي استرد مأرب من الهمدانيين ١٣٠ ـ ١٢٥ ق.م

٢٦ ـ اليشرح يحضب بن فرع ينهب ١٢٥ ـ ١١٥ق.م

هؤلاء من عشر على أسمائهم من ملوك سبأ وفيهم همدانيان من مغتصبي العرش بمأرب وقد تمكن فرع ينهب الأول من استرجاع العاصمة مأرب وبذلك استرجع العرش السبئي ولكن الهمدانيين كما يبدو ما برحوا أقوياء ، وكانوا بالمنطقة التي تعرف اليوم (ببلاد يريم) وكانت ذي ريدان (ظفار) مركز الهمدانيين وقد ظلوا بها حتى بعد أن استرجع فرع ينهب الأول مأرب ، ففي النقوش ما ينص على أن يريم بن أيمن بن أوسله (همدان) امتد حكمه من عام ١١٥ ق.م ثم ابنه علهان نهفان إلى ٨٠ ق.م ثم شعرا بن علهان ثم يريم بن علهان نهفان بن يريم إلى عام ٥٠ ق.م وقد كان لشعراً بن علهان نفوذ امتد إلى حضر موت وشبوه وصنعاء وهو الذي بنى سور صنعاء وبيريم هذا سميت منطقة ذي ريدان بيريم ، وهو آخر ملوك الأسرة الهمدانية التي وثبت على السلطة وعرش سبأ ، وكان فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني هما اللذان أنهيا سلطة الهمدانيين وبذلك تمما مخطط سلفهما جديهما الرابع أو الخامس تقديراً فرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب الأول فلم يأت نحو عام ٣٠ ق.م. بتاريخ حكم (اليشرح يحضب) الثاني إلا واليمن موحدة يقودها علم من أعلام التاريخ « اليشرح الثاني » الذي يبدو أنه كان يضم إلى مواهبه الفطرية مواهب التجارب التي عركته في ميدان الاقتصاد وميدان الصراع والجهاد فالاقتصاد كان البطالسة قد أنزلوا به ضربات هزته وهزت معه اليمن ، ومأربا ، والعرش وثب عليه أبناء العمومة الهمدانيون والعالم من حول اليمن والجزيرة العربية قد ألقى جرانه وزمامه بيد الآريين ، فرس ويونان ثم رومان ودفن في قبور الفناء والنسيان جميع الدول العربية ولم تثبت إلا اليمن التي تهم اليونان بعد الفرس وتهم الرومان اليوم اهتمام اليونان بالأمس هذه اليمن المطموع في ابتلاعها يراها فرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب الأول منقسمة على نفسها ، والخطر يهددها اقتصادياً ، وعسكرياً ، فلا بد لهذا الانقسام من نهاية ، وإلا جاءت الحالقة ، وقد تمكن (فرع ينهب) من استرجاع مأرب عاصمة اليمن وربة العرش ولكنه

تـرك لابنـه اليشـرح يحضب الأول إكمـال الخـطة وهـو مجهـود مـرهق كلما يمكن لليشرح هو أن يفكر في الطريق الصحيحة المؤدية إلى تحقيق الغاية ، وكـأني أرى هذا (اليشرح الأول) يستلهم من واقعه اليمني وواقعه الزمني أنه لا يمكن إنقـاذ البلد من خـطر إنهيار الاقتصـاد ، وخطر الانقسـام ، إلا في مـراحـل تشترك في اجتيازها عدة عناصر ، الروح العسكرية السامية ، وشعور الأمة بـالخطر ، فبـدأ اليشـرح في العمل ، فهـو يخطو الخـطوة في تقليص الحكم الهمداني ويضـع خطة لخطوة جديدة ومرحلة قادمة نحو الوحدة وإنقاذ الاقتصاد ودرء الخطر الاري الفاغرفاه ليبتلع البقية الباقية لـلأمة العـربية ، وقبـل أن نتصور اليشـرح يحضب وهـو يضـع نـواة الجيش الحميري ، نتـرك له ـ ومعـه نحن بتصوراتنـا ـ أن يرمي بنظره إلى ما حوله وإلى ما يدور في العالم من اتجاهات وتمخضات ، إنها لأحداث عـظام ، فهاهم البـطالسة اليـونانيـون يستعمرون مصـر العربيـة الثقافـة واللغـة والحضارة ، ويتمكنون من المـلاحة في البحـر الأحمر والعـربي والهندي فيضـربون الاقتصاد اليمني ضربة هزت الرخاء اليمني .

وهـا هي الحرب الـرومانيـة الفينيقيـة الـطويلة تنتهي بتغلب الـرومـانيـين وإحراقهم عاصمة الفينيقيين (قرطاجنة) عام ١٤٤ ق.م ويسترقون خمسين ألفاً ممن بقي من أهلها بعد هلاك ستمائة ألف وخمسين ألفاً قتـلاً في المعـارك ، وموتـاً جوعاً من طول الحصار .

وقد كان الفينيقيون والسبئيون على صلة دائمة يكمل أحدهما الآخر ، صلة مكنتهما من السيطرة الاقتصادية في عصرهما وأصبحت لهما مستعمرات تجارية برية وبحرية تمتد من غرب البحر الأبيض إلى الهند والصين لتيسير التجـارة وتنقلاتهـا بين الشرق والغـرب ، فاحتكـرتا التجـارة وذلك مـا جعلهما دولاً ذات فتـوحات اقتصادية أكثر منهما دولاً ذات فتوحات عسكرية .

وليس مـزيد اهتمـامهما بـالناحيـة الاقتصاديـة معنـاه أنهما أهمـلا النـاحيـة العسكرية فقـد كان لهـما بالنـظم العسكريـة دراية في نبـل ، وتخطيط في أخـلاق عـربية ، تتمثـل في (فرع ينهب) الأول السبئي الـذي استرجـع العرش السبئي بمأرب وفي القائـد الكبير (هنيبـال) الفينيقي أعظم قـائد عـرفه العـالم القديم ،

والذي اخترق الألب واحتل إيطاليا وحاصر روما وكاد يفتحها وينهي الرومانيين لولا القدر الذي فرضته الظروف بوطنه قرطاجنة .

وقد كان احتكار سبأ وفينيقيا للتجارة موضوع اهتمام اليونان ثم الرومان ومبعث حسدهما وتذمرهما مما حمل الاسكندر الكبير المقدوني في القرن الرابع ق. م على محاولة محو الفينيقيين والسبئيين ، وقد تمكن من تدمير (صور) عاصمة الفينيقيين بالشام على البحر الأبيض ، وأخذ يفكر في الإجهاز على الفينيقيين بأفريقيا وأسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه ، واحتلال اليمن ، وانتزاع زمام التجارة والملاحة من يديهما ، فاحتل مصر وبلغ ليبيا ، ومن مصر أرسل قائده البحري (تبار خرس) للتعرف باليمن والملاحة في البحر الأحمر والبحر العربي والجنوبي والهندي ، فيقوم قائده البحري بالتطواف ، ويفرغ من مهمته ، ولظروف طارئة يغادر الأسكندر مصر إلى فارس فيتغلب على كسرى (دارا) ويواصل فتوحاته إلى الهند ويعود إليه (تبار خرس) بقراره الذي يصف فيه اليمن بالثراء وأنها ذات البخور واللبان والتوابل والمجوهرات والمصوغات الثمينة ولكنها مبغضة لمناعة جبالها ورداءة موانيها وأنها مزعجة من كل الوجوه ، هكذا يقول .

مما دعا الاسكندر إلى التريث في تنفيذ خطته لغزو اليمن حتى يعد العدة لغزو اليمن والاجهاز على فينيقيا ، ولكن الاسكندر يموت تاركا فكرته وخطته لينفذها خلفاؤه .

وقد أخذ البطالسة من مصر في تنفيذ مخطط سيدهم الاسكندر ، لا بغزو اليمن فدون ذلك أهوال ، ولكن بالملاحة في البحر الأحمر والبحر العربي والهندي وقد تمكنوا من ذلك تساعدهم الحبشة فضربوا الاقتصاد اليمني ضربة ، اضطرب لها الاقتصاد اليمني ، وأضعف مشاريعه الانمائية داخل البلاد .

وجاء الرومانيون فنفذوا مخطط الاسكندر في فينيقيا ومحوها إلى الأبد بعد حرب تجاوزت العشرين عاماً شهد نهايتها عصر (فرع ينهب) وإبنه (اليشرح يحضب) الأولين .

وتم للآريين القضاء على الدول العربية (السامية) وجثم الاستعمار الآري الاستيطاني الافنائي على صدر الأمم العربية في افريقيا الشمالية ووادي النيل وشرق البحر الأبيض وجزره وبعض موانيه العربية والعراق وأرض بابل والشام ، وامتد نفوذ البطالسة السياسي والاقتصادي إلى الحبشة العربية السامية واتخذ منها مخلب قط يفري جلد القط نفسه ، وبكلمة مختصرة لم يبق خارج دايرة السلطة والنفوذ الآري الهدام إلا (اليمن) المنقسمة على نفسها ، التي تطرقها الأخطار من الشمال براً ، ومن الجنوب بحراً .

كل هذه الأخطار ، تتجسم بأشكالها الرهيبة أمام (اليشرح يحضب) الأول فيلقي نظرة فاحصة على تلك الأشباح ، لا لينفر من مواجهتها ، بل ليتفهمها ويتعرف بماهيتها ومراميها ، ليعد اليمن لمواجهتها في قوة الحكيم الخبير وقوة القائد العليم بالحرب وإدارتها ، قوة تدفع عن اليمن الخطر المحدق ، ثم تنقذ العالم العربي من وطأة الكابوس الآري الجاثم على صدر العروبة ، وهذا الإعداد يتطلب زماناً طويلا ، فليشرع (اليشرح يحضب الأول) في وضع الأسس لقيام هذا التحصن ، ونسج دروعه الطلاس ، وحصونه التي لا تهصر ولا تداس ، فليشرع اليشرح تاركا للمستقبل وخلفائه مواصلة العمل ، في طريق تحقيق ذلك الإعداد .

ويبدو أنه وضع نواة الجيش القوي، ونواة استرداد الوحدة، ونواة إنقاذ الاقتصاد ، جيشاً عنياً قوياً ينهي إنشقاق الهمدانيين الريدانيين ، ويقوي في ظل الوحدة اليمنية على الذود عما قد تأتي به الأيام من مفاجئات ، كما أن (اليشرح الأول) قد فكر في تحويل العاصمة من مأرب وسهلها المكشوف ، اللانهائي غير الحصين ، إلى جبال اليمن الجامعة بين الخصب والحصانة ، ولعله فكر في منطقة (ذي ريدان) التي ما يزال الهمدانيون المنشقون يتحصنون بها ، وفكر وفكر ثم وضع لكل مشروع النواة الصالحة التي ترك لخلفه الإشراف على ريها وإنمائها ، وأول قافلة من خلفه لم نعثر على أسمائهم ، وهم لا يقلون عن أربعة ، إذ بين اليشرح يحضب الأول وبين حفيده الرابع تقديراً فرع ينهب الثاني نحو سبعين عاماً ولا ريب أن الخلف المجهولين لدينا قد أدوا واجبهم الدال

عليه تمكن فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني من القيام بأعمال جعل اليشرح الثاني من الأعلام الخالدين .

ففرع ينهب الثاني ينهي انشقاق الهمدانيين ويعيد الوحدة إلى قوتها قبل مائة عام ويأتي (اليشرح يحضب) الثاني فينقل العاصمة من مأرب إلى ذي ريدان بمنطقة يريم التي أصبحت تحمل إسم (يحضب) تقديراً لأعماله ، والعامة ينطقونه (بالصاد غير المعجمة) وفي عصر اليشرح الثاني بلغ اليمن من الناحية العسكرية ذروة من الإعداد العسكري مادياً ومعنوياً نلمسه في إنهاء إنشقاق الهمدانيين ، ثم في معركة المصير العربي مع القائد الروماني (جالوس) كما سيأتي ، ومع ذلك فإن اليشرح الثاني لم يهمل الجانب الاقتصادي والعمراني فيبدو أنه بدأ يقلص نفوذ ملاحة البطالسة في البحر الأحمر والعربي ، ولم تفت من يده فرصة تضعضع البطالسة أيام (كليوبترا) وما تعقبه من نهاية البطالسة ، فقد استغل الفرصة وأعاد إلى اليمن نشاطاً اقتصادياً لا يستهان به ، وإن لم يبلغ ما كان عليه أيام العصر السبئي النشيط ، ويدل على هذه الاستعادة أنه التفت إلى ترميم السدود ، فأصلح سد مأرب وأعاد إليه عظمته ، كما شاد قصر غمدان إلى غير ذلك من الإعداد العسكري والاقتصادي الكاشفة له النصوص الأثرية التي عثر عليها لهذا المصلح الكبير في مأرب وصرواح وظفار وغيرها إنه إعداد كفل لليمن بالثبات وللعروبة بالبقاء فإنه لم يمض قرن واحد على محو الدولة العربية الفينيقية وأقل من قرن على موت (اليشرح يحضب) الأول إلا وقد تحولت الجمهورية الرومانية إلى امبراطورية عليها أعظم قائد آري ومشرع روماني ، هو القيصر الأكبر (أغسطوس) الذي تم له فتح مصر عام ٣١ ق.م . وقضى على كليوباترا آخر من حكم من البطالسة وأعاد إلى الدولة الرومانية مجدها وتماسكها الذي دام بعده خمسمائة عام مما جعله في نظر المؤرخين الغربيين قديما وحديثاً فوق غيره ممن مضى وأتى بعده فقد قال فيه المؤرخ (مريفال) أنه خلق من الفوضى والاختلال الامبراطورية الرومانية على أسس مكنها من الحياة خمسمائة سنة ، وأن هذا أعظم الأعمال السياسية التي أتمها بشر ، فأعمال الاسكندر الأكبر ، وقيصر شارلمان ، ونابليون ، ليست شيئاً بالنسبة إليه ، وهذا هو القيصر

الروماني الذي بسط حكمه على العالم في وقته ولم يبق خارجاً عن سلطته في إفريقيا وأوروبا وغرب آسيا ، إلا الجرمان شرق أوربا ، وإلا اليمن في أقصى الجنوب الغربي لآسيا ، وكان اليمن في نظره ، أخطر ، فالجرمان هم من الجنس الآري ومجموعة من برابرة رحل كل ما يجيدونه القرصنة واللصوصية ، وليس لهم نظرية يخاف منها ، أما اليمن فهي ذات الحضارة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي بقية الدول العربية ومهدها وقلعتها ، فاليمن إذاً هي العروبة ، والعرب هم العدو الطبيعي للإمبراطورية الرومانية وسلطانها ، القائم على حساب الحضارة العربية ودولها .

ثم إن اليمن هي الغنية بمواردها الاقتصادية إلى جانب موقعها الاستراتيجي الذي جعلها تتحكم على طرق المواصلات بين الشرق والغرب وتحتكر التجارة كما أنها دائمة الفيضان بالطاقات البشرية إلى ما حولها وإلى العالم .

ففي القضاء على اليمن وإخضاعه للنفوذ الروماني الآري ، تخلص من عدو طبيعي ، وتأمين لمستقبل الغرب ، وتحصين للامبراطورية الرومانية ، ثم فيه استغلال واضح بشريا واقتصاديا يعود على الرومانيين بالثراء الواسع وبالقوة المتضافرة الحارسة ، ومن هنا أمر القيصر (اغسطوس) أكبر قواده وهو نائبه في مصر (ايلوس جالوس) بغزو اليمن وإخضاعه عسكرياً فأخذ (جالوس) يستعد وفي عام ٢٤ ق.م أربعة وعشرين، تحرك الجيش الروماني الجرار يقوده (جالوس) سالكا البر إلى الأردن وقد ضم إليه جيوشاً من الشام والأنباط وصحبه (سيلوس) وزير دولة الأنباط التي كانت خاضعة للرومان ، مع نحو خمسمائة من اليهود الذين كانوا يتعرضون للإضطهاد الروماني فرأى القائد في اصطحابهم معه نوعا من الاضطهاد والتخلص .

وكأنه مر في طريق القوافل التجارية التي كانت تربط اليمن بالأردن ودولة النبط وفيها واصل زحفه مستهدفا مأربا ، ولكنه ما أن بلغ نجران إلا وكانت نهاية جيشه الروماني ومن انضم إليه ، فقد قضي على ذلك الجيش الضخم ولم

ينج منه إلا من كان في المؤخرة وهو القائد (جالوس) ومجموعة كان منها المؤرخ الشهير (استرابون) صديق جالوس ورفيقه وهو الذي كتب عن الحادثة ، وأن الصحراء التي تورط بها الجيش هي التي ابتلعته وأرغمت القائد على تلمس النجاة بنفسه ومن بقي معه إلى شاطىء البحر الأحمر ومنه عبروا بحرا إلى مصر ، وقد استغرقت رجعته إلى مصر ستين يوماً ، وقد صب استرابون غضبه على الوزير النبطي (سيلوس) مدعيا أنه سبب هذا الفشل لأنه أحس بوخز في ضميره على جر الهلاك على أبناء جلدته عرب اليمن فحاد بالجيش عن الطريق حتى ورطه في متاهات الصحراء التي ابتلعت الجيش ، ولم يبق للقائد جالوس إلا أن يبحث عن طريق النجاة له ولمن بقي من جيشه .

هكذا يقول استرابون بعد أن تمكن هو وجالوس من الإفلات من قبضة الموت ولحقا بمصر ، تاركين الوزير النبطي (سيلوس) والجيش الروماني ومن انضم إليه صرعى على التربة اليمنية .

والحقيقة أن الذي أنهى ذلك الجيش الجرار وجعل من الصحراء أو من التربة اليمنية مقبرة لهم هو ابن اليمن الذي عُرف عبر الزمان أنه جعل من اليمن مقبرة للغزاة .

ولو كانت الصحراء والتورط في متاهاتها هي وحدها التي ابتلعت الجيش الروماني ، فكيف نجا المؤرخ (استرابون) وصديقه القائد جالوس .

لقد كان القائد الروماني هو أول من ستبتلعه الصحراء ، ثم أين الوزير العربي النبطي (سيلوس) ثم أين هي الصحراء ونجران من البحر الأحمر الذي زعم (استرابون) أن جالوس انسحب إليه ثم رجع إلى مصر ، إنها المعركة وخطتها وخططها وأبطالها اليمنيون ، يا استرابون ، إنها السيوف اليمنية والعزمات اليمنية التي محت تلك الجيوش المغيرة ودفنتها في التراب وبطون السباع والنسور ، إن تلك السيوف في يد فتيان اليمن هي الصحراء التي ابتلعت الغزاة وذلك القائد العربي النبطي (سيلوس) الذي أبت همته العربية إلا أن يتقدم مع جيشه العربي النبطي إلى قلب المعركة فيشارك جيشه في الموت ، أما

رفيقك القائد جالوس فيبدو أنك وإياه ، كنتما بعيدين عن المعركة ، فأنت تعترف أنك والقائد انسحبتما إلى البحر الأحمر ، وأين البحر الأحمر من نجران والصحراء بينهما أهوال وأهوال ، بينهما عشاير خولان ابن عامر القضاعيون أولو قوة وبأس شديد ومن أغير اليمنيين على تربة اليمن أن تمس بأذى أو تمشي عليها قدم غاز ، فلن يفلت من أيديهم (جالوس) وهناك قبائل أخرى وهناك جبال عاتية ومسافات طويلة تفصل بين البحر الأحمر ونجران والصحراء يرهق تسلقها واختراقها فتيان المغاوير اليمنيين فبأي فتوة عربية تسلقها واخترقها (جالوس) (واسترابون) المترفان اللذان زادتهما مصر والاسكندرية رقة واسترخاء .

يبدو يا (استرابون) أنك وسيادة القائد جالوس كنتما بعيدين عن مجرى المعركة ، لعلكما كنتما في جيزان أو أحد الموانئ على البحر الأحمر لا تعلمان ما يدور في نجران ميدان المعركة بين الغزاة وبين الجيش اليمني والجيش الحميري الذي أعده (اليشرح يحضب) لمثل هذا اليوم ، إنه الجيش وابن اليمن الذي تحت ضرباته ومواضيه سحق الغزاة الرومان وابتلعت اليمن ذلك الجيش الروماني الجرار مع القائد الوزير العربي النبطي (سيلوس) ضربة تناقلتها الأنباء إلى أن بلغت بعد أسبوع تقديرا جالوس فأعار رجليه للريح فارا إلى مصر معه المؤرخ (استرابون) الذي لم يجد ما يقدمه من خدمة لسيده المهزوم ، إلا أن يلقي التبعة على القائد النبطي (سيلوس) وأن الصحراء هي التي ابتلعت الجيش ، اعتذارات ربما تنطلي على من لا يعرف اليمن ، ويظهر أنها أفادت جالوس ، أما من له معرفة باليمن فإنه يعرف وهن هذه الأعذار .

ويعرف أن ابن اليمن بقيادة (اليشرح يحضب الثاني) هو وحده الذي انتزع النصر ومنحه لليمن في تلك المعركة التاريخية التي قررت مصير اليمن والعروبة إلى ما شاء الله ، والتي لو تم فيها إخضاع اليمن وإلحاقه بالعرب البابليين والفينيقيين والمصريين وغيرهم لما كانت هناك أمة عربية شاء الله لها أن تكون ناشرة الدعوة السماوية الإنسانية التي جاء بها خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، تلك الدعوة التي أخرجت الناس من عبادة القياصرة والأكاسرة الآريين إلى عبادة الله وحده بعد سبعة قرون من هذه المعركة اليمنية

الخالدة مع جالوس الذي كان في هزيمته بداية هزيمة البربرية الآرية وحضارتها المادية المتحجرة ـ على يد العرب وهم يحملون راية القرآن وتعاليمه السامية الإنسانية .

ومن الطبيعي أنه كان لهزيمة الجيش الروماني باليمن وفنائه وفرار جالوس أثره الغائر وجرحه العميق في قلب قيصر الروم (اغسطوس) أثراً لا يقل عن إنزعاج القيصر لهزيمة جيشه بقيادة (فارس) في جرمانيا بعد عشرين عاماً من هزيمة جالوس باليمن ، فقد روى أنه لما بلغه خبر الهزيمة أبى أن يتعزى ، فأعباء ومهام الامبراطورية كانت قد أنهكته فظل يتمشى في صرح قصره وحشرجة الألم تكاد تخنقه ، وظل ينادي ، يا فارس ، يا فارس ارجع لي كتائبي ، ارجع لي كتائبي ، وقد اختفى ذكر جالوس بعد هزيمته في اليمن وربما كان القيصر قد أعدمه .

وتصادف هذه المعركة الخالدة ، وفرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب قد أنهيا الانشقاق الهمداني ورسخا الوحدة اليمنية والروح العسكرية وقد كان لانتصار اليمن على الرومان في هذه المعركة سنة ٢٤ ق.م أثره في تقوية الجيش اليمني معنويا وإعداد اليمن إعداداً عسكريا أخذ به خلفاء (اليحضب الثاني) . من ملوك حمير الذين استمروا في صراع عسكري وسياسي وعقائدي مع الدولتين الآريتين (الفارسية) (والرومانية) أكثر من ستة قرون كانت اليمن خلالها كجزيرة شامخة في بحر محيط هائج من الآريين ، بحر يحاول بأمواجه أن يقتلع الجزيرة العربية ويبتلعها ، ولكن الجزيرة صمدت تتكسر على جوانبها أطماع الآريين ، ولقد انحسرت تلك الأمواج عن الجزيرة الصامدة التي اندفعت بأبنائها العرب بقيادة الدعوة الإسلامية تطارد تلك الأمواج الآرية فما لبثت تلك الأمواج أن تلاشت وتبخر بحرها الأجاج المر تحت أشعة الإسلام الذي انتزع من أيدي الآريين صولجان العالم وأعاده إلى ذويه العرب ، الذي اختار الله أن يكونوا حماة شريعته الإسلامية وناشريها ، وهذه النتائج هي التي تجعل التاريخ يضع (اليشرح يحضب الأول) وحفيده الرابع (تقديرا) (اليشرح يحضب الثاني) في مقدمة أعلام التاريخ العربي وباليشرح الأول تبدأ الدولة الحميرية .

الدولة الحميرية
من ١١٥ ق . م إلى ٥٢٥ ب . م

حمير أخو كهلان وكلاهما ينسبان إلى سبأ بن يشجب بن يعرب وقد يكونان ابنى سبأ بلا فاصل أو أنهما من نسله ، وعلى كل فهما قديمان لم يأت عام ١١٥ ق . م إلا ولكل من حمير وكهلان بطون يرجع إليها كل سكان اليمن ، ومن بطن حمير الملوك والتبابعه ، نظام قل أن يخرج عليه ، فقد كان ملوك حمير والتبابعة في نظر العرب كالخلفاء في الإسلام ، أو الأكاسرة في فارس يذعن العرب لهم ، وحولهم تلتف ،وقد عرف ما أحدثه اغتصاب الهمدانيين للعرش من اضطراب لم يطفئه إلا فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح الثاني .

وقد مرت الدولة الحميرية في عهدين أو طبقتين عاصمتها (ذي ريدان) ظفار .

الطبقة الأولى ملوك سبأ وذي ريدان
من ١١٥ ق. م ـ ٢٧٥ ب . م

وعدد من عثر على أسمائهم ١٧ ـ كما يلي كما يؤخذ من تاريخ جواد علي وفؤاد حسنين ويظهر أن أولهم .

١ ـ اليشرح يحضب الأول بن فرع ينهب الأول ١١٥ ق . م

وقد أعقبته فترة لا تقل عن ستين عاما لم يعثر في النصوص الأثرية على أسماء ملوكها من نسل اليشرح يحضب الأول وهم لا يقلون عن أربعة يظهر أنهم استمروا في تنفيذ مخططات سلفهم اليشرح يحضب ومحاربة الهمدانيين المنشقين إلى أن تغلب على الهمدانيين نهائيا فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني عام ٥٠ ق . م . } الفترةالمجهولة نهايتها ٥٠ ق . م

٢ ـ فرع ينهب الثاني } ٥٠ ـ ٣٥ ق.م
٣ ـ اليشرح يحضب الثاني بن فرع ينهب الثاني } ٣٥ ق ـ ١٥ ق.م

الذي أعاد الوحدة اليمنية وهزم القائد الروماني جالوس بعد أن قضى على جيشه عام ٢٤ ق.م وباني قصر غمدان ومرمم السدود ومنها سد مأرب .

٤ ـ يازل يبين أخو اليشرح يحضب ولعل آزال صنعاء منسوبة إليه ، ويازل قرية ببني مطر .
٥ ـ نشأ كرب يهأمن يهرجب بن اليشرح يحضب } ١٥-٥ق.م .

٦ ـ وتار يهأمن بن اليشرح يحضب)	٥ ق.م ١٥ ب.م
٧ ـ ياسر يصدق بن وتاريهأ من)	
٨ ـ ذمارعلي بن يهبر بن ياسر يهصدق	١٥ ـ٣٥ب.م
٩ ـ ابنه يارث : له ولإبنه تمثالان بمتحف صنعاء وهو أول من اختط ذمار	
١٠ ـ كرب آل وتار يهنعم بن ذمار علي يهبر	٣٥ ـ ٧٠ ب.م
١١ ـ ذمار علي ذراح بن كرب آل	٧٠ ـ ٩٥ ب.م
١٢ ـ هلك أثر بن كرب آل	٩٥ ـ ١٢٠ ب.م
١٣ ـ ذمار علي يبين	١٢٠ ـ ١٤٥ ب.م
١٤ ـ وهب آل يحز	١٤٥ ـ ١٧٠ ب.م
ملوك مجهولون	١٧٠ ـ ٢٥٠ ب . م

١٥ ـ ياسر يهنعم ويسميه العرب : ناشر النعم)
١٦ ـ ابنه شمدار يهنغم) ٢٥٠ ـ ٢٧٥ ب . م
١٧ ـ ابـنـه همـدان يهـيـقـفـي أو عـمـدان)

العهد الثاني من ملوك حمير ويعرف بعهد التابعة وهم ملوك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت ٢٧٥ ـ ٥٢٥ ب . م

وقد عثر على ١٣ من ملوكهم أولهم :

١ ـ شمر ، يهرعش بن ياسر يهنعم ، وقد تكلمت عنه نصوص كثيرة من أهمها نص طويل يشتمل على ٢٥ سطراً نص على أن قائده ذو حزفر قاد جيشاً أوغل به في فارس . } ٢٧٥ ـ ٣٠٠ ب . م

وأحرز انتصارات في مناطق عددها بفارس ثم عاد ماراً بصعده وخولان ولهذا النص قيمته المؤيدة ما حكاه مؤرخو العرب .

٢ ـ ذو القرنين أو افريقس الصعب في أيامه غزا الأحباش اليمن بزعامة العلي اسكندي ومساعدة قيصر الروم حتى أجلاهم كرب يهامن عام ٣٧٢ ب . م } ٣٠٠ ـ ٣٢٠ ب . م

٣ ـ ابنه عمرو ويسمى تبع الأكبر وتزوج بلقيس ٣٢٠ ـ ٣٣٠ ب . م

٤ ـ بلقيس وتسمى الفارعة وهي غير صاحبة سليمان ٣٣٠ ـ ٣٤٥ ب . م

٥ ـ الهدهاد أخو بلقيس وفي عهد الثلاثة اشتدت الحرب اليمنية الحبشية التي هدف القيصر من ورائها إلى نشر النصرانية باليمن . } ٣٤٥ ـ ٣٧٤ ب . م

٦ ـ ملك كرب يهامن عم ينعم وهو الذي طهر اليمن من الحبشة } ٣٧٤ ـ ٣٨٥ ب . م

٧ ـ أبو كرب أسعد ابن ملك كرب المعروف بأسعد الكامل ولد بخمر ونشر اليهودية باليمن } ٣٨٥ ـ ٤٢٠ ب . م

٨ ـ حسان بن أسعد الكامل	٤٢٠ ـ ٤٢٥ ب.م
٩ ـ شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل	٤٣٥ ـ ٤٥٥ ب.م
١٠ ـ شرحبيل ينوف	٤٥٥ ـ ٤٧٠ ب.م
١١ ـ معدي كرب ينعم وابنه لحيعه	٤٧٠ ـ ٤٩٥ ب.م
١٢ ـ مرثدال ينوف	٤٩٥ ـ ٥١٥ ب.م
١٣ ـ ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس	٥١٥ ـ ٥٢٥ ب.م

حاول توحيد اليمن وإعادة مركزه التجاري والعسكري وكان يرى أن النصرانية قنطرة للاستعمار الروماني فحاول التخلص منها فأخمدها ولكنها كانت قد تمكنت في اليمن سيما بعدن وشمال اليمن وأثرت في الوحدة اليمنية ، فلما أن خاض ذو نواس المعركة مع الأحباش المدعمين بالمتنصرين من اليمن وبالمساعدة الرومانية حتى طعنه اليمنيون المتنصرون من خلفه ومن بين صفوف جيشه فتفرق عنه جيشه ولم يرعه ذلك فقد استمر في القتال ولما لم يبق إلا أن يقع في الأسر أقحم فرسه في بحر المندب مفضلاً الغرق على الأسر بعد أن خذله قومه نتيجة الفرقة العقائدية .

وقد قاتل على أثره ذو جدن الهمداني الأحباش وكان مصيره مصيرذي نواس .

١٤ ـ ذو جدن بن ذو نواس ،	٥٢٥ ـ ٥٣٣ ب.م

بقي في أحد المقاطعات اليمنية التي لم يتناولها حكم الأحباش ، فإن الأحباش بهذه الغزوة وإن أوغلوا في اليمن إلا أن نفوذهم لم يتناول جميع اليمن كما سيأتي :

هذه هي الدول الكبرى الثلاث .

أما الدول الست الصغرى فهي كما يلي :

١ ـ دولة قتبان من ١٠٠٠ ق ٤٠٠ ق.م على الأرجح ، عاصمتها (تمنع) بحريب بيحان وكانت تعرف (بتمنا) وحديثا (بكحلان) وقد امتد نفوذ قتبان

إلى المندب وأخيراً اندمجت في دولة سبأ في القرن الرابع ق. م وقد عثر من أسماء ملوكها على ٢٠ عشرين كما يلي :

١ ـ أب شبم
٢ ـ شهر غيلان
٣ ـ بن عم
٤ ـ يدع اب ذبيان
٥ ـ شهر حلل
٦ ـ شهر يحل يهرجب باني مسلة تمنع
٧ ـ يدع اب ذبيان
٨ ـ شهر حلل
٩ ـ نبط عم أو يدع اب غيلان باني بيت يفش يتمنع
١٠ ـ هوف يهنعم
١١ ـ شهر يحل يهرجب
١٢ ـ وروال غيلان يهنعم، الذي صك النقود الذهبية باسمه
١٣ ـ فرع كرب يهوضع
١٤ ـ سمه وثار
١٥ ـ وروال
١٦ ـ ذمار علي
١٧ ـ يدع اب يحل
١٨ ـ يدع اب ينوف يوهنعم ذراه
١٩ ـ شهر هلال يوهقض بن كرب
٢٠ ـ وروال غيلان يهنعم

هذه قتبان وهناك تفسيرات لفلبي وآخر (لو يندل فليبس) في مؤلفه كنوز مدينة بلقيس .

٢ ـ دولة حضرموت من ١٠٢٠ق. م ٢٩٥ ب.م .

وتمتاز باحتفاظ إسمها إلى اليوم وكانت تستقل ثم تندمج في غيرها ثم تنفصل ونهائياً اندمجت في مملكة سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت أيام التبع « شمر » يهرعش عام ٢٩٥ ب.م عاصمتها الأولى (ميفعه) ثم (شبوه) وقد كان ملوك حضر موت كمعين لهم ألقاب لمرتبة الملك والمكرب ومن هذه الألقاب :

(الـ) لقب خاص بالملك	(ذرح الشريف)
(وثار) المعظم	(يهثعم) المحسن
(يبين) المختار	(ينوف) السامي

ويعرف حضر موت ببلاد كنده لنزوح قبيلة كنده إليها بعد أن أجليت من البحرين .

وهذا بيان من عثر عليه من أسماء ملوكها ومكاربها :

١ ـ صديق الـ بدء حكمه حوالي	١٠٢٠ ق.م
٢ ـ ابنه شهر الـ	١٠٠٠ ق.م
٣ ـ معد يكرب بن اليفع يثع	٩٨٠ ق.م
الحقت حضر موت بعد موته بمعين وسبأ إلى عام	٦٥٠ ق.م
٤ ـ السمع ذبيان بن ملكي كرب	
٥ ـ يدع الـ يبين بن سمة يفع	٦٥٠ ـ ٥٩٠ق.م
٦ ـ يدع الـ يبين بن ربب شمس ، المؤسس الجديد لمملكة حضر موت وعاصمتها شبوه بعد أن فقدت استقلالها	١٨٠ ـ ١٦٠ق.م
٧ ـ اليفع ريام بن يدع الـ ببين	١٦٠ ـ ١٤٠ ق.م
٨ ـ يدع اب غيلان بن يدع الـ ببين	١٤٠ ـ ١٣٠ ق . م
٩ ـ العز بن يدع اب غيلان وشقيق اميتم ابين	١٢٠ ـ ١٠٠ق.م
١٠ ـ يدع اب غيلان بن اميتم ابين	١٠٠ ـ ٨٠ق.م
١١ ـ يدع ابين بن يدع اب غيلان	٨٠ ـ ٣٥ ق.م
١٢ ـ عم ذخر بن حربان	٣٥ ـ ١٥ ـق.م

١٣ ـ العز بلط بن عم ذخر	١٥ ـ ٥ ق.م
١٤ ـ علهان أو سلفان بن العزبلط	٥ ق ـ ٢٥ ب.م
١٥ ـ العزبلط بن علهان ـ اسلفان آخر الملوك إليهم الأمراء المكاريب الحضرميون	٢٥ ـ ٦٥ ب.م
١٦ ـ اب يزع ، أو يسع كان مكربا	٦٥ ـ ٨٥ ب.م
١٧ ـ يرعش بن اب يزع	٨٥ ـ ١٠٥ ب.م
١٨ ـ علهان بن يرعش	١٠٥ ـ ١٢٠

٣ ـ الدولة الثالثة دولة أوسان ٨٠٠ ق ـ ١١٥ ق.م

هذه الدولة بالضبط لا يمكن تحديد بدايتها ونهايتها ولكن الأرجح أنها ظهرت في القرن الثامن ولم يعثر في النقوش على منازلها وتعداد ملوكها والأرجح أنها كانت ضمن مملكة قتبان ثم انفصلت واستقلت بدليل ما عثر عليه من التماثيل الرخامية لبعض ملوكها وقد عثر على ثمانية منهم كالتالي :

١ ـ زيدم سيلان بن معدال ، والميم آخر زيد عوض عن التنوين في لغة حمير عند بعض العلماء .

٢ ـ معدال سلحان بن يصدق الـ .

٣ ـ يصدق آل فرعم شرح عث بن معدال سلحان .

٤ ـ يصدق آل فرعم ، غير الأول له تمثال .

٥ ـ مريو .

٦ ـ معدال سلحان بن زيدم .

٧ ـ عم بتع لحي .

٨ ـ فرعم رهان آل شرح وقد امتد نفوذهم من جنوب قتبان إلى حضرموت وهم الذين قضوا على الأحباش وملكها (جدرت) .

٤ ـ الدولة الرابعة جبا . أو حبان

عارضت القتبانيين وكانت في الجانب الغربي لقتبان ولا يبعد أن منازلها

كانت في جبال المعافر (الحجرية) ولا يزال هناك جنوب صبر سهل واسع يسمى قاع جبا كما أن هناك مدينة مهدمة تسمى (جبا) وقد كانت بعد الإسلام عاصمة آل الكوندي الحميريين .

٥ ـ الدولة الخامسة ـ إمارة سمعي ، وهي حاشد .

عاصرت سبأ ثم اندمجت فيها وقد عرف من ملوكها « ايهعان ذبيان بن يسمع آل بن سمه كرب عاصر آل وتر » وعرف من النقوش اسم أفق بن سمايتع ، وقد قدر لهذه الامارة أن تتغلب في آخر العهد السبئي على عرش سبأ حتى استرجعه فرع ينهب الأول ١٣٠ ق.م .

ومع ذلك فإنه لم يتغلب عليهم فقد استمروا في حرب وبذي ريدان إلى ٢٥ ق.م حين أنهى تمردهم وانشقاقهم فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني ٢٥ ق.م كما سبق .

٦ ـ الدولة السادسة إمارة أربع لم يعرف من الآثار إلى الآن مدتها وتاريخها بداية « ونهاية » وقد عرف من ملوكها ثلاثة .

١ ـ نبط الـ
٢ ـ لحى عث بن سلحان
٣ ـ عم أيمن بن نبط الـ

هذه هي الامارات أو الدويلات الست التي عرفت من الدول قبل الإسلام إلى جانب هذه الدول الكبرى الثلاث معين ، وسبأ ، وحمير ، وهناك دولة عاشرة فيما يبدو (دولة نبط) جاء ذكرها في نصوص المصرية الراجعة إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولعلها معين ، ولفظ نبط لقب شرف في اللغة المعينية لقب به الملك ١٣ (وقه آل نبط) وفي القتبانية وأربع من أسماء الملوك سمي به الملك القتباني التاسع ولعل المستقبل يأتي بمعلومات جديدة عن هذه الدول وعن اليمن لها قيمتها .

ومما يجدر ذكره أن دولة حمير تختلف عن سلفها في الناحية العسكرية فقد

نبغ من ملوكها زعماء فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والرومان والأحباش وغيرها ويرجع ذلك إلى ما أسلفناه عند الحديث على الملكين اليشرح الأول وحفيده الرابع أو الثالث (اليشرح يحضب) الثاني وقد تحدث مؤرخو العرب كنشوان ولسان اليمن الهمداني وغيرهما عن غزوات حمير وفتوحاتهم ، وقد كانت تلك الأخبار محور النقد إلى درجة أن طرحها الكثيرون ، إلا أن النصوص الأثرية بدأت تؤكد ما رواه مؤرخو العرب ، من ذلك النص الطويل المعثور عليه بمأرب على حجر من المرمر مكون من ٢٥ سطراً فيه سجل (ذو حزفر) قائد التبع (شمر يهرعش) غزوة من غزواته لأرض فارس وبلوغ الجيش اليمني إلى قط ، وكوك ، وصف ، ومروره بأرض تنوخ ، وأنه بعد انتصاراته بفارس عاد عن طريق مدينة صعدة وخولان إلى آخر هذا النص التاريخي الذي قد يكون من سلسلة نصوص أكثر إيضاحاً يعثر عليها « فتسد من سلسلة» تاريخنا فجوات يتعثر فيها فكر المؤرخ القدير دون الوصول إلى ما يطلبه اليمني لتاريخه المتماسك اللبنات ، بحيث يمكن الصعود في مدرجه إلى القمة التي من على شرفتها فيما يظن ـ تكون الرؤية الواضحة لأقدم خطوة لقدم الإنسان الأول . ولأول حضارة خطتها بنان الحضارة أقدمية ، نلمسها من مناخ اليمن من الأخبار . من الأساطير ، من التواتر ، من الكتب المقدسة ، ثم مما عثر عليه في اليمن وخارج اليمن حتى البحر الأبيض وغيرها من نصوص وهياكل وتماثيل وأنفاق وبغند تخترق بطون الجبال تسلك فيها المياه والرواحل ، إلى ما توحي به تلك السهول الجبلية اللولبية المنتشرة في اليمن إلى جانب سهولها التي كانت عامرة بسدود تقوم على جانبيها شبكة ري من أدهش ما خطته يد مهندس إلى اليوم تنبيك عن القدرة الرياضية التي بلغها اليمن في ماضي الإنسانية العميق .

أما النظام الإجتماعي فقد كان يمثل أقصى ما بلغته الحضارة الإنسانية من عدل في تلك العصور الماضية .

النظام الاجتماعي للدول اليمنية قبل الاسلام

كان للكل نظام متقارب فقد كانت الدولة تتألف من ولايات شبه اللامركزية ترتبط بالحكومة المركزية ، وكانت معظم هذه الدول تجارية أكثر منها حربية ما عدا حمير فقد فرضت عليها الدولة الرومانية والفارسية ومطامعهما أن تكون دولة حربية كما سبق ، وكان للدول اليمنية الثلاث معين وسبأ وحمير سيما معين وسبأ مستعمرات تجارية وأسواق عالمية متناثرة في أفريقيا وآسيا والبحر الأبيض المتوسط ، وقد ساعد موقع اليمن الاستراتيجي دول اليمن على امتداد نفوذها التجاري ، وكانت نظمها الإجتماعية ذات طابع تعاوني رأس مالي اقطاعي ، وكانت الضرائب على ثلاثة أنواع ، لمنفعة خزانة الملك ، للكهنة والمعابد ، للشيوخ الأذواء والحكام .

وكان للاقطاع نظام معقول يسير عليه الاقطاعي وفالح الأرض على شروط عادلة تكفل مصلحة الجانبين .

وقد سبقوا غيرهم في مضمار العمران والحضارة تغنى بهم كتاب الرومان واليونان .

أما في هندسة المباني والقصور والسدود والأبنية والتجارة وطرق الري والملاحة فلم يلحق بهم أحد في العالم القديم إلا ما كان لاخوانهم العرب الفينيقيين في الملاحة والتجارة .

وكانت الأمة مؤلفة من أربع طبقات :

١ ـ الجند المسلح لحفظ النظام .
٢ ـ الفلاحون لزراعة الأرض واستغلالها .
٣ ـ الصناع .
٤ ـ التجار .

ولكل طائفة حدود لا تتعداها ، وإلى جانب الطبقات الأربع طبقة الحكام والاشراف والكهان والعلماء والمشايخ الأذواء ، وهذه الطبقة الخامسة إليها أمر التشاور والإشراف على سير الأعمال وسن التشريع في السلم والحرب كما يشير إليه القرآن الكريم ﴿ يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ .

اليمن والحبشة

لقد كثر الجدل من المؤرخين حول علاقة الحبشة باليمن كما بيناه في تاريخنا العام الذي نرجو إكماله ، والحقيقة أن الحبشة قدم إليها قبل التاريخ بزمن القحطانيون من اليمن وتغلبوا على أهلها الأصليين ثم حكموها وطبعوها بطابعهم اليمني ثقافة ونظاما ولغة وكتابة وأصبحت الحبشة عربية سامية وذاب من بقي من أهلها الأصليين ضمن الساميين العرب ، وما زالت مرتبطة باليمن إلى الألف الأول قبل الميلاد ثم انفصلت ولما قويت طمعت في اليمن ومواردها الضخمة من التجارة والملاحة البحرية ، ومن العوامل التي كانت تثير حسد الأحباش احتكار اليمنيين للملاحة في البحر الأحمر الذي تقع الحبشة على جانبه الغربي ، ومن دون أن تعود إليها إلا فوائد تافهة ضاعفت من حقدها على اليمن ، فصارت تنتظر الظروف وتستعد لتحل محل اليمن في البحر الأحمر ولتغزو اليمن كلها لاحت الفرصة ، وقد قامت بست غزوات لم تتجاوز في خمس منها تهامه والسواحل الجنوبية ، ويفسر هذا دولة بني نجاح الأحباش بعد الاسلام .

الغزوة (١) في القرن الثامن قبل الميلاد .

الغزوة (٢) في القرن الثالث قبل الميلاد بالتواطؤ مع البطالسة .

الغزوة (٣) في القرن الثالث بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٤) في القرن الرابع بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٥) في القرن الخامس بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٦) في القرن السادس بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان

وقد كان القياصرة الرومانيون وراء الغزوات الأربع الأخيرة ونشر النصرانية في الغزوات الثلاث الأخيرة حين أخفقوا في النصر العسكري الذي كانت تهزمه الوحدة اليمنية ولقد نجحوا في نشر النصرانية سيما في نجران والشمال وفي عدن ، فضربوا الوحدة اليمنية في الصميم مما مهد للحبشة وسيدتهم القيصرية الرومانية الانتصار المؤقت في الغزوة السادسة والأخيرة فقد استولت الحبشة عام ٥٢٥ ب.م على التهائم والسواحل الجنوبية ونفذت إلى صنعاء ومأرب ولم يستتب لها الأمر بل ظلت في نضال مع اليمنيين ، ولم تمض سبعة وأربعون عاما إلا وقد ضيق اليمنيون على الحبشة الرقعة والسلطة وأخرجوها من صنعاء ومعظم الشمال ولم يبق لها وجود إلا في عدن والسواحل الجنوبية الشرقية وحضر موت حتى قضى عليهم التبع (سيف بن ذي يزن عام ٥٩٥ ب. م) ولم يتمكن الأحباش من بسط نفوذهم على جميع اليمن كما قرره الهمداني ومؤرخو اليونان وتؤيده الآثار التي منها النص بمأرب (لابرهه) وبه أخذ الدكتور فؤاد حسنين فقد قرر في صفحة ٣٦٥ من تاريخ العرب أن الاحتلال الحبشي لليمن لم يدم أكثر من سبعة وأربعين عاما من عام ٥٢٥ - ٥٧٣ ب.م ويؤيد ذلك حادثة الفيل عام ٥٧٣ ب. م ويقرر مؤرخ اليمن الكبير القاضي محمد بن علي بن حسين الاكوع أن (أبرهه) يمني اعتنق النصرانية وأخلص لها .

فارس واليمن

لم تتمكن فارس من حكم اليمن على أثر مصرع التبع سيف بن ذي يزن بل بقيت لها مقاطعة في صنعاء ومخلافها ، استمر فيها الفارسيون في نزاع مع الهمدانيين إلى أن جاء الإسلام .

الحالة في اليمن عند ظهور الاسلام

وفي القرن السادس الميلادي بلغ التصدع والاضطراب في اليمن الذروة فقد شاهدت في هذا القرن إنقساما وافتراقاً لم يسبق أن عرفت لهما نظيرا لأن الرومان على أثر اليونان لما عجزوا عن بسط نفوذهم على اليمن بالقوة العسكرية عدلوا إلى الدين فجعلوا منه منفذاً لمطامعهم نحو اليمن ، فحملوا إلى اليمن في أوائل القرن الرابع ب. م الدعوة المسيحية مع حملتهم العسكرية التي قامت بها الاحباش بعد تنصيرهم وقد طالت الحرب في القرن الرابع بين اليمن والحبشة انتهت بتغلب الحميريين على الحبشة . ولكن الحبشة والقسس الرومانيين الدهاة خلفوا وراءهم الدعوة المسيحية تعمل عملها في أفكار الأحداث من اليمنيين .

وللتخلص منها ساعد الحميريون التعاليم اليهودية التي حملت بدورها ملكة سبأ على أثر زيارتها سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد ويظهر من النصوص أن الذي حملته ملكة سبأ هو التوحيد لله رب السماء الذي ترمز إليه (بالمقه) فان اسم (المقه) لم يظهر في اليمن في النصوص إلا من القرن العاشر مما يدل على أن المراد (هو الله الواحد) لا أنه رمز (القمر) كما ذهب اليه المستشرقون ويظهر أن هذه التعاليم التي حملتها ملكة سبأ كانت مجردة عن المطامع اليهودية والعنصرية الاسرائيلية إذ مصدرها سليمان فكانت دعوة لها قيمتها في اليمن ربما اعتنقها الكثيرون مما جعل اليمن تستقبل الفارين من اليهود بعد أن ضرب (قيصر الروم فسبا سيان) الهيكل وأخذ (ارشليم) وأهلك أكثر من مليون يهودي في آخر القرن الأول بعد الميلاد فوجد أولئك اليهود الفارون ملجأ في اليمن والجزيرة العربية ، أطمأنوا فيه ، ويظهر أن اليمن والجزيرة العربية كانت إذ ذاك تنعم بالحرية الفكرية ، في ظلها تمكنت اليهودية من نشر دعوتها من دون تشجيع من التبابعة ولا معارضة ، فلما جاءت النصرانية في القرن الرابع مصحوبة بالاستعمار الروماني ومؤيدة لمطامعه حارب التبابعة النصرانية محاربتهم للرومان والأحباش وساندوا اليهود للتخلص من انتشار المسيحية الرومانية .

وبدلا من أن تقضي العصبية اليهودية على المسيحية فإنها قامت إلى جانبها

يتنازعان الشعب اليمني ، وبذلك انقسم اليمن على نفسه في عصبية عقائدية قضت على الوحدة اليمنية التي كان التسامح الفكري عنصرها الأساسي ، ذلك التسامح الذي نسفته العصبية اليهودية والنصرانية الرومانية ، فأصبح اليمن كتلتين متعاديتين لا يفكران في اليمن ومصيره ، يهم كل منهما أن تحقق أهدافها وتفرضها على اليمن ولو كانت الوسيلة هي خراب اليمن وانتهاء العرب . وبهذا الانقسام العقائدي قضي على الوحدة اليمنية وسلبت من اليمن السيطرة على الطريق بين الشرق والغرب تدريجياً ، إلى أن سلبها هذا الانقسام العرش على أثر سقوط التبع ذي نواس والتبع سيف بن ذي يزن وجلب إليها مذهبا ثالثاً هو المذهب الزرادشتي مع الفارسيين ولذلك أصبحت اليمن على عباب من الخلاف والاضطراب لم يقر هديره إلى اليوم هديراً يزيد في سعيره ذلك الفراغ الذي تركه انهيار الحضارة اليمنية وراءه في نفوس اليمنيين الحساسة ذات الإباء، (والفراغ النفسي) وبعبارة أوضح (القلق النفسي) ، هو من لوازم الإنسان إذا سلب نعمة أو أخفق في مطلب ، والأمة في ذلك كالفرد أو الأسرة . إلا أن من الأمم من يستسلم للتبعية والهوان وسرعان ما يذوب في غيره فينسى الفرد والأمة شخصيتهم ومقوماتها فيلقون زمامهم إلى الغير ويرتاحون من حيث يتعب الكرام والشعب الكريم ، والشعب اليمني قوي الإحساس لا تؤهله طبيعته أن يمس بضيم ولا أن يرى غيره عليه مترفعاً أو له بالقهر قائداً ومن هنا استمر منذ سقوط العرش الحميري في فراغ نفسي يتلمس أن يملأه بما يشبع نفسه الكبيرة الأبية ، ولم ولن يزول هذا الفراغ حتى يحقق اليمن وابن اليمن في أرضه حضارة لا تقل عن أرقى حضارات عصرنا ذات طابع يمني وفي ظل وحدة قوية شاملة ، وإلا فسيظل هذا الفراغ يتقاذف هذا اليمني الأبي المتطلع ، فعلى القادة اليمنيين أن يشعروا بهذه الناحية ويعملوا في حكمة وقدرة وأناة لسد هذا الفراغ فتحقق الجمهورية ما لم تستطعه الأوائل حتى اليوم .

الدول اليمنية الكهلانية والحميرية خارج اليمن

هي كثيرة منها خمس قضاعية من أولاد قضاعه بن مالك بن عمرو بن

مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وهذه الدول الخمس القضاعية هي :

١ ـ جهينه ⎤ هذان البطنان منازلها الأخيرة في الحجاز الغربي وبرية سيناء إلى
٢ ـ بلى ⎦ حدود مصر وقد استولوا على صعيد مصر والحبشة قبل الميلاد[١] .

٣ ـ تنوخ العراق ، ومنهم جذيمة الأبرش .

٤ ـ تنوخ الشام ، نزلوا مشارق الشام وعرف من ملوكهم النعمان بن عمرو .

٥ ـ دولة الضجاعمة نزلوا بالبلقاء والزيتون، من ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك وقد تغلب عليهم الغساسنة .

الدولة السادسة (الغساسنة)

بطن من الأزد هم أولاد جفنة بن عمرو (مزيقيا) بن عامر بن ماء السماء ابن جارية (الغطريف) ابن امرؤ القيس بن ثعلبة بن عدنان بن نصر بن الأزد خرجوا من مأرب قبل الميلاد ، ثم نزلوا على ماء يقال له غسان بين بلاد الأشعريين وعك ، ثم نزحوا إلى مشارق الشام ، وفيها تغلبوا على الضجاعم وقد ملكوا مدة طويلة نحو ٦٠٠ ستمائة سنة ذكر من ملوكهم ٣٢ ملكا أولهم جفنة بن عمرو (مزيقيا) وآخرهم جبلة بن الايهم ، ومن ذرية جبله ملوك بني رسول الذين منهم (الملك المجاهد علي بن داود بن المظفر يوسف بن العزيز عمر بن علي بن رسول) وإلى المجاهد علي الرسولي ينتسب آل المجاهد باليمن وهم كثيرون ومنهم الذي بصنعاء وثلا وحجه وخولان وبني بهلول وبني عيسى بالحداء وذمار وقفل وادي الحار وصنعه وإب وتعز والمسراخ .

الدولة السابعة دولة اللخميين في العراق

بطن من كهلان من آل نصر ، وأولهم عمرو بن عدي بن نصر وهم كثيرون كان مقرهم بالحيرة ومدة ملكهم (٣٦٤) سنة أولهم عمرو بن عدي وآخرهم المنذر المغرور .

---

(١) جرجي العرب قبل الأسلام ص ١٧٢ و ١٧٣ .

الدولة الثامنة (كندة) بطن من كهلان

كانوا بالبحرين ثم نزحوا عنها إلى حضر موت واتخذوا من مرتفع هناك موطنا لهم سمي بهم إلى الآن ، وكانوا كالعمانيين مرتبطين بالحميريين ، أول أمرائهم مرتع بن معاوية بن ثور ، وأول ملوكهم حجر بن عمرو (آكل المرار) وآخرهم امرىء القيس ، الملك الشاعر ، وقد استمروا في الإمارة والملك من عام ٣٣٥ - ٥٦٠ م تاريخ موت امرىء القيس ، هذه خلاصة لليمن قبل الإسلام نقدمها لابنائنا طلاب المعارف ، وستلي هذه خلاصة عن اليمن بعد الإسلام .

اليمن في عهد الاسلام

سبق أن بينا أن الوحدة اليمنية الشاملة للجزيرة بدأ تصدعها بداء الفرقة العقائدية من القرن الرابع بعد الميلاد حين غزتها المسيحية على يد الرومانيين بواسطة القسس الدهاة وعن طريق عميلتهم الحبشة ، وكانت اليهودية قد دخلت اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد كما سبق ، ثم ولجتها المزدكية الفارسية ، والزرادشتية المجوسية بإلاهي النور والظلمة ، على يد الفارسيين ، وجاء الإسلام في القرن السابع بعد الميلاد ، واليمن على عباب هائج ، من النظريات الهدامة والنزعات الأسرية الضيقة التي تمزق معها اليمن واليمنيين إلى إمارات خارج اليمن وداخلها ، تفرقاً أوقف النمو في مجالات الحياة باليمن وانهار تحت مطارقه ما بقي من ملامح الرخاء ومصادر الثراء من سدود وتجارة انهياراً عمق في النفوس الفراغ والقلق نفوس لا ترضى بالخنوع والاستسلام وإنما تتطلع لما تزيل به هذا المرض العارض من الفراغ ، وما أن جاء الإسلام إلا واندفع اليمنيون إلى الدعوة الإسلامية في اقتناع وحرارة ، ثبتتا دعائم الدعوة ونشرتا كلمة الإسلام .

وكان اليمنيون في طريق استعادة الوحدة اليمنية في ظل الإسلام ودعوته الموحدة ، إلا أن القوى الهدامة من يهودية ومسيحية رومانية وأيد فارسية كانت كامنة في الجسم اليمني تنفث سمومها فلم يكد الخلاف على الخلافة الإسلامية

يوم السقيفة يطلع قرنه حتى انضم إلى تلك القوى الثلاث الهدامة عنصر كان له خطره على الدعوة الإسلامية فيما بعد ، ذلك العنصر هو حقد الطلقاء من القرشيين ذلك الحقد الذي أثارته مناصرة اليمنيين للدعوة الإسلامية ، فإذا بتلك القوى تقصي تدريجياً عن الحكم أولى السبق إلى الإسلام والعارفين به ، جاعلة نصب أعينها تفريق الصف اليمني من جديد، ولم تمض ثلاثون عاماً على وفاة سيدنا محمد إلا والحكم كله بأيدي الطلقاء وأبنائهم ، أما اليمنيون فقد بدأ النزاع بينهم بوجه جديد انطلقت ومضاته آخر أيام عثمان واتضحت ملامحه من أيام معاوية ، وهذا ما سنشرحه بعد العرض السريع لحالة اليمن منذ مولد سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه .

مولد محمد صلوات الله عليه

ولد الرسول يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الموافق ٢٠ أغسطس ٥٧٠ب.م فتلقى دورس الحياة من مظاهر الكون الذي تعمق في دراسته والتفكير فيه ، ولما بلغ أربعين عاماً قمريا جاءه الوحي ٦٠٩ب.م ، وكانت رسالته تقوم على أساسين : هما الإيمان والإحسان وهي في مجموعها ثورة اجتماعية قلبت العقلية العربية ، وقد ذعرت منها الأعراب الجفاة وطغاة قريش القساة ، وأرهفت إليها قلوب اليمنيين الذين كانوا يرون في الدعوة منطلقاً للوحدة ، ولذلك وفدت إلى محمد طلائعهم وهو ما يزال بمكة ، ومن الوفود اليمنية إلى مكة وفد الأوس والخزرج الذين هاجر إلى مدينتهم (يثرب) بعد عدة اجتماعات عقدها معهم سراً بمكة في مواسم الحج .

عام الهجرة

قدم محمد صلوات الله عليه إلى يثرب يوم الاثنين الثاني عشر ربيع الأول على الأصح سنة ٥٣ من مولده ، وأربعة عشرة من مبعثه الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ٦٢٣ م وبمقدمه إلى المدينة ولد الوطن الإسلامي الذي استمر نموه واتساعه بمناصرة اليمنيين ، فما استقر محمد في المدينة إلا وشرع في إقامة الدولة الإسلامية وسن ما تتطلبه من تشريع وبدأ الإسلام ينتشر ، وبعد معارك أرغمت قريش

على الاستسلام ، وباستسلامها ذهبت الصخرة عن طريق الدعوة الإسلامية فانطلقت كلمة الله تشرق وتغرب ، وقد كان اليمن أول شعب بكامله اعتنق الإسلام على إثر وصول كتب محمد إلى أقيال اليمن ثم أرسل محمد عماله إلى اليمن .

عمال محمد باليمن

على إثر إعلان اليمنيين إسلامهم ارتبطت اليمن بالمدينة عاصمة الإسلام الأولى ، ولذلك أرسل محمد عماله إلى اليمن كما استعمل الكثير من أبناء اليمن أنفسهم بعد إسلامهم ، ومن بين أولئك العمال كثيرون ممن لعبوا دوراً في تاريخ الإسلام مثل علي أمير المؤمنين عليه السلام ، وجابر بن عبد الله البجلي ، وخالد بن الوليد ، وأبي موسى الأشعري ، وفروة بن مسيك المرادي ، ولم يكن هناك نظام خاص بإرسال العمال إذ كان الوقت وقت جهاد ودعوة وكانت المهمة الأولى لأولئك العمال هي تعليم الناس أصول الدين والحكم بما جاء في القرآن وسنة الرسول بلا إلتواء ولا تعقيد .

وقد قسم النبي اليمن كما تفيده بعض المصادر بين خمسة : خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء ، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي على كندة ، وزياد ابن لبيد الأنصاري على حضر موت ، ومعاذ بن جبل على الجند ، وأبو موسى الأشعري على زبيد ، وتهامة على عدن .

فتنة الأسود بن كعب العنسي

الملقب عبهلة أو ذو الخمار

في أواخر أيام النبي صلوات الله عليه أعلن الأسود الفساد بوادي خب بالجوف ونفذت كلمته إلى حضر موت وتابعته بعض القبائل ومنهم قبيلة مذحج ثم زحف على صنعاء فدخلها وطرد الفارسيين منها ، ثم اغتاله الأبناء الفارسيون وعلى رأسهم (فيروز) بالمؤامرة مع امرأة الأسود ، ولم يمت محمد إلا وقد أخبر بمقتل الأسود ، وبعد موت محمد ثبتت قبائل اليمن على الإسلام إلا ما كان من أمر كندة والأشعث بن قيس فقد أعلنوا العصيان على العامل زياد بن لبيد

الأنصاري ، لأسباب منها تنازعهم مع المصدق - (الجابي) الذي حاول أن يأخذ كسرائم الإبل زكاة رغم اصرارهم على إعطائهم غيرها ، فكانت الحرب التي استغاث فيها زياد بالمهاجر بن أمية فهزمت كندة وأسر الأشعث مع جماعة حملوا إلى أبي بكر فعفى عنهم وتزوج الأشعث بأم فروة أخت أبي بكر الخليفة .

اليمن في عهد الخلفاء الراشدين

لم يستقر أبو بكر في الخلافة إلا ووجه دعوة الجهاد إلى اليمن فلبت القبائل دعوته ونفروا إليه من كل صوب ، ولقد وصل منهم في يوم واحد إلى المدينة واحد وعشرون الفاً حتى ضاقت بهم آكام المدينة وضواحيها ، وراح أبو بكر يرسلهم إلى الأمصار واستمر حالهم على ذلك في عهد عمر وعثمان وعلي وكذا في عهد الدولة الأموية . ولقد كان جيش عمرو بن العاص إلى مصر معظمه يمنيون واستقر الكثيرون من أولئك المجاهدين في البلاد التي تم فتحها ، وقد كان لهم في هذه الفترة النصيب الأكبر في نشر الاسلام ، وأن أكثر العرب الذين استقروا في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا وغيرها كانوا من أصل يمني ، وفي أملنا أن نستقصي تلك البطون ونفرد لها مؤلفاً إن شاء الله .

وعندما اشتد الخلاف بين علي كرم الله وجهه ومعاوية امتدت تياراته إلى اليمن .

تمهيد

الصراع السياسي في اليمن بعد الاسلام

لقد التقى اليمنيون بالهاشميين من قبل الإسلام لقاء مصاهرة وأحلاف وجاء الإسلام مقوياً لهذا اللقاء والتلاحم ، ولما مات محمد نمى هذه الصلة وقواها ذلك الحرمان الذي اشترك فيه الهاشميون واليمنيون يوم السقيفة ، ولما اقضت الخلافة إلى علي كان جل اعتماده على اليمنيين سيما قبيلة همدان ومذحج ، ولم يكن معاوية بالذي يجهل هذه الناحية فقد قوى صلته باليمنيين منذ أيام عمر (الذي سيسأل عنه يوم الدين) وقد تمكن معاوية من اجتذاب الكثير من اليمنين إليه سيما الحميريين ويفسر اهتمامه قوله :

إذ الشام أعطت طاعة يمنية تناقلها أبناؤها في المجالس
فإن يصدقوا اصدم علياً بجبهه يغث لديها كل رطب ويابس

ومن الطبيعي أنها كانت له دعاة داخل اليمن وبين قبايلها ، وقد اتخذ معاوية من مصرع عثمان وسيلةً أثار بها الأفكار وأقام بها الحزب العثماني إلى جانب الحزب الشيعي والحزب الخارجي باليمن وبذلك انقسمت اليمن على نفسها إنقساماً عقائديا تسيره أفكار سياسية ماكرة ، جعلت اليمنيين يقتل بعضهم بعضا في داخل اليمن وخارجها لا لمصلحة اليمن ولا العرب ولا الإسلام بل في سبيل الشيطان وحزبه أبناء الطلقاء القرشيين ومن حذا حذوهم

في مرض الجنون بالمال والسلطة من أبناء المهاجرين .

ونجم عن ذلك وبمساعدة عوامل أخرى أن اشتد ساعد الدعوة الشيعية التي ما زالت تغذيها أعمال عمال بني أمية ثم العباسية التي استغلها دعاة الشيعة بمعناها الشامل الاسماعيلية والزيدية وغيرهما وما زالت تلك الدعوة في نشاطها تعبيء أفكار العامة إلى أن حولت الأفكار حقلا تغطيه مظلة من القداسات الشيعية . وتملأ تربته نباتات الدعوة الاسماعيلية والزيدية ، إنها لثمار مغرية استهوت أعلام الشيعة ، فإذا باليمن (المخدوع) يستقبل المنصور الحسن بن حوشب وعلي بن الفضل الخنفري الحميري الداعيتين الاسماعيليتين اللذين قدما إلى اليمن من العراق موفدين من عبيد الله ، وقدم على أثرهما الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من الرس بالحجاز قدم إلى صعدة عام ٣٨٠ هجريا الموافق ٨٩٣ ب.م ، ومن هذا التاريخ ظهر الصراع في اليمن بين الحزبين السياسيين الشيعيين الخطيرين الزيدي والاسماعيلي ، كما ابتدأ الصراع بين الحزب الزيدي وبين الدول اليمنية بدأ ذلك الصراع على السلطة الزمنية وكان المذهب الزيدي هو شعار الأئمة الرسيين الناسبين لأصول المذهب إلى الامام زيد بن علي رضي الله عنه ، والمذهب الزيدي هذا لا يتميز عن المذاهب الكبرى والنظريات الاسلامية المشهورة ، إلا بثلاث قواعد : أن الانسان مخير في أداء أعماله ، من خير وشر لا مجبور عليها أجبره الله أو علمه .

٢ ـ وجوب الثورة على الظلمة ، المعبر عنها في كتب الزيدية بوجوب الخروج على الظلمة .

٣ ـ حصر الخلافة والإمامة الإسلامية في أبناء الحسنين ، هذه القواعد الثلاث هي التي يكون بها الإنسان عند الأئمة الرسيين وتبعتهم زيديا أي متبعاً للإمام زيد بن علي ولو خالفه فيما عداها ، وأهم القواعد الثلاث فيما نستلهمه من الواقع هي قاعدة حصر الخلافة في ابناء الحسنين ، أما القاعدتان الأخريان فقد التقى الزيدية بالمعتزلة في قاعدة ، أن العبد مخير لا مسير ، والتقى الزيدية هؤلاء في قاعدة ، وجوب الخروج على الظلمة ، بالخوارج الذين منهم إباضية

عمان وحضر موت ، ونلتقي بالزيدية في هاتين القاعدتين نحن وكل مسلم يفهم من الإسلام جوهره ، أما القاعدة الثالثة (حصر الخلافة في أبناء الحسنين) فهي أخطر الثلاث ، وهي الكل في الكل في نظر الأئمة ولترسيخها سارت من الرسيين وسلفهم قوافل القتلى ، فمن تمسك بها فهو في نظر الأئمة الرسيين زيدي وإلا فليس زيدياً ، ولا يكون له حرمة ، بهذا يشهد الواقع في اليمن أكثر من ألف عام ، ولقد قتل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من المطرفية أكثر من مائة ألف كما دمر قراهم ومدنهم في عموم اليمن مع أن المطرفية أحد فرق الزيدية ولكنهم لا يقولون بأن الإمامة منحصرة في أبناء الحسنين ، وإذا تعمقنا في البحث وجدنا أن المطرفية هم الذين يمثلون الإمام زيد بن علي في هذه القاعدة فالإمام زيد هو الإمام العظيم الثائر على الظلم ، العالم بأنه مخير في أداء الأعمال لا مجبور على أدائها ولكنه أبى أن يحكم بأن الإمامة بعد محمد محصورة في علي والحسنين ثم في أبناء الحسنين وسمي القائلين به الرافضة ، فقاعدة احتكار الإمامة في أبناء الحسنين لم يقل بها الإمام زيد ، وهذه القاعدة هي كقاعدة حصر الأئمة في قريش إلا أنها في مدار أضيق ، وقد عرضت هذه القاعدة اليمن لسلسلة من الفتن والحروب استهلت بموت محمد صلوات الله عليه ثم اتصلت حلقاتها المفرغة طيلة أحد عشر قرناً لم تنعم خلالها اليمن بحلاوة الاستقرار ولا بروح الطمأنينة ، إن النزاع على السلطة جعل الطامعين يقحمون الدين والمذهب في النزاع السياسي الذي مزق الأمة شذر مذر وجعل اليمن يتلقى الدعاة الطامعين واحداً بعد آخر فكما قدم المنصور الحسن بن حوشب والإمام الهادي في أواخر القرن الثالث هجرياً فقد قدم في أوائل القرن الرابع عام ٣١٨ هـ إلى حضر موت المهاجر أحمد بن عيسى العلوي بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من البصرة وقاومه الإباضية وطعنوا في نسبه وقدم غيره كما ستمر بك نتائج هؤلاء القادمين ولنعد إلى مبدأ هذا النزاع من أيام معاوية حتى يومنا هذا .

النزاع السياسي المذهبي اليمني

منذ زالت دولة الحميريين لم تعد لليمن والجزيرة العربية وحدتها إلا فترات

متقطعة بعد الإسلام إذ نشأت فيها دول وظهرت قبل الإسلام نظريات إلى جانب اليهودية والمسيحية والوثنية ، زادت شقة الخلاف والانقسام سعة ، وتتابعت الثورات بصفة لا تكاد تنقطع ، وإذا كان الإسلام قد محى اليهودية والمسيحية والوثنية باليمن إلا أنها استقبلت نظريات جديدة ، وقبد انتهى بنا المطاف عند عهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، هذا العهد الذي عاكست فيه التيارات كل محاولة بذلها الإمام علي للإصلاح وللرجوع بالبشرية إلى روح الإخاء والمحبة والعدالة الاجتماعية التي دعا إليها سيد الوجود محمد صلوات الله عليه ، لقد ذهبت جهود الإمام علي بروحه المقدسة دون أن تتغلب على الإثرة وطغيانها فإذا بعهد الخلفاء الراشدين ينتهي وإذا بالجور يطغى ، ممزقاً بصارمه الوحدة الإسلامية إلى أحزاب وشيع . فمن عثمانيين وشيعيين وحروريين إلى قحطانيين وعدنانيين إلى عصبيات زبيرية وهاشمية وأموية وشعوبية إلى ما هناك من تفرق عقائدي وعرقي ومذهبي يضرم تنوره الفارسيون واليهود والشعوبيون ويستغله المجنونون بالسلطة والزعامة الشخصية ، حالة خطيرة شهدها العالم الإسلامي ، واكتوى بجميع مياسمها اليمن واليمنيون إلى اليوم كما ترى صورة مصغرة لهذه المأساة وتسلسلها إلى جانب الصراع عبر التاريخ .

أول صراع عقائدي باليمن بعد الاسلام

بسر وجارية والمأساة اليمنية

لم تتم بيعة الإمام علي إلا وكانت تلك المعارك بالجمل وصفين والنهروان ذهب بين شقي رحاها صفوة العرب وفرسانها وذوو السابقة في الإسلام مع القراء ومعظمهم يمنيون ، وختم عهد الإمام بالمأساة اليمنية بأن بعث معاوية جيشاً كثيفاً بقيادة بسر بن أرطأة إلى اليمن غايته الإرهاب بالتخريب والقتل والسلب ، وقد بلغ بسر إلى صنعاء يشايعه ويناصره العثمانيون اليمانيون ، ولم يخرج من صنعاء إلا وقد ذبح ثلاثين ألفاً في غزوته من شيعة علي اليمنيين فيهم الأطفال والنساء والشيوخ ، ولمطاردة بسر ودرئه أرسل علي أربعة آلاف فارس بقيادة جارية بن قدامة السعدي فلم يقف بسر لمواجهته بل فر تاركا آثامه

وجرائمه وشيعة عثمان الذين لا يقلون ، فيما نرى عن مائة ألف أكلتهم سيوف جارية وشيعة علي ، فقد أفاد ابن أبي الحديد أنهم استأصلوا شيعة عثمان وتتبعوهم في القمم والأودية ، وما هي إلا فترة حتى يستشهد الإمام علي كرم الله وجهه غيلة بيد ابن ملجم المرادي الخارجي ، وقد كان لابن ملجم خلف عقيدة في اليمن وغيرها يدعون إلى فكرته إلى جانب الدعوات العثمانية والشيعية وغيرهما من الدعوات التي هي جميعاً ـ ما عدا العثمانية ضد الحكم الأموي ـ وقد استطاع حكام الأمويين الدهاة كمعاوية وعبد الملك أن يكسبوا الكثير من اليمنيين وقاداتهم ، بهم أقاموا الإمبراطورية الأموية الواسعة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخماد دعوة الشيعة والخوارج فقد استمرت تلك الدعوة في نشاطها ضد الحكم الأموي سيما في اليمن ، وفي الوقت نفسه لقد كان من قادات اليمن من ينزع إلى فصل اليمن عن دمشق ويبدو هذا النزوع ثم النزاع في ثورة القيل عباد الرعيني .

القيل عباد الرعيني سنة ١١٠ هـ

في سنة عشر ومائة هجرية أيام الخليفة هشام قام القيل عباد الرعيني من ذرية القيل ذو رعين بثورة امتدت إلى عدة نواح من اليمن وجرت بين عباد وبين والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي عدة معارك انتهت بهزيمة عباد ولا نعلم كيف كان مصير عباد إلا أن اليمن استمرت في غليان مذهبي وسياسي تجمع إلى أن انفجر بثورة طالب الحق .

طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الاباضي وأبو حمزة المختار الأزدي سنة ١٢٩ هـ

بلغ النشاط الفارسي والشعوبي نهايته ضد العرب والإسلام أيام مروان ابن محمد الأموي ، وقد كانت الدعامة القوية للدولة الأموية هم العشائر اليمنية ولذلك توجه الفارسيون والهاشميون معاً بدعاياتهم إلى فصل تلك العشائر اليمنية عن الأمويين وساعدهم ضعف الخلفاء بعد هشام ، ويأتي مروان بن محمد

بكماله وقد اتسع الخرق على الراقع فإذا بالوضع يتزلزل ، وبالعقد ينحل ، فينفجر بثورة طالب الحق أيام مروان بن محمد، اندلعت تلك الثورة عام ١٢٩ هـ من حضر موت فالتهمت اليمن والحجاز وتناولت الحرمين مكة والمدينة وأصبحت الجزيرة العربية مشمولة بنفوذ طالب الحق مما اهتز لها عرش بني مروان بدمشق هزة ثمل لها الفارسيون ، ورقص الهاشميون ، وذعر لها مروان بن محمد الخليفة مما حمله إلى المبادرة لإخماد ثورة طالب الحق من غير تفكير في العواقب ، فإذا بمروان يقذف معظم جيوشه وفيهم اليمانيون بقيادة عبد الملك بن عطيه إلى ساحة المعركة التي كانت من أشد المعارك ضراوة ومرارة ، وقد تمكن عبد الملك بن عطية من التغلب على طالب الحق وأبي حمزة ومن تتبع الأباضية في حضر موت الذي أوسعها عسفاً وتخريباً مما آثار عليه فلول الأباضية ، فقد تعقبوه عند منقلبه من حضر موت إلى مكة فقتلوه مع من كان معه ، ويبلغ خبر مصرعه إلى ابن أخيه عبد الرحمن بن زيد بن عطيه وهو بصنعاء فاستصرخ همدان وقبائل الشمال وأغار بهم بقيادة شعيب البارقي الهمداني على حضر موت فأسرف فيها قتلا ونهباً وتخريباً .

وقد كانت هذه الحرب المشؤومة أعظم سبب لإضعاف العرب وانتهاء الدولة العربية الأموية ، فقد التهمت جيوش مروان المدربة ومعظم قواده كما طحنت فرسان اليمن ومغاويره ونشرت الخراب في أنحاء الجزيرة ، وقد استمر الأباضيون في سيطرتهم على حضر موت من بعد طالب الحق عدة قرون يناضلون الغزاة ، وظلت اليمن في غليان ارتفعت درجة حرارته في العهد العباسي .

اليمن في العهد العباسي

لم يكن العهد العباسي في اليمن أحسن حالا مما كان عليه في العهد الأموي فقد كان مشؤوماً على العروبة والإسلام معاً ، ونكبة عميقة المبضع على اليمن ففي عام ١٤٠ هـ قدم اليمن بعهد المنصور الطاغية « معن بن زايدة» ونصب أحد قرابته نائبا عنه بحضرموت ، وكان هذا النائب حلس فسوق واستهتار وعنوان ظلم سافر ، فجاوز الحد ولم يسمع للحضرميين أي استغاثة فلم يبق إلا أن قتلوه بقيادة زعماء الأباضية وانتفضت البلاد على معن فأقبل معن من شمال اليمن بجيوش ارتكبت من الفظائع ما تشيب من هوله الولدان فقتل نحو خمسة عشر ألفاً وسد عيون المياه بالرصاص وأجبر الناس على لبس السواد ثم عاد إلى صنعاء مخلفاً المآسي ومستنيباً ابنه والياً على حضر موت ولكنه لم يفلت من نقمة الأباضيه فقد تعقبه منهم رجلان وهو في طريقه إلى خراسان فقتلاه أخذا منهما بثأر الأبرار حماة العدالة والدار وما هي إلا فترة سنين حتى انتفضت اليمن بثورة ، الهيصم .

ثورة القيل الهيصم بن عبد الرحمن الحميري ١٧٤ ـ ١٨٨ هـ

إن حكم الدخيل جعل اليمن في ثورة مستمرة ففي عام مائة وأربعة وسبعين؛ أيام هارون الرشيد ثار القيل الهيصم بن عبد الرحمن الحميري في جبل مسور حجة والتفت حوله القبائل وحارب جنود بني العباس في غير موضع وأنزل بهم شر الهزائم وبسط نفوذه على معظم الجبال الغربية والشمالية كما حكاه الهمداني وغيره وقد امتدت سلطته إلى تهامة وأطاح بهيبة ولاة بني العباس في اليمن حتى ضعفوا عن حفظ الأمن وجباية الضرايب ، وانحصرت سلطة الولاة

العباسيين الواهنة في صنعاء مما جعل الذعر يتناول هارون الرشيد ببغداد فأرسل الولاة تباعاً وبعث الجحافل أثر الجحافل ولا يكون نصيبها إلا الفشل مما دعا هارون إلى إرسال (حماد البربري) أحد قواده الكبار في جيش جرار وقال له كلمته الحاقدة : « أسمعني أصوات أهل اليمن » وقد تمكن حماد ، بعد معارك دامية من إخماد الثورة في كثير من البلاد وأخضع تهامة ووصل إلى صنعاء ولكنه لم يتمكن من التغلب على الهيصم فاستمد من هارون الرشيد المزيد من المدد فاستمر الصراع إلى عام ثمان وثمانين ومائة حيث تغلب حماد على جبل مسور ، وحاول الهيصم أن ينقل المعركة إلى الشمال فانتقل إلى بيشه أحد مراكز تهامه الشمالية ، فأوقعه القدر أو مؤامرة مع يد خانته في مجتمع الجيوش العباسية فجأة فصارع حتى وقع في الأسر ، وأرسل مع رفاقه إلى بغداد حيث خرج هارون لمشاهدتهم فضربت أعناقهم بين يديه ، ولم ينج إلا واحد من أصحاب الهيصم كان يجيد الألحان فتخلص بحفظه بابا غريباً من الأغاني ، كما في الأغاني وبرغم التغلب على الهيصم فقد كانت ثورته فاتحة لقيام الدول اليمنية وفرصة اهتبلها الشيعة لنشاطهم الذي مهدوا به الطريق إلى ظهور دعاتهم أيام المأمون وقدوم ابراهيم الجزار العلوي إلى اليمن .

ظهور العلويين في الحجاز واليمن سنة ١٩٨ هجرية :

على أثر موت هارون سنة ثمانية وتسعين ومائة ضعفت سلطة العباسيين في الجزيرة العربية وقوي النشاط العلوي والفارسي وظهر بالكوفة الامام محمد بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٩٩ هـ بمناصرة أبي السرايا السري بن منصور بن ربيعة بن ذهل بن شيبان فتغلب على الكوفة وسواد العراق ، وأرسل إلى اليمن ابراهيم الجزار بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجرت بينه وبين حمدوية بن عيسى بن ماهان وإلى اليمن من جهة المأمون معارك شديدة ، وكانت الشيعة قد كثروا باليمن ومنهم الأبناء المستوطن معظمهم صنعاء ومناطقها الشرقية المعروفة ببني حشيش وبني بهلول ومنهم من كان ببلاد ذمار وقد كان معظم دعاة الشيعة من هؤلاء الأبناء ، ومنهم العلامة الزيدي عبد الملك بن عبد الرحمن الأبناوي قاضي عهد ابراهيم الجزار بصنعاء فالتف هؤلاء الأبناء مع بقية

الشيعة حول إبراهيم الجزار ، فتغلب بهم وجاس خلال الديار وتركز بمخلاف صعدة بعد أن خرب صعدة وهدم (سد الخانق) برحبان صعدة ، وأعلن أن كل معارض للدعوة الزيدية أو خارج على قاعدة الامامة الزيدية ، كما زعم،هو خارج عليه لا حرمة لدمه وماله ، ولذا أسرف في قتل كل معارض للدعوة والامامة وتجاوز حد المنطق والتعقل في نشر الخراب الذي امتد إلى الآثار السبئية والحميرية وما سبقها ، فما لاحت له فرصة إلى أثر أو سد إلا نسفه ولإسرافه في القتل والتخريب سمي الجزار واستمر كغيره من قادات العلويين ودعاتهم في الجزيرة حتى مات الإمام الزيدي محمد بن إبراهيم عام ١٩٩ وقام بعده بالكوفة الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولم تطل مدته فقد تغلب المأمون على الكوفة فقتل أبا السرايا وأسر محمد بن محمد بن زيد ، وانحلت دولة العلويين في اليمن والحجاز .

وعلى أثر انحلال دولتهم قدم من فارس بطريق مصر عام ٢١٣ هـ الامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي إلى (الرس) بالحجاز ويعرف القاسم ، بنجم الأئمة ، ولم يرد له ذكر أيام إمامة أخيه وتغلبه على الكوفة والسواد ، ولما مات أخوه الإمام محمد عام ١٩٩ هـ وتغلب المأمون على الإمام محمد بن زيد الذي لم يتجاوز عمره ١٨ سنة وقتل أبا السرايا عام ٢٠٠ هـ اضطر القاسم أن يختفي بفارس ثم خرج منها متستراً إلى مصر وفي مصر بقي أكثر من عشرة أعوام فاشتد طلب المأمون له ففر مستتراً إلى الحجاز عام ٢٢٣ واختار الرس موطنا له ولشيعته ، وهنا بدأ تكون البيت الرسي الذي خرج منه أئمة اليمن ونقل السيد مصطفى سالم بمؤلفه اليمن والامام يحيى ص ٣٠ ، عن عمارة اليمني : أن القاسم بن ابراهيم فر إلى السند ومات هناك عام ٢٤٥ ، وقد اقتنع الرسيون في هذا الدور بالهدوء المؤقت عن مجاذبة السلطة بمنطق السيف ، وأن يكتفي في هذا الدور بتوسيع الدعاية والنشاط في التعبئة التي ضاعفت في تدهور السلطة العباسية بالجزيرة سيما باليمن مما أضطر المأمون إلى أن يرسل إلى تهامة اليمن الأمير محمد بن عبد الله بن زياد ، وبهذا دخلت اليمن في عهد الإدارة المستقلة وتنازع الدول الجديدة المتعددة المتعاقبة والمتداخلة ، وإلى جانبها تلك الإمارات الناشئة ويبدأ هذا العهد بدولة بني زياد وبني يعفر .

الدول والامارات في اليمن
من سنة ٢٠٣ - ١٣٨٣هجرية

استهل القرن الثالث هجرياً واليمن في أمر مريج تتنازعه النظريات والاتجاهات ، وقد تحدد من أول هذا القرن الإتجاه اليمني نحو الاستقلال ، فنشأت فيه عدة دول وإمارات وطنية وغير وطنية ، ومع ذلك كله فلم تتحقق الوحدة اليمنية إلا في فترات سرعان ما تضمحل ، وعلى كثرة الدول والإمارات فالدول الرئيسية هي اثنتا عشرة دولة سنجعلها محط الكلام ونتعرض لما عداها ضمناً وهذه الدول الرئيسية هي كما يلي :

١ ـ دولة بني زياد من عام ٢٠٣ ـ ٤٠٩

٢ ـ دولة بني يعفر الحميريين عام ٢٢٥ ـ ٣٩٧

٣ ـ دولة بني الصليحي الهمدانيين عام ٤٢٩ ـ ٥٣٢

٤ ـ دولة بني مهدي الحميريين عام ٥٥٤ ـ ٥٦٩

٥ ـ دولة بني أيوب الكرديين عام ٥٦٩ ـ ٦٢٦

٦ ـ دولة بني رسول الكهلانيين عام ٦٢٦ ـ ٨٥٨

٧ ـ دولة بني طاهر المذحجيين الكهلانيين من عام ٨٥٨ ـ ٩٢٣

٨ ـ دولة الجراكسة المماليك من عام ٩٢٤ ـ ٩٤٥

٩ ـ دولة العثمانية الأتراك الأولى من عام ٩٤٥ ـ ١٠٤٥

١٠ ـ دولة بيت القاسم الرسيين العلويين من عام ١٠٤٥ ـ ١٢٨٩

١١ ـ دولة العثمانيين مرة ثانية من عام ١٢٨٩ ـ ١٣٢٩

١٢ ـ دولة آل حميد الدين القاسميين العلويين من عام ١٣٢٩ ـ ١٣٨٢ .

هذه هي الدول الرئيسية في اليمن إلى أن جاءت الثورة عام ١٣٨٢ هجرية وقامت الجمهورية العربية اليمنية التي سنتحدث عنها بصفة كاملة في غير هذا المؤلف .

وهذه الدول الإثنتا عشرة قد تعاقبت وبعضها تداخلت ، وكلها لم تذق طعم الهدوء إلا قليلا لكثرة المعارضين والخارجين ، وقد كان للدعوات المذهبية الضيقة أثرها في التجزئة والبلبلة ، ولنبدأ الآن ببيان هذه الدول وجانباً من أحوالها مبتدئين بدولة بني زياد .

١ ـ دولة بني زياد القرشيين من عام ٢٠٣ ـ ٤٩٩ هـ[1]

اضطربت اليمن على المأمون وقوي نشاط الأحزاب والطامعين سيما الشيعة ، فأرسل المأمون الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) لولاية اليمن فأخمد الثورات وأقام دولة شملت اليمن وامتدت إلى حضرموت واستقلت في إدارتها عن بغداد ، وأصبح محمد كملك مستقل لا تربطه ببغداد إلا الخطبة والإنتماء الروحي وحمل شيء من الخراج والهدايا ، وامتد نفوذ الزياديين إلى حضرموت وعمان ومكة كما كان لهم إشراف في بادىء أمرهم على صنعاء وقد اختط ٢٠٤ هـ محمد بن زياد مدينة /زبيد واتخذها عاصمة وامتدت أيامه إلى سنة ٢٤٥ هـ ثم انتقل الملك إلى أبنائه وهذا جدول أسماء ملوك آل زياد :

١ ـ محمد بن عبد الله بن زياد من عام ٢٠٣ ـ ٢٤٥
٢ ـ إبراهيم بن محمد من عام ٢٤٥ ـ ٢٨٩
٣ ـ زياد بن إبراهيم بن محمد من عام ٢٨٩ ـ ٣١١
٤ ـ أبو الجيوش اسحاق بن ابراهيم من عام ٣١١ ـ ٣٧١

وقد طالت مدة اسحاق حتى اختلف في تقديرها وقد نقلناها على علاتها .

---

(١) يقرر القاضي محمد الاكوع أن بني زياد يمنيون قحطانيون ولم يعظم شأنهم إلا من أوائل القرن الرابع هجريا ، فراجع مؤلفات الاكوع .

٥ ـ عبد الله بن اسحاق من عام ٣٧١ ـ ٤٠٩

وكان عبد الله بن اسحاق صغيراً فقام بأمره مولى بني زياد الحسين بن سلامه النوبي المشهور وقد مات الحسين سنة ٤٠٣ هـ وعهد بالأمر إلى مولاه مرجان وكان لمرجان عبدان نفيس ونجاح أفضى الأمر إليهما فتنازعا فتغلب نجاح وأسس إمارة بني نجاح إلى جانب الإمارات التي كانت نشأت بعهد أبي الجيوش واقتطع كل من أولئك المتغلبين جزءاً من رقعة بني زياد وأشهر هذه الإمارات خمس كما سيأتي :

١ ـ إمارة بني معن الحميري أسسها علي بن معن تناولت عدن ولحجاً وابين والشحر وحضر موت عاصمتها عدن .

٢ ـ بنو الكرندي الحميري من أولاد أبيض بن حمال الماربي الصحابي أسسها يعفر بن أحمد الكرندي عاصمتها (ذي جبا) من المعافر المتصلة بأصل جبل صبر بما يعرف الآن بالمسراخ ويتصل بها سهل جبل السواسع وقد تناولت دولتهم السمندان والدملوه وجبل صبر ومخلاف الجند والمعافر الحجرية .

٣ ـ إمارة بني التبعي الحميري مؤسسها أبو عبد الله الحسين التبعي تناولت بعدان والشعر والسحول والشوافي وحصن انود ، عاصمتهم كانت بالشعر .

٤ ـ بنو وائل الحميري من ولد ذي الكلاع الحميري عاصمتهم وحاظة من مخلاف إب .

٥ ـ بنو المناخي الحميري على الجند ومذيخره والعدين ومنهم جعفر بن محمد بن ابراهيم بن محمد ذو المثلة لأنه قطع على حجر في مذيخره ثلاثمائة يد ، وبه سمي مخلاف جعفر لا بجعفر صاحب ابن زياد .

وكانت هذه الإمارات الخمس من أواخر القرن الرابع إلى أن قضى عليها التبع الصليحي .

٢ ـ دولة بني يعفر الحميريين من عام ٢٢٥ ـ ٣٩٧ هجرية :

عاصمتهم (شبام) أسفل جبل ذخار المطل عليها قصر كوكبان في الماضي ، أول هذه الأسرة عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي من ذرية ذي الحوال الحميري ، كان نائباً بصنعاء عن جعفر بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد واليمن ولما توفي عبد الرحيم قام إبنه مقامه وهو يعفر بن عبد الرحيم ويعد يعفر رأس الدولة اليعفرية ومؤسسها وواضع حجر استقلالها ، وكان يداري بني زياد وكانت بداية استقلاله عام ٢٤٧ وقد استقر ملك صنعاء في خلفائه إلى سنة ٨٣٧ هـ إلا في فترات قصيرة كما امتد نفوذ الدولة اليعفرية في بعض الأوقات إلى حضر موت كما كانت لهم غزوات إلى تهامة وحدود نجد وتناولوا في فترة الحكم في مكة كما كان عصرهم عصر الغرايب والأحداث الجسام في اليمن وقد اعتبرنا بدايتهم من عبد الرحيم بن إبراهيم وهذه أسماء من ملك منهم على التعاقب .

١ ـ عبد الرحيم بن ابراهيم من عام ٢٢٥ ـ ٢٤٧
٢ ـ يعفر بن عبد الرحيم من عام ٢٤٧ ـ ٢٥٩
٣ ـ محمد بن يعفر من عام ٢٥٩ ـ ٢٧٩
٤ ـ إبراهيم بن محمد بن يعفر من عام ٢٧٩ ـ ٢٨٥
٥ ـ يعفر بن ابراهيم مدة قصيرة
٦ ـ عبد القادر بن أحمد بن يعفر دون عام
٧ ـ اسعد بن إبراهيم بن محمد بن يعفر من عام ٢٨٦ ـ ٢٨٨
فترة التبع علي بن الفضل الخنفري الحميري من عام ٢٨٨ ـ ٣٠٣
اسعد بن ابراهيم مرة ثانية من عام ٣٠٣ ـ ٣٣٢
٨ ـ محمد بن ابراهيم من عام ٣٣٢ ـ ٣٥٢
٩ ـ عبد الله بن قحطان من عام ٣٥٢ ـ ٣٨٧
١٠ ـ أسعد بن عبد الله بن قحطان من عام ٣٨٧ ـ ٣٩٣

هؤلاء ملوك بني يعفر ، وفي الوقت الذي كان فيه اليعافرة يحكمون صنعاء وشباماً كان نفوذهم يمتد إلى حضر موت وبقية اليمن حيناً ويتقلص

أحيانا ، بينما آخذ نفوذ بني زياد يتقلص ، وانحصر في أيام أبي الجيوش اسحاق والحسين بن سلامة على تهامة ، وكان من صنائع بني يعفر أمراء الإمارات الخمس بنو معن وبنو الكرندي وبنو التبعي وبنو وائل وبنو المناخي وكلهم حميريون مرتبطون باليعفريين كارتباط آل الضحاك سلاطين حاشد وآل الدعام سلاطين أرحب وآل أبي الفتوح سلاطين خولان وكذلك سلاطين جنب . وقد طرأت ظروف تنافر فيها آل الدعام والضحاك مع آل يعفر ، وظروف اشتد النزاع واستمر القتال بين بني يعفر والموالين لهم من جهة وبين الإسماعيلية تارة والهادوية تارة ، سيما في أيام أسعد الذي هزم الهادي أخيراً وأسر ابنه المرتضى محمد في (أثوه) من أرحب . كما تغلب في النهاية على علي بن الفضل ، وقد كان قدوم الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن في أيام ابراهيم بن محمد ٢٨٠ هـ ثم عاد إلى الرس ثم استدعاه الشيعة وفي مقدمتهم أبو العتاهية سلطان بني حشيش ، فعاد إلى صعدة عام ٢٨٤ هـ وقد صحبه في هذه الهجرة أعيان آله وأصحابه وقد وصل إلى صنعاء ولكنه بعد مقتل أبو العتاهية ومنازلة أسعد اليعفري وأسر ابنه عاد إلى صعدة واتخذها عاصمة واهتم بترسيخ أقدامه في مخلاف صعدة وما جاورها وقد نجح في ذلك .

وهذا الإمام يعد من أعلام الأئمة العلويين وهو الذي أسس الدولة الرسية في اليمن ، ومن نسله معظم الأئمة الفاطميين في اليمن إذ مبلغهم ثلاثة وسبعون منهم ستون من نسل الهادي يحيى بن الحسين . وقد ظل هؤلاء الأئمة يعارضون الدول اليمنية سبع مائة عام وأربعة وستين عاماً من عام مائتين وأربعة وثمانين إلى عام ألف وخمسة وأربعين هجرية ، ثم خلصت الدولة في اليمن للأئمة الرسيين العلويين إلى عام ألف وثلاثمائة واثنين وثمانين هجرية ما عدا فترة الاحتلال العثماني التركي الأخير كما سيأتي .

وفي عهد ابراهيم بن محمد بن يعفر قدم إلى اليمن الداعيتان الاسماعيليان علي بن الفضل الخنفري الحميري وأبو القاسم المنصور حسن بن حوشب من الكوفة ، وقبل أن نتكلم عنهما يجب طرق الإمامة الزيدية والمذهب الزيدي أو الهادوي على الأصح لما لهما من أثر على أحداث اليمن .

اليمن والمذهب الهادوي الزيدي
والامامة العظمى والأئمة الفاطميون

إن صلة الهاشميين باليمنيين عميقة ، تضرب جذورها إلى ما قبل الإسلام ، وما أطل الإسلام بمحياه إلا وعلى اليمنيين اعتمد الإسلام ، وعلى اليمنيين اعتمد نبي الإسلام : سيد الوجود محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلوات الله عليه ، وسمى اليمنيين أنصاراً ، وقال لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لما سلكت إلا وادي الأنصار . وإلى مدينتهم هاجر واتخذ منها عاصمة لدعوته وفيها اختار مثواه الأخير .

وفي أفياء هذا الرسول العظيم صلوات الله عليه ، نمت بين الهاشميين واليمنيين تلك الصلات الأخوية .

ويموت محمد وتلحق روحه بالرفيق الأعلى ، وقبل أن يوارى جسمه الشريف في تراب يثرب اجتمع الأنصار وأجمعوا على تعيين سعد بن عباده الأنصاري خليفة لرسول الله ، ثم يأتي إلى مجتمعهم - سقيفة بني ساعدة - أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فتدور حول الخلافة تلك المعركة الجدلية بين الأنصار اليمنيين وبين الثلاثة المهاجرين القرشيين ، وكان الحسد لسعد قد دب إلى مثل بشير وعويم الأنصاريين ، ولذلك أسفرت المجادلة عن انقسام الأنصار اليمنيين على أنفسهم ، وسقوط سعد بن عباده عن الخلافة التي كان الأنصار قد انتخبوه لها ، فتحولت من سعد إلى أبي بكر الصديق ، وقد استمر سعد متمسكا بنظريته

بخلافته معارضاً لخلافة أبي بكر الصديق وغير معترف بنظامها فلا يحضر جماعة أبي بكر ولا جمعه . وأن إيمانه بحقه في الخلافة هو الذي جعله يفارق المدينة مع أتباعه إلى الشام وهناك يموت شهيداً مغتالا .

وقد كان هناك بالمدينة علي كرم الله وجهه على رأس بني هاشم ومجموعة من بني عبد مناف والمهاجرين فيهم عمار وسلمان والزبير وفاطمة بنت محمد وعبد الله بن مسعود يرون أن علياً أحق بالخلافة ، وأخيراً وبعد موت فاطمة بايعوا أبا بكر وبذلك وبمقتل سعد بن عبادة ، تم الإجماع على خلافة أبي بكر التي كانت بدايتها كما قال عمر : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة . . . الخ .

ومن الطبيعي أن حرمان الأنصار والهاشميين ترك أثره في نفوس الهاشميين واليمنيين ، كما أن معارضتهما لأبي بكر وعمر ترك أثره في نفوس الخليفتين الصديق والفاروق صرع به سعد واختفى مثل الحباب بن المنذر وذابت شخصية علي والأنصار ، وفتح للطلقاء والمتأخرين إسلاماً والمتملقين الطريق إلى الحكم والتقرب إلى الخليفتين الصديق والفاروق ، وبرغم مثالية الصديق والفاروق التي لا تغمز . فقد نجح أولئك الطلقاء والمتأخرون إسلاما والمتملقون نجاحاً محدوداً في الظهور وغمز الأنصار وإضعاف إخاء المهاجرين والأنصار ، وبدأ مركز الأنصار وذوي السبق في التقلص إلا أن أثر هذا التحول كان كامناً تحت المثالية الصادقة المتحلى بها الصديق والفاروق ، التي هونت على الأنصار الهاشميين وذوي السبق وأبنائهم مرارة الحرمان ، والتي أمسكت بتلابيب الطلقاء والمتأخرين إسلاماً وأبنائهم من التعالي المثير ، حتى إذا ضعفت تلك اليد الماسكة أيام الخليفة الثالث عثمان رحمه الله ، فإذا بأمراض ذلك التحول تظهر ، طلقاء وأبناء طلقاء يتحكمون ويستأثرون في تعال وصلف ألهب أحاسيس المحرومين وذوي السبق وقد أصبحوا في المؤخرة ، ومنهم الهاشميون واليمنيون ، وكان ما كان من النزاع والتكتل الذي شهده القرن الأول والذي زادت حوادثه من تلاحم اليمنيين والهاشميين حولت اليمن قلعة شماء للتشيع في آل علي كرم الله وجهه .

وهذا التشيع وإن كانت مظاهره وشعار دعوته موالاة أبناء فاطمة الزهراء بنقل الحكم إليهم ، فإن الدافع إليه هو محاولة الفاطميين واليمنيين معاً التخلص من الحرمان الذي اشتركا فيه ، والذي أبعدهما عن السلطان وأقعدهما عن آداء رسالة القرآن .

وما كان الفاطميون بأشد حرصاً من اليمنيين على التخلص من هذا الحرمان المشتركين فيه الذي ربط بينهما في طريق النضال أكثر من قرنين ، وكانت الدعوة الشيعية قد أدت دورها الظاهري ، فقد شهد القرن الثالث ضعف النفوذ العباسي باليمن وقيام حكومة بني يعفر اليمنية المستقلة ورسوخ التشيع في معظم اليمن رسوخاً اجتذب إلى اليمن في نهاية القرن الثالث الإمام الهادي يحيى بن الحسين وابو القاسم المنصور حسن بن حوشب والتبع علي بن الفضل ، وقد كان على الهادي أن يضع في حسابه أن اليمن قد تخلص من الحكم العباسي وقد قامت فيه دول وإمارات مستقلة لها وجودها وقاداتها ومفكروها وأتباعهم كلهم ذاقوا حلاوة الإستقلال والحكم بعد طول الحرمان من تلك الحلاوة ، وكانوا إلى قبل قدوم الهادي وابن حوشب وابن الفضل لا يرون في التشيع خطراً فتركوه يؤدي نشاطه ويجتذب إليه الرعيل إثر الرعيل والقبيل إثر القبيل .

فكان على الهادي في هذه الظروف وقد رسخ التشيع أن يبدأ دوراً جديداً يشعر فيه اليمنيون والفاطميون بالإخاء الذي يضمن مصالحهم واستقلالهم جميعاً ، ويجعل من كل منهم أهلا للرئاسة العظمى والحكم ، لا أن يأتي بدعوة يربط بها نفسه وخلفه تجعل من الفاطميين سادة حكاما ومن غيرهم تابعين محكومين .

ولقد لاحظ قادات الدعوة الإسماعيلية هذه الناحية في دعوتهم فلم يأتوا في نظامها الإمامي بما يسلب دائماً أتباع الدعوة حق الوصول إلى قمة الحكم والسلطة بل اكتفوا بعدد من الأئمة الفاطميين منحوهم بعد موتهم هالات من التقديس والعصمة مضافة إلى ألغاز ومعميات حولهم وحول الإمام المستور المنتظر . وحول أصول المذهب الإسماعيلي وهذه الألغاز والمعميات هي كالإمامة

في المذهب الهادوي كلاهما كان سبب تعثر الدعوتين وانحصارهما .

ويقدر ما ارتبط ابن حوشب والهادي بالدعوتين ، تسرع ابن الفضل في انطلاقته من قيود الألغاز الإسماعيلية إلى التحرر والواقعية .

وإن مما يثير الإستغراب عدم إدراك الهادويين لما تحمله دعوة حصر الإمامة في الفاطميين من مشاكل عليهم وعلى الدعوة وعلى المجتمع ، وما كان كل الهادويين بالجامدين والمتحجرين الذين لا يتجاوز نظرهم أهدابهم ، وتفكيرهم آنافهم ، فقد نبغ من هذا البيت الفاطمي الرسي ، شخصيات لهم ثقلهم العلمي ، ومن حق التاريخ أن يعترف بعباقرتهم بما كانوا عليه من كمال واستقامة ورجولة وأثر علمي ، إن منهم من برز في الناحية العسكرية والسياسية وهم مجموعة يمثلهم المطهر بن شرف الدين وسيل الليل المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ومنهم من له القدح المعلى في القيادة والتأسيس والناحية الاجتماعية كالهادي يحيى بن الحسين وعبد الله بن حمزة والقاسم بن محمد وابنه المتوكل إسماعيل ، ومنهم من جلى في البحوث العلمية والفكرية والتشريعية كالمهدي أحمد بن يحيى ، ومحمد بن إبراهيم الوزير والجلال ومحمد الأمير .

ولقد كان الهادي يحيى بن الحسين مثلا لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه ، مترفعاً عن الأهواء وسفاسف الأمور وعن المتع ، شجاعا في المعارك والأهوال وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعو إليه ، معتدلا حتى مع أعاديه ، لا يمنعه ترفعه بنسبه عن تزويج بناته بالقضاة الطبريين الفارسيين ، وأنه لمؤسس دولة ، ومؤسس مذهب ، ربط بينهما بقاعدة الإمامة الضيقة فاخطأ ، وعلى الدولة والمذهب جنى ، إذ قيد الدولة والمذهب من الإنطلاق الذي كانا مهيئين له لو تخلصا من هذا القيد فالدولة ذات عناصر قوية أضعفها عنصرية الرئاسة ، والمذهب ذو أنظمة اجتماعية واقعية جذابة ، نفر منه ربطه بالإمامة المتحجرة الضيقة .

وقد كان الامام زيد بن علي أبعد نظرا من الهادي ، فقد أبى أن يأخذ بنظرية حصر الخلافة على أبناء جدته فاطمة الزهراء ثم يربط بهذه الإمامة مذهبه . ويبني عليه دعوته ودولته .

إن الدولة والمذاهب الهادويين لعلى جانب من المتانة ، إنها دولة لها عناصرها القوية أضعفها تعنصر رياستها ، وإنه لمذهب ذو نظم اجتماعية متحررة محكمة متفتحة نفر منه ربطه بالإمامة المتحجرة .

إن المذهب الهادوي ، أو الزيدي كما يشاع أقوى المذاهب الإسلامية فيما أرى ، وأكملها بقوانين المعاملات والعلاقات والحياة وأوضحها تمشيا ولصوقا بالروح الإسلامية التي أعطت الحياة متطلبات نموها وانسجامها ، فلو سلم المذهب الهادوي من كبول الإمامة لكان له منطلق واسع في طول الأرض وعرضها .

إنه مذهب واقع وحقائق لا خيالات وأوهام ، ولا تصورات شاطحة وأحلام ولا مذهب ألغاز ومعميات ، ولا مذهب كرامات أولياء ، ومعجزات وعصمة أئمة ، ولا مذهب واسطة بين العبد وربه إلا عمل العبد وإيمانه . إنه مذهب عبادات إلى جانب معاملات بلغت قوانينها من الدقة الفقهية والتشريعية ما لم تبلغه أدق القوانين المعاصرة شمولا وقبولا للتطور وتقبل كل جديد صالح أنه مذهب دين ودنيا ، وإيمان وعمل ، وجد ونشاط وعدل وإيثار ، وجهاد واجتهاد ، فيه الإنسان مخير ، لا مكلف لما فيه الطاعة لله والمصلحة لعباده ، مذهب يدعو إلى التحرر الفكري وإلى التعمق في العلوم النافعة ويحرم التقليد في العقائد والقواعد العلمية الدينية ، ويوجب الإجتهاد على ضوء القرآن والسنة في العبادات والمعاملات ، ويدعو إلى القوة والتضحية ويفرض الطاعة والنظام والتعاون كما يفرض الخروج على أئمة الجور والثورة على الظلم الاجتماعي والطغيان الفردي ، ولا يرضى لأتباعه بالمذلة والكسل . ولا بالخضوع والاستسلام لغير الله وما شرعه ، مذهب يحترم السلف في حدود أنهم من البشر عرضة للنقد بما فيهم الصحابة وأبناء فاطمة فأفراد الفاطميين كالصحابة فمنهم كغيرهم محسن وظالم لنفسه مبين ، خلا أن نظرة تحجر الإمامة تعكس هنا وَهَناً على المذهب الهادوي فإذا بالهادويين يستثنون من قاعدة شمول نقد الأفراد والجماعة ، عليا وفاطمة والحسنين رضي الله عنهم فيقولون أنهم معصومون كالأنبياء ، وإن إجماع الأربعة بعد موت محمد حجة كما أن اجماع علماء أبنائهم

أيضا حجة لأنهم هم وحدهم (آل محمد) من بين أمة محمد واجماع الآل حجة كما أن عليا عليه السلام معصوم وقوله حجة كحجة الكتاب والسنة والاجماع ، وهذا الضيق الفكري غير المعتاد في المذهب الهادوي جر إليه القول بحصر الامامة في الفاطميين أن المذهب الهادوي قوي متحرر ما ابتعد عن الإمامة وتدخلها .

وذو أسس راسخة ، مذهب فيه الرياسة العليا (المعبر عنها بالإمامة) ليست ملكا يرثها الأطفال والاجنة والمترف ومن ينشأ في الحلية وهو في الصراع والخصام غير قوي ولا مبين ، ولا يتناولها الابناء من الأباء والأقارب ميراثا هينا لينا ولا بوصاية من سلف لخلف ولا بولاية عهد ؛ وإنما هي رئاسة يتناولها الكفو القوي العادل الشجاع المقدام السخي العالم المجتهد السياسي المفكر أكثر رأية الإصابة (الفاطمي) يتناولها من الشريعة فور موت إمام فاطمي مثله ، أو خلو زمنه من إمام مثله ، وما على هذا الخلف الجامع الشروط إلا أن يعلن نفسه رئيسا وإماماً ، وما على الأمة بعد إعلانه نفسه إماما إلا وجوب طاعته ومناصرته ما استمر عادلا قديراً على أداء مهمته ولو هناك غيره أفضل منه فإن انحرف قومته الأمة فإن أبى من الإستقامة وجب على الأمة عزله ومن هنا نعرف أن الإمام لا يتعين بالوراثة ، ولا بولاية عهد ، ولا يتوقف ثبوت الإمامة على انتخاب واختيار ذوي الحل والعقد فإن إعلان الشخص المستجمع الشروط كاف في إثبات إمامته عند خلو زمنه من إمام ، هذا هو المذهب الزيدي وعلى الأصح الهادوي فالإمام زيد لا يقول بحصر الإمامة ، وأنه لمذهب ، نحن والمعتزلة والمتحررون المسلمون من قيود المذاهب السياسية نقدر هذا المذهب الهادوي لأنه هو الإسلام في جوهره وقوته وروحه الإنسانية الأممية ، إلا في حصر الإمامة العظمى والرئاسة العليا ، فلا نحن ولا مفكر ولا تعاليم الإسلام الصحيحة تقبل هذا الإحتكار الذي بقيوده تعثر المذهب الهادوي وتقوقع في مجموعة محصورة ، وفي منطقة ضيقة ، وكم كنا نود لو أن مثل الهادي يحيى بن الحسين والمنصور القاسم بن محمد خرجوا من هذه الدايرة الضيقة التي جنت عليهم وعلى أسرتهم قبل الجناية على اليمن لقد غرست هذه النظرية الضيقة في نفوس إخواننا

الفاطميين الشعور بأنهم متيمزون عن الآخرين غير مؤمنين بالمساواة رغم أنها من جوهر الإسلام وبهذا أصبحت صلتهم باخوانهم المسلمين هي صلة السيد والمسود ، سيد فاطمي يرى أن سيادته وسيادة أسرته قدر مقدور من لوازم ماهيته بل من مكوناتها ، ويرى أن الإمامة أخت النبوة لا تنال بالكسب والسعي والكفاءة ما لم يكن مع الجد والكفاءة عنصر النبوة .

فكل مؤهلات ينالها أي إنسان في العالم ترفع صاحبها إلى قيادة البشر إلى السعادة وإنقاذها من الجور والجهل والفقر والمرض والفوضاء وعبادة الطاغوت لا حق لهذا الإنسان أن يكون رئيساً وإماماً يقتدي به وتلتف الأمة حوله ولو أجمع الثقلان على رياسته وإمامته إلا إذا كان من أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها إنها نظرية لا يهضمها ذوق ولا تنتشر معها دعوة ولا مبدأ ، إلا في مناخ مريض بالفساد والأوهام ، موبوء بالفقر والجهل والإضطهاد ، كالظروف التي كانت تعيش فيه الأمة أيام يزيد بن معاوية ويحكم فيه بالجبروت الطلقاء وأبناء الطلقاء في العهد الأموي ، وخلال الحكم العباسي الإنحرافي ، وأيام تطلع اليمن إلى التحرر من الحرمان الذي كان يشمل اليمنين والفاطميين .

إن التمسك بهذه النظرية كما جنى على المذهب الهادوي فقد صير الأسرة الفاطمية في اليمن شبه معزولة عن الأمة .

وهل من الحكمة أن يستمر إخواننا الفاطميون متمسكين بتلك الفكرة التي يعلنها أحد أعلامها الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في هذه القطعة الشعرية :

ما قولكم في مؤمن قوام	موحد مجتهد صوام
حبر بكل غامض علام	وذكره قد شاع في الأنام
لم يبق فن من فنون العلم	إلا وقد أضحى له ذا فهم
وهو إلى الدين الحنيف ينتمي	محكم الرأي صحيح الجسم
وماله أصل إلى آل الحسن	ولا إلى آل الحسين المؤتمن
بل هو من أرفع بيت في اليمن	قد استوى السر لديه والعلن

ثم انبرى يدعو إلى الإمامة ... لنفسه المؤمنة القوامة

ثمت أجرى بالقضاء أقلامه ... ونفذت أسيافه أحكامه

وقطع السارق والمحاربا ... وسل للعاصين سيفا قاضبا

وقاد نحو ضده المقانبا ... وبث في أرض العدا الكتائبا

ما حكمه عند ثقاة الفضل ... لما تناآء أصله من أصلي

ولم يكن من معشري وأهلي ... أهل الكسا موضع علم الرسل

أما الذي عند جدودي فيه ... فينزعون لسنه من فيه

ويؤتمون جهرة بنيه ... إذ صار حق الغير يدعيه

يا قوم ليس الدر قدراً كالبعر ... ولا النضار الأبرزي كالحجر

كلا ولا الجوهر مثلٌ للمدر ... فحاذروا في قولكم مس سقر

حمداً لمن أبدنا بعصمته ... واختصنا بفضله ورحمته

وصير الأمر لنا برمته ... من كل من أظهر من بريته

صرنا بحكم الواحد المنان ... نملك أعناق ذوي الإيمان

ومن عصانا كان في النيران ... بين يدي فرعون أو هامان

العلم في آل النبي من صغر ... نص عليه جدهم خير البشر

وغيرهم ليس بمغنيه الكبر ... لو شاب شعر رأسه أو انتثر

إنها قطعة تحكم على نفسها والمتمسك بها بالعزلة إنها دعوة إن انطلت على مجموعة من الأتباع وانداحت في دائرة ضيقة من الدهماء ، فقد جنت على القايل بها وأسرته ودعوته وأبعدت الدعوة عن التطور والتوسع وعن مساندة ذوي الرؤ ى والشأن في مجتمعها .

ولم نورد أرجوزة الإمام عبد الله بن حمزة رحمه الله إلا لنبين أن التمسك بهذه النظرية العتيقة في الإمامة هي التي أضرت بالمذهب الزيدي القوي التشريع وأضرت بالمؤمنين بها ، وقد عارضها منذ القدم بعض أعلام من العلويين والزيدية وأخيرا وقف في وجهها أبو الثورة أحمد المطاع والموشكي وغيرهما ولذا ما كادت تستقر الجمهورية إلا وبدأت تتبخر هذه النظرية العتيقة في الإمامة ولم يعد علماء الزيدية الأفاضل من الهاشميين وغيرهم يؤمنون بها ولا يصرون عليها ،

ومن هنا فلم نأت بأرجوزة الإمام عبد الله بن حمزة إلاللعظة التي تعطينا أياها تلك الأرجوزة من الماضي الذي انطوت صفحته المفرقة لنفتح صفحة جديدة نقية يسجل فيها اليمنيون جميعاً مبادىء حياة الأخوة والمساواة والمحبة الإسلامية الصحيحة ، ومع هذا فإنا نعذر الفاطميين الأولين في إثارة هذه الدعوة الضيقة ، وفرض طاعة الامام لمجرد إعلانه نفسه إماماً لا طريق الانتخاب .

فقد دفعهم إلى هذه الدعوة ذلك الحرمان الذي أبعدهم عن الحكم منذ مات محمد عليه الصلاة ، وساموا الانتظار مع إخوانهم بقية الشيعة لخروج الإمام المستور المنتظر من اختفائه فدفعهم ذلك السأم وخلو زمنهم عن إمام منهم إلى القول بأن مجرد إعلان الفاطمي الجامع شروط الإمامة نفسه إماما كاف في ثبوت إمامته ووجوب طاعته .

هذه هي الدوافع لتلك الدعوة وذلك الإعلان ، وهي عوامل مؤقتة انتهى أثرها في أواخر القرن الثالث هجرياً فالحكم العباسي قد وهن وأصبح في اليمن والجزيرة في شبه المفقود لا يتجاوز وجوده الدعاء للخليفة العباسي بخطبة الجمعة في بعض اليمن وأصبحت اليمن مستقلة إدارياً تحكم فيها عدة أسر كلها ما عدا بني زياد يمنية حميرية أو كهلانية ، لا يرون في التشيع خطراً حينذاك على سيادتهم واستقلالهم يرون أنها دعوة تجعل من أبناء الزهراء مرشدين وهداة لاحكاماً جباة ، فكان من الحكمة للهادي وأسرته وقد رسخت دعوة التشيع أن يتخلوا عن تحجر الدعوة فإن الهادي لم يصل إلى اليمن إلا والدعوة الشيعية قد رسخت في اليمن تساندها عشائر قوية ترمي من ورائها إلى التخلص من الفوضى المتمثلة في تعدد الحكام والتحرر من بقية التدخل الأجنبي المتمثل في دولة بني زياد ، وكانت اليمن وقد استقلت تتطلع إلى الإسلام ، وكانت تلك العشائر القوية ، ترى في الهادي أخا وهاديا ومصلحا ومربياً ، جديرا بالقيادة الكبرى التي تحقق آمال اليمن في الوحدة وتبوء قيادة العالم الإسلامي .

ولقد كان في وسع أمثال الهادي والقاسم وابنه إسماعيل لو عدلوا عن دعوتهم الضيقة ـ أن ينطلقوا باليمن وبأنفسهم إلى آفاق واسعة تُعَاد في جناحها

الإمبراطورية الإسلامية كأعظم ما يكون (وتصبح أقوى مما كانت عليه في العهد الأموي) ولا مبالغة ـ إذ كل عناصر هذا البناء كانت إذ ذاك متوافرة دعوة إسلامية صحيحة يمثلها المذهب الهادوي خير تمثيل إذا جردنا منه مسألة الإمامة (فزعامة على الكفاءة قايمه ، شعب يمني يتطلع إلى ما وراء السماك ماضيه الحضاري الذي طالما حنت لإسترجاعه النفوس اليمنية) .

واليمن الذي على يد أبنائه انتصر الإسلام وقامت الإمبراطورية الأموية ثم بيد أبنائه هزت تلك الإمبراطورية وهوت ، وبقوة دعاته وسواعد فتيانه زلزلت الدولة العباسية وقامت الدولة العبيدية الفاطمية ، فكيف تكون اليمن وقد توفرت في داخلها كل العناصر التي على مثلها إذا تجمعت واستغلت ، تستعاد القوة الإسلامية ، مذهب هو كما أراد الإسلام في عدله وقوته وصفائه وواقعيته ، ورياسة لا ترضي إلا القوي العادل الشعور بمسؤوليته ، الحريص على أداء واجبه المقدام غير الهياب ، زعماء لهم قيمتهم القيادية والروحية ، وظروف كانت تتطلب كالهادي والقاسم وابن حمزة والمطهر وأبيه لو لم يكونوا مصابين بمرض تحجر الرئاسة ، وأنها حق خاص بأبناء فاطمة الزهراء فرضها الله على كل برئيسة أجرة لمحمد مقابل أداء رسالته .

إنه أمر ينفيه محمد ولا تقره دعوته التي جاءت لتحرر الإنسانية من العبودية لغير الله .

إن هذا التحجر الضيق هو الذي طعن المذهب الهادوي أو الزيدي في دماغه فأضعف جهازه العصبي من بث تعاليم المذهب القيمة ، وهذا التحجر هو الذي جعل مفكري اليمن وقد اجتاحته دعوة التشيع يعدلون عن المذهب الهادوي إلى المذاهب الشيعية الأخرى كالإسماعيلية برغم غموض تعاليمها وانغلاق أصولها ، إلا أنها دعوة لا تحمل في طياتها عقيدة تقضي على استعداد الإنسان للنمو الارتقاء إلى الكمال الذي يجعل من صاحبه رئيساً لأمته ومنقذاً لمجتمعه ، وإماماً ومتبوعا .

إن هذا التحجر في الزعامة هو الذي جعل من اليعفريين وآل الدعام

الأرحبيين ، وآل الضحاك الحاشديين ، وآل أبي الفتوح الخولانيين ، وأمثالهم من أهل الاجتهاد جعل منهم أضداداً للدعوة الزيدية ، كما جعل هذا التحجر كل القوى اليمنية ضد المذهب الزيدي كآل حاتم ، وآل الغشم ، والخطاب وآل زريع ، والصليحيين والياميين والهمدانيين وغيرهم ممن مالوا عن الزيدية إلى الإسماعيلية .

إن هذا التحجر هو الذي وقف حجر عثرة في طريق انتشار المذهب الهادوي وتحقيقه الوحدة اليمنية وامتداد نفوذه في اليمن نفسها وفي خارج اليمن والجزيرة العربية وإلى حيث كان مقدراً له أن يبلغه بقيادة الروح الإسلامية الصافية الناصعة في المذهب الزيدي لو تخلى الهادي وأمثاله من عظماء الرسيين عن فكرة الإمامة الضيقة المنفرة .

إنهم لو تخلوا عن هذا الاحتكار لكان لهم شأن يجعلهم في مصاف عظماء المسلمين ، ولكان العالم الإسلامي والعربي غير عالمه المشاهد المشوه الممسوخ المنحل المنقسم إلى أحزاب وأذناب لا يعرف حتى كيف يقلد ، انحطاط جر العرب والمسلمين إليه انحراف الطلقاء وأبنائهم الذين مسخوا الروح الإسلامية ، وأقصوا الأكفاء من العلويين واليمنيين وأبناء المهاجرين والأنصار وذوي السبق والعارفين بالإسلام وروحه مما أثار غضب اليمنيين والعلويين على سواء ، وفتح للحاقدين على الإسلام والعرب أن يتحكموا في الإسلام وأمته وينحرفوا بالإسلام عن هديه الصحيح ثم يجروا أمة الإسلام إلى مهاوي الأوهام والخرافات والجبن والوهن والتمزق وإلى قيادة علماء وملوك يمثلون الجهل والجمود ، ساق العالم الإسلامي والعربي إلى الحضيض الذي نعيش فيه .

وبعد هذه المواعظ والعبر نرجو من إخواننا الفاطميين أن يشاركونا في نظريتنا فنهب جميعاً إلى إذابة التحجر في الإمامة ونقف معاً على مستوى الإخوة العربية الإسلامية ونمد بإيمان سواعدنا المتضافرة لتدعيم الجمهورية العربية اليمنية لتتقدم نحن وهم والجمهورية في ظل المبادىء الإسلامية الصحيحة ، عسى نحقق ما لم تحققه أوائلنا الذين منهم الهادي وعلي محمد الصليحي ، وعن الهادي

نتحول إلى زميليه في تاريخ القدوم إلى اليمن أبو القاسم المنصور حسن بن حوشب ، وعلي بن الفضل الحميري .

الملك علي بن الفضل الخنفري

وقد تمكن ابن الفضل من التغلب على معظم اليمن فضيق الخناق على الهادي في صعدة وخضع له أسعد اليعفري وفر منه من زبيد بن زياد وامتدت غزواته إلى حضر موت ، ثم تحول تفكيره من الإسماعيلية إلى دعوة تهدف إلى وحدة اليمن والقضاء على الدعوات المذهبية مما أثار علي بن الفضل الزيدية والإسماعيلية والمجتهدين اليعفريين والزياديين فأثاروا ضده دعاية راجت بين الدهماء وامتدت إلى اليوم وهي لا وجود لها ولا يقبلها الذوق وبموت ابن الفضل تنفس أولئك الأعداء الصعداء فعاد أسعد إلى ملك صنعاء ومعظم اليمن ، وابن زياد عاد إلى حكم زبيد وتهامة ، وسنحت الفرصة للإمام الناصر أحمد بن الهادي في تثبيت سلطة الزيدية في صعدة وما جاورها وشن الغارات على الإسماعيلية وغيرهم ، وقد قيل أنها وصلت غزواته إلى عدن ، أما أبو القاسم المنصور حسن فقد اقتنع ببسط نفوذه على مسور حجه ومخلاف حجه والشرفين والمحويت وبعض المغارب ، ونشر الدعوة الإسماعيلية إلى أن مات عام اثنين وثلاثمائة فخلفه في الدعوة عبد الله الشاوري الهمداني الذي قتله ابن المنصور فخلفه ابن الطفيل ثم ابن خفتم ثم يوسف بن أسد الشبامي ثم سليمان بن عبد الله الزواحي الحميري الذي استخلف علي بن محمد الصليحي ، وفي أيام أسعد بن ابراهيم قدم من البصرة إلى حضر موت عام (٣١٨) العلوي المهاجر بن أحمد بن عيسى ، وفي أواخر الدولة اليعفرية أيام أسعد بن عبد الله بن قحطان قدم إلى اليمن القاسم العياني عام (٣٨٩) وقد انتهت الدولة اليعفرية بموت أسعد بن عبد الله عام (٣٩٣) ولم يبق لهم إلا إمارة في كحلان عفار حجة ، وبانتهاء دولة بني يعفر أصبحت اليمن ريشة في مهب الرياح انطلقت فيها الدعوتان الإسماعيلية والزيدية في قوة اجتذبتا الجماهير فإذا بالدعوة الزيدية تقتحم الفواصل وتزحف من مخلاف صعدة إلى مخلاف صنعاء وغيره كما تسربت

الدعوة الإسماعيلية إلى المغارب تستأسر المجتمعات وتتفشى هنا وهنا ويتكون نجاح ليرث آل زياد .

امارة آل نجاح المماليك من سنة ٤٠٣ ـ سنة ٥٥٥

تكلمنا عن دولة بني زياد وعلم أنها لم تكن حكومة وطنية بل جاءت إلى اليمن من بغداد ، وقد كان اعتمادها على العبيد الذين اتخذت منهم الجنود وجباة الأموال ، فلما ضعف رجال آل زياد تغلب أولئك العبيد وكان الحسين بن سلامه النوبي أحد موالي بني زياد ممن وصل إلى الحكم وكان يحترم الأسرة الزيادية وعرف بالصلاح والإصلاح وقد استخلف عبده مرجان لإدارة البلاد ورعاية الملك الطفل الزيادي ، وكان لمرجان عبدان ، نفيس ، ونجاح ، أسند إلى نفيس أمور داخليته وكان يميل إليه ، وأسند إلى نجاح أعمال تهامة وإداراتها ، فاختلف العبدان نفيس ونجاح وجرت بينهما عدة معارك تغلب فيها نجاح فقتل نفيساً ومولاه مرجان ، ودخل زبيد واستتب له الأمر بتهامة وكان حازماً شافعياً ، وقد حكم من سنة (٤٠٣) إلى سنة (٤٥٢) تاريخ موته ، وقيل إن علي بن محمد الصليحي قتله بالسم ، وكان أولاده لم يبلغوا الكمال فقام بالأمر مولاهم كهلان سنة (٤٥٥) تاريخ زحف علي بن محمد الصليحي إلى تهامة واستيلائه عليها ، ففر آل نجاح إلى جزيرة (دهلك) إلى سنة (٤٥٩) وفي هذه السنة قتل علي بن محمد الصليحي وعاد سعيد بن نجاح إلى زبيد ثم أخرجه منها الملك المكرم الصليحي سنة (٤٦١) وما زال آل نجاح خارج اليمن إلى سنة (٤٧٦) ثم عادوا إليها بقيادة سعيد بن نجاح واستمروا بها إلى سنة (٤٨١) تاريخ مقتل سعيد واستيلاء الصليحيين على زبيد ، ولكن احتلال الصليحيين لم يطل ، فقد عاد جياش بن نجاح إلى زبيد سنة (٤٨٢) وكان جياش حازماً شاعراً عالماً ، له المفيد في تاريخ زبيد ، وهو غير مفيد عمارة ، وقد استمر في إمارة تهامة إلى سنة (٤٩٨) تاريخ موته ، فخلفه ابنه فاتك بن جياش إلى سنة (٥٠٣) ، ثم منصور بن فاتك إلى سنة (٥٢٢) وقد ساندت منصوراً الملكة السيدة أروى بنت أحمد على الخارجين عليه من أسرته ، ثم

خلفه ابنه فاتك بن منصور إلى أن مات سنة (٥٣١) فخلفه ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك إلى أن قتل سنة (٥٥٣) وقد انتهت هذه الإمارة على يد التبع علي بن محمد الرعيني الحميري .

امارة الدعام بن ابراهيم بن أرحب سنة ٢٦٥ هـ

كان الدعام الكبير أرحب وسيد همدان في عصره وكانت له مكانة عند الملك محمد بن يعفر وكان يسكن بلاد الجوف فلما قتل ابراهيم بن محمد أباه محمداً وعمه أحمد بن يعفر قدم الدعام على ابراهيم معزياً وعاتبه على قتل أبيه فلطمه ابراهيم ثم إن ابراهيم ندم واعتذر لغير جدوى فقد ثار الدعام على ابراهيم واجتمعت له بكيل كلها وصادف أن غلام أبي يعفر ابراهيم بن محمد قتل محمد بن الضحاك سلطان حاشد فغضبت له حاشد واتحدوا مع الدعام على محاربة أبي يعفر فجرت بينهم معارك قضت على نفوذ ابراهيم واستولى الدعام على جميع بلاد آل يعفر إلى عدن ودخل صنعاء وعظم أمره ولم تطل مدة إمارته فقد أرسل الخليفة العباسي إلى اليمن (جفتم) بن الحسن نصرة لآل يعفر ففر الدعام من صنعاء ثم اتفق مع الهادي وانضم اليه علي بن طريف والإسماعيلية وبقيت صنعاء والشمال بين تجاذب حتى تغلب ابن الفضل ثم استقر الأمر لأسعد بن ابراهيم بن محمد بن يعفر في صنعاء وما حولها ومعظم اليمن وتغلب الناصر احمد على صعده إلى آخر ما أشرنا إليه بينما تركز بنو الضحاك في حاشد وريدة .

امارة السلاطين آل الضحاك سنة ٢٦٥

كانت الرئاسة على همدان من أواخر القرن الثالث للسلطان محمد بن الضحاك بن العباس بن سعيد بن قيس بن أبي معيد بن حمزة الهمداني ثم من بعده لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك ثم لأبي حاشد بن العباس بن الضحاك ثم ليحيى بن أبي حاشد ثم لأبي حاشد الذي قتله علي بن محمد الصليحي سنة (٤٥٣) مع ألف من همدان بمعركة قرية صوف ببازل من بني

مطر وكانت عاصمة آل الضحاك ريدة ونازعوا الرسيين واليعفريين وقتلوا الإمام المختار بن الناصر الرسي سنة (٣٤٥) بريدة كما نازعهم أبو الفتوح الخولاني الحميري وكان لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من المعتزين بهم ومن محاسنهم ومفخرة عصرهم شاد بهم وبالدعام .

امارة آل أبو الفتوح الخولاني القضاعي الحميري

(سنة ٣٤٥)

كان الأسمر يوسف بن أبي الفتوح رئيس خولان العالية أغضبه الوضع بمخلاف صنعاء فأعلن ثورة عارمة على بني يعفر وبني الضحاك ، وقد أجمع عليه آل الضحاك وآل يعفر بقيادة مولى بني يعفر وردان وجرت بينهم معارك شديدة في خدار وغيرها هزمهم فيها أبو الفتوح وقتل من همدان كثيرين سنة (٣٥٠) تاريخ موت وردان الذي خلفه أخوه (سابور) فنقل سابور المعركة إلى خولان فلم يظفر فعاد الضحاك إلى صنعاء واتجه سابور إلى ذمار فاعترضه أبو الفتوح وقتله بنقيل بكيل يسلح سنة (٣٥١) وقد اتفق أبو الفتوح مع الملك عبد الله بن قحطان اليعفري واحتلاً صنعاء واستمر الصراع الذي كان أبطاله بنو الضحاك وبنو يعفر وآل أبو الفتوح والرسيون العيانيون والهادويون والشريف قاسم الزيدي وقد مات أبو الفتوح فخلفه ابنه أسعد بن يوسف الذي دخل صنعاء وأخرج منها بني الضحاك والإمام يوسف بن يحيى الناصر وكان أسعد رئيس القواد والذين قادوا حملة التبع عبد الله بن قحطان اليعفري واحتلوا زبيد سنة (٣٧٧) وخطبوا للعبيديين وما زالت الحال في ارتجاج واضطراب لا يستقر معها حكم إلى أن ظهر علي بن محمد الصليحي .

دولة الصليحيين الهمدانيين ووحدة اليمن من عام

(٤٣٩ ـ ٥٣٢)

شهدت اليمن في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس تفرقا مريعاً ونزاعا مريراً وفوضى ضاربة دعت الطامعين في الحكم والسلطان إلى أن يحثوا رواحلهم إلى اليمن فقدم القاسم العياني الرسي عام (٣٨٩) من الحجاز وكذا الشريف قاسم بن حسين الزيدي والشريف أحمد بن أبي البركات الرسي ، كما قدم من فارس الإمام أبو الفتوح الديلمي وغيرهم من العلويين فزادوا الطين بلة والوضع بلبلة وبلغت الدعوة الزيدية مبلغاً سهلت للإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني أن يعلن أنه المهدي المنتظر وتجد دعوته رواجاً في هذا المجتمع المضطرب الذي كان المفكرون يراقبونه ليعالجوه ، ولقد كان من أولئك المفكرين آل الزواحي الحميريون والصليحيون الهمدانيون الذين أحكموا الخطة لتعبئة الأفكار خلال تلك الفترة القلقة المتمخضة عن الزعيم المطلوب لإنهاء تلك الفوضى ، وهو علي بن محمد الصليحي ، ظهر هذا القائد عام (٤٣٩) من حصن مسار بحراز والتف حوله الشيعة الإسماعيليون فتألب عليه الرسيون بقيادة الأمير جعفر بن القاسم العياني ويوآزره جعفر بن العباس الشافعي الصوفي بصعفان بقبائل المغارب فحاصروا الصليحي بمسار ولكنه بيتهم وأنزل بهم ضربة أطاحت بالأمير جعفر بن العباس قتيلا بالمعركة التي مزقت المتآمرين فعظم أمر الصليحي وكان الصليحي يحرص في أن يضم همدان اليه ولكن السلطان بن أبي حاشد بن الضحاك عارضه وجمع همدان لمحاربة الصليحي فالتقيا بأرض صوف

يازل من بلاد بني مطر وهناك جرت معركة حامية قتل فيها السلطان أبو حاشد مع الف من همدان على أثرها دخل الصليحي صنعاء فتعالى أمره وطار صيته واجتذب إليه معظم قبائل همدان ولم تمض سنوات إلا وقد استولى على جميع اليمن ودخلت في حوزته جميع الإمارات السالفة الذكر من عدن حتى مكة وامتد نفوذه إلى حضر موت واختفى الهادويون والعيانيون الذين وقع أمراؤ هم في قبضته ، كالأمير ذي الشرفين ثم عفا عنهم فلحق بعضهم بأطراف الحجاز كما جمع جميع ملوك وأمراء اليمن وكانوا خمسين أميراً وملكا أنزلهم في رحابه وجعل منهم مجلسا يرجع إليه في تدبير اليمن كما نفى بني نجاح الأحباش وبذلك تحققت في عهده الوحدة اليمنية وعمرت اليمن سيما صنعاء وشهدت اليمن في عصره إزدهاراً وقوة لم تشهدها منذ سقطت الدولة الحميرية ولكن الدهر لم يسمح لهذه الفترة المشرقة أن تطول فقد عظم على الغرباء الأحباش وغيرهم أن تستمر الوحدة اليمنية في طريق ترسيخ دعايمها فتآمروا على علي بن محمد الصليحي حتى اغتيل سنة (٤٥٩ هـ) بتهامة وهو في طريقه إلى الحج فخلفه ابنه المكرم أحمد بن علي الصليحي وقد تمكن المكرم من قمع الإضطراب الذي نجم عقيب اغتيال أبيه وأعاد إلى الدولة هيبتها[1] إلا أن العيانيين عادوا إلى صعده والأهنوم وتمكنوا من التحصن بحصونها كشهارة وغيرها ، وقد أشرك المكرم زوجته السيدة اروى بنت أحمد الصليحي في الأمر وفي عام (٤٧٩) انتقل من صنعاء إلى ذي جبلة بمخلاف أب واستخلف على صنعاء عمران بن أبي الفضل الهمداني جد السلطان حاتم بن أحمد وبقي بها إلى أن توفي عام (٤٨٤) وقد أسند الوصية إلى السلطان أبو حمير سباء بن أحمد بن المظفر الصليحي وكان بحصن الشيخ من آنس فقبض المملكة وأدارها بمشاورة السيدة إلى أن مات عام (٤٩٢ هـ) وبموت سباء انفصلت صنعاء عن الدولة الصليحية وتغلب عليها وعلى مخلافها السلطان حاتم بن الغشم الهمداني وانفردت السيدة بالحكم ونصبت للذب عن المملكة الفضل بن أبي البركات الحميري فضبط الأمور وقام بمشاريع عمرانية منها شقه

---

(١) نقل المكرم رفاة والده وعمه إلى صنعاء ودفنها بجنوب المشهد وبنى عليها مشهدا هدمه فيما بعد الأئمة ، أنظر الصليحيين صفحة ١٣٤ .

لمجرى لغيل ختنوه إلى الجند وتجديد مسجد الجند ، وما زال أمر المملكة بإشراف السيدة قائماً إلى أن ماتت عام (٥٣٣) بذي جبلة ، ولم تمت إلا واليمن قد عادت إلى ما كانت عليه قبل قيام علي بن محمد الصليحي ، ومن آثار السيدة جامع جبلة ، وصلبة السيدة بين جبله واب لِرَعْيِ المواشي ، والجناح الشرقي بجامع صنعاء ، وبموت السيدة انتهت دولة بني الصليحي وانتقل ما كان بيد الصليحيين من الحصون في الجنوب إلى منصور بن الفضل الحميري الذي باعها إلى الداعي محمد بن سبأ الزريعي ، كما تغلب على الشمال سلاطين جنب والسلاطين آل حاتم والأئمة والأمراء الرسيون والسليمانيون .

الامارات المنبثقة من وهن السلطة الصليحية

لقد طعن الغرباء والخونة الوحدة اليمنية في قلبها باغتيال الملك علي بن محمد الصليحي ، فقد انتثر عقد الوحدة بمصرعه ولم يرجع نظام العقد إلا التبع المكرم بشكيمته وعبقريته ولكنه لم يحكم العقدة فلم يعط شمال اليمن : صعدة وحاشدا والأهنوم وغيرها ما يجب من الاهتمام ، وبذلك ، وبتحوله من صنعاء إلى جبلة فتح الباب للعلويين وغيرهم إلى تمزيق ذلك العقد فإذ بلآلىء ذلك العقد منثورة هنا وهناك ، يطرب لمنظرها المبعثر الطامع ويأسف المفكر من اليمنيين من هذا التمزيق الذي صير اليمن إمارات تتناحر لاهية عن عدوها ومصيرها ، وهذه الإمارات هي كما يلي :

امارة بني زريع الهمدانيين بعدن من (٤٦٧ - ٥٦٩)

على إثر موت الحسين بن سلامة تغلب علي بن معن الحميري على عدن وما يتبعها ، ولما دخلها علي بن محمد الصليحي أقر بني معن وفرض عليهم ضريبة سنوية تدفع للسيدة ثم تغلب بنو معن وقطعوا الضريبة ومات العباس ابن معن عام ٤٦٢ وقام بعده محمد بن معن ولما دخل المكرم الصليحي عدن سنة ٤٦٥ هرب منه محمد بن معن إلى أحور ، وولى المكرم على عدن العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي الهمداني لسابقتهما معه بمعركة زبيد ، وقد جعل

للعباس حصن التعكر بعدن وللمسعود حصن الخضراء ، وقد مات العباس فخلفه ابنه زريع وقتل مع عمه المسعود بمعركة زبيد عام (٤٨٥) ، فقام بعدهما بعدن أبو السعود بن زريع وأبو السعادات بن المسعود كل منهما في جهة ولما مات أبو الغارات قام ابنه علي ، وبعد أبي السعود بن زريع ابنه سبا وتوفي سبا عام (٤٩٤) فخلفه ابنه محمد بن سبأ الذي اشتهر بالكرم والفصاحة وتوفي في عام (٥٥٠) فخلفه ابنه عمران وكان كأبيه توفي سنة (٥٦٠) وخلف أولادا صغارا قام بأمرهم أبو الدر جوهر الأعظمي في حصن الدملوه حتى خرج إلى اليمن السلطان توران شاة ، فانتقل بهم جوهر إلى الحبشة وانتهت دولتهم وقد جرت بين آل زريع وآل مسعود حروب طويلة ومن آثار آل زريع بعدن السور الممتد من التعكر إلى جبل حقات .

امارة السلاطين بني حاتم الهمدانيين

(من سنة ٤٩٢ - ٦٢٥)

لما مات السلطان سبأ بن أحمد الصليحي سنة اثنين وتسعين وأربعمائة تغلب على صنعاء وبلادها السلطان حاتم بن الغشم الهمداني وناصرته قبائل همدان ثم ابنه عبد الله بن حاتم ومات مسموما فخلفه أخوه معن بن حاتم أياماً فخلعته همدان وولت مكانه كلا من هشام وحماس ابني القبيب الهمداني .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة ألقت همدان أمرها إلى السلطان القيل حاتم بن أحمد بن عمران اليامي الهمداني وقد كان أكبر أمراء عصره باليمن إمرة وأدباً وكرماً وفي أيامه خرج الامام أحمد بن سليمان الهادوي وأخذ صنعاء ثم استردها حاتم وتوفي سنة خمسين وخمسمائة وخلفه ابنه السلطان العظيم علي بن حاتم الذي استنجده آل زريع من عدن على عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري سنة (٥٦٨) فأنجدهم إذ زحف بهمدان وقبائل جنب إلى أن تغلب على عبد النبي في تعز وفر منها عبد النبي إلى زبيد فارتفع حصار عبد النبي على عدن وقد جرت بين عبد النبي وعلي بن حاتم معارك أكلت فرسان اليمن مما سهل على توران شاه أن يستولي على معظم اليمن ، ولم يزل علي بن حاتم وعبد

النبي مسيطرين على معظم اليمن ولو اتفقا وهما أبناء العم كهلان وحمير لحققا الوحدة اليمنية ، خلا أنه حل بينهما الخصام دون الوئام الذي مكن الدخلاء من الاستمرار ثم انتهى إلى محو دولة آل مهدي وضعف الدولة الحاتمية .

امارة آل شرحبيل الهمدانيين الاسماعيليين

من القرن الخامس إلى ٥٣٣ هجرية تاريخ استشهاد السلطان أبو عمرو « المعروف بالخطاب » بن السلطان الحسن بن أبي الحفاظ بن شرحبيل بن عمرو بن الخطاب بن شرحبيل بن عمرو بن يوسف بن الفياض بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن يزيد بن عبد الله بن رافع بن شبيث بن الحارث ابن عامر بن قاهب بن عليان بن حارث بن « موله » بن حجور ومولة هذا أخو « أوام » بن حجور جد الصليحيين الهمدانيين .

وقد كان لآل شرحبيل ملك وسلطان بحجور متوارث ، فقد قال المؤرخ اليَهري : إن حامداً ورافعاً ابني عامر بن موله بن حجور بن اسلم هما بطن ملوكهم عمرو وسليمان أبناء الحسن بن أبي الحفاظ ، ولم يكن لدينا معلومات كافية عن هذه الأسرة ، وكل ما لدينا الآن على قلته لا يتجاوز السلطان الحسن ابن أبي الحفاظ وابنيه السلطان سليمان وعمرو الخطاب ، ويظهر من شعر السلطان سليمان وأخيه السلطان الخطاب أن هذه الأسرة كانت إلى جانب الرئاسة على جانب كبير من الثقافة والأدب ، ويعد العصر الذي عاشا فيه من أزهى العصور اليمنية في نشاطها الأدبي والعلمي برغم الحروب السياسية والفتن المذهبية ، فقد كان الملوك والسلاطين والأسر النبيلة يشجعون الشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم ، وفي آخر هذا العصر نبغ شاعر اليمن الشهير ومؤرخها عمارة اليمني ، وظهر عالمها ولغويها الإمام نشوان الحميري ، وعرف السلطانان الخطاب وأخوه سليمان « بمِقْولي قحطان » وشعر الخطاب يبلغ الذروة من المتانة والروعة غير ملتزم المقدمات الغزلية ويمتاز بالعفة ، جُلّهُ وجلاله في إثارة اليمنيين على تحكم الدخلاء كآل نجاح الأحباش ، وتدعيم الدعوة الإسماعيلية ومحاربة الأباضية والزيدية ، وكان الخطاب أخاً من

الرضاع للسيدة الملكة أروى بنت أحمد وله فيها غرر القصائد منها :

حرام على النوم غير غرار يلمم بجفني بعد طول نفار

إلى آخر القصيدة الآتي بعضها في الملحق .

إلى غير ذلك من شعره الرنان ، ولنقف مع السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الذي ظهر في نصف القرن الخامس هجريا وكان يميل إلى الصليحيين وناصرهم في حروبهم مع الأئمة الزيدية وقد امتدت أيامه إلى أوائل القرن السادس فخلفه ابنه السلطان سليمان الذي ربى أخاه الخطاب وعاشا في ألفة ثم اختلفا وجرت بينهما حروب انتهت بتغلب الخطاب وقتله أخاه سليمان وبقي السلطان الخطاب في الحكم إلى أن قتله أولاد أخيه سليمان غيلة عام ٥٣٣ هجريا ، وكانت عاصمتهم « الجريب » من بلاد حجور ، ويعد الخطاب من أكبر علماء الإسماعيلية الطيبية وأكثرهم تأليفاً وأصرحهم بحقيقة المذهب كما نراه في الملحق بقصيدته التي يخاطب بها الإمام الفاطمي بعصره بصفات وأسماء الله تعالى جرياً على القاعدة الإسماعيلية من أن الله منزه عن كل صفة وعن كل اسم ، وأن أسماءه الحسنى المذكورة في القرآن والتنزيل هي أسماء العقل الأول الفعال في عالم الإبداع وتنطبق على الإمام في عالم الدين .

وقرر الخطاب أن الخليفة المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب هو سعيد الخير حجة الإمام علي بن الحسين وأخوه ووصيه على ابنه محمد بن علي وقبل أن يتوفى سعيد الخير سلم الوديعة إلى محمد بن علي الملقب القائم أول الخلفاء الفاطميين العبيديين .

امارة سلاطين جنب

(٤٩٢ - ٥٨٣)

وعلى إثر موت السلطان سبأ الصليحي تغلب على ذمار وبلادها وما يتبعها مثل رداع والحداء ويريم وخولان إلى سنحان مما كان يعرف ببلاد جنب مشايخها

وهم سلاطين جنب ولم يترك لنا التاريخ عنهم خبراً نجتلي منه سلسلة أسمائهم وتاريخ تعاقبهم ووفياتهم وكل ما بقي من تأريخهم هي أسماء شخصيات جاءت ضمن تاريخ عظماء عصرهم ، فقد عرف من تاريخ الإمام أحمد بن سليمان أنه كان يعتمد على سلاطين جنب في مصاولة السلطان حاتم بن أحمد ونجدهم يصارعون توران شاه ويجبرونه على عقد صلح معهم ثم.نراهم يبرزون في ميادين النضال مع (طغطكين) عام ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقد عرف من هؤلاء السلاطين : السلطان عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمرو اليعبري ، وقد كانا ممن سار مع السلطان علي بن حاتم إلى تعز لمحاربة عبد النبي بن علي بن مهدي .

دولة آل مهدي الرعيني الحميري
(من ٥٥٤ - ٥٦٩)

الملك الإمام علي بن مهدي الحميري الرعيني كان أبوه من أعيان محل العنبرة أسفل وادي زبيد فكان على جانب من الصلاح وفي كنفه نشأ عليّ ودرس العلوم وأجاد الأدب والخطابة والمناظرة وأخذ بالفقه الحنفي ، إلا أنه كان متحرراً ينزع إلى المعتزلة ونظرياتهم ويرى وجوب الثورة على الظلمة وأن الإمامة غير محصَوْرَة في قريش ولذا نسبه المؤرخ الدَّيبع إلى الأخذ في الأصول بنظريات الخوارج ، وقد عرف في صباه وريعان شبابه بالفضل ومكارم الأخلاق وقد عظم عليه تحكم الأجانب كالأحباش في جانب من اليمن، كما عظم عليه تسلط النظرية الزيدية والشافعية في الإمامة، وأقض مضجعه ما عليه اليمن من انقسام وتناحر وقد سلبه تحكم الأحباش في بلده وقرابته وأبيه وأسرته كل راحة مما جعله - وهو القوي في العلم والجسم - يتابع الحج على ذلول بازل عليه يحج ويطوف ليلتقي بالمفكرين والعلماء وانتهى به تجواله وتفكيره إلى الاقتناع بتطهير اليمن من حكم الدخلاء الأحباش وغيرهم ، ولهذا الغرض اتصل بالسلطان حاتم بن أحمد والقيل الداعي سبأ بن أبي السعود وغيرهما ، فقد أفاد عمارة اليمني أنه وجده بجبلة يستمد المساعدة من الداعي والمصاحبة من عمارة . وأخيرا اعتمد على نفسه القوية في تنفيذ خطته الثورية التي بدأ في إعلانها عام (٥٣٨) ثمانية وثلاثين وخمسمائة فخاض حروباً مضنية في الكدري مع قائد آل نجاح اسحاق بن مرزوق انتهت بتغلب إسحاق ، ولكن فشل عليّ الثائر لم يزده إلا

تصميما وإحكاماً جعلاه أولا يدرب أتباعه عسكرياً وعقائدياً فأفرغ في مشـاعرهم روحه الثائرة ونظرياته العقائدية ، ثم هاجر إلى حصن الشرف من أصـاب لبطن من خولان مع أتباعه الذين سماهم المهـاجرين وسمى بـطن خولان الأنصـار مما يوحي إلينا عمق تفكيره وقوة اقتفائه لسيد الوجود « محمد » .

وبـأصحابـه المؤمنين بـدعوتـه راح يشن الغارات على بني نجـاح مقلصـا نفوذهم الحبشي حتى أطبق على زبيد ، وقد استصرخ الأحباش بالإمام أحمـد بن سليمان فأجابهم بنفسه في جيش جرار من قبائل الشمال وعند وصول الإمـام إلى زبيـد ضيق عليها ابن مهـدي الخنـاق ورأى أنها فـرصـة لضـرب عـدوين في آن واحد ، ولكن الإمام تمكن من الفرار تاركا حلفاءه الأحبـاش لإبن مهدي الـذي تمكن أخيرا من احتلال زبيد عام (٥٥٤) هجريا وبسط نفـوذه على تهـامة حتى حرض والمخا والجبال المطلة على زبيد وما جاورها واستأصـل الأحباش بصفـة لم يقم لهـ .عدها باليمن قائمة حتى اليوم ، ولكنه لم يمهل حتى ينفذ خططه ويجمـع
١٢٣
شمل .يمنيين ويحقق الوحدة اليمنية فقد مات بشهر شوال سنة (٥٥٤) فخلفـه ابنه مهدي بن علي بن مهدي يشاركه أخوه عبد النبي في تدبير المملكة بينما تفـرغ مهـدي للغزو والفتـح فوسـع المملكة حتى شملت مخـلاف الجند وتعـز ومخـلاف جعفر إلى نقيل صيد (سماره) وقد مات مهـدي بذي الحجـة سنة (٥٥٨ هـ) فاستقل أخوه عبد النبي فاتجه بمـوجة الفتـح إلى شمال تهـامة وشـرقها هـادفاً إلى إزالـة حكـم الـرسيـين والسليمـانيـين من اليمن وقـد تمكن من الاستيـلاء على المخلاف السليماني من حرض إلى عسير والقنفذة وقتل الشريف وهاس بن غـانم السليمـاني واجتاز جبـال حراز والسهـل إلى جبال الحيمـة وهناك وقف بـالسهـل الـذي يحمل اسمـه « حجرة ابن مهـدي » وتتبع الأشـراف ولم ينج إلا من فـر ، ومن الفـارين الشريف قـاسم .بن غـانم بن يحيى بن حمـزة بن وهـاس وكـان في مقدور عبد النبي بمساعدة السلطان علي بن حاتم أن يتغلبـا على جميـع الإمارات والعلويين من مخلاف صعـدة وجميع الشمـال ، ولكن فجأة تحـول عبد النبي من الشمال لمنازلة الداعي عمـران بن أحمد بن سبـأ الزريعي الهمـداني فأخـذ معظم

بلاده حتى حضر موت وأطبق عليه في عدن بحصار كاد يخنقه مما دفع الداعي أن يستصرخ السلطان علي بن حاتم بصنعاء فينجده بفتيان همدان حاشد ويكيل وفتيان جنب وبني شهاب وسنحان وخولان رجالا وفرساناً ويقود تلك الجيوش الجرارة علي ابن حاتم نفسه وفي مخلاف جبلة واب وسهول سحولها السندسية ووديان جبالها وقمم أطوادها الخضراء يلتقي عام (٥٦٩) ويا للأسف الجيشان جيش علي بن حاتم الكهلاني وجيش عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري يلتقيان للفناء لا للبقاء ، للموت لا للحياة ، وعلى هذه السهول والجبال ابتدأت المعارك التي أفنت الأبطال والفرسان وختمت بمعركة تعز التي أكلت الأخضر واليابس وانتهت بتغلب السلطان علي بن حاتم وفك الحصار عن عدن وعود الداعي عمران بن أحمد إلى عدن وفرار ابن مهدي من تعز إلى زبيد ، وكأنَّ علي بن حاتم أراد أن يتبعه ثم بدت له العودة إلى صنعاء بجميع من بقي من جيوشه فعاد ابن مهدي إلى تعز ، وقد جنت هذه المعارك على اليمن والعروبة جناية بعيدة الأثر فإن كلا الغالب والمغلوب لم يخرج منها إلا منهوكا ، وسنشرح في التاريخ العام العوامل التي حولت ابن مهدي من الشمال إلى الجنوب والتي أثارت هذه الحروب الخاسرة التي فرشت الطريق ومهدتها لاستعادة الرسيين مكانتهم ، وعود السليمانيين الأشراف إلى مخلافهم ، ونفوذ توران شاه لابتلاع اليمن ، وعلى هذه الطريقة غير الشرعية مضى ابن مهدي إلى الشهادة تحت ظلال السيوف ومضت مملكته إلى الموت تحت سنابك توران شاه بشوال عام (٥٦٩ هـ) .

دولة بني أيوب الكردية
(٥٦٩ ـ ٦٢٨)

كانت اليمن على التفرق الذي عرفته من الفصول السالفة وكان السلطان صلاح الدين بن أيوب قد طهر الشام ومصر من الصليبيين وقضى على الدولة الفاطمية بمصر وكان بجانبه أخوته توران شاه وغيره يتطلعون إلى ممالك مستقلة ، وما أن ترامى إلى السلطان صلاح ما عليه اليمن من الاضطراب إلا وفكر في الاستيلاء عليه ليخلصه ويتخلص هو من إخوته وطموحهم وبقي يرقب الحوادث على إثر وصول الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني سفير الأشراف السليمانيين والرسيين وما أن ورد إليه خبر المعارك التي دارت بين ابن مهدي والسلطان علي بن حاتم إلا ووجد الفرصة مواتية ، وقد قوى من عزمه استنجاد الشريف قاسم ووعده بالمناصرة من العلويين فأرسل أخاه توران شاه إلى اليمن في ثلاثة آلاف مقاتل الذين توجهوا أولا عن طريق البحر الأحمر إلى المخلاف السليماني فنزلوا بصبيا من بلاد تهامة وانضم إليهم الأشراف السليمانيون والرسيون ثم اتجه إلى زبيد حيث دارت بينه وبين ابن مهدي المعارك التي انتهت بسقوط الملك عبد النبي بن علي بن مهدي قتيلا واستولى على زبيد بشوال سنة (٥٦٩) وقبض على بقية أسرة آل مهدي وأخذ كل ما في خزائنهم من ذخائر وأموال لا تقدر بثمن ، ويقول الديبع ، إن خزائن آل مهدي كانت تحتوي على ذخائر خمس وعشرين دولة استولى عليها بنو مهدي . وبذلك انتهت الدول الفتية دولة آل مهدي الحميري ، ثم سار توران إلى عدن واستولى عليها وقضى

على دولة بني زريع الهمدانيين ، ثم اتجه إلى الشمال ولم يلق مقاومة حتى وصل نقيل صيد (أي سمارة) وتلقاه بذروان سلطان جنب الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي ودارت بين الفريقين حرب ضارية أجبر معها توران إلى عقد صلح مع سلطان جنب ، ثم تقدم إلى ذمار وهناك قابلته قبائل جنب معهم في حرب شديدة كادت تهزمه مع جيشه ، ولكنه صبر فبعد خسارة كبيرة أصابت الطرفين دخل ذمار ، ثم واصل زحفه إلى صنعاء فخرج منها السلطان علي بن حاتم مع أسرته تحصنوا بالحصون المحيطة بصنعاء ، كبراش ، وذي مرمر ، وغيرهما ، وسرعان ما انقلب توران إلى تهامة عن طريق آنس فنهبت مؤخرته قبائل آنس ويرع وعاد علي بن حاتم إلى صنعاء ، واستقر توران بزبيد حتى فارق اليمن عام (٥٧١) وقد أناب عنه كامل بن منقذ على زبيد والتهائم وعثمان الزنجبيلي على عدن ، وياقوت التعزي على تعز والتعكر ، و (قايماز) على ذي جبلة ، وقد اضطربت اليمن واستعاد الرسيون والسليمانيون مركزهم في الشمال فخرج (طغطكين بن أيوب) إلى اليمن عام (٥٠٩) .

السلطان سيف الاسلام طغطكين بن أيوب

عندما ترك توران شاه اليمن عائداً إلى مصر اضطربت اليمن وتنازع نوابه ، فخرج أخوه طغطكين بن أيوب وكان يلقب بالعزيز وهو أول من تسمى بسيف الإسلام ، وقدم اليمن سنة (٥٧٩) وقامت بينه وبين آل حاتم السلطان علي بن حاتم حروب عظيمة ، وكذا بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة ، وقد تمكن طغطكين من بسط نفوذه على معظم اليمن وبنى سور صنعاء ، وسار بجيوشه إلى حضر موت واستولى عليها وبنى مدينة المنصورة بالحجرية وبها توفي سنة (٥٩٠) فخلفه ابنه الملك العزيز اسماعيل .

الملك العزيز اسماعيل بن طغطكين

استمر في الحكم إلى سنة (٥٩٨) حيث قتل خارج زبيد ، وكان غريب الأحوال كثير التقلبات ، فقامت بالأمر أمه حتى قدم سليمان بن سعد الدين بن

تقي الدين بن عمر بن شاه شاه بن أيوب فأسلمت الأمر إليه وتزوجته وكان ظالماً شاذاً استمر في الحكم إلى سنة (٦١٢) حيث قدم الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فقبض على سليمان وأرسله إلى مصر وتولى أمر اليمن الملك المسعود .

الملك المسعود

تولى الحكم في اليمن الملك المسعود بعد سليمان وفي سنة (٦١٦) فارق اليمن واستخلف عليها نور الدين عمر بن علي بن رسول ، ثم عاد إليها سنة (٦٢٤) ، ثم ذهب إلى مكة سنة (٦٢٦) واستخلف على اليمن نور الدين عمر بن رسول بعد أن قبض على أخوة نور الدين وساقهم معه إلى مكة ثم ساقهم إلى مصر حيث اعتقلوا هناك ، وتوفي هو بمكة ، وبعد وفاته تخوف نور الدين من بني أيوب وعزم على أن يستقل ، وقبل إعلانه الاستقلال مهد له بأن أرسل إلى المناطق اليمنية الهامة نواباً يعتمدهم حتى إذا اطمأن من تمكن قبضته أعلن نفسه ملكا مستقلا باليمن ، وقد ترك بنو أيوب أمراء باليمن لجباية الأموال وقيادة الجيوش منهم الأمير (وردسان) والأتابك (سنقر) و (الشهاب الجزري) والأمير (حكوا) والأمير (شمس الخواص) وقد دارت بين هؤلاء الأمراء وبين آل حاتم والرسيين معارك شديدة انتهت بظهور نور الدين عمر بن علي بن رسول وتغلبه ، وقد تمكن بإدارته الحكيمة من اجتذاب السلاطين آل حاتم إلى جانبه ومناصرته من قبل أن يعلن نفسه ملكا على اليمن .

دولة بني رسول الغسانيين الأزديين (الكهلانيين)
(من عام ٦٢٨ - ٨٥٨ هجرية)

كان علي بن رسول من رجالات بني أيوب المشار إليهم وكان له أولاد نجباء وفدوا إلى اليمن في حملة بني أيوب ، وينتهي نسب بني رسول إلى جبلة بن الأيهم من آل جفنة الغسانيين الأزديين أحد بطون كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب .

ولقد كان نور الدين محل ثقة بني أيوب وعندما استخلفه الملك المسعود الأيوبي على اليمن وقبض على إخوته تخوف نور الدين من بني أيوب ، وسعى في الاستقلال بملك اليمن سنة (٦٢٨ هـ) وأسس الدولة الرسولية واتخذ من مدينة تعز عاصمة لمملكته وتلقب بالمنصور ، وقد كانت الدولة الرسولية أعظم دولة وطنية يمنية عرفها التاريخ منذ سقوط الدولة الحميرية ، قامت بإنهاض البلاد وتعميرها ونشر العلوم ، ونبغ من أفرادها علماء عباقرة حتى في الطب والرياضيات والتاريخ وغيرها وساهموا في إنهاض اليمن برغم معارضة الأئمة الفاطميين الرسيين الذين تمكنوا في خلال الدولة الأيوبية من تنمية دعوتهم وتوسيع رقعتهم ونفوذهم وقد بقي الملك المنصور عمر بن علي بن رسول حتى أغتيل بالجند على يد المماليك عام (٦٤٧) هجريا .

الملك المظفر يوسف بن عمر

قام على إثر والده ، ويعد المظفر أكبر شخصية في الدولة الرسولية امتدت أيامه إلى سنة (٦٩٤ هـ) وكان يقال له التبع الأصغر وفي أيامه اتسعت المملكة الرسولية حتى شملت حضر موت وصعدة ومعظم الجزيرة ومنها الحرمان ، ولما

قتل هولاكو آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم) عام (١٢٥٨) ب. م نادى المظفر بنفسه خليفة للمسلمين كما ورد في موسوعة الإسلام الإنجليزية بصفحة (٥٥٣) وقد خلفه ابنه .

الملك الأشرف عمر بن يوسف ، فخلفه أخوه — إلى عام ٦٩٦ هـ

الملك المؤيد داود بن يوسف ، فخلفه ابنه — إلى عام ٧٢٠ هـ

« المجاهد علي بن المؤيد ، وفي أيامه استفحل أمر العلويين بقيادة الإمام محمد بن المطهر ، وإلى المجاهد ينتسب آل مجاهد باليمن الذين بحجه وثلا وصنعباء وبني بهلول وخولان والحداء وذمار ووادي الحار وصنعه واب وتعز والمسراخ وقد خلفه ابنه — ٧٦٤ هـ

الملك الأفضل العباس بن علي وخلفه ابنه — ٧٧٨ هـ

« الأشرف اسماعيل بن العباس وهو أحد ملوك بني رسول ذوي الصولة وفي أيامه ازدهرت اليمن ومن رجالاته الفيروزبادي مؤلف القاموس ثم خلفه ابنه — ٨٠٣ هـ

الملك الناصر أحمد بن الأشرف وخلفه ابنه — ٨٢٩ هـ

الملك المنصور عبد الله بن أحمد الناصر وخلفه إبنه — ٨٣٠ هـ

الملك الأشرف اسماعيل بن عبد الله الذي خلعه الأمراء وأقاموا مكانه عمه — ٨٣١ هـ

الملك الظاهر يحيى بن الناصر أحمد بن اسماعيل وخلفه ابنه — ٨٤٢ هـ

الملك الأشرف اسماعيل بن الظاهر يحيى فخلفه — ٨٤٥ هـ

الملك المسعود فخلفه

الملك الحسن بن الطاهر من سنة ٨٥٨ هـ وقد عارض الأشرف بن الظاهر مراء آخرون من بني رسول ولم يستتب لأحدهم الأمر مما جعل بني طاهر يقبضون على زمام الأمر في اليمن ويعلنون أنفسهم ملوكا لليمن .

دولة بني طاهر المذحجية الكهلانية
(من عام ٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ)

بنو طاهر أصلهم من قبائل ناحية جبن ، بلاد رداع المذحجية الكهلانية وقد عرفوا ببني معوضة نسبة إلى جدهم الشيخ معوضة بن تاج الدين ، وقد كانت السيدة شمس بنت أسد الكردي زوجة الشيخ طاهر بن عامر وأختها السيدة فاطمة بنت أسد زوجة الإمام صلاح الدين أم الإمام علي بن صلاح وقد كان لبني معوضة في آخر الدولة الرسولية مقام الوزارة والقيادة مما جعلهم يتطلعون إلى الملك ، وما أن تضعضعت السلطة الرسولية وشاخت إلا ووثب بنو طاهر فانتزعوا العرش من بني رسول عام (٨٥٨ هـ) ولما رسخت سلطة بني طاهر تقرب إليهم المتملقون والمغرضون ، ومما قدمه هؤلاء إلى بني طاهر هو أن نسبهم يتصل ببني أمية ، ولما كان بنو طاهر يطمعون في الخلافة فقد رحبوا بهذا النسب الجديد ولم يناقشوه لأنهم قد أصبحوا من قريش المحصورة الخلافة فيهم في المذهب الشافعي الذي يأخذ به بنو طاهر ولذلك تلقبوا (بأمير المؤمنين) ورسموا ذلك على المباني بجامع اب بالمؤخر وفي العامرية برداع ، وقد عثرت عام ١٣٥١ هجرياً على بعض المصاحف الخطية الموقوفة من عامر عبد الوهاب على جامع المظفر بتعز وفيها لقب عامر بأمير المؤمنين وقد خدع بنو طاهر[1] بانتسابهم إلى بني أمية من حيث لا يشعرون فإنه جر عليهم مقت اليمنيين الذين

---

(١) وباليمن أسر قحطانية ينسبونها إلى قريش غلطا منهم آل المحبشي والسماوي والعلفي وحميد والشجني وآل النعمان بالحجرية وآل الجماعي بالعدين .

يجرمون حين ذاك بني أمية وقد وجد الفاطميون باليمن وشيعتهم من هذا الانتساب منفذاً لتنفير اليمنيين عن بني طاهر فأذاعوه إلى جانب الدعاية المضادة لآل طاهر ، وقد شهدت اليمن في أيام بني طاهر نهضة علمية تتمثل في المحدث الكبير والمؤرخ الديبع العامري ومعاصريه في الشمال كالإمام شرف الدين ، كما بلغت العلوم الرياضية والفلكية والبحرية والجغرافية في أيامهم شأواً بزت به اليمن معاصريها من الدول البحرية مثل البرتغال وتركيا ، ويمثل هذا التفوق العلمان الجغرافيان البحريان أحمد بن ماجد العدني وسليمان المهري ، فهما اللذان تتلمذ عليهما البحارة والجغرافيون البرتغاليون والأتراك ، وبأحمد بن ماجد استعان البحار البرتغالي (ده جاما) في كشف رأس الرجاء الصالح . واعترافاً لإبن ماجد نصب له البرتغاليون تذكاراً ببلدة (ماليندي) بكينيا على الساحل الإفريقي . ولإبن ماجد مؤلفات في الجغرافيا والملاحة وأحوال البحار وطرقها كثيرة يبلغ الموجود منها كما حكاه محمود كامل المحامي في مؤلفه (اليمن شماله وجنوبه) أربعين مؤلفاً ترجمت إلى عدة لغات ، كما له أرجوزة مطولة حوت معلومات ملاحية هامة . ولسليمان المهري ـ العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية . ويقول الرحالة الإنجليزي (ريتشارد بيرتون) المكتشف بحيرة (تنجانيقا) ١٨٥٦ م : إن ملاحي عدن كانوا إلى منتصف القرن التاسع عشر ينسبون اختراع البوصلة إلى ابن ماجد ويقرأون الفاتحة إلى روحه قبل ركوبهم البحر .

ومن المعلوم أن ابن ماجد وسليمان المهري عنوان لنهضة علمية يمنية هما من مدرستها أيام بني طاهر .

وقد كان أول ملوك بني طاهر (السلطان عامر بن معوضة) ٨٥٨ ـ ٨٧٠) تلقب السلطان عامر بالظافر وناصره أخواه علي بن طاهر وداود بن طاهر وفتحوا كثيراً من اليمن واتخذوا (المقرانة) من بلاد رداع عاصمة لهم ، وقد طمع عامر في الاستيلاء على صنعاء فحاصرها بجيش جرار معظمه من يافع فأصيب بهزيمة نكراء لم يطق أن يتحملها فمات حنقاً عام ٨٧٠ هـ فخلفه أخوه الملك المجاهد بن طاهر .

الملك المجاهد علي بن طاهر من عام ٨٧٠ ـ ٨٨٣ هـ

وقد دفن بجبن فخلفه ابن أخيه الملك المنصور « عام٨٨٣ ـ ٨٩٤ هـ »عبد الوهاب بن داود بن طاهر فخلفه ابنه .

الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب « ٨٨٣ ـ ٨٩٤ هـ »

أمير عدن عامر بن داود بن طاهر « عام ٨٢٣ ـ ٩٤٥ هـ »

وفي أيام عامر بن عبد الوهاب اتسعت المملكة فقد كان عامر على جانب من الكمال واستولى على صنعاء وأسر أميرها الإمام أحمد بن الناصر مع الإمام محمد بن علي السراجي عام ٩١٠ هـ ، ثم امتد نفوذه إلى حاشد وبكيل وأخذ من حصن ظفار داود المشرف على مدينة ذيبين ، كل ما في الحصن وجامعه من ألواح ذهبية وفضية كانت أبواب بقصور ظفار والقباب والمشاهد أخذها الإمام عبد الله بن حمزة من كوكبان وصنعاء ونقلها إلى ظفار ثم نقلها عامر إلى المقرانة ثم نقلها الإمام المطهر بن شرف الدين إلى ظفير حجة وثلا وصنعاء وطيبة وكوكبان .

وفي أيام عامر تمكن البرتغال من اكتشاف رأس الرجاء الصالح فهاجموا الهند وسواحل الجزيرة واليمن ولمطاردتهم أرسل السلطان الأشرف قانصوه الغوري أحد قواده وهو الأمير (حسين الكردي) بجيش كبير من اللونداي الروم كبيرهم (سليمان الريسي) فوصلوا إلى الهند ثم عادوا إلى (كمران) الجزيرة اليمنية بالبحر الأحمر ، فاستنجدهم الإمام شرف الدين على عامر فنزلوا بالزيدية من تهامة مزودين بالبنادق والمدافع النارية وظهرت لأول مرة باليمن وكان لها أثرها في هزيمة المعنوية اليمنية شأن كل سلاح جديد ، وبذلك وبمؤازرة الإمام شرف الدين وأشراف جازان سرعان ما احتل حسين الكردي زبيد وفر عامر وآله إلى تعز بعد معارك تعد من أروع مواقف البطولات ، ثم استناب حسين الكردي على زبيد مملوكه (برسباي) وغادرها إلى عدن فلم يتمكن من أخذها فعاد إلى جدة يحكم الحجاز عن قانصوه ، ولما احتل السلطان سليم العثماني مصر سنة ٩٢٣ هـ قتل قانصوه واستأصل الجراكسة وأرسل إليه من جدة حسين

الكردي فقتل إغراقاً في البحر ، وفر الجراكسة من الحجاز إلى اليمن فقوي بهم (برسباي) وزحف بهم على تعز فأخذها وتبع عامر إلى المقرانة فخرج منها عامر إلى بعدان ، ولما هزمت بنو عمار (برسباي) عاد إلى المقرانة وأقام فيها (اسكندر) مملوك حسين الكردي وتوجه لاحتلال صنعاء فتوجه عامر في إثره يحدوه الأمل فوصل يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ ضواحي صنعاء وهو مجهد مع جيشه ، فلم يمهله (برسباي) حتى يستجم ، فجرت معركة بضواحي صنعاء قتل بها عامر واحتل برسباي صنعاء وقتل أميرها خال عامر ، وهو على البعداني وانتهبت خزائنه ، وبقي شهرين بصنعاء يصادر أهلها فامتلأت يده من الذخائر والمجوهرات والذهب ثم غادر صنعاء بما أخذ منها ومن المقرانة وتعز ويقدر ما اختاره لنفسه بحمل ثمانية آلاف جمل عدا ما يحمل الجند والأمراء .

ولما وصل لجبل سمارة هاجمته القبائل هناك وقتلته مع جميع من كان معه من الجراكسة الذين عرفتهم اليمن وقد بقي السلطان عامر بن داود محتفظاً بعدن إلى عام ٩٤٥هـ حيث انخدع لأمان سليمان باشا القائد التركي فقابله في البحر على سفينة تركية فقتله غدراً واحتل عدن كما قتل سليمان باشا غدراً بالمخاء الناخودة أحمد آخر أمراء الجراكسة عام ٩٤٥هـ .

دولة الجراكسة المماليك في اليمن
(من عام ٩٢٣ ـ ٩٤٥)

بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب بن داود بن طاهر بضواحي صنعاء عام ٩٢٣ لم تقم في اليمن مملكة كهلانية أو حميرية بل ولا إمارة بمعناها الصحيح بل تعاقبت على اليمن دول كما يلي :

الجراكسة : وقد عرفت أنها تمكنت من الدخول إلى اليمن بعدة عوامل : تفردها بالأسلحة النارية من بنادق ومدافع ، ومؤازرة الإمام شرف الدين وأشراف جاران وتعد دولة الجراكسة مزيجاً من الجراكسة ومن العثمانيين وفيما يلي أسماء الأمراء الجراكسة باليمن :

١ ـ الأمير حسين الكردي ، الذي قدم من كمران واستولى على تهامة وأخذ زبيد عام ٩٢٢ هـ واستخلف نائباً عنه بزبيد مملوكه (برسباي) وذهب ليأخذ عدناً فرده عامر بن داود الطاهري فرجع إلى جدة وحكم الحجاز ثم قبض عليه على إثر سقوط مصر بيد السلطان العثماني سليم عام ٩٢٢ وقتل حسين الكردي بمصر إغراقاً وفر الجراكسة من الحجاز إلى (برسباي) بزبيد وكان قائد الجيش الذي صحب الأمير حسين من مصر (سليمان الريسي) وقد لعب هذا دورا خطيرا كله ختل وغدر . أما (برسباي) فقد زحف حتى قتل عامرا .

٢ ـ برسباي ، استولى على تعز والمقرانة وقتل عامرا بضواحي صنعاء وأخذ صنعاء ولما عاد من صنعاء قتل بنقيل سماره وكان قد استخلف على المقرانة اسكندر المحضرم ، مملوك الأمير حسين الكردي ، ولما قتل (برسباي) انتقل اسكندر إلى زبيد بأموال عظيمة .

٣ ـ اسكندر المحضرم ، وكان حازما وكان يخطب للسلطان سليم العثماني ولهذا سمي المحضرم فحسده (سليمان الريسي) فدس عليه عند والي مصر فأمر والي جدة حسين الرومي ، بأخذ اليمن ، فلما وصل الرومي تهامة رفض اسكندر المحضرم التسليم له وصادف موت السلطان سليم العثماني فرجع الرومي إلى جدة واستمر اسكندر حاكماً بزبيد وتهامة إلى سنة ٩٢٧ حيث قدم سليمان الريسي مع كمال بك الرومي أحد رجالات السلطان العثماني وكان كمال فاتكا قوياً فعظم أمره فاختلى بالأمير اسكندر وقتله واستولى على زبيد بمعاونة سليمان الريسي ، ولم يتمكن من أخذ تعز وكان بها رمضان الجركسي ثم إن اللوند الذين خرجوا مع الأمير حسين الكردي وسليمان الريسي قتلوا كمالا التركي بزبيد ورمضان الجركسي بتعز وأقاموا أميراً منهم بزبيد وهو اسكندر بك القرماني وبتعز ولوا علي بك الطويل .

٤ ـ كمال التركي بزبيد
٥ ـ رمضان الجركسي بتعز
٦ ـ اسكندر القرماني بزبيد
٧ ـ علي بك الطويل بتعز

أما سليمان الريسي فقد أثار الاضطراب ثم ذهب إلى مصر ولما تمرد أمير مصر الباشا أحمد على السلطان سليمان وأعلن استقلاله فر سليمان الريسي إلى جدة وزين للأمير حسين الرومي والي جدة العودة إلى اليمن .

٨ ـ حسين الرومي وسليمان الريسي ، وقد تمكنا من أخذ زبيد وطردا اسكندر القرماني واسرف سليمان الريسي في الظلم فعاذ الناس منه بحسين الرومي فأوقفه ومال الناس إلى الرومي لعدله وحزمه ففارقه الريسي إلى مصر

يغري به ابراهيم باشا والي مصر وقد تمكن الرومي من ضبط البلاد وحماية الأهالي وأخذ تعز من يد الأشرفي الجركسي ونعمت البلاد بحكمه وما زال الريسي يغري به حتى أرسل والي مصر ابراهيم باشا الريسي مع خير الدين وجيش لولاية اليمن وقبل وصولهما مات حسين الرومي عام ٩٣٢ هـ وأناب مقامه .

٩ ـ مصطفى الرومي .

١٠ ـ سليمان الريسي وخير الدين وقد جرت بينهما وبين مصطفى الرومي معارك تمكن الريسي من قتل مصطفى ٩٣٣ هـ ثم استأثر بالأمر دون خير الدين فاغتاله خير الدين بواسطة اللونـد عام ٩٣٤ هـ فثار ابن أخت الريسي ، مصطفى بك بن بيرم واستوزر الخواجا حضر فقتل خير الدين وأتباعه عام ٩٣٥ هـ .

١١ ـ مصطفى بك بيرم ، وقد تمكن من الاستيلاء على تعز وزبيد وتهامه وضبط البلاد واستمر إلى عام ٩٣٦ هـ وغادر اليمن مع حضر وزيره ابتعاداً من الاضطراب إلى الهند وأناب السيد علي الرومي وجعل وزيره أحمد بك مملوك خاله الريسي .

١٢ ـ علي الرومي لم يستقم له الأمر فقد تغلب عليه اسكندر موز الجركسي .

١٣ ـ اسكندر موز ، استتب له الأمر وبلغ منطقة الدعكر وحمد الناس أمره واستمر إلى عام ٩٤٣ هـ حيث مات بزبيد ودفن بمدرسته التي بناها (المعروفة بالاسكندرية) وكان يخطب للسلطان سليمان وخلفه الناخوذة أحمد الذي استنابه وصياً على ابنه الصغير .

١٤ ـ الناخوذة أحمد الجركسي ، وقد احتذى حذو اسكندر موز وهو الذي وقف في وجه المطهر بن شرف الدين بمعركة زبيد المشهورة وتمكن من إرجاع المطهر فاشلا وجريحاً وقد استمر الناخوذة أحمد إلى عام ١٤٥ حيث قتله غدراً

بالمخاء الباشا سليمان مملوك السلطان العثماني سليم ، كما قتل في هذا العام غدراً الأمير عامر بن داود بن طاهر ، وقد أوردنا هذه النبذة عن الجراكسة باليمن لأنها من النواحي التي لم يتعرض لها كما يجب مؤرخو اليمن . ومما لخصناه نعرف أن الجراكسة انحصروا في جانب من تهامة زبيد وما حولها وكانوا ينفذون أحياناً إلى تعز وأن حكمهم من سنة ٩٢٣ ـ ٩٤٥ هـ كان مزيجاً بالحكم التركي وأنه حكم مضطرب ، أما في الشمال وما عدا زبيد ومخلافها فلم يقم لهم حكم ثابت ولا لمدة سنة واحدة ، فبعد أن قتل عامر عبد الوهاب بصنعاء انقلب الإمام شرف الدين وابنه المطهر ضدهم وأجلوهم عن البلاد وحاصروهم بزبيد .

وبنهاية الناخوذة أحمد وعامر بن داود بن طاهر عام ٩٤٥ لم يبق في اليمن إلا قوتان في ميدان الصراع ، اليمنيون بقيادة الإمام شرف الدين وابنه المطهر ، والأتراك سلاطين آل عثمان .

الدولة العثمانية في اليمن للمرة الأولى من عام
(٩٤٥ ـ ١٠٤٥)

في القرن العاشر هجرياً بلغت الامبراطورية العثمانية أوجاً لم تصل إليه أي حكومة أو امبراطورية لمعاصريها فقد كان زمام السلطة الكبرى في عصرهم بيد العثمانيين وفي سنة ٩٤٥ أرسل السلطان سليمان بن سليم بن بايزُيد قوة بحرية كبيرة يقودها الباشا سليمان مملوك السلطان سليم فنزلت بعدن وقتلت غدراً السلطان عامر بن داود بن عامر بن طاهر الذي احتفظ بعدن وما يتبعها من مملكة أسرته الواسعة . ومن عدن زحف الباشا سليمان إلى زبيد وقتل أمير الجراكسة غدراً الناخوذة احمد وفي عام ٩٥٢ تعين لليمن أوليس باشا مملوك السلطان سليم واستولى على تعز وأقام عليها (ازدمر باشا) وعاد هو إلى زبيد وقتل بها ، وقيل إن القتل تم بتدبير إزدمر ، وبعد ذلك استقل ازدمر بولاية اليمن .

ولقد تعلقت معظم أحداث اليمن في هذا العصر بازدمر مع الباشا سنان . علاوة على أنهما سلبا من اليمن ذخائره ومعظم نفائسه الأثرية ، وكان النزاع بينهما وبين الإمام شرف الدين وابنه الإمام المطهر شديداً وقد تمكن (ازدمر) من أخذ صنعاء كما أخذ معظم اليمن وانحصر المطهر في ثلاّ وفي سنة ٩٦٢ عزل ازدمر بمصطفى نشار ثم تعاقب الولاة العثمانيون إلى سنة ٩٧٦ وفيها خرج الوزير سنان باشاه إلى اليمن ودخلت اليمن في صراع لا هوادة فيه مع الأتراك استمر مائة عام بقيادة الأئمة الزيدية الذين من أبطالهم في هذا الصراع المطهر بن شرف الدين ، لقد ضرب في صراعه وصموده وقيادته الحربية المثل الأعلى أرغم أعظم قائد عثماني سنان على الإستسلام للحقيقة وعقد صلح

المهيض مع القوى وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار اليمنيين إنتصاراً حاسماً سنة ١٠٤٤ آخر عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد وآخر الدور الثاني للعلويين في اليمن وأول الدور الثالث للعلويين دور الملك الهادىء بعهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

الصمود الفاطمي وتأثره بالغزو الخارجي

خاض الفاطميون سيما الهادويون منهم معركة طويلة عبر مئات السنين في تصميم متوارث وصمود فريد في سبيل إقامة دولة فاطمية لا تقف عند حدود اليمن بل تغطي العالم الإسلامي ، لم تثنهم عن هدفهم النكبات المتعاقبة فقد استمروا في تصميمهم الذي لا أغرب منه إلا إصرارهم على أنهم الصفوة المختارة للرئاسة والإمامة إصراراً تناول حتى قاداتهم المستنيرين الذين يعد انطلاء هذه الفكرة عليهم من أغرب الغرائب ، فهذه الفكرة هي التي أوقفت المذهب الزيدي المتين القواعد من الإنطلاق ومن التشريق والتغريب كما بيناه سلفاً .

وقد استمر الفاطميون باليمن في السير إلى أهدافهم وكلما وهن سيرهم في ظل حكومات يمنية . وحتى في ظل الفوضى فإن سير هؤلاء الفاطميين لا ينشط من عقالة إلا عندما يطرق الغزو الخارجي اليمن وينفذ إلى اخشابه ففي القرنين الأول والثاني استقبل اليمن الدعوة الشيعية نتيجة الحرمان الذي اشترك فيه الهاشميون واليمنيون ومحاولة التخلص من الحكم الأموي ثم العباسي وقد جرت تلك الإضطرابات التي نجم عنها استقلال اليمن في القرن الثالث ، وقامت فيه عدة إمارات ذات شعار قرآني في ظلها المتسامح قوي نشاط الدعوة الشيعية في شمال اليمن وجنوبها من دون أن يكون للتشييع دولة ، وعلى جسر ذلك التشيع قدم إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الداعيتان الإسماعيليان أبو القاسم المنصور الحسن بن حوشب واستوطن مسور حجة وعلي بن الفضل الخنفري الحميري واستوطن يافع والإمام الهادي يحيى بن الحسين واستوطن صعدة ، ولم يقف ثلاثتهم عند حدود الدعوة ونشرها ، بل حاول كل منهم أن يقيم دولة يطبعها ويسيرها بمذهبه وبذلك بدأت الصعوبات تقوم في وجه الدعوة الشيعية

فانقلب تسامح الحكومات والإمارات إلى تخوف ومقاومة انحسر معه التشيع عن الجنوب وانحصر في مناطق متفرقة بالشمال ، وفي الشمال إنقسم التشيع على نفسه إلى حزبين زيدي وإسماعيلي يكفر أحدهما بالآخر ، استمرا في صراع دموي وفكري أضعفهما معاً ومكن حكومتي آل يعفر وآل زياد والإمارات الأخرى من الإستمرار ، إلا أن نشاط الحزبين الزيدي والإسماعيلي استمر وكان النشاط الزيدي يبدو في الشمال أقوى من النشاط الإسماعيلي سيما بعد أن ضعفت الدولة اليعفرية وانتشار الفوضى ، وقد أثار ذلك النشاط الزيدي ذعر مفكري الشمال سيما الهمدانيين منهم الذين أصبحوا يرون في الإمامة الزيدية خطراً على رياستهم فجنحوا في أحكامهم إلى الدعوة الإسماعيلية ومساندتها مما جعل الدعوة الإسماعيلية تتغلب أخيراً بقيادة الملك علي بن محمد الصليحي الهمداني الذي حقق الوحدة اليمنية ، واختفى الأئمة الزيدية وكان الصليحيون متسامحين مع الدعوة الزيدية والفاطميين ، ولما ضعفت الدولة الصليحية قامت عدة حكومات منها همدانية اسماعيلية كانت أكثر تسامحاً مع الزيدية التي انتفضت بقيادة الإمام أحمد بن سليمان أيام السلطان حاتم فإذا بالامام يحتل صنعاء ويبلغ زبيدا وذمار ، ولكن سرعان ما انطفأت تلك الشعلة فيسقط الإمام أحمد بن سليمان بيد أبناء عمومته العيانيين فيسجنونه عام ٥٦٠ بحصن أتافت من بلاد وادعة فينجده السلطان علي بن حاتم ويخرجه من الإعتقال ويرجعه مكرما إلى بلاد صعدة بعد أن ضرب العيانيين وخرب معاقلهم ، وحينذاك كادت اليمن أن تخضع تحت حكم أو نفوذ آل مهدي الرعيني الحميري الاجتهاديين وآل حاتم الهمدانيين الكهلانيين الإسماعيليين .

فالإمارات المتناثرة هنا وهناك كان بقاؤها مرتبطا بإحدى الدولتين يفسر ذلك نجدة السلطان علي بن حاتم للامام أحمد بن سليمان ، وتلك الحرب المشؤومة بين أبناء العمومة آل مهدي المثير لها محاولة آل مهدي إبتلاع إمارة آل زريع الهمداني بعدن المرتبطين بآل حاتم . فهذه الحرب هي التي هيأت الفرصة لصلاح الدين الأيوبي من غزو اليمن مستعيناً بأشراف المخلاف السليماني وصعدة ، وقد قاوم اليمنيون الأيوبيين سيما في الشمال ، وبين هذه المقاومة

زادت الدعوة الزيدية من نشاطها وبين هذه السحب لمع الامام عبد الله بن حمزة وكان من اعلام الأئمة الفاطميين الرسيين وأقواهم وأشجعهم وأفصحهم ، شاعراً يفخر ويعتز بنفسه وبنسبه الفاطمي إلى حد الغلو والمرض اللذين ضألا من شخصيته ونفرا منه ، وساقاه إلى منازعة الفرقة الزيدية المطرفية ، وقتل منهم ما يزيد على مائة ألف لأنهم لا يرون حصر الخلافة في الفاطميين ، وساقاه أيضا إلى التقلب ، فتارة هو مع الحاتميين وتارة عليهم وحيناً يحارب الغزاة الايوبيين ببني حاتم وحيناً العكس ، ومهما يكن فقد كان الغزو الايوبي مبعثا من جديد لظهور أئمة فاطميين في الشمال لهم أثرهم الفكري والفقهي والسياسي والعسكري في الدعوة الزيدية ، فقد جاء على أثر ابن حمزة المهدي احمد بن الحسين والمطهر بن يحيى وابنه محمد بن المطهر ويحيى وغيرهم وما منهم إلا من هو إمام جهاد أو اجتهاد أو جامع بينهما ، وظهر إلى جانب هؤلاء الأئمة أعلام في الفكر والفقه الزيدي بلغت بهم الأصول والفروع الزيدية ذروة لا يدانيها أي مذهب في إنتاجه العلمي خصوصاً فيما يتعلق بالقضاء والمعاملات ، فقد كان لهم في ذلك القدح المعلا ، نلمس ذلك فيما الفه يحيى بن حمزة ومحمد بن المطهر والمهدي احمد بن يحيى وابن مظفر في بيانه وكان معظم أئمة هذا الدور يمثلون الامامة الزيدية في قوتها وبساطتها وقربها من الجماهير وبقيادتهم احتفظ المذهب الزيدي بقوته في الشمال .

ومن شن حروب على الاسماعيلية لا تسامح فيها كان لها أثرها في تقهقر الاسماعيلية باليمن ، كما شن الأئمة الزيديون على الرسوليين حرباً عوانا كان لها فاعليتها في تعويق آل رسول من تنفيذ جميع مشاريعهم العمرانية والعلمية واستمر الأئمة الزيديون في معارضتهم لبني رسول ثم لبني طاهر إلى أن مات الامام صلاح الدين فان ابنه الامام علي بن صلاح وإن كان فارساً مغواراً وقائداً عسكرياً إلا أن توليه للامامة وهو جاهل ، فتح الطريق للضعفاء الجاهلين المترفين من الفاطميين إلى الامامة كالسيدة مريم بنت علي بن صلاح وابنها الشاب الغر المعتمد على تكهن اليهود وتنجيمهم المنصور بن محمد المعروف بالناصر .

وكـالملكة الإمـامة فـاطمة بنت الحسن بن صـلاح . فإذا بـالإمـامـة تفقـد عناصرها القوية المثالية التي كانت مع متانة الفقه الزيدي يغطيان عيـون أتباعهـا من عنصـرية الإمـامة وتحجـرها ويجعـلان من الأئمة الملتـزمـين شـروط الإمـامـة المطبقين لها حجة بيـد دعاة المـذهب الزيـدي ، والإمامـة الزيـدية ينـازعون بهـا منـافسيهم من ملوك وفقهاء مـذاهب ، فقه « زيـدي » متطور يتقبـل كل جـديد يستمد مواده ومسائله من أصول متحررة من الجمود والتقليد مستمدة من جـوهر الكتـاب والسُنة الصحيحـة ، وائمة أقـرب تمثيلا للخلفـاء الراشـدين في قـوتهم وعلمهم وبسـاطتهم ، لا الملوك الجبابرة . وإنها لحجة قوية حين كان الناس يرون مثل الهادي ومحمد بن المطهر ويحيى بن حمزة والمهدي علي بن محمـد . فلما جاءت الإمامة مريم والإمامة فاطمة والأئمة الأغرار المنجمون المترفون ذهب ذلك القناع المثالي عن وجه الإمـامة الهـادوية ولم تبق إلا عنصريتها المنفـرة إلى جانب فسـاد الأئمـة الجـاهلين وترفعهم مـع أتبـاعهم من الفـاطميـين بنشبهم ونسبهم ، ولم يستطع الفقه الزيدي أن يدير المعركة لأنه أصبح كصـارم في كف منهزم ممـا مكن ملوك بني طـاهر من سحق الأئمـة الزيـدية واحـتلال مواطنهم في الشمـال وخنق المـذهب الزيـدي مما جعـل أشراف المخـلاف السليمـاني والصعـدي مطأطـئين رؤوسهم للخليفة عامر عبد الوهاب الطاهري وجعـل الإمام شـرف الدين عـلى كماله وعلمه وعبقريته يتجحر في قمة جبل ظفـير حجة لا يكـاد يحس به القـرادُ ويصبح اليمن شماله وجنوبه وجباله وسهوله في قبضة عـامر بن عبـد الوهـاب ، ولم يكن بنو طاهـر كالصليحيـين والحاتميين والرسـوليين متسـامحين ، فقـد كانـوا إعصاراً يجتاح كلما هو زيدي ولو ترك الزمن بني طاهر من مفاجآته لأتوا على آخر أنفـاس المذهب الـزيدي في اليمن . ولمـا كان لـه اليـوم من أثـر ، ولكن اليمن فـوجئت بالغـزو المصري الـذي رحب به الإمـام شرف الـدين وأشراف صعـدة والمخلاف السليماني ، وساندوه ، حتى إذا فرغوا من عـدوهم الحقيقي آل طاهـر وبدأ اليمن يتذمر من الغزاة الغز والأتراك رأى الإمام شرف الـدين ـ وهو العـالم المجتهد السياسي ـ أن هذا الجو المشحـون بالتـذمر اليمني هـو خير منـاخ لإحياء الشعلة الزيدية والإمامة الزيدية .

فـانقلب عـلى الغـزاة الغـز والأتراك ، لهم نـاقـداً ومفسقـاً ، ولمساوئهم

كاشفاً ، وأعلن الحرب عليهم فالتفت القبائل الشمالية حوله التفاف حب وائتمام لما كان له من شخصية قوية وقيادة حكيمة إلى معرفة جعلته في صف المجتهدين المؤلفين ، ثم إنه وهب من أهله بقائد عسكري وإداري لم ينجب الفاطميون باليمن مثله ، هو ابنه المطهر بن شرف الدين ، الذي استأصل بقية بني طاهر وأخضع الخارجين من القبائل وألحق بالأتراك شر الهزائم وأجلاهم عن اليمن حتى عن عدن وكاد يجلوهم عن آخر معقل لهم باليمن وهي زبيد .

وكان الأتراك حينذاك في أوج سلطانهم وأعظم قوة في عصرهم فدفعتهم كبرياؤهم إلى إعادة الكرة فقذفوا إلى اليمن بأكبر قوة لهم بقيادة أعظم قوادهم ، فصمد الشمال بقيادة المطهر أمام الجحافل التركية صموداً أرغم الكبرياء التركي على أن يطلب من المطهر المصالحة التي بموجبها اعترف الخليفة العثماني بالمطهر حاكما للشمال ، وكان لهذا الانتصار العسكري أثره في رسوخ المذهب الزيدي في الشمال ، وفيه أقوى العشائر اليمنية وأعتاها ، وقد تمكن المطهر بهم وبقيادته العسكرية الصارمة ، ونزعته السفاحة من تتبع المناوئين له وللمذهب الزيدي والمتطلعين إلى الملك من الأسر اليمنية غير الفاطمية ، ويموت المطهر وتفقد اليمن قائدها الحربي ولم يكن في أسرته من يصلح لتلك القيادة المتطلع إليها اليمن سيما الشمال المستعد لمواصلة الحرب ، وتتجدد الحرب في الشمال وتطول إلى مائة عام من بدايتها وقد كان لها وقودها ونتائجها .

فمن وقودها اختفاء الطموح إلى الملك والإمامة في نفوس الأسر اليمنية غير الفاطمية ، ذلك الطموح الذي طعنه الغزو التركي ونحره الإمام شرف الدين وقطع أوصاله المطهر وسحقته إطالة الحرب التي فرضتها كبرياء الأتراك وصمود قبائل الشمال الزيدية .

ومن نتائجها التقاء اليمنيين على اختلاف مذاهبهم في الدفاع عن استقلال اليمن فقد استمر الشمال الزيدي في نضاله واستمر الجنوب الشافعي يمد الشمال ويقدر له موقفه النضالي ، ومن نتائجها رجحان كفة المذهب الزيدي نحو الحكم لليمن وهو ما كان يرمي إليه الفاطميون من قبل الهادي وفي سبيله استمروا في دعايتهم ونضالهم ، ولما انطفأ ذلك النضال بعهد الطاهريين أيقظه الغزو المصري

والتركي ، وأضرم جحيمه الإمام شرف الدين والمطهر ، وفي أتونه احترقت الأسر اليمنية البارزة حين ذاك ، وعلى أثر موت المطهر امتدت ألسن لهب ذلك الأتون إلى الحمزات وأسرة المطهر نفسه فأذابتهم بحرارتها ، وأصبح الشمال الزيدي إلى القائد الذي تفرضه المرحلة يتطلع في لهف فإذا بذلك القائد يأتي لا من أسرة كهلانية أو حميرية فذلك ما تجمعت العوامل على سحقه ، ولا من أسرة فاطمية لها ظهورها وسابقتها ومقامها المرموق في الشمال ، لقد جاء ذلك القائد من أسرة فاطمية هادوية مغمورة ما كان مستواها في المجتمع الشمالي يتجاوز مستوى الأسر الجماهيرية الفلاحية ، هذا القائد المنتظر هو الإمام القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد الذي يتصل نسبه بالإمام الهادي يحيى بن الحسين ، ولقد تسلم القيادة بمهارة وقوة وعزيمة ومثالية عرف بها كيف يقود اليمن إلى النصر وكيف يستغل جهود المطهر ومن سلفه إلى إقامة حكم فاطمي يستلم زمامه أبناؤه فيصبحون هم الحاكمون لليمن الذين عنهم تمخضت الحروب والأهوال وذلك الصراع المرير الطويل ، وافتخار عبد الله بن حمزة بنسبه ونفسه في مقالاته وشعره ، وكلما انتجه يحيى بن حمزة ومحمد بن المطهر والمهدي أحمد بن يحيى وحفيده شرف الدين من مؤلفات ، وكلما أزهقه وأراقه المطهر بن شرف الدين من نفوس ودماء وكلما اجتاحته الحرب من عمران لقد قام هذا الهرم الجبار من ذرات ملايين القتلى ، وها هو يتربع على قمته أبناء القاسم بن محمد لا أل المطهر ولا غيرهم ممن أقاموا ذلك الهرم ، ومهدوا الطريق إليه مضحين بكل شيء ، ومستبيحين كل شيء ، فتبارك الذي بيده الملك ، فإلى الإمام القاسم وبنيه فليتحول القلم .

(الدولة القاسمية العلوية الرسية من سنة)
(١٠٤٥ ـ ١٢٦٥)

سئمت اليمن حكم الأتراك وكانت الدعوة الزيدية قد بلغت في اليمن الذروة التي قام على رأسها مؤسس الدولة القاسمية الرسية الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادوي ، ظهر هذا الإمام واليمن قدر يغلي ، وكان الأتراك قد مهدوا للقاسم الطريق بقضائهم على الأمراء أولاد المطهر وغيرهم ، وكان الإمام القاسم على جانب من العبقرية والقوة استغل هذه الفرصة وتمكن من اكتساب القبائل الزيدية والتفافها حوله كما تمكن من اكتساب القبائل غير الزيدية فأثار الحرب وهو واثق من النصر على أبناء عمومته آل شرف الدين إلى أن أنكر كل منهم الآخر من اتصال نسبه بالعرب فضلا عن اتصاله بعلي وفاطمة وجرت بين البيتين في هذا الموضوع مشادة تحكيها سيرهم المدونة ، وقد تمكن الإمام القاسم من منازلة الأتراك إلى أن توفي سنة ١٠٢٩ بعقل شهارة الشهير في خلال الهدنة بينه وبين الأتراك وقد خلفه ابنه المؤيد .

(المؤيد بالله محمد بن القاسم)

تلقب بالمؤيد بالله وتبع خطة أبيه في منازلة الأتراك وآل شرف الدين ، وقد تمكن سنة ١٠٥٤ من إجلاء الأتراك عن اليمن ، وفي العام نفسه مات فخلفه أخوه المتوكل على الله اسماعيل .

الدور الثالث للعلويين في اليمن دور الجمع بين السلطتين الزمنية والروحية

(دولة آل القاسم من سنة ١٠٥٤ ـ ١٢٦٥)

مات المؤيد بالله سنة ١٠٥٤ وقد تمكن من تطهير اليمن من الاستعمار والغزو التركي ، وكان المؤيد يمثل الإمامة الزيدية الصحيحة البعيدة عن أبهة الملك وفي هذا العام مات المؤيد ودفن بشهارة بجنب أبيه تاركا اليمن مستقلة لتستقبل عهداً جيداً هو حكم الإمامة والملك الفاطمي معاً ويبتدىء هذا الدور بالإمام اسماعيل .

(الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم من سنة) (١٠٥٤ ـ ١٠٨٥)

يعد هذا الإمام أول إمام جمع بين لقبي الملك والإمامة ، وفي أيامه بلغ تمكن العلويين الرسيين من إقامة دولتهم باليمن التي طالما حنوا إليها وضحوا من أجلها منذ فجر الإسلام فقد تحققت أحلامهم في عام ١٠٥ وعلى أثر إجلاء الأتراك من اليمن اتسعت فتوحات الإمام المتوكل اسماعيل بمؤازرة قبائل همدان وقيادة أبطال الأسرة القاسمية كمحمد بن الحسن بن القاسم وأحمد بن الحسن بن القاسم فدخلت جميع أجزاء اليمن تحت نفوذ الدولة القاسمية الرسية من حدود عمان حتى حدود نجد وحتى طوقت الحرمين الشريفين ، وقد كان عصر المتوكل

أزهى العصور العلوية الرسية في اليمن وفيه تحققت الوحدة اليمنية وما زال ذووه يحكمون جميع أجزاء اليمن يسودهم الوئام حتى توفي المتوكل سنة ١٠٨٧ وقد عارضه في آخر أيامه بصعدة ، الإمام المنصور علي بن احمد بن القاسم ، أعلن نفسه إماماً ولكنه لم يتم له الأمر فقد مات الإمام اسماعيل بهذا العام وخلفه ابن اخيه .

(الامام المهدي أحمد بن الحسن المعروف بسيل الليل)

ويعد أحمد بن الحسن أكبر قائد أنجبته الأسرة القاسمية واستمر في ملكه إلى سنة ١٠٩٢ حيث دفن بحصن ذي مرمر بغراس السر وبموته بدأ الإنقسام يدب بين الأسرة القاسمية فقد خلفه الإمام المؤيد محمد .

(الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل اسماعيل المتوفي)

(سنة ١٠٩٧)

وهذا الإمام آخر إمام تجمعت فيه الشروط المعتبرة في المذهب الزيدي لصحة الإمامة فقد خلفه أئمة لا تقر إمامتهم القواعد الزيدية وهم إلى الملوك أقرب بل هم ملوك لا أئمة ولكن سنطلق عليهم لفظ الإمام جرياً مع المؤرخين والمسموع المعروف ، وأول هؤلاء الملوك الأئمة هو محمد بن أحمد .

(الإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن)

(ابن القاسم من سنة ١٠٩٧ - ١١٣٠)

اشتهر هذا الإمام بسرعة الحركات الحربية والمغامرة والإقدام والفتك وكان مسعر حرب تألب عليه آل القاسم حتى بنوه وقد عارضه عدد من الأئمة من أسرته آل القاسم ومن آل شرف الدين ولم تغنهم كثرتهم فقد كان نصيبهم الموت بسيفه أو في سجنه ومنهم من فر إلى مكة .

وفي أيامه ثارت اليمن على الحكم القاسمي بقيادة السيد إبراهيم بن علي

المدومي العياني المعروف بالمحطوري نسبة إلى قرية المحطور من بلاد الشرف وقد اندلعت هذه الثورة كنار الهشيم حتى بلغت ثلا وكادت تلتهم صنعاء وصعدة حتى نسب المؤرخون المحطوري إلى السحر وقد انتهت ثورة المحطوري بالفشل وقتل المحطوري ، وممن عارض المهدي صاحب المواهب الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد بن القاسم عام ١١٢٧ إلى ١١٣١ هـ .

الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد بن القاسم

(عام ١١٢٧ - ١١٣١ هـ)

قام بشهاره وتبعه بعض القبائل وآزره أمير كوكبان محمد بن الحسين بن عبد القادر وصاحب المخلاف السليماني أبي عريش الأمير عز الدين القطبي وأمير بلاد صعدة الحسين بن علي بن احمد بن القاسم فتغلب صاحب المواهب على الجميع وقتل القطبي إلا أن المنصور الحسين بن القاسم عاد فقوى أمره مما دفع المهدي إلى أن يخرج ابن أخيه القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم من السجن ويرسله لمقاتلة المنصور ، وبدل أن يقاتل المنصور فقد انضم إليه القاسم بن حسين وبايعه وانقلب الجميع لمحاربة صاحب المواهب حتى وهنت قوته وعظم أمر القاسم بن الحسين فقلب ظهر المجن للمنصور وصاحب المواهب وأعلن نفسه إماما .

المتوكل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم

(عام ١١٢٨ - ١١٣٩ هـ)

وقد جرت بين المتوكل وعمه صاحب المواهب حروب عظيمة انتهت بمحاصرة المتوكل لعمه المهدي بحصنه المواهب حتى مات محصوراً عام ثلاثين ومائة وألف واستتب الأمر للمتوكل القاسم . وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف مات المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد . وقد عارض المتوكل قاسم بن حسين السيد محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم وتلقب بالناصر .

الإمام الناصر محمد بن إسحاق

(عام ١١٣٥ - توفي سنة ١١٦٧ هـ)

أعلن نفسه إماماً في ارحب ثم رجع عن بيعته وقد اختل الأمن وتألبت حاشد وبكيل حتى هددت صنعاء وفي هذا الجو توفي المتوكل سنة تسع وثلاثين ومائة وألف فخلفه ابنه .

الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن حسين بن أحمد

(١١٣٩ - ١١٦١ هـ)

قام على أثر والده وقد عارضه محمد بن اسحاق فأعلن نفسه إماماً من ظفار ذيبين وانضم اليه آل اسحاق والأمير احمد بن القاسم بن حسين أخو المنصور وكان والياً على لواء تعز ، وفي سنة أربعين ومائة وألف أطبقت القبائل على صنعاء ولكن المنصور حسين تغلب على الموقف بعد أن قتل قائدهم الشيخ علي بن قاسم الأحمر فتفرقت القبائل وأودع المنصور آل اسحاق السجون ، وفي عهد المنصور عام أربعة وأربعين ومائة وألف استقل الفضل بن علي العبدلي بولاية عدن ولحج بعد أن قتل عامل الإمام ، وفي سنة ثلاث وخمسين وألف عاد إلى الهدو محمد بن إسحاق ودخل صنعاء بأمان من المنصور وما زال المنصور بصنعاء إلى أن توفي سنة احدى وستين ومائة وألف فخلفه ابنه .

الإمام المهدي العباس

(عام ١١٦١ - ١١٨٩ هـ)

وقد أعاد إلى الدولة القاسمية شيئاً من المهابة ، وفي أيامه ثارت قبائل الشمال سنة ١١٦٤ هـ بقيادة أبي علامة أحمد بن حسن المعروف بأبي علامة من الشرف واتسعت هذه الثورة ودخل فيها رجال قحطان عسير انتهت بالفشل ، فقد قتل رجال عسير أبا علامة وأرسلوا برأسه إلى الإمام ، وقد نسب أبو علامة إلى السحر وقد استمر المهدي عباس إلى سنة تسع وثمانين ومائة وألف فخلفه ابنه الإمام المنصور علي بن عباس عام ١١٨٩ هـ .

الإمام المنصور علي بن عباس

(عام ١١٨٩ ـ ١٢٢٤ هـ)

وقد نصب القاضي يحيى السحولي لمنصب قاضي القضاة بعد أن عزله عنه أبوه المهدي ، ولما مات السحولي عام ١٢٠٩ا نصب الإمام مكانه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني وفي أيامه عام ١٢١٣ ـ احتل نابليون بونابرت ، مصر فاتصلت بريطانيا بالإمام تطلب بعض السواحل اليمنية فلم يسعدها فاحتلت بريطانيا جزيرة ميون المسماة بتريم في خليج المندب ، وفي أيامه ظهرت الوهابية واعتنقها السيد أحمد الفلقي من أهالي صبيا واتصل بالملك عبد العزيز محمد بن سعود فأمده بجيش بقيادة أبو نقطة عبد الوهاب الرفيدي فاستولى أبو نقطة علي المخلاف السليماني إلى أبي عريش عام ١٢١٧ سلخه من الدولة القاسمية وانضم إليهم الشريف حمود بن محمد وزحف على تهامة فاستولى عليها ثم اختلف مع الوهابيين وتغلب عليهم وقتل أبو نقطة ١٢٢٤ واستقل بتهامة وهزم جيوش المنصور علي وكان المنصور في خلاف مع ابنه احمد بن المنصور فاختل الأمن حتى احتلت قبائل برط وادي ظهر صنعاء وفي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف مات المنصور علي فخلفه ابنه أحمد بن علي بن عباس عام ١٢٢٤ .

الإمام المتوكل أحمد بن علي بن عباس

(عام ١٢٢٤ ـ ١٢٣١ هـ)

وقد حاول استرجاع تهامة بعدة وسائل واتصل بالسلطان العثماني محمود وبالباشا محمد علي وبادلها الرسائل والهدايا ولكنه مات ولم تتحقق آماله إلا أيام ابنه المهدي الذي خلفه عام واحد وثلاثين ومائتين وألف .

الإمام المهدي عبد الله

(عام ١٢٣١ هـ)

كان شجاعاً فاتكا اسند القضاء إلى الشوكاني ونعمت في أيامه اليمن ومات

الشريف حمود بن محمد المتغلب على تهامة عام ١٢٣٣ وقام إبنه أحمد وفي عام ١٢٣٦ قبض عليه خليل باشا المرسل من محمد علي وأرسله إلى مصر وسلم تهامة إلى المهدي عبد الله فعاد إلى جسم الدولة روح هونت من مرارة استباحة قبائل بكيل بير العزب عام ثلاثة وثلاثين ثائرين على المهدي لقتله رئيسهم علي بن عبد الله الشايف بصنعاء وقد عارضه الهادي أحمد بن علي السراجي عام ١٢٤٧ .

الإمام الهادي أحمد بن علي السراجي
(عام ١٢٤٧ هـ)

ولكنه فشل وليس من آل القاسم ولا هادويا بل من ذرية زيد بن الحسن بن الحسن بن علي وقد استمر المهدي عبد الله إلى عام واحد وخمسين ومائتين وألف تاريخ موته فخلفه ابنه .

الإمام المنصور علي بن المهدي
(عام ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ)

وكان ضعيفاً وعند أبيه انتهت صولة الدولة الفاطمية ولم يبق بعده أي قيمة للأئمة ، ولقد عرف ابنه بعلي مقلي ولم يبق إلا عاماً حتى خلعه الأعيان وأقاموا ابن عمه .

الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدي عباس
(عام ١٢٥٢ - ١٢٥٦)

وكانت الدعوة السلفية الوهابية السنية قد انتشرت في صنعاء وغيرها منذ أيام السيد محمد الأمير وزادها انتشاراً الوهابيون وغزوهم لتهامة فأراد الناصر إيقاف الدعوة السلفية فتشدد في إحياء التشيع فقتلته همدان بوادي ضهر عام ١٢٥٦ ، وفي أيامه عام خمسة وخمسين احتل الإنكليز عدن ، وقد خلفه عمه الهادي محمد بن المتوكل أحمد .

الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد (عام ١٢٦٦)

وفي أيامه ثار اليمن الأسفل على الحكم ، وقاد الثورة الإمام الفقيه سعيد ابن صالح ياسين المذحجي العنسي صاحب قرية الدنوة وعظم أمره حتى ضرب السكة بإسمه من الفضة الخالصة ، وتكنى بالمهدي إمام الشرع وكان يعتمد على جنود يافع ، وتمكن من إخراج المتغلبين من ذو محمد باليمن الأسفل وتقدم إلى يريم ، وكان يهدف إلى إنهاء الإمامة القاسمية ، ولكنه هزم وضربت عنقه عند مدينة اب سنة سبع وخمسين ومائتين وألف وقد نسب إلى السحر . وفي عام تسع وخمسين ومائتين وألف مات الهادي محمد فخلفه علي مقبلي ، وكان محمد بن يحيى بن المنصور علي بعصر يستمد من محمد علي النصرة فلم ينجح ، وكان الشريف حسين بن علي بن حيدر قد احتل تعز ، فاتصل به محمد بن يحيى فأمده بقوة احتل بها ريمة ، ثم تقدم إلى ضوران وهنالك أعلن نفسه إماماً .

الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي

(عام ١٢٦٣ - ١٢٦٥ هـ)

جرت بينه وبين علي مقلي معركة بنقيل يسلح تغلب المتوكل على علي مقلي فتنازل له ودخل صنعاء ، ثم اختلف مع الشريف حسين وجرت بينهما معركة بتهامة بالقطيع تغلب فيها المتوكل وأسر الشريف ، إلا أن ياماً خلصت الشريف وهزموا المتوكل واحتلوا زبيداً عام ١٢٦٤ فعاد إلى صنعاء عن طريق ذمار ، وفيها قتل رئيس بكيل أحمد بن صالح ثوابه وفي هذا العام ادعى الويسي .

الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي الهادوي

(عام ١٢٦٤)

أصبحت اليمن والامامة ألعوبة ومهزلة يطمع فيها من يراها مما دفع الأتراك العثمانيين إلى أن يجربوا حظهم في استعمار اليمن مرة ثانية فنزل بالحديدة توفيق باشا وأمير مكة الشريف محمد عون بقوة عظيمة عام خمسة وستين ومائتين وألف أيام عبد المجيد بن محمود فطلب المتوكل إمداده بطائفة من الجنود

ثم اتصل بهما واتفقا على أن يطلع توفيق مع ثلة من الجند الأتراك إلى صنعاء فتقدم المتوكل وأفرغ لهم القصر فوصلوا إليه فثارت صنعاء وقتلوا الأتراك في الأزقة وحاصروهم بالقصر وقبضوا على المتوكل واعتقلوه ونصبوا على مقبلي إماماً ، فقتل المتوكل عام ١٢٦٥ هـ وكان المتوكل من فحول آل القاسم إلا أنه آتى والدولة قد أدبرت وقعدت من الهرم وبه انتهت الدولة القاسمية وبدأ الاستعمار التركي .

الدولة العثمانية في اليمن مرة ثانية من عام (١٢٦٥ إلى ١٣٣٦)

في هذا العام انتهت الدولة القاسمية العلوية الرسية في اليمن وابتدأ تدخل العثمانيين الذي أصبح يلتهم اليمن جزءاً جزءاً فبعد نزول الأتراك بالحديدة بسطوا نفوذهم على جميع تهامة وتعز تاركين صنعاء والمنطقة الجبلية الشمالية للزمن الذي ستغزوه الفوضى فقد تركنا على مقلي إماماً يقتل رجل آل القاسم المتوكل محمداً وتركنا الإمام الويسي ليلتقي عام ١٢٦٥ مع علي مقلي بعمران في معركة انتهت بهزيمة علي مقلي برغم كثرة جيوشه ولم يستقر إلا بصنعاء فنصب أهل صنعاء لهم إماماً .

الإمام المؤيد العباس بن عبد الرحمن (عام ١٢٦٦ ـ ١٢٦٩ هـ)

حيث تنازل على أثر هزيمة علي مقلي زحف الإمام الويسي على صنعاء فنصب أهالي صنعاء لهم إماماً عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن القاسم بن أحمدبن المتوكل اسماعيل القاسمي ليرد زحف الإمام الويسي ولكن الويسي احتل صنعاء وتنازل الإمام عباس فخرج علي مقلي إلى همدان وحاصر صنعاء حتى فر منها الإمام الويسي إلى دار أعلا بأرحب بصحبه القاضي أحمد بن اسماعيل العلفي ، بينما ذهب السيد غالب بن المتوكل محمد بن يحيى إلى برط وأعلن نفسه إماماً .

الإمام الهادي غالب بن محمد

(عام ١٢٦٧ هـ)

ومن برط زحف الإمام غالب واحتل وادي ضهر وحاصر علي مقلي ليأخذ منه الثأر ثم عفا عنه وكان من أنصار غالب السيد أحمد أبو طالب الملقب شوع الليل ، وكان الناس يتطلعون إلى إمام قوي فنادوا بالسيد محمد بن عبد الله الوزير سنة تسع وستين ومائتين وألف لعلمه .

(الإمام المنصور محمد بن عبد الله الوزير الهادوي)

(عام ١٢٦٩ هـ)

وقد دخل صنعاء ثم ذهب إلى الخيمة لإخراج أرحب منها فلم يتم له ذلك فعاد إلى محله السر يؤمه الناس للمحاكمة إلى أن مات سنة ١٣٠٧ وسرعان ما تحولت الآمال إلى السيد محسن بن أحمد من ذرية المطهر المظلل بالغمام الهادوي عام واحد وسبعين ومائتين وألف .

الإمام المتوكل محسن بن أحمد الهادوي

(عام ١٢٧١)

مال إليه الناس عن المنصور الوزير لهمته وكياسته بالإدارتين العسكرية والمدنية وقد عارضه .

الإمام المنصور حسين بن محمد الهادوي

(عام ١٢٧٥)

وكان مشعوذاً ، وفي أيام المحسن تولى صنعاء عام (١٢٧٥) الشيخ أحمد ابن محمد الحيمي السويدي واستتب الأمر والنظام حتى عام ١٢٧٦ فثارت عليه صنعاء بالمؤامرة مع حسين الهادي ففر إلى تهامة ليستنجد الأتراك فقبض عليه وأرسل إلى حسين الهادي إلى صنعاء فسجنه وتولى صنعاء بعده الشيخ محسن

معيض وبقي بها إلى أن وصلها الأتراك ، أما في غير صنعاء فقد كان الإمام محسن هوى أقوى الأئمة وكان من أنصاره السيد محمد بن يحيى حميد الدين جد الإمام يحيى والحقيقة أنها لم تكن في شمال اليمن وجباله أية قوة حاكمة بل فوضى ما عدا عسيرا والمخلاف السليماني فقد كان يحكمها محمد بن عايض مرتبطا بالعثمانيين ، وقد طمع في بقية اليمن وغزا الحديدة سنة ١٣٨٧ فرمته الأتراك بجيش جرار يقوده رديف باشا فاستولى على عسير وقتل الشيخ محمد بن عايض فعزل رديف بأحمد مختار باشا فنظم أمور عسير وعاد إلى الحديدة عام ثمانية وثمانيين ومائتين وألف فاستدعته أهالي صنعاء تخلصاً من الفوضى الخانقة فزحف الأتراك من تهامة وقضوا على إمارة الإسماعيلية المكارمة بحراز عام ١٢٨٥ ثم دخلوا صنعاء عام تسعة وثمانين وخضعت لهم القبائل المجاورة لصنعاء إلا الشيخ علي بن حسين الدفعي الهمداني .

الشيخ علي الدفعي وصنعاء عام ١٣٨٩

على إثر احتلال الأتراك لصنعاء عام تسعة وثمانيين ومائتين وألف هابتهم كل القبائل التي لا تجمعها دعوة ولا تلمها غاية ، فقد كانت هذه القبائل الهمدانية الكهلانية والحميرية متفرقة كأنما (فسى) بينهم الضربان فاذا بعتوهم وفروسيتهم وفتوتهم العسكرية تأكل بعضهم البعض وتلاشي معنويتهم ، وقد كان الأتراك وهم بتهامة يقوون هذه الفرقة ، لأنهم يعرفون أن أي قوة مهما عظمت عاجزة عن إخضاع القبائل الهمدانية متفقة ، وقد عرف الأتراك ذلك من معركة صنعاء عام خمسة وستين ومائتين وألف التي أثارت في الأتراك ذكرى مرارة الهزائم التي منوا بها في إحتلالهم اليمن في القرن العاشر وهذا ما جعلهم يهابون الزحف من تهامة إلى الجبال أربعة وعشرين عاماً ولما عرفوا أنهم قد مزقوا القبائل الهمدانية وغيرها زحفوا على صنعاء باستدعاء أهلها وسعي العملاء الخونة من اليمنيين وكان لاحتلالهم صنعاء بجيوشهم الجرارة رنة ارتجفت منها بادىء الأمر اليمن وأذعنت القبائل العاتية الهمدانية ولم يترفع عن هذا الخضوع ويستحلي الموت على أن يرى راكعاً تحت الحكم التركي الأجنبي إلا الشيخ علي الدفعي

شيخ شعوب صنعاء، فقد وقف على بعد ميلين من صنعاء وقف أقوى من جبل نقم يتحدى الجبروت التركي في عنفوان مبدئيته وعتو تياره ، وقف هذا القيل الثائر الأبي وقفة أباة الضيم ، وقفة أعادت إلى القبائل بعض التماسك والتفهم للأتراك ، وقد اقض الدفعي مضجع الأتراك وحصرهم بصنعاء حتى تعذر عليهم مواصلة الزحف شمالا وشرقاً فإن الدفعي أمسك بيديه الهمدانيتين عنت الجبروت التركي ، مما دفع الأتراك إلى أن يجمعوا قواهم حتى تغلبوا عليه وقتلوه ، وبقتله اندفعوا على قبائل أرحب وحاشد وخولان والحداء وغيرها من القبائل وانزلوا بكل القبائل المذلة حتى قبائل ذي غيلان نتيجة تخاذل القبائل عن مناصرة الثائر الدفعي الذي أزعج الأتراك فحاربوه بالسلاح وبالدعاية إذ سخروا أقلام المأجورين من الكتبة الخونة للطعن في الدفعي بأنه ليس إلا قاطع طريق حتى راجت حوله هذه الدعاية ، وإلا فقد كان أمة وحده في الدفاع حتى سقط شهيد الأباء رحمه الله .

وعلى إثر مصرعه تابع الأتراك غزوهم للشعب اليمني وحكمه ولم يطل الهدوء فقد عجل موقف الدفعي إشعال الثورة إذ سرعان ما هاجت القبائل اليمنية وإذ باليمن مع الأتراك في حرب ضروس حتى العام (١٣٢٩ هـ) وقد خربت اليمن كما خسرت أبطالا من قاداتها وما لا يقل عن نصف مليون شهيد من أبنائها ، ولم تكن خسارة الأتراك بأقل من تضحيات اليمنيين ، وقد قاد النضال الشعبي ضد الأتراك زعماء كثيرون منهم الأئمة الرسيون الذين كسبوا إلى جانب القيادة تقوية الدعوة الشيعية الزيدية ومن هؤلاء الأئمة الإمام المتوكل محسن بن أحمد الهادوي من سنة (١٢٧١) إلى أن توفي سنة (١٢٩٥) والإمام الذي خلفه هو الإمام المهادي شرف الدين بن محمد الحسيني من سنة ١٢٩٦ ـ ١٣٠٧ ثم (الإمام المنصور محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين القاسمي من سنة ١٣٠٧ ـ ١٣٢٢ ثم ابنه الإمام المتوكل يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين من سنة ١٣٢٢ ـ ١٣٦٧ وهؤلاء الأئمة الأربعة المتوكل محسن ، والهادي والمنصور ، والمتوكل يحيى ، هم أشد من قاوم الأتراك وقد كان أدهى هؤلاء الأربعة ، المنصور محمد وابنه يحيى فقد استغلا الوعي الجماهيري المتشبع

بالتشيع فساقوا بهذه الدعوة القبائل إلى المعارك كأنها ذاهبة إلى نزهة فقد أصبح اليمني يتطلع إلى الموت في كبرياء واشتياق ، وقد انتهت هذه الحروب الطويلة التي دمرت اليمن باستعادة القاسميين الحكم بقيام دولة آل حميد الدين وقبل التكلم عن دولة آل حميد الدين نعود إلى الوراء إلى القرون الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر التي انطفأت فيها جذوة الطموح إلى الرياسة في نفوس اليمنيين ما عدا الفاطميين .

المفكرون والقلاون الثلاثة ؛ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر

في القرن الحادي عشر هجرياً تحقق للعلويين أملهم الذي طالما إليه سعوا وله ناضلوا ، وهو حكمهم اليمن الذي تسلم زمامه من يد الأحداث الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادوي الفاطمي وعلى عرشه تربع إبنه الإمام المتوكل اسماعيل وقد كان القاسم والرعيل الأول من نسله من اعلام القادة الذين اضطلعوا بالإمامة الزيدية وتحلوا بمقوماتها فاكسبوا الدعوة الزيدية مكانة إلى مكانتها اهالت التراب على معارضيها وإنطفاء طموح كل العناصر غير الفاطمية إلى الحكم تحت قوة المذهب الزيدي وقيادته ويمضي الرعيل الأول من آل القاسم ويمضي معهم مظهر الإمامة الزيدية ، ويأتي رعيل ملوك آل القاسم مبتدئاً بالمهدي محمد بن أحمد بن الحسن القاسم صاحب المواهب وآخر القرن الحادي عشر وينتهي بالمهدي عبد الله بن المتوكل أحمد عام ١٢٥١ هـ .

ويشهد النصف الأخير من القرن الثالث عشر إنحطاط حكم الأسرة القاسمية فيتعدد الأئمة الجاهلون الضعفاء منهم ، ويظهر من غيرهم أئمة يدعون لأنفسهم وتنفصل المقاطعات ويكثر المتغلبون ويسلب الأمن وتسود الفوضى ، وفي هذه الظروف لم تنجم شخصية غير فاطمية تحاول إقامة ملك إذا ما استثنينا (الإمام سعيد العنسي) .

ولم تخل القرون الثلاثة من مفكرين لم يستول عليهم اليأس في إثارة الطموح اليمني وتصحيح عقيدة الإمامة وتمشيا مع الظروف وروحها ، فقد رأى هؤلاء المفكرون أن من خير الطرق إحياء الكتاب والسنة والدعوة إليها ومن رجال هذه

الدعوة الإمام المقبلي والإمام محمد الأمير وشيخ الاسلام الشركاني ، وكان لهذه الدعوة أثرها المحدود فبدأت تظهر في صنعاء وذمار وحوث وشهارة وصعدة وكوكبان ، ويأتي القرن الثالث عشر ويحتل الإمام الشوكاني رئاسة القضاء ، ومن هذا المركز وشخصيته ، تمكن من تقوية الدعوة إلى السنة إلا أنها كانت بالشمال تدور في أسر مخصوصة لم تتجاوزها إلى الجماهير بصفة مؤثرة على عقيدتهم في الإمامة الزيدية والشافعية .

كما أنها بدأت على الأفق لمحات تلفت الأفكار إلى أمجاد اليمن الشاهد بها التاريخ ولمحات تبعث على التساؤل عن الإمامة وانحصارها في الفاطميين والقرشيين وكان الموقف في النصف الآخر من القرن الثالث عشر يتطلب شخصية يمنية قوية حكيمة تستغل تلك الظروف وتلك الظواهر ، ولكن تلك الشخصية لم تكن قد وجدت فالأمة لم تكن قد تخلصت من عقيدة الإمامة الزيدية والقرشية بل كانت في طريقها إلى التخلص .

الإمام المهدي الفقيه سعيد العنسي

وفي أثناء هذه الطريق يطلع الفقيه سعيد بن صالح من يسين العنسي الكهلاني الصوفي من قرية الدنوه من بلاد أب يقود ثورة دينية وأعلن نفسه إماماً ، وتكنى (بامام الشرع المطهر المهدي) وضرب السكة بإسمه من الفضة الخالصة وأجلى من لواء آب وتعز أتباع الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد القاسمي وأقام دولة امتدت من زبيد إلى يافع وشملت لوائي تعز واب إلى يريم وأقام الولاة والقضاة ، وخطب باسمه على المنابر وقوي أمره من عام ١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ وساد الأمن والعدل المناطق التي يحكمها وتنفست جماهير الفلاحين تنفساً تفسره هذه القطعة من الشعر الشعبي .

يابـاه سعيد يابـاه　　يا ساكن الدنوه
أسلمتنا المحنة　　والعسكر الزويه

فأبقى لنا ياباه

وقد هزت هذه الثورة عرش الإمام القاسمي بصنعاء وأثارت القبائل التي

أجلاها الإمام سعيد فقاد الإمام القاسمي تلك القبائل بنفسه إلى يريم وفي يريم جرت معركة حامية استبسل فيها القبائل انتهت بهزيمة الإمام سعيد وفراره إلى اب وهناك قتل وأخمدت ثورته ، لأنها سبقت أوانها ولم يمهد لها ولا لإعلانه نفسه إماماً مما أثار عليه إنكار فقهاء الجنوب الشافعي المتمسك بنظرية الإمامة في قريش .

وبالطبع الشمال الذي ما يزال متمسكا بالإمامة الزيدية ، وهذه الثورة وما حملته من شعارات الملك والإمامة لغير الفاطمي والقرشي كان لها صداها فقد تركت وراءها المزيد من التساؤلات عن الإمامة وحصرها لا في الفاطميين بل وفي القرشيين ، كما أنها أفزعت الإمام القاسمي وأسرته ودعاتهم ورأوا أنها فاتحة للعود باليمن إلى العهد الرسولي والطاهري ، ونلمس هذا في الدعاية التي نشرت ضد الإمام سعيد فقد رموه بالسحر وأنه من أمهر السحرة ، ونلمسه فيما قيل بعد قتله من شعر نرى صورته في قصيدة لأحمد بن لطف الزبيري الصنعاني يهنيء بها الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد ، مستهلها :

هذا هو الشرف الرفيع الأعظم والفخر والحسب العميم الأفخم

ومنها :

فليهن أركان الخلافة إنها قد شادها الهادي الإمام الأعظم
وأعادها بكراً وعاد جمالها غضا وقد كادت تشيب وتهرم
وهدمت ما عمر الشقي بسحره ونقضت ما عقد البغاة وأبرموا
أصلحتها بالسيف بعد فسادها والسيف برء للفساد ومرهم

ومن هذه القطعة نرى إلى أي مدى كان لهذه الثورة الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أعوام من أثر دفع دعاة الإمامة الزيدية إلى أن يشيعوا أنها جاءت من قبيل السحر وأن الإمام سعيداً كان من مهرة السحرة ، عرف أسرار الأوفاق ومعميات الطلاسم ، كل ذلك ليسدوا الطريق الذي بدأ الوعي يسير فيه ، وهذه الدعاية وإن أثرت إلا أنها لم تسد الطريق فقد بدأت القافلة تسير ، وما الإمام سعيد إلا أحد أعلام القافلة الذين سقطوا في أثناء الطريق تاركين

آثارهم مصابيح يهتدي بها السارون بعدهم ، حتى إن تلك الدعوة لمحو عقيدة الإمامة الزيدية استمرت في الشمال تؤدي عملها بعد عام ١٢٦٥ تاريخ إحتلال الأتراك لتهامة وبعض الجنوب وسحق طلائعهم في التاريخ نفسه تلك الطلائع التي استقدمهم الإمام المتوكل محمد بن يحيى إلى صنعاء مما جعل الأتراك يهابون الشمال ويجمدون بتهامة وبعض الجنوب خمسة وعشرين عاماً ، فقد استمرت الدعوة لمحو الإمامة الزيدية تواصل سيرها في الشمال بصفة تمكنت معها من إجهاض وملاشاة الإمام الويسي والإمام محمد الوزير وكان هذان الإمامان سيما الوزير مثلا قوياً للإمامة الزيدية .

وجعلت الإمام محسنا يدور في حلقة مفرغة من عام ١٢٧١ - ١٢٩٠ هـ أي قرابة عشرين عاماً وهو من أعلام الأئمة الزيدية ولو لم يأت الغزو التركي للشمال لاستمر الإمام المحسن يدور حول نفسه حتى يتلاشى كما تلاشى الإمامان الويسي والوزير ، ولامتدت مسرحية الأئمة الأطفال العقول تدفع دعوة التخلص من عقيدة الإمامة الزيدية ، فإن الشخصية اليمنية غير الفاطمية بدأت تظهر عناصرها وبراعمها على المسرح الشمالي فيحكم صنعاء ومنطقة واسعة من الشمال الفقيه الأنسي ثم الفقيه الحيمي ثم الشيخ محسن معيض حكما يعد في تلك الظروف الفوضوية من أروع مظاهر الحكم ، ويرينا أن الأنسي والحيمي ومعيضا كانوا على جانب من الموهبة والحكمة ، فلم يتسرع أحدهم إلى أن يعلن نفسه إماماً أو ملكا كما تسرع الإمام سعيد ، وإنما حكم كل منهم كحكم الملوك والأئمة تاركا للإمامة الزيدية أن تجري في تحطيم نفسها وعقيدة الإمامة الزيدية فتظهر كالحة مشوهة في أعمال الأئمة الأطفال المسلوبي التفكير والحول والقوة ، فهم بأعمالهم مثار السخرية والتندر وتبلغ السخرية نهايتها يوم الجمعة فإن الفقيه الزيدي يشترط في صحة صلاة الجمعة وجود إمام فعلى الحاكم بصنعاء إقامة إمام للجمعة يكون هناك بصنعاء فلا يأتي يوم الجمعة إلا وهو جاهز ، في بيته الذي يصبغ عليه الحاكم النعمة ، يوم الجمعة وإذا اقترب وقت صلاة الجمعة ذهبت مجموعة من جند الحاكم الأنسي أو الحيمي أو معيض معها فرس الامامة وسيفها ومظلتها وكسوتها وطبولها فيخرج الإمام فيلبسه

رئيس الجند حلة الإمامة ثم يركب الفرس ويذهب في موكب الإمامة إلى جامع صنعاء فيخطب بإسمه ثم يعاد إلى بيته يعود هو إلى حياة الشارع مع سفاسف الناس ، وهكذا كل جمعة منظر مظهره حرص الحاكم على المذهب الزيدي ، وباطنه السخرية بالإمامة الزيدية وتقوية للدعوة المضادة لها وكانت الدعوة المضادة قد اقتربت من إعداد الوعي في الشمال لتقبل ملك أو إمام يمني غير فاطمي ، وكانت قد اقتربت من إبراز الشخصية اليمنية غير الفاطمية لتحمل أعباء الملك والإمامة في اليمن كما تحملها الصليحيون والحاتميون والرسوليون والطاهريون ، وما الحيمي والآنسي ومعيض إلا من مقدمات تلك الشخصية التي أصبح مفكرو الفاطميين يتخوفون إقتراب مولدها ونلمس ذلك التخوف فيما كُتِب حينذاك بل وفي شعرهم الحكمي والشعبي ، فهذا السيد محسن إسحق القاسمي يقول :

عظم الله يا حبيبي لك الأ　　جر ولي في الخلافة القاسمية

إلى آخرها ، وهذا السيد أحمد القاره من ذرية الإمام المطهر بن شرف الدين يؤلمه انحطاط الإمامة الزيدية ، ويغضبه ظهور مثل معيض فله في ذلك عدة قصائد حكمية وحمينية منها حول معيض مستنكرا حكمه ومتخوفا منه .

وأمير المؤمنين معيض　　شاربه قالوا طويل عريض
قد جعل فيها سنن وفريض　　مجعلي[1] ، لا إله إلا الله

وبينما كان الدرب قد اقترب وأصبح مولد الشخصية اليمنية المتحررة من عقيدة الإمامة الزيدية ـ قاب قوسين أو أدنى ـ إذ بالغزو التركي للشمال اليمني عام ١٢٨٩ هـ يسقط صخرة عاتية على قلب الطريق .

فسدها ثم تحولت تلك الصخرة تحت ضغط الحرب التركية اليمنية وحرارتها إلى لغم إنفجر في قلب الطريق فينسفها وتحت أنقاضها اختفى الدرب وأخدجت الشخصية ومات جنينها في بطن أمه اليمن ، وخرج الإمام المتوكل

---

(١) أي : جاهل غبي في قسوة .

محسن بن أحمد الهادوي غير القاسمي خرج من كهف خموله الذي عاشه عشرين عاما ، مقتنعاً بأنه قد تخلص من قبضة الخمول وبأنه القائد الذي يلتف حوله الشمال ويعيد إلى الإمامة الزيدية فتوتها وذلك ما كان فالمحسن هو أول الأئمة الأربعة الذين قادوا المعركة الذي شهد ضراوتها ونهايتها القرن الرابع عشر .

الأئمة الأربعة والقرن الرابع عشر وآل حميد الدين

اقترب القرن الثالث عشر هجريا من نهايته واليمن قد ضاق ذرعا من عار الإحتلال التركي ودبت في الشمال اليمني غضبة عارمة أنست الشمال كل شيء إلا محو عار الحكم التركي ، غضبة اختفى معها برحم النسيان جنين الشخصية اليمنية ، وجعلت كل زيدي يضع أنملته على زناد بندقيته أو كفه على قائم سيفه ينتظر في تحرق كلمة القائد إلى معركة الشرف وتطهير اليمن من الغازي ، وكلمة القائد إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وأين هذا القائد إلى الجهاد والجنة ، والظروف تتطلب هذا القائد ووجوده في سرعة ، لا تتحمل استمرار مسرحية أطفال الأئمة ،ولا انتظار مولد الشخصية اليمنية المتحررة من عقيدة الإمامة الزيدية .

إن ناقوس الخطر يدق في شدة ، وصدر الشمال لم يبق فيه ذرة من صبر على تحمل الكابوس التركي ، فلا بد من معركة ولا بد لها من قائد ينظم حركة السير إلى المعركة وإلى الجنة ، ولم يكن هناك في نظر والدنا اليمني الأبي المغوار الجاهل إلا الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد ، وسرعان ما تألبت ضد الأتراك القبائل الشمالية الزيدية يقودها المحسن الهادوي ثم الهادي الحسيني ثم المنصور محمد حميد الدين القاسمي ثم ابنه المتوكل يحيى فأعاد هؤلاء الأئمة الأربعة إلى الإمامة الزيدية مقوماتها ، وكان المحسن أصلب الأربعة مغامرة لا مقر له ولا قصر ولا حصن ولا عاصمة إلا سرج حصانه يغادي الأتراك ويراوحهم ، له من قلب كل زيدي عاصمة لا يخرق سورُها ، ولا يبوح سرها ، فأقض مضاجع الأتراك في كل مكان مما مهد لخلفه الإمام الهادي

الحسيني أن يقتطع لواء صعدة ويقيم فيها حكومة مستقرة ترتبط بها روحيا كل القبائل الشمالية الزيدية ، وينازع الأتراك ، بجنوب لواء صعدة وكان الهادي مثلا صادقاً للورع والشجاعة والإمامة الزيدية .

ولم يستهل القرن الرابع عشر إلا والصراع اليمني التركي قد أخذ يشتد ويتطور من حرب عصابات يمنية إلى حرب عصابات وجيوش يمنية تنازل الأتراك في لواء حجة وغيره ، وتتسع الرقعة التي يحكمها الهادي فتشمل الأهنوم والشرفين وحجور الشام وتمتد إلى ذيبين والجوف وبرط ومعظم لواء حجة ، ويهاجر إلى صعدة والأهنوم بدافع عقائدي الكثير من أعلام يريم وذمار وإريان وآنس ورداع وصنعاء ومناطقها كما كانت تساق إليه الزكاة والواجبات والتبرعات من المناطق الزيدية جميعها ومن كثير من المناطق الشافعية بالجنوب وتهامة ، وهو بدوره لم يقتصر على الجهاد والخطط العسكرية فقد اهتم بالناحية العلمية وإحياء العلوم الزيدية وأقام لذلك عدداً كبيراً من الهجر (أي المدارس في الجوامع) ببلاد صعدة والأهنوم وحوث ، ويموت الهادي في العام السابع من القرن الرابع عشر هـ بصعدة ويدفن بالأهنوم تاركا منطقة واسعة وبيت مال لا بأس به من أسلحة ونقد وحبوب وحصونا يشرف عليها إبنه سيف الإسلام محمد بن الهادي المعروف بأبو نيب لا لأنه خلف له في الحكم والإمامة فقد كانت مؤهلات الإمامة الزيدية موجودة فيه إلا أنه لم يبلغ درجة الإجتهاد الذي هو من شروط الإمامة ، وقد أشرف أبو نيب على هذه المهمة بأمانة ينتظر الإمام المستجمع شروط الإمامة .

وبعد أن استعرض أعيان الزيدية عدة أشخاص من أعلام الفاطميين استدعوا السيد محمد بن يحيى حميد الدين القاسمي إلى صعدة من صنعاء لاختباره من ناحية الإجتهاد أما فيما عدا الإجتهاد فلا كلام في اضطلاعه بها فقد كان من ألمع أعلام الفاطميين ويصل محمد حميد الدين إلى حصن السنارة المشرف على مدينة صعدة مقر حكومة الهادي بالأمس فيستقبله أبو نيب ويكرم وفادته يوماً ثم يأمره بالنزول إلى صعدة مجتمع أعيان الزيدية وعلمائها للمناظرة معهم لتقرير اجتهاده من عدمه ، وبعد مناظرة عميقة قرر العلماء اجتهاده

فبايعوه وبايعه الأعيان في آخر سنة سبع من القرن الرابع عشر وتلقب بالمنصور بالله ويصعد من صعدة إلى السنارة ويتسلم من أبو نيب السنارة وما تحتويه من أموال ومعدات ، ويبقى المنصور بصعدة عدة أشهر ثم استتاب على لواء صعدة أبو نيبه وانتقل إلى حاشد والأهنوم واتخذ القفلة ـ من عذر حاشد مقراً له ، ووسع خطة الهجر والتعليم، وبالمنصور محمد بن يحيى حميد الدين عادت الإمامة إلى بيت القاسم وابتدأ حكم آل حميد الدين وكان إلى جانب معلوماته الزيدية واسع الإطلاع بأحوال زمنه وسياسة عصره قوي البيان في رسائله شديد التمسك بالمبادىء الزيدية الهادوية نشيط الحركة[1] مهاباً كريماً ويعد هو وابنه الإمام يحيى أقوى الأئمة الأربعة سياسة ودهاء وبقيادتها استمرت الحرب التركية اليمنية في مد وجزر وبلغت قمة ضراوتها وتضحياتها في عهد الإمام يحيى ، وبعده انتهى الصراع الذي امتد في الشمال من عام ١٢٨٩ ـ ١٣٢٩ هـ بتغلب اليمن وعقد معاهدة عام ١٣٢٩ هـ التي خولت الإمام يحيى الحكم والسلطة وجعلته يفكر ـ وكأن كله فكرا ـ في مستقبل حكمه ومستقبل اليمن .

---

(١) كان متصلا بالاعلام في الخارج مثل عبد الرحمن الكواكبي .

اليمن والإمام يحيى بعد اتفاقية

عام ١٣٢٩ هجرية

إن للإمام يحيى جانبه المشرق وجانبه المظلم ، وعلى الجانبين نمشي مع هذه الشخصية ، لقد تمكن الإمام يحيى أن يتخلص من شخصيات يمنية قوية في خلال الحرب التركية اليمنية من تلك الشخصيات من سقط في المعارك ومنهم من قتله الأتراك أو نفوه أو أذابوه ، ومنهم من أذابه أو قتله الإمام يحيى لخطورته وطموحه وهم كثيرون كالشيخ أحمد الرماح ، أو لتثبيطه ومعارضته إمامة الإمام يحيى . كشيخه عالم الزيدية القاضي محمد جغمان . والسيد علي حميد الدين فقتل جغمان مع رفاقه صبراً ، وأذاب علي حميد الدين عام ١٣٢٢ هـ تاريخ قيامه ودخوله صنعاء المرة الأولى بعد حصار طويل أجبر الأتراك على الاستسلام وهلك من أهل صنعاء ما يقرب من أربعين ألفاً ، فدخلها الإمام مع قواد جيشه القبلي ونقل منها إلى شهارة كل الذخائر الحربية ، كما اغتال في صنعاء الرماح وشهر بعلي حميد الدين فأذابه وكلاهما من أبرز قواد الجيوش القبلية الزيدية التي حاصرت صنعاء ، ويعيد الأتراك الكرة فينسحب الإمام يحيى ويتتبعه الأتراك بجيوش ضاق بها السهل والجبل لقيت مصارعها بمعركة شهرة التي تعد أعظم معركة في الحرب اليمنية التركية هبطت بها المعنوية التركية إلى قرب الصفر وارتفعت بها الآمال اليمنية في النصر ومعنوية الإمام يحيى .

وها هو اليمن اليوم عام ١٣٢٩ يتخلص هو والإمام يحيى من الحرب

وحكم الأتراك وأصبح الإمام هو الحاكم لليمن محاطاً بهالة من حب الجماهير وتقديسها إلى مهابة واحترام يملآن القلوب ، ولكن الإمام يحيى ليس من أولئك الذين تخدعهم المظاهر ، إنه يعرف أن حكمه معرض للخطر ويعرف أن وحدة اليمن عرضة للتمزق الكامنة عناصره في داخل اليمن فشخصيات طامحة ، وبريطانيا تحتل الجنوب ، وعميلها وعميل إيطاليا الإدريسي يلعب في تهامة والمخلاف السليماني ، وتركيا التي ما زال لها وجود باليمن بموجب اتفاقية دعان تضع يدها بيد ألمانيا الإمبراطورية العسكرية وتندلع الحرب العالمية الأولى وتنضم الدول والبلدان العربية إلى بريطانيا ويضربون الأتراك من الخلف وفي القلب ، ولكن الإمام يحيى في هذه الظروف كان أعمق القادة العرب فكراً وأشرفهم موقفاً ، فوقف موقف الحياد ولم يطعن الأتراك لا من الإمام ولا من الخلف إلتزاماً منه باتفاقية دعان وبأنهم مسلمون يحاربون مستعمراً كافراً (هم الإنكليز) وحلفاؤهم ولم يقف به هذا الاعتقاد عند حد المتاركة للترك بل أمدهم بالمال ، ولم يعارض من أحب التطوع من اليمنيين للقتال معهم ضد الإنكليز ، وتنتهي الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وألمانيا فسلم القادة العرب كل من بيدهم من الأتراك إلى بريطانيا وحلفائها المنتصرين كأسارى ولكن اليمنين والإمام يحيى لم يصنعوا هذا الصنيع برغم ما جره الأتراك من ويلات إلى اليمن بل احتفظوا بمن بين أظهرهم من الأتراك وفتحوا المنطقة المتحررة من الأتراك والحماية البريطانيه لكل تركي أحب اللجوء إليها وتركوا لهم حق الاختيار في البقاء باليمن أو الرجوع إلى بلادهم ، لقد كان اليمن شريفاً في انتصاره وأيام سلمه .

ومما يؤخذ على الإمام يحيى أنه لم يستجب لنداء القائد العسكري التركي بلحج (سعيد باشا) لاستلام الجنوب اليمني من سعيد ، ذلك النداء المتضمن له خطاب سعيد المؤرخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨م أنه يدين الإمام بإضاعة الجنوب اليمني .

وعلى أثر الحرب العالمية يدخل الإمام يحيى صنعاء ومعه تفكيره حول ترسيخ حكمه المطلق والوحدة اليمنية ودون تحقيقها تلك الصعاب وليس

التخلص منها بالأمر السهل فإن اليمن إن تكن الحرب قد دمرته وكنست من طريق الإمام شخصيات فإنها قد أوجدت في اليمن مجموعة من القادة وأبطالا عسكريين وشخصيات لها مكانتها في القبائل والشعب كما أوجدت قبائل حنكتها الحروب ودججتها بالأسلحة وعبأتها الدعوة الزيدية بروحها الثورية التي أشعلتها ورفعت من حرارتها دعاية الإمام يحيى وسلفه لضرب الأتراك ومعارضي التشيع والمذهب الزيدي ، إنها مشاكل معقدة يعرف نتائجها الإمام يحيى الذي هو أعرف الساسة باليمن ونفسيته . ويعرف أكثر من غيره الدعوة الزيدية وروحها الثورية ، وها هي الحرب قد وضعت أوزارها وتركت مخلفاتها ، فهل يترك المخلفات على علاتها وشخصياتها ومطامحهم مكتفياً بشعبيته وقداسته التي يعلم أنها عرضة للهزات إذا امتدت بحكمه السنون ، إنه لن يدع فرصة مقامه الشعبي تمر قبل أن يضرب بحديها كلما يظن أنه يعترض تحقيق الوحدة اليمنية تحت حكمه الفردي المطلق المستبد ، وما كان للإمام يحيى من أولئك الذين يستجيبون لصوت المروءة والعاطفة إذا اعترضتا تنفيذ أفكاره ولا يستخفه الإطراء والمديح والإستعطاف فيخرجه عن تفكيره الذي جعله لا يعطي المناصب والمال إلا من ترتضيه طبيعة الحاكم المطلق القوي الكنود ، أما الرحمة فقد كانت لا تعرف لها مسلكا إلى قلبه القاسي الحقود ، قلب لا يرق لمسترحم ولا تهلعه الأهوال ولا تبطره النعمى ، كله ذكاء ومعرفة تحركه عقلية القائد المستبد المجرب المحنك ، وهذا القلب وهذه العقلية هما اللذان جعلا من هذا الرجل لغزاً فأنت إذا عرفته وعشت في عهده لا تقتدر أن تحكم عليه بأنه مستبد عادل أو بأنه مستبد جائر ، فمن أعماله ما هو من أعمال المستبد العادل، فقد وطد الأمن وحكم الشريعة الإسلامية في حل الخصومات والمعاملات بين المواطنين وأخضع لقانونها (الفقه الزيدي) نفسه وذويه ، وحصن المواطن اليمني من أي متسلط غير حكومي ولم يول الحكم والقضاء وجباية الأموال لقرابة أو محسوبية بل يتخير الأكفاء الذين يأمن من طموحهم ، ويعرف أنهم لا يتجاوزون حكم الظل التابع له وكان ملتزماً للمظاهر الدينية واليمنية ، فلا يرى عابثاً ولا لاهيا ولا مسرفاً في المال والشهوات قريباً من المواطنين مهتما بمشاكلهم وحلها دائم الاتصال بهم مسيطراً على بطانته وجهاز حكومته يرهبونه ولا يجدون منفذاً إلى الدالة عليه

وكان موهوباً في معرفة الرجال واختيار من يخضع لنظريته ويطبق خطته ، وإلى جانب هذا ، تأتي ناحية المظلمة فقد كان حقوداً لا ينسى أية زلة ، بخيلا حتى على نفسه وذويه حريصاً على جمع المال وادخاره مستبداً لا يسمح للخيال أن ينازعه السلطة كنوداً لا يطمع في هباته مستجد ولا مادح عالما متفوقا واسع الاطلاع لا تقف معرفته عند العلوم الزيدية والإسلامية والأدبية ، وإنما اجتازها إلى علوم الطبيعة والفلسفة وجانب من علوم عصره ، ومع ذلك فهو من أعداء انتشار العلوم غير الفقهية والحديثة وما يتعلق بها ، سد الطريق أمام كل جديد من المعارف نافعاً كان أو ضاراً فقد كان يرى في ذلك خطراً على اليمن وحكمه المطلق الوراثي ، وهذا ما جعله يجمد المشاريع العمرانية كاستخراج المعادن وإدخال الوسائل الحديثة في تطوير الزراعة والصناعة . وجعله يتخوف من تحرر الأفكار من الخرافات والأوهام ويتخوف من كل جديد حتى من فهم الناس للإسلام بمعناه الصحيح ومن روح الثورة في المذهب الزيدي التي لا تقر ولاية العهد ووراثة الإمامة في الأبناء والأخوة .

هذا هو الإمام يحيى ببعض ملامحه المظلمة والمشرقة والتي بمزاجها شرع في تنفيذ نظريته حول الوحدة وحكمه ، فعمد وهو بالسودة في تذويب الشخصيات بكل الوسائل الحكيمة ، فمن بث دعاية ضد كل بما يتناسب مع أحواله إلى إقامة منافسين لهم من ذويهم وعشائرهم وغيرهم ، وقد نفذ خطته في مهارة مكنته من إقصاء أولئك الأقوياء عن جهاز الحكم وسلبهم مع المشايخ مكانتهم في قبائلهم ، ومكنته دراسته نفسية كل قبيلة ومعرفته بأفرادها وأحوالهم العامة والخاصة أن يتصل بالجماهير ويربطهم به مباشرة ليس بنيه وبين الجماهير صعوبة حجاب . تاركاً المشايخ والأعيان بعيدين عن الوساطة بينه وبين الجماهير المرتبطين به ارتباط عقيدة مرفقة بالمهابة والاحترام . المالئين نفوس الجماهير الذي في وسع كل واحد أن يرى الإمام ظهر كل يوم يؤدي الصلاة في أحد المساجد مع المواطنين الذين لا يحجبهم عن الإمام في صباح كل يوم أي حجاب . يشون إليه شكواهم ويرفعون مظالمهم ، ويقدمون مطالبهم ونذوراتهم ! ويستمدون منه البركات والدعوات والتمائم ، ولذلك اجتذب

الجماهير وأصبح يربطهم بوجوه جديدة ، هم صنع يده ، وطوع إشارته ، وسلعة قيمتها بيده إن شاء رفع ثمنها وإن شاء قذفها في قارعة الطريق ، لا قيمة لأكثرها إلا أنها نفاية في قارعة الطريق .

فذابت الشخصيات البارزة والطامحة في هدوء وأناة وبلا عنف ، فإذا بالاختفاء يطوي تباعاً سيوف الإسلام : أبو نيب محمد بن الهادي ، وأحمد بن قاسم حميد الدين ، ومحمد بن الإمام المحسن ، ويحيى بن حسن الكحلاني ، وأحمد بن يحيى عامر الذين كانوا كمنافسين له في الترشيح للإمامة . ويطوي شيوخ الإسلام كعلي بن عبد الله الأرياني ، وعبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي ، وعلي المغربي ، وأحمد بن عبد الله الجنداري وغيرهم ممن بيدهم الحل والعقد في القبائل الزيدية ، وبيد جلهم ارتفع يحيى إلى الإمامة ، ويطوي قادة الجيوش القبلية كالشيخ ناصر مبخوت الأحمر ، وعبد الله أبو منصر ، والشيخ علي المقداد ، وأحمد مساعد ، ومحمد بن يوسف ، وعلي مطلق ، ومحمد بن علي الشامي ، وعلي بن محمد الشامي ، والنقيب عبد الله الصوفي وغيرهم ، ويلاشى نفوذ المشايخ في قبائلهم ، وتطلع تلك الوجوه الجديدة التي اختارها يحيى فيحل الأمير عبد الله الوزير ، والأمير علي الوزير ، والأمير يحيى بن محمد المتوكل الشهاري ، والأمير عبد الملك بن عبد الرحمن المتوكل الشهاري محل سيوف الإسلام القدامى .

ويقوم القاضي عبد الله العمري وآل مطهر ، وآل الجرافي ، وآل إسحاق ومن على شاكلتهم على رأس الجهاز الحاكم ، ويتربع القاضي حسين بن علي العمري على صدر مشيخة الإسلام والقضاء ، وفوق قمة هذا الهرم يجلس الإمام يحيى حاكماً مطلقاً ، ومن الاعتراف بالحقيقة أنه بعمله هذا استطاع أن يوحد الجزء المهم من اليمن تحت سلطته المطلقة ، وأنه لعمل جبار فقد كانت اليمن على أثر الحرب التركية عرضة للتمزق بقيام ما لا يقل عن مائة إمارة ومشيخة وسلطنة ، وما بقي معه من مشكلة حيرته إلا الدعوة الزيدية وما تحمله من روح ثورية .

الإمام يحيى والروح الثورية في الدعوة الزيدية

لقد نجح الإمام يحيى فأقام مملكة راسخة القواعد تشمل الجزء المهم من اليمن المكون من الشمال الزيدي ومن القسم الشافعي المكون من تهامه والجبال الجنوبية المطلة عليها والألوية الثلاثة تعز وآب والبيضاء فهـا هو الحـاكم المطلق الذي لا يسأل ، وأقام جيشاً نظامياً من القبائل الشافعية والزيدية وجيشاً عشائرياً من حاشد وبكيل وخولان والحدا ومخلاف صعدة عرف بالجيش البراني وربط الجيشين به ، ولم يبق من يجاذبه سلطة ، ولا من يخيف الأمن المستتب والاستقرار الملتقى فيه الشافعي والزيدي ، ولكن الإمام يحيى كغيره من مؤسسي الممالك لم يشد هذه المملكة لمحض الشعب ، وإنما ليحكم هو وأبناؤه من بعده الشعب ، وهذا ما تعارضه الدعوة الزيدية وروحها الثورية ، وشروط امامتها ، فيقف الإمام يحيى حائراً ، إنه لم ير متردداً في أية معضلة كتردده في هذه القضية ، إن في القضاء على الدعوة الزيدية نسفاً لقاعدة عليها قام الحكم الفاطمي في اليمن . وفي الإبقاء عليها يكمن الخطر الذي إن لم يهدد يحيى ويقضي عليه فإنه سيقضي على أبنائه ، إنها أخطار ذات حلول متناقضة ما زال بينها مضطرب التفكير الذي أدى به إلى حل وسط ، فقرر تخفيف حدة وحرارة الدعوة الزيدية لا القضاء عليها ففتح الباب للسنة وانتشارها في الشمال ، وأقبل على علمائها واستخدم منهم الكثير لضعف مركزهم الشعبي واستخدم إلى جانبهم من علماء الزيدية وأعيانها من عرف بالخضوع والضعف ، وبأنه خوار رعديد وقد استراح إلى قراره هذا وسادت بهذا القرار روح من التسامح المذهبي الزيدي والشافعي ، حتى إذا كانت الحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٢ هـ جعلته الأحداث وصمود القبائل الزيدية إلى جانبه وفي المعارك التي جعلت ابنه ولي العهد أحمد يتغلب على ولي العهد السعودي فإذا به يغير فكره ويرجع إلى إحياء التشيع والدعوة الزيدية ويحدد من نشاط السنة ، إن الحرب السعودية اليمنية كما حولت تفكير يحيى فقد تولد من هذه الحرب اتجاهان متضادان سنتكلم عنهما بعد أن نقف مع بعض الشخصيات التي نجح الامام من التخلص منها .

حوادث وشخصيات تعترض الإمام يحيى

تكلمنا عن بعض الشخصيات اللامعة التي زاملت الإمام يحيى في الكفاح وبيدها ارتفع إلى الإمامة ، وكيف قلب لها ظهر المجن وأذابها ، وقد يبدوا مما كتبناه أن لم يلق أية صعوبة ولا مقاومة (كلا) فلقد لاقى في طريقه نصباً ، فإن الكثير من تلك الشخصيات من شعر بما يبيته لهم يحيى وهو ما يزال في السودة ومن قبل عام ١٣٣٠ هـ فمن تلك الشخصيات من رجح الابتعاد عن يحيى دون الخروج عليه وهؤلاء هم القادة الدينيون الذين لا يرون في مجرد الأعراض عنهم ما يوجب المنابذة والخروج (الثورة) ومن هؤلاء . والدنا عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي فقد فارق الإمام يحيى غاضباً عام ١٣٣١ هـ إلى ظفير حجه فحول ظفير حجه إلى هجرة (مدرسة) أمها طلاب العلم من كل صوب واستمرت هذه المدرسة إلى أن قوضها سيف الإسلام أحمد بن يحيى عام ١٣٤٠ وهكذا فعل سيف الإسلام أبو نيب محمد بن الهادي فقد فارق الإمام يحيى إلى الأهنوم وتفرغ للدراسة والتدريس ، وهذا ما عمله القاضي علي بن عبد الله الأرياني ، وهو أول من ابتعد بل عارض في تعيين الإمام يحيى للإمامة مما جعله يحقد عليه من اول يوم لدعوته وأمثالهم كثير أما غيرهم من الشخصيات ذات القيادة العشائرية أو الأمراء ، فمنهم من استسلم حتى طواه الموت فأراحه كمحمد بن يوسف والشيخ علي المقداد ، ومنهم من امتشق الحسام وأعلنها حرباً ومن هؤلاء أمير حجه السيد يحيى بن ناصر شيبان من نسل المطهر بن شرف الدين ، وشيخ حاشد الشيخ . ناصر بن مبخوت الأحمر .

شيبان والأحمر

فقد اتفق السيد يحيى شيبان مع الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر على إشعار ثورة من حجة تمتد فتغطي الشمال الغربي ثم تطبق على صنعاء فتجبر الإمام يحيى على الاعتزال إن لم يعتدل بتطهير جهاز حكمه من تلك الفئة غير المرغوب فيها ، ويعيد إلى الجهاز أولي الإخلاص والسبق .

ولنجاح العملية اتصل الأحمر وشيبان بمن يثقان به كابو منصر بشلا والسيد عبد الوهاب الحوري من مشايخ مسور حجه ومجموعة من أعيان حاشد كالشيخ محمد القديمي ، وكأن الإمام اكتشف المخطط وكان شيبان بصنعاء فقبض عليه واعتقله بسجن غمدان ففجر الثورة أخوه محسن شيبان بحجه عام ١٣٣٧ هـ . ولم يكن محسن كأخيه في قوته ومواهبه فلم يبق أمام الشيخ ناصر الأحمر إلا أن يرسل قوة من قبيلة حاشد بقيادة ابنه الشيخ حسين الأحمر مدد المحسن شيبان ويصل حسين الأحمر حجه ومنها صعد مع طائفة من جنوده ، إلى قاهرة حجه حيث يقيم محسن شيبان ويذهب محمد القديمي وطائفة من حاشد فيحتلون قرية صعصعة المسيطرة على الطريق إلى الأمان الذي تحتله حينذاك القوات الادريسية ، وتكون الحرب بين شيبان والأحمر ومن أنضم إليهما من عشائر المنطقة وبين أتباع الإمام ومن انضم إليهم من عشائر المنطقة ، وأرسل الإمام يحيى قن صنعاء طائفة من الأعيان مع جيش وأمرهم بالتوسط وحل القضية بالمصالحة ومن أولئك الأعيان سيف الإسلام محمد بن المحسن والشيخ حزام الصعر ، وأنهم ليدورون في غبار المصالحة إذ يطلع من شمال حجه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى في عسكر جرار معظمه من الأهنوم ومن عذر والعصيمات ، فقد كان أوعز إليه أبوه الإمام يحيى سراً بالزحف على حجة وتظاهر بالمصالحة ليخدر شيبان والأحمر حتى يفرق من حولهما العشائر المنظمة إليهما وحتى يتمكن ابنه أحمد من حشد قوة يزحف بها إلى حجة ، وقد تم له ذلك ويصل أحمد وهو إذ ذاك شعلة من نار لم يتجاوز الرابعة والعشرين عاماً ، وسرعان ما احتل المواقع الهامة المحيطة بحجة ثم احتل حصن كوكبان حجة المطل على حجة ، وهنا كانت الحرب العوان وقد ثبت فيها محسن شيبان وحسين الأحمر برغم قلتهم واحتلال أحمد كلما يحيط بحجة حتى فصلها عما حولها ودخوله إلى جوفها فاحتل حصن نعمان ولم يبق بيد الأحمر وشيبان إلا قاهرة حجة وقد أبديا مقاومة أقنعت أحمد بأنه لا يأخذها عنوة فقبل شروطهما بأن يخرجا مع جميع أصحابهما وبكلما بقاهرة حجة من أموال وسلاح ما عدا المدافع إلى حاشد وقبل أحمد هذا الشرط وانتقل الأحمر وشيبان من حجة إلى خارف حاشد ، واتخذ أحمد حجة مركزاً لإمارته وكان لواء حجة إذ ذاك تتحكم فيه طائفتان : المشايخ

المحليون أو أسر ومشايخ من حاشد وبكيل كآل الأحمر وآل جزيلان وآل هراش وآل المعمري وآل الدميني والزرقة وأبو راس وشمسان وآل الشايف وغيرهم .

وقد جعل أحمد نصب عينيه التغلب على هاتين الطائفتين فدخل معهم في صراع غير يسير انتهى بتغلب أحمد على الطائفتين ، وفي خلال صراعه مات الشيخ ناصر مبخوت الأحمر وقام بعده ابنه الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر وما لبث أن اشتد الخلاف بينه وبين الإمام يحيى بسبب تصرفات ابنه سيف الاسلام أحمد بلواء حجة ضد الأسر الحاشدية والبكيلية فقد كان الإمام معجبا بتصرفات ابنه أحمد ويتظاهر لحاشد وبكيل أن ذلك عن غير رضاه ولم يقتنع الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر بهذه الأعذار وكانت حاشد وبكيل إلى ذلك التاريخ غير خاضعتين لحكم الإمام عسكريا وإنما خضوعا روحياً فاستشارهم ناصر بن ناصر الأحمر لأخذ حجة وإخراج أحمد منها ، فالتفت حوله عدة آلاف وزحف بهم عن طريق حبور حتى وصل حصن (نيسا) القريب من حجة فذعر الإمام بصنعاء ، أما ابنه أحمد فاستولت عليه بحجة المخاوف حتى أنه بدأ في نقل بعض أمتعته ومعداته لئلا تسقط في يد الجيش الزاحف الذي يقوده ناصر بن ناصر الأحمر وكان ذلك هو المنتظر إلا أن هذا الجيش توقف (بنيسا) فقد تعرض له عامل الإمام بنيسا القاضي حمود حميد وسرعان ما قتل القاضي حمود حميد واحتل ناصر الأحمر قلعة نيسا ، وهنا أظهر بعض أعيان الجيش الزاحف استنكاره لمقتل القاضي حمود حميد واتسع الخلاف بين الجيش وقد يكون ذلك عن مؤامرة دبرها أحمد ، ولم يتمكن ناصر بن ناصر من التغلب على هذا الانشقاق فإذا بشطر جيشه ينسحب عائدا إلى بلاده مما اضطر معه ناصر بن ناصر الأحمر إلى التوقف بقلعة نيسا مع من بقي معه من الجيش واستمر بنيسا قرابة عام يتحين الفرص ليثب منها على حجة ولكن الفرصة لم تأت وثقلت نفقات الحرب على ناصر بن ناصر الأحمر فترك نيسا وعاد إلى حاشد واستقر بها إلى أن دخلت حاشد في حرب مع الإمام يحيى وكان الإمام قد أعد لها من الجيوش النظامية وغيرها كما دس بين حاشد نفسها ما فرق صفها ثم رماها بقائد له مكانته في اليمن هو السيد عبد الله الوزير الذي له في حاشد نفسها صنائع من عدة أسر وأعيان مما

مهد له أن يحتل حاشدا عسكرياً فلم يبق للشيخ ناصر بن ناصر الأحمر إلا أن يلجأ إلى الملك عبد العزيز آل سعود ، كما أنها قامت عدة ثورات منها ثورة السيد محمد علي الوزير بالسر ببني حشيش عام ١٣٤١ هـ وثورة النعمي والشيخ احمد الزيجي بالشرفين وثورة الشيخ علي مطلق بهمدان صنعاء وثورة قبائل الزرانيق بتهامة وقد استمرت ثورة الزرانيق أكثر من عام إلى غير ذلك من الثورات وكلها كلفت الإمام يحيى خسائر ولم يتغلب عليها الا بجهود زادته اصرارا على فكرته حول الدعوة الزيدية وخطرها على استمرار الملك في عقبه حتى إذا كانت الحرب السعودية المتوكلية عام ١٣٥٣ فغيرت تفكيره وتولد منها اتجاهان متضادان كما اشرنا اليه ، وعن هذين الاتجاهين نتحدث .

(الإتجاهان المتضادان على إثر الحرب السعودية اليمنية)

إنتهى الحكم الإدريسي من عسير والمخلاف السليماني وتهامة والجزر بالبحر الأحمر فاستولى الإمام يحيى على القسم الجنوبي من تهامة واستولى الملك عبد العزيز على البقية مما أثار الخلاف بين الإمام والملك عبد العزيز وكان ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى شديد المعارضة لهذا التقسيم فأصر على استرجاع ما أخذه الملك عبد العزيز بالقوة إن لم تبق إلا القوة فاعد جيشاً قويا من القبائل ومن الجيش النظامي رابط به في بلاد صعدة واعتمد على الأمير عبد الله الوزير واخيه سيف الإسلام عبد الله في تهامة وتوتر الموقف واراد سيف الإسلام عبد الله أن يتخلص من عبد الله الوزير فاقنع أباه الإمام يحيى بارسال عبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز للمفاوضة ، ولكن الحرب انفجرت وكان أحمد قد احتل بخران ومتها ومن حدود عسير تقدم بينما ركز الأمير فيصل بن عبد العزيز حملته على حرض تهامة ، وسرعان ما ثارت قبائل تهامة على الإمام يحيى وانحازت إلى الأمير فيصل ولمساعدتها سهل على الأمير فيصل الاستيلاء على تهامة إلى أن وصل الحديدة على سيارات ومصفحات كثيرة لم تلق بعد حرض أية مقاومة ، وفر سيف الإسلام عبد الله من الحديدة فرار الأمة الوكعاء ، ومن لا رجولة له . فأراد أن يبرر فراره لدن ابيه فهول الموقف فاذا بالإمام يحيى الجبار غيره اليوم أنه اليوم كنعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ، بينما كان ولي العهد

أحمد بن الإمام في معركة حامية اشرفت على النهاية بل انتهت بانتصار الجيش اليمني واقتحامه الحدود السعودية وفرار ولي العهد السعودي تاركا الأمير السعودي مخيمه نهبا للجيش اليمني المنتصر والذي بدأ ولي العهد أحمد يوجهه لمتابعة الجيش السعودي المتقهقر وإلى احتلال جيزان ليقطع عن الأمير فيصل والجيش السعودي خط الرجعة البري وكان مقدراً لأحمد أن ينفذ مخططه ويواصل انتصاراته لو تركه أبوه الإمام يحيى يدير المعركة .

ولسنا في سبيل شرح الحرب السعودية اليمنية وكلما يتعلق بها ولم نأت بهذه الجملة عن تلك الحرب الا لنعرف : ان الإمام يحيى بدا غريبا اليوم عن الإمام يحيى القوي بالأمس ، لقد بدا اليوم مشلولا لا خواراً وفي صورة طفل استسلم حيث لا داعي للاستسلام ، واحنى عنقه لخيال جره اليه ابنه سيف الإسلام عبد الله ، فاذا بالإمام يحيى يقبل صلح الطايف ويستسلم ويأمر ابنه أحمد بأن يوقف الحرب ويتراجع بل وينسحب عن نجران ويسلم الأدارسه ، وإن لم يفعل فقد حلت به نقمة الله وكان أحمد مطواعا لأبيه فراجع أباه فلم يجد فاستجاب لأبيه وحشرجة الغضب والألم تكاد تخنق أنفاسه ، وأصيب بحمى كادت تميته وقد أثار الإمام يحيى بموقفه هذا . استغراب واستنكار جميع الفئات اليمنية وغضب القبائل الزيدية .

وهنا انطلقت الألسنة من عقالها لنقد الوضع والجهاز المعتمد عليه الإمام وحكمه وتتمخض هذه البلبلة وهذا النقد عن اتجاهين ، اتجاه نحو حياة متطورة متحررة من قيود الإمامة الزيدية والحكم المطلق ومن كل ما يقف في طريق التقدم باليمن إلى مستوى الحضارة المعاصرة على أن يكون ذلك التقدم في إطار الروح الإسلامية الصحيحة ، وهذا ما كان يستهدف إليه المستنيرون من الشباب بقيادة أبو الثورة السيد أحمد بن أحمد المطاع العلوي ، واتجاه آخر شبه معاكس للاتجاه الأول فهو يطالب بالإصلاح إلا أنه يربطه بإحياء الدعوة الزيدية وإمامتها وبذلك فهو يرى أن يطالب الإمام يحيى بإصلاح جهاز حكومته والإدارة المتبعة بأن يدخل في جهاز الحكم والإدارة عناصر قوية من ذوي الكفاءة والنزاهة القادرين على التقدم باليمن وحماية الدعوة الزيدية من التعثر أو الاستثارة وقد أبدى الإمام

يحيى تجاوبه مع هذه الخطة نتيجة الحرب السعودية اليمنية .

وقد رأى المطاع وزملاؤه مقاومة هذا الاتجاه ولذلك وتحقيقاً لما يهدفون إليه قرروا إنشاء هيئة أطلقوا عليها هيئة النضال .



الشهيد أحمد المطاع

هيئة النضال وأبو الثورة أحمد المطاع

السيد أحمد بن أحمد المطاع العباسي العلوي يتصل نسبه بالعباس بن علي بن أبي طالب ، كان أحمد المطاع ذا شخصية قوية ماضي الإرادة مرهف الإحساس عنوداً متواضعاً مع اخوانه والجماهير ، وفياً بوعده وعهده ولأصحابه واضحا لجوج المناظرة والعداوة إذا آمن بشيء التزم به عملا ودعوة ، عالم كونت معظم معلوماته المطالعة متأثراً بالمنفلوطي والكواكبي والشيخ محمد رشيد وشيخه محمد عبده ، أديبا درس شعر المتنبي وشوقي وحافظ والرصافي وكتاب عصره

وأسلوب الصحافة والنظم وقرأ الكثير من مؤلفات زمنه حول الاقتصاد والاجتماع والفلسفة والثورات والتطورات معجبا بصراحة قاسم أمين وأمثاله من دعاة التطور ، إعجاب تقدير لا اتباع وتقليد ، بل فحص وغربلة ، ويظهر هذا التفاعل في كتابته وشعره[1] وكان في الكتابة قوي الأسلوب قوي البيان ، وكان إذا آمن بنظرية طبق عليها جل أعماله ودعا إليها في حكمة واصرار ، وكان مخلصا لليمن وقف الشطر الأكبر من جهاده وجهوده وشعوره في سبيل ما كان يظنه أصح الوسائل وأنجعها لتقدم اليمن وارتفاعه إلى مواكبة الأمم المعاصرة المتحضرة ، معتقد أن هذا الطريق والوسائل ستظل مسدودة ما بقي على الحكم الإمام يحيى وأسرته وما بقيت الإمامة الزيدية ، وكان بطبيعته المنطلقة اللجوجة حانقا على الإمام يحيى وجهاز حكمه .

وبهذه الروح أصبح مقتنعاً : (أن انتعاش اليمن وارتقاءه إلى المستوى اللائق به وماضيه الحضاري بين الأمم متوقف على تخليصه من حكم الإمام والإمامة وأنه إذا تخلص من هذين المرضين امكن تخليصه من عبث العابثين والمستغلين والمتعالين بالأنساب) ولكم كان يخاطب أبناء عمومته الفاطميين بقول شاعرهم القاسمي :

بني عمنا صيرتم الظلم عادة	على غير تدبير عدمناكم معا
أسود على نهب المساكين جرأة	ثعالب إن لاقيتم السمر شرعا
جبلتم على نهب الرعايا تجارياً	على الله مع تيه لديكم وإدعا

وكانت الأوضاع السائدة التي يعيش بها اليمن ، مبعث آلامه وتأملاته منذ كان ضابطاً عسكريا في الجيش المتوكلي ، وله في هذا الدور مواقف نقد مرة على النظم العسكرية الإدارية منها والتربوية لما كان يراه مفسداً روح الجندية وطبعها بالملق والخور ، ودفعها إلى السلب والنهب ، حتى ضاق به رئيس الوزراء القاضي عبد الله العمري وأمير الجيش السيد علي بن أحمد بن ابراهيم ، وللتخلص منه نقله العمري إلى مشاركة القاضي عبد الكريم مطهر في تحرير

---

(١) في الايمان والحكمة نماذج لذلك .

جريدة الإيمان فلم يخضع قلمه لكل ما يريده الإمام يحيى من المواضيع برغم الإغراء والتهديد .

ولما كانت الحرب السعودية اليمنية ، وما ترتب عليها بدأ المطاع يفكر في إقامة نضال مركز له مفاهيمه وأهدافه ، وهو مجهود صعب يتطلب حكمة وتعاوناً صادقاً وزمناً طويلا وأجهزة ومالا .

ومن أين ، والمطاع فقير في شعب لا يعرف النظام التعاوني فيما يصلحه وقد أخذ الإمام بأنفاسه (ولكن المطاع قرر الشروع) . وقد مكنته مقالاته التي كانت تنشر في جريدة الإيمان من التعرف بكثير من الشباب والشخصيات ولمع اسمه في اليمن ، فليبدأ التضال من هنا بإقامة منظمة إصلاحية سرية تحمل عنوان (هيئة النضال) ، يكون مركزها في صنعاء ، ولها في عموم اليمن فروع وأعضاء ، ولإخراج هذه المنظمة من حيز الفكر إلى حيز العمل ، والواقع قرر القيام بجولة في اليمن ، ولئلا يلفت أنظار الإمام ووزاراته المراقبة له ، توصل بواسطة اخوانه إلى أن كلفه وزير المعارف حينذاك سيف الإسلام عبد الله بالكشف على المدارس في اليمن فبدأ جولته آخر سنة ١٣٥٣ .

(جولة المطاع وبعض الشخصيات التي اتصل بها)

تجشم المطاع الرحلة وراح يتنقل على بغلة قوية فارهة أعطتها الحكومة له ، عليها راح يتجول من صنعاء إلى حجة وزبيد وتعز والمخا والحجرية ، ثم على بغلته إلى اب وذمار وغيرهما . وتمكن بشخصيته وحسن بيانه وأسلوبه الحكيم من كسب تقدير كثير من البارزين في الجهاز الحكومي والتأثير عليهم من دون إطلاعهم بخطته وأهدافه .

ومن هؤلاء أمير لوا تعز الأمير علي بن عبد الله الوزير ومحمد بن أحمد باشا عامل تعز حينذاك وحسين الحلالي عامل الحجرية وغيرهم مما سهل له الاتصال بكل شخصية يرى فيها الاستعداد للنضال ففي تعز التقى بالشيخ محمود عبد الحميد وفي مقبنه بالقاضي عبد العزيز حمره وفي تعز بالاستاذ قاسم غالب

والقاضي عبد الله عبد الإله الأغبري والقاضي عبد الرحمن الحداد حاكم المخاء الآن وفي أب بالشيخ حسن الدعيس والقاضي المؤرخ محمد بن علي بن حسين الأكوع والقاضي محمد أحمد صبرة وفي ذمار بالقاضي عبد الرحمن بن محمد الحداد الأبي والسيد عبد الله بن يحيى الديلمي والسيد علي الديلمي الصنعاني ومن دى السبخال بالشيخ أحمد بن منصور ومن حجه بالسيد حسين الحوثي والسيد حمد بن هاشم والقاضي أحمد نصار ومن صعدة بأميرها السيد العالم محمد بن حسين الوادعي والشيخ عبد الله مناع ومن بكيل بالشيخين محمد بن حسن أبو راس وعبد الله بن حسن أبو راس والشيخ مطيع دماج ومن حاشد بالشيخ حسين بن ناصر الأحمر وغير هؤلاء كثيراً سيما من الشباب .

وقد درس مع هؤلاء الوضع وما يهدده من الداخل والخارج وتبادل مع كل بما يتناسب معه من الرأي في الإصلاح وطريق الإتصال وعاد إلى صنعاء وقد هيأ مجموعة ممن اتصل بهم لقيام كل بما يسند إليه من عمل ، وكانت صلاته أخيراً قوية بالقاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني والخادم غالب الوجيه ، وفي سنة ١٣٥٤ هـ شرع بتشكيل المركز الرئيسي لهيئة النضال بصنعاء ومن أعضائه عبد السلام صبره ومحمد المحلوي والعزي صالح السنيدار وعلي محمد السنيدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحي وعلي الشماحي ومحمد بن أحمد المطاع ومحيي الدين العنسي وأحمد قاسم العنسي ومحمد عكارس ومحمد بن حسين عبد القادر وبعد اجتماعات بين المجموعة أو بعضهم وضعوا للحركة مخططاً واسعاً ذا مراحل ملخص أهمه ما يلي :

ملخص أهم نظام الهيئة

١ ـ صنعاء المركز الرئيسي للهيئة .

٢ ـ إقامة فروع للهيئة في أنحاء اليمن من رجال يعتمد عليهم .

٣ ـ تكوين مالية للهيئة تودع عند الخادم غالب والعزي صالح السنيدار .

٤ ـ في سبيل جمع المال يجوز للرئيس المطاع وأعضاء الهيئة وفروعها

الاتصال بأرباب المال من أمراء وتجار وغيرهم لإستغلال ثرائهم باسم الإصلاح من دون أن يكشف لهم حقيقة الهيئة .

٥ ـ محاولة تسرب أعضاء المنظمة إلى جهاز الحكم وإلى قمته إن أمكن لضربه من داخله وإثارة بعضهم على بعض وكشف الأسرار ودرء الأخطار عن المنظمة وتنفيذ ما أمكن من قراراتها .

٦ ـ إحباط مخطط الاتجاه المعاكس الداعي إلى إصلاح الجهاز الحاكم وإحياء الدعوة الزيدية والإمامة الذي أبدى الإمام تجاوبه مع هذا المخطط .

٧ ـ الاتصال بالصحافة الخارجية والشخصيات العربية لنقد سياسة الإمام يحيى والأوضاع باليمن .

٨ ـ توعية الجماهير القبلية سيما في الشمال وهذه المهمة هي عقدة العقد إذ عليها في اليمن يتوقف النجاح والفشل .

هذه هي أهم النقاط التي اتخذتها الهيئة لنظامها ، وقد نجحت إلى حد ما في إقامة فروع ، وفي اثارة بعض الصحف الخارجية لنقد الإمام ومطالبته بالاصلاح وكان الفضل في إثارة الصحافة وبعض الشخصيات العربية لجهود الخادم غالب ، ونجحت الهيئة إلى حد كبير في وصول بعض أعضائها إلى الجهاز الحكومي وإرباك الإمام يحيى حول إحياء الدعوة الزيدية وإثارة الخلاف بين الإمام وأولاده وبين معظم رجالات الحكومة ، ومن إثارة المنافسة بين أولاد الإمام أنفسهم وبينهم وبين رئيس الوزراء العمري والأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير ، وبدأ الصراع الذي ظهرت معالمه تقلص ثقة الإمام في العمري وعبد الله الوزير وعلي الوزير وفي تخوف أولاد الإمام على مستقبلهم من أخيهم الأكبر ولي العهد أحمد تخوفاً طالما طرحوه على أبيهم في كل مناسبة وبكل واسطة ، وكان الإمام يعرف ذلك ، إلا أنه كان مقتنعاً أن ليس في أولاده من يسد مسده غير أحمد ، ولقد قال لأولاده وهم يبدون مخاوفهم من أحمد قال : إن أحمد هو حجر المفجر (وهي مثل وجملة يمنية يعبر ويكنى بها عن الرجل القوي) ، والأصل أن مياه الآبار والأنهر في اليمن تجمع في سد بركة أو حوض كبير في أسفله ثقب يخرج منه مياه الحوض لري الأراضي ، ولهذا الثقب حجر

محكمة معدة لسد الثقب حتى يمتلىء الحوض . فإذا أريد إفراغ الماء من الحوض للري نزعت تلك الحجر .

ومع هذا فقد تأثر الإمام لمخاوف أولاده إلى جانب ضعف ثقته بالعمري وآل الوزير فإذا به يقلص صلاحية العمري ويحيل الأمير عبد الله الوزير عن إمارة لواء الحديدة ويحل محله سيف الإسلام عبد الله ويصبح سيف الإسلام عبد الله أمير لواء الحديدة ووزير المعارف والدفاع ويتولى ما كان يديره رئيس الوزراء العمري ، ويولي الإمام ابنه سيف الإسلام الحسن لواء إب ويرسل ابنه ولي العهد إلى تعز فينتزع ولايتها من يد أميرها علي الوزير ولكن الإمام يضم بعض لواء تعز إلى ابنه الحسن إلى آخر التغييرات المزعزعة جهاز الحكم فمن وحشة دبت بين أفراد الجهاز وأفراد أولاد الإمام إلى إغضاب ولي العهد وحنق الأمير بن علي الوزير وعبد الله الوزير ، إلى تلمس أولاد الإمام تقوية مركزهم لمقاومة أخيهم ولي العهد أحمد ، إلى ما هناك من مكاسب حققتها هيئة النضال في هذه الناحية . وقد كان لهذا النجاح أثره في الشعب اليمني ، إلا أنها لم تكن قد هيأت اليمن لقبول ثورة صالحة ، بل ولا كان اليمن قد اقترب إلى الثورة النابعة من إحساس اليمن وواقعه كما كان يتبادر لبعض الشباب مع أن الهيئة لم تصل إلى هذا النجاح إلا بعد تخطي صعاب ما كان لغير ذوي العزم والحكمة أن يتخطوها من أهونها ذلك الارهاب الموجه إليهم وإعتقال مجموعة من أعضاء الهيئة مع رئيسها المطاع عام ١٣٥٥ .

(إعتقال أبو الثورة المطاع وبعض رفاقه من الهيئة)

كانت أعمال هيئة النضال تسير في مخططها وبسرية ، وكان من أعضائها من اتصل بولي العهد ، ومنهم من اتصل ببعض اخوته كالحسين وعبد الله والحسن ومطهر وعلي ، ومنهم من تقرب في حذر إلى الإمام ، ومنهم من اتصل بالقاضي عبد الله العمري والأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير وبهذا الاتصال أصبحوا يدفعون الأحداث إلى تحقيق أهدافهم ، وما أن بدأت الأحداث تهز الجهاز من داخله إلا وكان أول من أحس بالهزة هو رئيس الوزراء القاضي عبد الله العمري بطبيعة مركزه وذكائه فقد كان حينذاك في القمة التي ليس فوقها إلا

الإمـام بينما غيـره وهـم سيوف الإسـلام مـا عـدا ولي العهـد يتسلقـون إلى تلك القمة ، فلم تخيفهم الهزة بل رحبوا بها لأنها تعينهم على التسلق سيما عبد الله بن الإمام الطامع في احتلال القمة القاعد عليها العمري وكان القاضي علي المجاهد الشمـاحي ممن اتصل بسيفي الإسـلام الحسين وعبـد الله وكان ذا مـوهبة بيـانية ومهارة في كتابـة الكلمات النـارية السـاخرة الـلاذعة وجـرأة قل أن يتـدبر معهـا العاقبة قواها صلته بـالحسين وعبد الله ابني الإمام ، فشن حملة سافرة كتابيـة على القاضي عبد الله العمري ووزاراته يدفعه الاعتقاد بأن زعزعة ثقة الإمام بـوزارة العمـري هي الخطوة الأسـاسية إلى الثـورة ، وقد استـطاع بقوة أسلوبـه وحجته ومساندة سيفي الإسلام الحسين وعبد الله أن يؤثر على الإمام يحيى إلى درجة أن أمر الإمام رئيس وزرائه العمري بالمثول مع علي الشماحي لدن سيف الإسلام الحسين لمعرفـة ما تحتـويه عـرايض عِلى الشمـاحي من الاتهـامـات لجهـاز وزارة العمـري ، وكان العمـري يعلم تخوف الإمـام من المطاع والعـزب ويعرف صلة علي الشماحي بـالمطاع والعـزب ، فلم يبق للعمري من مخـرج من المأزق إلا أن يقنع الإمام بأن علي الشماحي ما هو إلا واسطة وترجمان للمـطاع والعزب الـذي يعتقد الإمام انهما يعملان ضده ، فدبر القـاضي عبد الله العمـري خطة محكمـة جهـز لها أعضـاء جهـازه الحـاكم الـذي منهم القـاضي لـطف الـزبيـري ومحسن إسحاق ، وقد انتهت الخطة وفصولهـا الطويلة بـاقتنـاع الإمـام بأن هنـاك مؤامرة متصلة بمطامع الإيطاليين الذين كانوا يومذاك قد استولوا على الحبشة ويطمعون في اليمن والجزيرة العربية ، وأن هذه المؤامرة يدبرهـا المطاع والعـزب ومجموعـة من الشباب ومنهم علي الشمـاحي ، فأمر الإمام باعتقال المـطاع والعزب والعـزي صـالـح السيـذراود ومحمـد المحلوي وعـلي الشمـاحي وغيـرهـم فقبض عليهـم ، وسيقوا إلى سجن غمدان بصنعاء . عام خمسة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرياً ، واتسعت موجة الإرهاب والاعتقال المرفقة ، بالدعاية المشوهة لهيئة النضـال بـأنها تحارب الدين وتريد إدخال النصارى اليمن ومما روج ضدهـا أنها تحاول إختصـار القرآن إلى ستة أجزاء .

ومن الغريب أن هذه الدعاية إنطلت على العامة في تبرير الاعتقال والارهاب اللذين لم يوقفهما مؤقتا إلا القاضي محمد راغب التركي وزير الخارجية ، وكان هذا التركي شريفاً وللاحرار ظهيرا .

ثم أن عبد الله العمري كان بعيد النظر ولا يحب أن يتصارع مع أحد وقد ضرب عليا الشماحي واسكت صوته وذلك ما كان يريده وإلى تنفيذه اضطر إلى أن يجر إلى السجن المطاع ورفاقه ليتخلص من علي الشماحي ، ولقد تخلص من علي الشماحي وكتابته اللاذعة ومن الحضور معه للمحاكمة لدن الحسين ، ولكن القاضي عبد الله العمري لم يتخلص من آثار كتابة علي الشماحي وشعره فقد بدأ نجمه في الأفول وبدأ ينحدر من قمة الجهاز الوزاري ، واستمرت الهزة التي أوجدها المطاع ورفاقه في الجهاز الإمامي تؤدي ثمارها التي سبق الاشارة اليها برغم اعتقال المطاع ورفاقه وخف نشاط هيئة النضال ، وكان اعتقال المطاع ورفاقه مثارا للتساؤل كيف تأثر الإمام وخاف على نفسه وعرشه من مثل هؤلاء وكلامهم ، وليس لهم إلا أقلامهم ، إنها ظاهرة غريبة دفعت الكثير من الناقمين والشباب : أن يجرب حظ قلمه في إيلام الإمام واتباعه فإذا بالنشرات المجهولة المختلفة المواضيع تتناثر هنا وهنا في صنعاء في تعز في أب وغيرها .

وفي هذه الظروف وبين هذه البلبلة بدأت على مسرح الأحداث اليمنية حياة القاضي محمد محمود الزبيري والسيد زيد الموشكي والسيد أحمد محمد الشامي فقد ابتدأ كل منهم خطوته الأولى في طريقه الخاصة به الذي انتهت بثلاثتهم إلى درب النضال الذي التقوا حوله مع غيرهم من الشخصيات التي غدا لها أثرها الكبير في تطور القضية اليمنية كالقاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني والأستاذ أحمد نعمان ولنقف قليلا مع الزبيري .

(القاضي محمد محمود الزبيري)

يهمنا من حياة هذا الزعيم بداية حياته الإجتماعية لغرابتها بدأت حياة الزبيري الاجتماعية كهزار يترنم بالشعر فيدفعه طموحه الكامن في أعماقه إلى خارج اليمن فيتصل بالملك عبد العزيز آل سعود فإذا بالأريحية العربية التي

يتحلى بها الملك السعودي تحرك القوة الكامنة في أعماق الشاب الزبيري فإذا به يغرر مداثحه الشعرية بطرب ويهز مشاعر الملك عبد العزيز ، وتطير تلك القصائد الزبيرية إلى اليمن فتغضب الإمام يحيى ، وتلمس اليمن من ثنايا تلك القصائد روحاً حساسة تكمن الثورة في أعماقها ، وإن أول احتكاك بين هذه الروح وبين الواقع اليمني سيحول هذه الروح إلى نور ونار منها تستمد الثورة الطاقة ، ولم يمتد الزمن بالزبيري بالحجاز فقد فارقها إلى مصر للدراسة وهناك التقى بالمسمري والرافعي الصحافي وغيرهما ويبدأ نشاطه السياسي ولم يطل به المقام حتى عاد إلى اليمن . فيتلقاه الإمام يحيى غاضباً عليه لمدحه الملك عبد العزيز غضباً لا تطفؤه إلا غرر المدائح يخلعها الزبيري على الإمام وبنيه ، وتجبر الظروف الزبيري أن يستجيب إلى المديح ، وسرعان ما احتك الزبيري بالواقع اليمني فلا يمتزج وروحه الشابة المتوثبة فإذا بالواقع اليمني يهز شعوره ويكيف شعره وكتابته بروح الثورة التي جعلته يتصل بالمطاع وبعض رفاقه ويطرب لخطب السيد محمد بن قاسم أبو طالب ، ويتأثر بها فتشده إلى أبو طالب .

(الزبيري وأبو طالب)

السيد محمد أبو طالب بطبيعته خطيب يحب السجع غير المتكلف وقد تأثر بأسلوب السيد علي بن يحيى عقبات الخطابي وكان أبو طالب ذا موهبة في كتابة الخطب المنتزعة من حوادث زمنه كما كان ذا موهبة خارقة في حفظ ما يكتب ، إنه ليكتب الخطب والمحاضرات المطولة التي يستغرق إلقاؤها الساعة فأكثر ، وما أن يلقي عليها نظرتين إلا وقد كتبها في حافظته ونقشها حرفياً في فكره وكان حسن الإلقاء ، وقد كرس خطاباته لنقد الجهاز الحاكم والوضع المنهار في اليمن يلقيها في الحفلات وكل مناسبة ويسمعها الإمام يحيى عقيب كل صلاة جمعة حتى ضاق به الإمام ذرعا وأصبحت مواضيع خطب أبو طالب حديث الأوساط المعجبة به وبجرأته .

وإن أبو طالب لمنطلق في جهاده الذي يجب أن نعترف به ، والذي جعل الزبيري يرتبط به مغتفراً نزعته الشيعية المغالية ، إذ بالزبيري يبدأ طريقه إلى

الثورة ويرسم أول معالمها ، فيجتمع بالمطاع ورفاقه . ويضعون للإصلاح الإداري والاجتماعي نظاما كتبه الزبيري وقدمه إلى الإمام ملتمسا منه مطالعته وتنفيذه ، ويستمر في ملازمة أبو طالب ويحضران معاً كل جمعة يخطب عقيب صلاتها أبو طالب بمسمع وقرب من الإمام يحيى مما جعل الإمام يأمر الأعيان والعلماء بالاجتماع ومطالعة نظام الاصلاح الذي قدمه إليه الزبيري لاتخاذ قرار حول بعض فقره الذي يفيد الإمام أنها تعارض الشريعة وتدعو إلى الفوضى والاخلال بالاستقرار وفتح الباب للاستعمار .

ويجتمع العلماء والأعيان وكادوا يوافقون على ما أبداه الإمام من نظريات على بعض المواد ويصدرون قراراً يدين الزبيري ومعه أبو طالب ، ولكن القرار لم يصدر فقد وقف ضده علمان من علماء اليمن هما السيد العلامة زيد بن علي الديلمي الذي يرأس الاجتماع والقاضي يحيى بن محمد الارياني الذي تغيب عن الاجتماع لغرض إضعافه ، وبطريقة حكيمة تمكن السيد زيد الديلمي وسانده الأمير السيد عبد الله الوزير من إقناع المجتمعين بأن أدلة الادانة لم تتوفر وأن المواد طرحت لا لِيفرَضَ تنفيذُها على الإمام وإنما ليدرسها ويُبدي نظرة حولها ، فهي لا تخرج عن أسئلة واستفتاء مما جعل الاجتماع ينفض بلا نتيجة وعلى أن يعاد الاجتماع ، ولكنه لم يتجدد وتغاضى الإمام ، ويعود أبو طالب والزبيري إلى الخطابة يوم الجمعة وأخيراً لم تقف الخطابة على أبو طالب فلم يفرغ من كلمته حتى قام الزبيري مؤيده في حماس وبأسلوب بدائي للخطابة لاذع ضاعف من غضب الإمام ولم يمض يوم السبت إلا وأمر بالقبض على الزبيري وأبو طالب ونفاهما من صنعاء عام ستين فثلاثمائة وألف هجرية إلى الأهنوم حيث اعتقلا وبقيا عاما ثم أطلقا وعادا إلى صنعاء وكان المطاع ورفاقه قد أطلقوا ولمع اسم السيد أحمد بن محمد الشامي والسيد زيد الموشكي في مجرة الأدب والشعر وتألق نجم السيد أحمد الورويث بذمار ، وخرج الأستاذ أحمد محمد نعمان من كهف الصوفية وروحيتها ، إلى واقع الحياة والسياسة وبدأت شخصية القاضي عبد الرحمن الارياني الحكيمة الوقورة تبدو بملامحها القيادية ويبرز من ضمير المعارف المستتر السيد حسين الكبسي بوقاره وعلمه وإيمانه ، وفي العراق

بعثة من شباب اليمن يدرسون وكان العراق إذ ذاك مرجلا يغلي بالقومية العربية وهناك في مصر وغيرها شباب يمني هاجروا للدراسة وفي اليمن شباب عاطل يتوثب في المدن وفي ذمار تتجمع البراعم لتكون فيها بعد شاعر وأديب اليمن البردوني ، إلى ما هناك من شخصيات تبرز وبذور تتكون ، ونظريات تظهر ، نفارقها إلى أن نلتقي بها والثورة على قاب قوسين من الإنفجار ، ونعود إلى المطاع ورفاقه والزبيري ونعمان والشامي والموشكي والوريث والارياني والكبسي .

(ما بعد الخروج من السجن)

على أثر خروج المطاع ورفاقه من السجن أمر الإمام بأن يكون عبد الله العزب قاضياً لوصاب السافل وعلي الشماحي قاضياً لحيس وذهب كلاهما إلى محل عمله وكانا جناحي المطاع ولم يزالا متصلين به وبالنضال حتى ماتا قبل الثورة رحمهما الله .

أما المطاع فقد استعاد نشاطه في حذر فيتجدد اللقاء بينه وبين القاضي عبد الرحمن الارياني ويتفقان على محاربة الأوضاع الفاسدة كل في محيطه ومتناول قدرته ، ويذهب القاضي عبد الرحمن إلى النادرة محل عمله القضائي وهناك يبدأ الصراع بين القاضي عبد الرحمن وبين الأوضاع الموغلة في الفساد والمشرف عليه سيف الاسلام الحسن ، وهو ما ستتكلم عنه عند وقفتنا مع القاضي عبد الرحمن الذي نودعه الآن لنقف مع السيد أحمد الوريث الذي انتقل من ذمار إلى صنعاء ونسير قليلا مع الزبيري والشامي والموشكي .

(الوريث)

ارتفع اسم السيد أحمد الوريث فلم يتركه الإمام يحيى بذمار فاستقدمه إلى صنعاء ليشرف على المعارف بالتعاون مع وزير المعارف سيف الإسلام عبد الله ، وكان المطاع مستشاراً للمعارف والصحافة ، وبالتقاء الوريث والمطاع في جهاز

وزارة المعارف تمكنا من الاجتماع وتبادل الأفكار فيما يتطلبه الموقف من إصلاح ، وانتهيا إلى أن خير طريق هو التوعية الهادئة الهادفة ، فاتفقا على إصدار مجلة علمية أدبية تاريخية . وبعد مساع وافق سيف الإسلام عبد الله وتعين الوريث رئيساً لتحرير المجلة وبذل هو ومجموعة من الشباب جهوداً من التنوير والتوعية أكسب المجلة مقاماً كان له أثره في المجتمع اليمني سيما بين الشباب . وبدأ الوريث كقائد فكري منطلقاً ، وكان ذلق اللسان ، جزل العبارة . سلسبيلي الحديث ، قوي البيان ، سريع العارضة في شمم واعتزاز بالنفس ، لا يعرف المجاملة حتى مع الإمام يحيى ، فهو لا ينحني له ، ولا يسمح لشفتيه أن تقبلا يد الإمام أو يخاطبه ويطارحه الحديث إلا في صورة الند للند ، مما جعل ظله ثقيلا على نفس الإمام ، ولكنه كان يتحمله ويجامله ظاهرياً ، ويسعى للتخلص منه . وكان مرتب الوريث الشهري من أعلى المرتبات في عهد الإمام يحيى ، إلا أنه لا يسد مطالب الوريث الكثير النفقات فأثقلته الديون، وكان الإمام يطمعه بأنه سينظر في شأنها فيستزيد من الديون حتى بلغت حد الألفين وهو عصر اذن قدر مجهض ، واشتد طلب أربابها للوريث فيلح الوريث على الإمام بقضائها ، فيطلب منه تقديم بيانها فينصرف والأمل يراوده ، ثم يعود ببطاقة فيها بيان الديون فيطالعها الإمام ويضعها بين يديه ثم ينصرف عنها إلى أعماله ، وبعد ساعة منح الوريث ثمانية ريالات قائلا له استعن بهذا حتى ننظر في الأمر ، فيرفض الوريث الثمانية ويخرج غاضباً متألماً فيصاب بحمى حادة لم تمهله إلا ثلاثة أيام حتى سلبته الحياة ولحق بربه وهو في التاسعة والعشرين من عمره تاركاً المجلة وموجة من الأسى[1] .

وقد خلفه في إدارة المجلة المطاع وبقية رفاقه الذين احتفظوا للمجلة بالبقاء مدة ، وواصلوا مع غيرهم السير والنضال بين تقدم وتعثر . فقد استدعى ولي العهد أحمد كلا من محمد الزبيري وأحمد الشامي وزيد الموشكي إلى مقره بتعز .

---

(١) وقد رثي بعدة قصائد منها قصيدة للمؤلف مطلعها :

قبل الثلاثين بدرا لشعب قد أفلا   يا للمنية ما أبقت لنا أملا

(الزبيري والشامي والموشكي والنعمان)

(وتعز والأمل والحوار الأدبي)

كان ولي العهد أحمد جواداً سخياً أريحيا سريع الانفعال مغواراً فتاكاً سفاكا تعجبه النكتة . وتضحكه الفكاهة ، ويطربه الثناء ، ويهزه الشعر عكس أبيه وهو مع ذلك عالم وشاعر وخطيب ، ومسعر حرب ، وقائد عسكري قريب وبعيد ، فإذا اقترب اختلط بالجماهير ، وتعرف مشاكلها ، وأدار أمورها ، وصال وجال ، وأقام مع خاصته أندية الفرح والأدب ، وإن ابتعد احتجب وعلى نفسه انطوى يستعرض مهام دولته حيناً ، وأحياناً يمرح في بساطة ودعابة مع من يحب من ذويه وخدمه ، ومثل هذه الشخصية تلتقي حولها المتناقضات ، وينبت في ظلها الشوك والورد . ويتحاك بالمناكب دعاة الشر وأحلاس الشهوات والميسوعة ، ورواد الموائد ، وذوو المطامح والجد والسياسة وهذا ما كان بتعز وقتئذ ، فإنك لا تكاد ترى أحمد عباس وكاملا ومحموداً وعلي العذري وأضرابهم إلا وأنت ترى حسين الأحمر ومحمد عثمان وعبد الرحمن الأرياني ، ومحمد الزبيري ، وأحمد الشامي ، وزيد الموشكي ، ومطيع دماج ، وأمين أبو راس ، وحسين الويسي ، وعبد الله العزب وأضرابهم .

وقد استدعى ولي العهد إلى مقره هذا الزبيري والشامي والموشكي فاستجابوا لدعوته فاستقبلهم ولي العهد بالحفاوة وسبغ عليهم النعم وأدناهم منه وفتح أذنيه لنظرياتهم ونصائحهم ومقترحاتهم وشجعهم على إقامة ندوات العلم والأدب . التي كان يشترك في حوارها وينشرح إليها انشراح الأديب العاطفي والعالم الشاعر ، فإذا بالأمل يداعب الزبيري والموشكي والشامي ، ويجتذب إلى ولي العهد الكثير من المتطلعين إلى المستقبل ، فالأستاذ أحمد محمد نعمان ينيخ ركابه بتعز ولا يقل حظه عند ولي العهد عن الزبيري وغيرهم ، إن لم يكن أقربهم زلفاً ، فالأستاذ يتميز بأسلوبه الخطابي الهادي الأخاذ ، ونعومة أحاديثه الجذابة ، وهذا الأسلوب مما زاد ولي العهد تفتحاً لهذه المجموعة وحركتها الأدبية والعلمية ، فاستمرت في نموها ، تمنح ولي العهد نصائحها وعصارة أفكارها ، وحلل الثناء من شعرها وخطبها ، وهو يمنحها المواهب والتقدير ، وفي ظل هذا

التبادل الوارف تنمو الآمال ومن على شرفات قصرها البلوري يقف كل بمجهر مزاجه ينظر إلى المستقبل الذي يحلو أن يراه ، فإن المجموعة هذه لم تكن قد اتفقت فيما بينها ولا مع أحمد ولا بمن يتصل بها على هدف ولا على قاعدة موحدة للانطلاق ، حتى يكون هذا الأمل وقصره المحفوف بالمكاره بمنجاة من الأوهام والدسايس فقد كان هذا القصر على رمل ، ما كان له أن يقاوم معاول الهدم المنصبة عليه من خارجه ، ولا انتشار السوس الذي تنخره من داخله ومن قواعده ، فما لبث ذلك القصر أن نسفته الأوهام فحل محل الأمل التخوف الذي حدد من الاتصالات بين ولي العهد والمجموعة ثم تحول إلى توتر جعل المجموعة تنتظر أن تكون فريسة مأمولها بالأمس ، وقد كان الأحرار حول ولي العهد يرجون منه خيراً فإذا بذلك الرجاء ينقلب إلى ذعر وخوف بلغا نهايتهما حين قال أحمد : إني أسأل الله ألا أموت إلا وقد خضبت سيفي هذا بدماء العصريين مما أدى إلى استيحاش الأحرار فغادر الأستاذان الزبيري ونعمان تعز إلى عدن في جمادي الآخرة عام ١٣٦٣ وهناك أسسا منظمة عرفت (بحزب الأحرار) .

منظمة حزب الأحرار والأستاذان الزبيري والنعمان بعدن

كانت منظمة (هيئة النضال) المؤسس لها المطاع عام ١٣٥٤ هـ . هي أول منظمة ذات نظام وأهداف ، وكانت هي المنظمة الوحيدة التي استمرت تمثل المقاومة المنظمة ضد حكم الإمام يحيى إلى سنة ١٣٦٣ هـ وقد كان لها ثمارها التي أشرنا إلى بعضها ، والتي تولدت معها عدة منظمات فردية وجماعية في اليمن وخارجه تنقد حكم الإمام إلا أنها حركات غير ذات نظم وأهداف مما جعل هيئة النضال ، هي المنظمة الوحيدة للمقاومة من تاريخ ١٣٥٤ - ١٣٦٣ هـ أما من عام ١٣٦٣ هـ فقد قامت إلى جانبها خارج اليمن المتوكلية منظمة ثانية (حزب الأحرار) بعدن ، فإن يكن المطاع وبقية هيئة النضال قد صمموا أن يواصلوا نضالهم في جحيم المعركة داخل اليمن المتوكلية فقد رأى الأستاذان نعمان والزبيري أن يتخلصا أولا من الجحيم ويقفا على مقربة منه فخرجا من تعز إلى عدن بجمادي الآخرة عام ١٣٦٣ هـ وفي عدن أسسا منظمتهما التي عرفت

(بحزب الأحرار) وسرعان ما ظهر كيانها وشخص إليها اليمنيون في الخارج والداخل بآمالهم وساندوها بأموالهم مما مكن منظمة حزب الأحرار من إقامة فروعها في الخارج بين المهاجرين اليمنيين وفروع سرية في داخل اليمن ومكنها من رفع صوتها في الصحافة والإذاعة وفي كتيبات ونشرات ، ومن إقامة مقر لحزب الأحرار ، وأخيراً من إقامة مطبعة واصدار (صحيفة صوت اليمن) وقد كان لهذا المظهر أثره فقد أقض مضاجع الإمام يحيى وولي العهد وأتباعهما وزاد في حماس المتطلعين من الشباب والمتألمين والناقدين الذين لم يكتفوا بسيل النشرات المتدفق من عدن حتى أضافوا إليها جداول من النشرات الخطية فغصت بالصحف والمنشورات المدن ودور الحكومات وارتفع الحماس بين الفئات المتطلعة والخيالية حتى دفع سيف الإسلام ابراهيم ابن الإمام يحيى إلى أن ينضم إلى حزب الأحرار بعدن وقد كان ذلك نجاحاً للمنظمة كبيراً يضم إلى نجاحاتها التي أصبحت تشرق وتغرب والتي يعرف معظم فصولها الكثيرون معرفة تغنينا عن الافاضة من الحديث حول تلك الفصول وتترك لنا المجال للكلام عن نتائجها التي سنتكلم عنها عند أن نقف مع الفصل الأخير لخطوات حزب الأحرار وتتركنا لنرجع الآن إلى اليمن عام ١٣٦٣ هـ الذي فيه ظهرت منظمة (حزب الأحرار) خارج اليمن المتوكلية بعدن والذي ظهرت فيه داخل اليمن المتوكلية منظمة ثالثة ، (جمعية الاصلاح) وجرت فيه أحداث ذات أهمية ، وفيه خرج الشامي والموشكي إلى عدن .

جمعية الإصلاح والارياني والاكوع

بينما كان الاستاذان النعمان والزبيري ومجموعتهما بتعز كان النقيب مطيع دماج قد سبقهما إلى عدن إثر تفكير مجموعة بإب لم تجتذبها الآمال التي اجتذبت الأستاذين نعمان والزبيري إلى تعز فلواء إب كان تحت حكم خانق لا منفذ في صخرته لنسيم أدب ، ولا لأريحية تلطف على روح الأديب والشاعر من وطأة كابوس الحكم ، ولم يكن لتلك المجموعة تفكير إلا أن يتخلص اليمن من حكم الإمام يحيى وابنائه وبعد تفكير طويل قرروا إقامة منظمة أطلقوا عليها (جمعية

الإصلاح) يكون مقرها إب وتتكون من رئيس هو القاضي محمد بن علي ابن حسين الأكوع وأعضاء منهم القاضي عبد الرحمن الأرياني والقاضي عبد الكريم بن أحمد العنسي وعبد الرحمن بن محمد باسلامه ومحمد أحمد صبره والشيخ حسين الدعيس والشيخ حسين بن محمد البعداني والنقيب عبد اللطيف ابن قايد ومحمد منصور الصنعاني وقد وضعت لها نظاماً أرسلت مسودته إلى القاضي محمد الزبيري بعدن فتولى مطالعته وتوسيعه وسماه (برنامج الإصلاح) وطبعه وأرسل منه كميات كثيرة إلى القاضي محمد الأكوع رئيس المنظمة ، ومن أهدافها هو إزالة حكم الإمام يحيى وأبنائه ، وهذا الهدف هو الذي تلتقي حوله المنظمات الثلاث .

١ ـ هيئة النضال المكونة عامة ١٣٥٤ برياسة المطاع بصنعاء .

٢ ـ حزب الأحرار بعدن المكونة عام ١٣٦٣ هـ بقيادة الزبيري ونعمان .

٣ ـ جمعية الإصلاح المكونة عام ١٣٦٣ هـ بإب برياسة القاضي محمد بن علي بن حسين الأكوع ، وتسير أعمال جمعية الإصلاح في طريقها المحكم الذي اختطه ويشرف عليه القاضي عبد الرحمن الأرياني ، وقدر لتلك الأعمال بأن تجعل موقف سيف الإسلام الحسن يتحرج ويبلغ إلى أن يستقدم الإمام يحيى ابنه الحسن ويجمده بصنعاء عن أي عمل يزاوله بلواء إب ، فالحملة ضد الحسن وأعماله كانت مركزة حادة مما حول نظرية الإمام في ابنه الحسن وكاد يدمغه بالهوج والبلادة ويريح لواء إب منه ، وكان الحسن يقلل من ألم أبيه منه بأن هذه الحركة والحملة مصدرها عبد الرحمن الأرياني إلى غير ذلك مما جعل الإمام يتردد ، ويمضي الأكوع والأرياني ورفاقهما في أعمالهم من توعية المواطنين بلواء إب وإثارتهم بنشر اعداد كبيرة من برنامج الإصلاح ومن غيره (كتعميم الأنه الأولي) للأستاذ أحمد نعمان ومما أعيد نشره قصيدتان للقاضي عبد الرحمن الأرياني مستهل أحدهما .

انما الظلم في المعاد ظلام   وهو للملك معول هدام

ومنها يخاطب الإمام يحيى :

أنصف الناس من بنيك والا أنصفتهم من بعدك الأيام

وكان « موسوليني » قد فرغ من ابتلاع الحبشة وبات يستعد ليزدرد الجزيرة العربية مبتدئاً باليمن ، والإمام والعرب في نومة المترفين فقال الارياني قصيدة يخاطب بها الشعب ويستثيره على الإمام يحيى وبنيه مستهلها .

هذا العدو غدا على الأبواب يرنو بعين الفاتح الغلاب
والمستبد له إلى أموالكم توقان مهجور إلى الأحباب
وبنوه فيكم هاهمو قد مثلوا زمر الفساد وحفنة الأوشاب
فتيقظوا يا قوم واحموا شعبكم فالى متى حزب الطغاة نحابي

وتمضي أعمال (جمعية الإصلاح) بخطوات موفقة فوق ما كان ينتظر وهي في قلب الجحيم تمشي بمضاء وسرية هزا جبلي (الشماحي وبعدان) ، المطلين على مدينة إب هزة تقدير لأعمال أبناء اللواء الأخضر لواء إب المتمثل في متانة خطوات (جمعية الإصلاح) وتمتد أعمال الجمعية إلى خارج لواء إب فيذهب مندوب الجمعية وهو القاضي اسماعيل بن علي الأكوع إلى ذمار فصنعاء يحمل أفكار الجمعية ويحمل منشوراتها وبرنامجها ومخططات جديدة ، فيوزع اسماعيل المنشورات ونسخا من البرنامج بذمار ومعبر وغيرهما ثم بصنعاء ، وفي صنعاء يجتمع بالمطاع ومحمد بن حسين عبد القادر وعبد السلام صبره وغيرهم ويطرح عليهم الأفكار التي حملها من رئيس الجمعية القاضي محمد الأكوع وعضو الجمعية القاضي عبد الرحمن الأرياني ، ويعود اسماعيل الأكوع مزوداً بالأفكار والرسائل والفرحة ترقصه على حمار وسيارة ـ لا أعرف مركوبه ـ وما بلغ معبراً إلا والشرطة في انتظاره للقبض عليه ، ولكنه كان لبيباً فقد تمكن من إخفاء أو من إحراق الرسائل وكلما يحمله من محررات ومخطط ، قبل أن يقبض عليه ، وبإحراق الأوراق انتهت الرقصة .

وكان الحسن بن الإمام ونايبه القاضي أحمد السياغي قد ضاقا ذرعاً من الحملة التي لا يعرفان منبعها المصبوبة خراطيمها إلى أعمال الحسن ، مما دفع

الإمام إلى إمساك ابنه الحسن بصنعاء أشهراً وتقريعه بأنه (خِلع) أي أخرق في معاملته وإدارته ، وحمل الحسن أن ينسب الحملة إلى القاضي عبد الرحمن الأرياني ليخفف من حنق وألم والده منه ، ولكنه وإن خفف من ألم أبيه إلا أنه لم يقنعه ، وها هو اليوم يظفر الحسن بالحجة ، فسر الجمعية الإصلاحية اكتشف وحملة منظمة حزب الأحرار انطلقت تجوس خلال الديار فتهز في المدن الشباب والأحرار وتضاعف من ذعر الإمام وولي العهد وأبنائه الذين لم يبق أمامهم إلا أن يضاعفوا من إرهابهم للشعب وكانوا يترددون من أين يبدأون في هذه اللحظة خطوتهم الإرهابية ، فلما اكتشف سر جمعية الإصلاح وظهر ارتباطها بحزب الأحرار بعدن وصلتها ببعض أعضاء هيئة النضال بصنعاء وجهوا الضربة ففتحوا السجون وإليها ساقوا الجماعات تلو الجماعات .

السجون تستقبل الأرياني ومجموعة إب ، والأستاذ قاسم غالب ومحمد نعمان ومجموعة تعز ، ومحمد السياغي ومجموعة صنعاء

توسعت أعمال (جمعية الإصلاح) وانضم إليها كثيرون منهم المدعو علي الغزالي فنفذ إلى بعض أسرارها فطار بها إلى تعز حيث أطلع عليها ولي العهد أحمد فعرف بها أخاه الحسن الذي هش لها وبش ، إذ وجد فيها الحجة المقنعة لأبيه الإمام يحيى بخطورة الأرياني فقام أعوان الحسن بإب بمهاجمة دار القاضي محمد علي الأكوع وغيره مباغتة وفيها عثروا على الوثائق المطلوبة ثم ألقى القبض على القاضي محمد الأكوع وعلى القاضي عبد الكريم بن أحمد العنسي والقاضي محمد بن أحمد صبره والشيخ حسن الدعيسي والشيخ حسن بن محمد البعداني والنقيب عبد اللطيف بن قايد وعبد الرحمن بن محمد باسلامة ومحمد منصور الصنعاني والسيد محسن باعلوي وكان القاضي عبد الرحمن الأرياني في طريقه إلى صنعاء فقبض عليه بمعبر وارجع هو والقاضي أحمد المعلمي إلى إب وسيقا مع مجموعة القاضي محمد الأكوع إلى سجن تعز .

كما أنه كان القبض على القاضي اسماعيل الأكوع بمعبر ثم أرجع من ذمار إلى حبس روضة صنعاء ثم كان في صنعاء اعتقال القاضي عبد السلام صبره

والقـاضي محمدي أحمـد السياغي واخـويه يحيى وحمـود والشيـخ جـازم الحـروي وغيرهـم وأرسلوا مع اسماعيل الأكوع إلى حبس تعز ، في الأغلال .

وفي تعز كان اعتقال الشيخ محمد أحمد نعمـان والشيخ أمـين عبد السواسع نعمان والشيخ عـلي محمد نعمـان وابنه عبـد الرقيب نعمـان والشيخ نـاشر عبـد الرحمن العريقي والشيخ محمود عبد الحميد والشيـخ محمدين حسن بن قـاسم أبو راس والقاضي أحمد بن محمد الجنيد وعبد الوهـاب الجنيد والشيـخ محمد حسـان والأستاذ قاسم غـالب أحمد والسيـد عباس بن أحمـد باشـا والسيد محمـد بن علي المطاع الشاعر ، وغيرهم ، وبعد أن التقت المجموعات الثلاث بسجن تعز أرسلوا جميعاً إلى سجن حجة في شوال عام ١٣٦٣ هـ .

وخيم على صنعاء وإب وتعز ، وغيرها من الإرهاب جـو خانق فـأعيد إلى سجن غمدان بصنعاء أكثر أعضاء البعثة اليمنية التي كانت قد عادت من العراق ومنهم السيد أحمد المروني وعبد الله السـلال وأحمد البـراق وأحمد الحـورش ومحي الدين العنسي فقد كانوا عادوا من العراق متأثرين بالقومية العربية التي كانت قد بلغت حرارتها إذ ذاك بالعراق درجة كبيرة وما كاد إخواننا العـائدون من العـراق يطأون بأقدامهم تربة صنعاء ونرحب بهم إلا وبدأت القومية العـربية تحـركهم في حمـاس سري إلى طـايفة من الجيش وشبـاب المدارس ذعـر منه الإمـام وسيـوف الإسلام وعرض إخواننا العائدين من العراق إلى أن يزوروا السجن في كل موجة من أمواج الإرهاب والاعتقال ونفي حسن العمري إلى مأرب وبقي بها عاماً فقد كان حبسهم غير مرة وفي هذه المرة عام ١٣٦٣ هـ لم يحـرموا من ثـواب الاعتقال الذي أصبحوا عرضة له فما يطلقون من السجن إلا وهم ينتظرون العودة إليه مما اضطر الأستاذ محي الدين بن قاسم العنسي إلى مغادرة اليمن .

الموشكي والشامي

وقد كان السيد زيد بن علي الموشكي والسيد أحمد بن محمـد الشامي فـارقا تعز إلى عدن على إثر الزبيري والنعمان واجتمعا معهما ثم مع النقيب مطيع دماج

أول مهاجر إلى عدن إلا أن الظروف عاكستهما هما والنقيب مطيع فقرر ثلاثتهما العودة إلى جحيم المعركة فعاد الموشكي والشامي بعد أن مهد الطريق الشيخ محمد بن علي عثمان ثم تلاهما مطيع دماج وقد استقبلهم ولي العهد أحمد بالترحاب واستمر ثلاثتهم ملتزمين لمبدأ النضال الهادف إلى إنهاء حكم الإمام يحيى وأبنائه ، فعمل كل في حدود ظروفه وكثيراً ما كان الموشكي يتمرد على ظروفه فيقف مع ولي العهد مواقف نقد وتحذير لا يجرؤ عليها سواه فيتحملها له ، وقد يشكوه إلى محمد عثمان أو الشامي فيلطفان الجو ويسري التلطيف إلى استعطاف ولي العهد على المسجونين بحجة فيطلق القاضي عبد الرحمن الأرياني ثم يضمه إليه بتعز ، وتخف موجة الإرهاب والاعتقالات نسبياً ويطلق ببطء بعض المعتقلين بفترات متقطعة تناول الإطلاق بها القاضي محمد الأكوع والقاضي أحمد المعلمي والقاضي محمد السياغي وأخويه القاضي يحيى والقاضي حمود والقاضي عبد السلام صبره والنقيب عبد اللطيف قائد والشيخ أمين نعمان والشيخ محمد أبو راس والقاضي محمد صبره وآخر المطلقين الشيخ حسن الدعيسي والقاضي عبد الكريم العنسي قبل ثورة ١٣٦٧ هـ الذي مات قبلهما بالسجن الشيخ حسن بن محمد البعداني والشيخ محمد حسان بحجة واستمر بقية المعتقلين إلى ما بعد الثورة بسجن حجة ، منهم الأستاذ قاسم غالب أحمد والشيخ صالح المقالح والشاعر محمد علي المطاع .

إشتداد الصراع من عام ١٣٦٣ ـ ١٣٦٧

كانت سنة ثلاث وستين وثلاث مائة وألف فاتحة اشتداد الصراع بين حكم الإمام يحيى وبين المقاومة لذلك الحكم ، كانت تمثل المقاومة قوتان أحدهما أفراد وجماعات لا منظمة لها ولا نظام وكان لهذه القوة أثرها .

القوة الثانية لها منظمة ، لها نظامها وخططها وأهدافها وتأتي سنة ١٣٦٣ هـ وللمقاومة ثلاث منظمات :

١ ـ منظمة النضال أو منظمة المطاع .

٢ ـ منظمة هيئة الإصلاح بقيادة الأكوع والأرياني .

٣ ـ منظمة حزب الأحرار بقيادة النعمان والزبيري ، وهذه المنظمات الثلاث وإن اختلفت في بعض الخطط ومواد النظام فإنها وبقية قوى المقاومة يتفقون جميعاً في هدف واحد هو نسف حكم الإمام يحيى وأسرته ، حول هذا الهدف كان لقاء كل الفئات بعقيدة لا تقبل جدلا ولا مناظرة ، إنها أصبحت عند الجميع كالشهادتين محور الإيمان من قالها واعتنقها فهو حر ثاير ، ومن تردد فيها ، فهو جامد إن كان من ذوي الفضل والنقد للإمام كزيد الديلمي وعبد الوهاب الشماحي ويحيى الأرياني وقاسم العزي ، أما إذا لم يكن من أضراب هؤلاء الأعلام فهو عميل خائن ولم تكن كلمة (الرجعية) قد انتشرت وإلا لرمينا بها الجامد أو العميل ، أصرت المنظمات الثلاث ومن تمشى في تيار المقاومة على نظريتها إيماناً أن هذا الحكم هو الصخرة العاتية في طريق الإصلاح ، وبقدر إصرار المقاومة كان إصرار الإمام يحيى وجهازه ، المتمثل أخيراً في أبنائه ، على خطتهم وإغلاق المنافذ في وجه أي تجديد وجديد ، بصفة ظهروا معها أنهم أعداء الإصلاح ، وإذا أتوا بمصلحة فما هي في نظرنا إلا وسيلة لفساد يدبرونه ، لا يقرون عليه ولا على وسيلته الخادعة .

وهذا ما جرى مع سيف الإسلام عبد الله فقد حاول استخراج الثروات المعدنية وأقنع أباه وجاء ببعثة أمريكية فأثرنا ضده أخاه ولي العهد حتى تجمدت العملية وإلى اليوم ، قاومنا فكرة عبد الله لأننا نرى فيها تدعيما لحكم آل حميد الدين الذي يجب أن ينتهي .

وبهذه الروح تحركت أعصاب وخيوط المنظمات الثلاث ومن يدور في فلكهم يدفعون مركبة الأحداث إلى ثورة تنهي حكم الإمام وأبنائه ولقد اندفعت المركبة من سنة ١٣٦٥ هـ بسرعة يساعدها إهتزاز الجهاز الحاكم .

سنة ١٣٦٥ وأهم التطورات إلى الثورة

كانت وزارة القاضي عبد الله بن حسين العمري هي الفقار لجهاز حكم

الإمام يحيى المطلق ، فقد كان العمري من أولئك الأفذاذ الذين يعرفون كيف يخدمون الملوك ، وباعتماد الإمام يحيى على هذا العمري الباقعة الاداري أقام جهازاً لحكمه متماسكا موحداً ، كان مقدراً له أن يمتد طويلا يتوارث لبناته الأبناء فيحل القاضي محمد بن عبد الله العمري محل أبيه ، ويحل ولي العهد أحمد محل والده ، وهكذا دواليك .

ومن هنا فقد كانت ضربة أحمد المطاع ورفاقه لهذا الجهاز بالخلاف والتفكك هي الصاروخ ـ لا عابراً لقارات ـ بل عابر السنين بالثورة إلى يومنا هذا .

لقد كانت وحدة الجهاز الحاكم هي الصخرة العاتية في طريق المقاومة لحكم الإمام يحيى ، وقد استطاع المطاع ورفاقه أن يحولوا تلك الصخرة إلى جانب من الطريق ، ثم ما زالوا هم ومن تلاهم يفتتون تلك الصخرة حتى انقلبت إلى حصباء حادة مؤذية على الطريق لا يمشي عليها إلا من احتذى الصبر والإيمان بدعوته .

لقد تفتت الصخرة بانهيار وزارة العمري وتسلق سيوف الإسلام إلى جهاز الحكم ، واحتلالهم ولايتي الأمير عبد الله الوزير والأمير علي الوزير ، ثم تنافس هؤلاء السيوف فيما بينهم وتخوفهم من أخيهم الأكبر القوي ولي العهد أحمد تخوفاً دفع سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى إلى أن يعقد معاهدة مع الأمير عبد الله الوزير ، والأمير علي الوزير ، والأمير علي بن حمود شرف الدين ضد أخيه ولي العهد وارتقائه عرش الإمامة بعد أبيه ، وقد اتفق المتعاهدون الأربعة على ترشيح عبد الله الوزير للإمامة بعد الإمام يحيى .

وكان هذا الحسين عالماً خطيباً ، كاتباً مترسلا ، متقشفاً شجاعاً ، أسير النوم والتفكير العميق العقيم ، لا يقول بحصر الإمامة في الفاطميين ، يجله لعلمه ومظهره الديني أخوته وأبوه الذي كان ينظر إليه نظرة عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر ، وبذلك تمكن من إقناع أخيه لأبويه الحسن بمعاهدته الرباعية ضد ولي العهد أحمد ، مما جعل ولي العهد أحمد يتغاضى أخيراً عن دعاة الاصلاح

ويحضهم ويشجعهم على محاربة أخوته وفي مقدمتهم الحسين والحسن وعبد الله ، لأن الشباب المتحرر غير راض بتزمت الحسن وجموده ، ولا بتردد الحسين وسلبية أفكاره العميقة العقيمة ولا بعبد الله بن الإمام يحيى وميولاته الأمريكية . فقويت المقاومة في صور متعددة لا تخرج عن حدود الكلام وعن أسوار المدن وشباب المدارس والضباط ، ومع ذلك لقد كانت قافلة الأحداث تسير إلى الثورة بسرعة مبشرة ومنذرة ، مبشرة بأن السير متواصل ، ومنذرة باقتراب انفجار الثورة قبل أوانها ، والغاية هي تفجير ثورة يكتب لها البقاء وتتحقق مصلحة الشعب ، بنقله إلى مجتمع أفضل وأعدل . وهذا البقاء وهذا الانتقال لم يكن قد هيأت لهما الأرض الصالحة ، فالتوعية الصحيحة لم تكن قد تناولت الجماهير ، وعليها سيما قبائل الشمال يعتمد النجاح والفشل ، لا على مجموعات مثقفة وجماعات من الشباب المتحمس في المدارس والمدن وبعض القرى ، وقد كنا مع إخواننا بتعز وعدن وغيرهما نشعر بهذه الناحية ، ولكن النجاح الظاهري الذي حققته المقاومة ، سيما ما أحرزته منظمة حزب الأحرار بعدن حجبت إخواننا الذين بعدن عن ذلك الشعور فراحوا وهم في مأمن وفرحة النجاح على عيونهم يدفعون الحركة بقوة تسابق الظروف الصالحة ، أثار شعورنا بالمخاوف من النتائج ولم يبق متسع للتوعية الجماهيرية ، لم يبق هناك إلا الطرق المختصرة لاكتساب الجماهير والقبائل الشمالية ودرء الأخطار المحتملة ، وبعد مشاورات تقرر الاتصال بالملك عبد العزيز المعروف بعداوته لولي العهد أحمد حينذاك .

وفد هيئة النضال إلى الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٦٥

قررت هيئة النضال الاتصال بالملك عبد العزيز آل سعود أملا بأن تكون المقاومة والثورة منه في مأمن ثم محاولة كسب مساعدته فقد كان الملك عبد العزيز راضياً عن الإمام منذ معاهدة الطائف التي عن طريقها ، تم اللقاء بين الأمير عبد الله الوزير والملك عبد العزيز وارتبطا بصلة قوية تناولت من بعد الأمير علي الوزير برباطها الودي المقرون بإجماع الثلاثة على كره ولي العهد سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى .

ولم يكن لهيئة النضال تعرف ولا صلة بالملك عبد العزيز ، فرأت الهيئة الاستعانة بعبد الله الوزير في الوصول إلى التعرف بعبد العزيز والاتفاق معه من دون أن يعرف للوزير حقيقة المنظمة وأهدافها .

اتصل المطاع وبعض رفاقه الذين منهم عبد السلام صبرة بعبد الله الوزير وبعد مواقف متعددة التقوا مع الوزير في التخوف من الإمام وولي عهده وراحوا يبحثون عن منجاة ، وبعد أخذ ورد قرروا وجوب التعاون لمقاومة هذا التخوف وأن يستعان بالملك عبد العزيز ، واتفق الجميع على إرسال وفد سري إلى عبد العزيز ، وبتعيين القاضي عبد الله الشماحي للقيام بهذه المهمة بموسم الحج يحمل رسالة من الأمير عبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز ويوكل إلى الشماحي تشخيص الموقف باليمن وعقد اتفاق مع الملك .

ويذهب الشماحي بشهر القعدة عام ١٣٦٥ يحمل رسالة عبد الله الوزير وكتيبا خطيا من هيئة النضال ورسالة من الأمير علي الوزير . وفي جدة يتصل الشماحي بواسطة عبد الله بن سليمان بالملك عبد العزيز فإذا بالشماحي مع شخصية واضحة تمثل الزعامة العربية في صراحتها وأريحيتها أيام العهد الأموي وبعد تجاذب أطراف الحديث وتصوير الشماحي الموقف باليمن وتغلب أبناء الإمام يحيى على أبيهم وما يخططه ولي العهد أحمد قدم الشماحي رسالة الأمير بن عبد الله الوزير وعلي الوزير مع كتيب هيئة النضال إلى الملك عبد العزيز ، وترك للملك الفرصة لمطالعة تلك المحررات فاستأذنته بالانصراف فأذن على أنه سيستقدمني في الوقت الذي يراه .

وفي اليوم الثاني استدعاني وأظهر استحسانه لإرتباط النضال بإحياء تعاليم الكتاب والسنة وبوجود عبد الله الوزير إلى جانب هيئة النضال ، ووعد أنه سيساند الدعوة في حدود إحياء السنة وإماتة البدعة بحيث لا تخرج الدعوة كما كان يقول : إلى صراع مع الإمام يحيى فهو معه على اتفاق ومعاهدة لا يمكن أن يخيس بها ، وأن من الأفضل للوزير ورفاقه إرجاء أية حركة يكون معها صراع إلى بعد موت الإمام يحيى المنتظر أنه لا يعيش طويلا ، فجاريته على فكرته وقلت

له : ولكن من يكفل سلامة الدعوة من سطوة ولي العهد أحمد في حياة أبيه وبعد موته فأحمد قد تغلب على أبيه وفي طريق تغلبه على الموقف وتنفيذ مخططه الذي لا يقف عند حدود اليمن ، فقال : أنا أعرف أحمد وخطورته ولكن لا يمكن أن أخل بعهدي مع الإمام يحيى وكل ما يمكن أن أنظر فيه هو مساندة الدعوة والوزير مادياً شريطة عدم الصراع مع الإمام ، وارجىء الأمر إلى بعد مناسك الحج .

(صوت اليمن والفشل)

ذهب الشماحي والقاضي فضل بن علي الأكوع الذي انضم إلى الشماحي لاكمال المهمة ، ذهبا من جدة إلى مناسك الحج وهما مسروران بمبادىء المحادثة التي دارت بين الملك والشماحي ، وقد كانت صحيفة صوت اليمن صدرت بعدن وأرسلت منها كميات إلى السعودية وإلى الملك عبد العزيز ووزعت منها أعداد في مكة وعرفات وفيها حملة على الاستبداد والملوك إلى جانب التشهير بالوضع في اليمن والإمام يحيى والدعوة إلى إنتفاضة تحطم الجمود وتبدل الأوضاع لما تتطلبه الحضارة المعاصرة ، وما أن وقف عليها الملك عبد العزيز إلا واثارت غضبه وأمر بمصادرتها ومعاقبة من وجدت لديه ومن يظن أنه وردها ، وسرى الشك إلى الشماحي ، وكان الملك بمنى في اجتماع مع سيوف الإسلام مطهر وعباس ومحسن ورفيقهم السيد حسين الكبسي الذين حجوا في ذلك العام وما أن خرجوا من لديه حتى استدعى الشماحي وبعد أن تحدث معه قليلا عن الحج وتناول الشماحي القهوة العربية عرض على الشماحي عدداً من صوت اليمن على بعض مقالاتها خطوط وقال : أنظرْ أن هذا الصوت صوت شر يحمل معول الهدم للدين والعروبة ويظهر أن حركتكم متصلة بهذا الصوت الهدام ، وانكم قد خدعتم الوزير فأراد الشماحي أن يلطف الجو بأن ما ترمي إليه صوت اليمن لا يتعدى الوضع اليمني ، وعن سؤاله أحببت أن لا أكذبه ـ فأجبت بأن منظمتنا بصنعاء متصلة بحزب الأحرار بعدن في نقطة التخلص من حكم الإمام يحيى وولي عهده أحمد ، وإني لا أعلم بأعداد صوت اليمن إلا بعد أن وقفت عليها لديه ، وكأنه اقتنع بجوابي ولكنه لم يتراجع عن فهمه لمقالات صوت اليمن

وقال : أنت صادق ، وأنا رجلٌ أحب الصراحة : وإني أرى أن حركتكم هدامة ولا يسعني أن أساندها ، وحرر رسالة مختصرة إلى عبد الله الوزير إشعارا له بأن رسالته وصلت وأن حاملها سيخبره بالحقيقة ، وحملني أن أبلغ الوزير والهيئة تحياته وما يراه ، وأنه يتحتم على الوزير ألا يحدث أية حركة في حياة الإمام يحيى وإذا كان متخوفا على حياته وكرامته فهو يرحب بهجرته إليه ، ولقد كان شريفا فكأنه لمس تخوفي من إطلاع سيوف الإسلام على موقفي فعندما فارقته قال إن موقفنا : سيكون من الأسرار التي لا ينفذ إليها الأخ يحيى ولا السيوف ، وإتقوا الله في مصير بلادكم والإسلام .

ولم يكتف الملك بتمسكه بفكرته التي انتزعها من صوت اليمن ، فقد دخلت عليه مع وفود المسلمين والزائرين بمقره بمنى فألقى خطابا رحب بالحجيج وتكلم عن الإسلام والتوحيد وعن الجهاد في سبيل الله واستقلال العرب والمسلمين وأثنى على الإمام يحيى وقال : إن كان هناك من يفخر به في تحقيق إستقلال بلاده إعتمادا على نفسه وسعيه فإنه الأخ يحيى وأنا ، وكان ممن حضر هذا الموقف وتكلم الشماحي والإمام حسن البنا رحمه الله .

(التعرف بالإمام حسن البنا)

كان البنا ممن حج في هذا العام وجمعه بالشماحي مقر الملك عبد العزيز وألقى كل منهما كلمة شكر عبد العزيز . على جهوده في إراحة ضيوف الله وبما يقوم به من أعمال في مهابط الوحي وعلى دعوته إلى التوحيد والوحدة الإسلامية ثم تكلما عما يرمي إليه الحج من العدالة والمساواة وكيف قضى على هذه الروح الطغيان ومحاباة العلماء.فأعجب البنا بهذه الفقرة وأيدها ، ومن هنا قويت صلات الشماحي بالإمام البنا وتلازما بمنى ومكة والمدينة ودرسنا الوضع العام في العالم الإسلامي وشخص الشماحي للبنا الوضع باليمن وإتفقا على التعاون بين الاخوان المسلمين والمنظمات اليمنية وقد أوفى بوعده فساند النضال اليمني بما كانت تنشره صحافة الاخوان ثم أوفد الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاني وغيره إلى اليمن عن طريق عدن وغيرها كما سيأتي .

(العودة من الحج والحقيقة المرة)

قبل أن يغادر القاضي فضل الأكوع والشماحي (منى) اجتمعا بالعزى عكارس فأخبرهما أنه يحمل رسائل من المطاع ومن الأميرين علي الوزير وعبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز مع توصية للشماحي بإيصال الرسائل إلى عبد العزيز فأخبرناه بالحقيقة ومع ذلك أوصلنا الرسائل إلى الملك ولم ننتظر منه جواباً ، وقد اتفق الثلاثة أن لا يعرف الحقيقة الأميران علي الوزير وعبد الله الوزير إلا إذا قرر ذلك المطاع وعبد السلام وعدنا نطرح الحقيقة للمطاع وبقية الرفاق وأجمعنا على كتمها عن الأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير وسلمنا الرسالة إلى عبد الله الوزير الذي انقبض لاختصارها وجفافها فأزحنا انقباضه بأن شرحنا له ما لمسناه في أول اجتماعنا من كراهية عبد العزيز لولي العهد أحمد ومن تفاعله مع عبد الله الوزير إلا أنه متقيد بالمعاهدة مع الإمام يحيى وأنه يرحب بالوزير إذا شاء الوصول إليه ، فإذا بالوزير يميل إلى الاناة وإنتظار موت الإمام يحيى . فتفرقنا لدرس الوضع على ضوء الحقيقة المرة وسير الحوادث وما تجدد .

(سنة ست وستين وشبح الثورة)

استهل عام ستة وستين وثلاث مائة وألف على أحداث حولت سير النضال من التفكير إلى المغامرة ، فحزب الأحرار بعدن قوي مركزه الدعائي بإبراهيم بن الإمام ومحاولة إسماعيل بن الإمام أن يلتحق بأخيه وحزب الأحرار فيقبض عليه مع الشيخ صالح المقالح وغيره قبل اجتيازه الحدود .

ويأتي الأستاذ الجزايري الفضيل الورتلاني موفداً من الإمام حسن البنا وروح الثورة مستولية عليه فيمر بعدن ويضاعف حماس قادة حزب الأحرار وأعضاء الحزب ذلك الحماس الزاحف مع الفضيل إلى كل مكان حل به ، فهو معه بتعز يهز الملك المظفر ، وبإب يحرك الملك المكرم والوالدة السيدة أروى ، وبصنعاء يلهب شبابها وطلاب مدارسها وضباطها بسعير ثوري ، حول الجو بصنعاء وعدن إلى أتون ، من وقوده التفكير الموجه الصحيح ، وصرنا وكأن اليمن قد ألغم بصواعق ستنقض على الإمام يحيى وحكومته ، خيال نعمنا به

زمناً أوقعنا في الغرور ومغباته فلم نسمع لصوت الحقيقة المنبعث من مواطن القبائل اليمنية التي لم تصل إليها الدعوة النضالية فضلا عن الحماس لها ولروحها المستعرة التي كانت لا تتجاوز بعض المجموعات من الشباب والطلاب والضباط في صنعاء وذمار وإب وتعز وهنا ، وهنا حماس زاد في إشعاله الفضيل ، وقد تمكن من ذلك لاحتضان ولي العهد أحمد له فقد وصل تعز فاستقبله أحمد وأعجب به وبدعوته الإصلاحية الإسلامية وأسلوبه في الخطابة والمحاضرة والمحادثة ، وفي تعز اتصل الفضيل بالقاضي عبد الرحمن الإرياني والسيد زيد الموشكي والسيد أحمد الشامي وأمثالهم وتبادلوا النظريات وبه ارتبط السيد أحمد الشامي ولازمه في تجولاته وتأثر كل منهما بالآخر وفي صنعاء قام الفضل بنشاطه الثوري يرافقه المؤرخ المصري أحمد فخري ويساعده الشامي فيجتذبان إليهما السيد العالم حسين بن محمد الكبسي ، ويتصل الثلاثة بالمطاع وغيره ويندفع الفضيل في إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات في المدارس والمساجد والحفلات فتسري روحه إلى الشباب والضباط وطلاب المدارس ، ويبلغ الحماس بصنعاء ذروته أوائل العام السابع والستين حول الجو بصنعاء إلى درجة من التوتر أصبح الإمام يحيى وأتباعه وهم يحسون بأن حولهم ثورة ستفجر ، فراحوا يتحسسون ليضعوا أيديهم على مواطنها ، وبدأوا باعتقال بعض الشباب والضباط وطلاب المدارس ، وكلما حاولوا إيقاف الفضيل وإخراجه من اليمن ومد أيديهم إلى الملتفين حوله أرجعهم القدر ، وتدخل ولي العهد وتوصياته بالفضيل ، ودفاع السيد حسين الكبسي عن الفضيل ، فقد كان الكبسي محل ثقة الإمام ونجليه الحسن والحسين ، وكانت الثورة تبدو وكأنها تطرق الأبواب ، وهنا أصغى أمثال الكبسي إلى الطرق الذي جعلهم يفكرون في الثورة ومصيرها فيدرسون الوضع الحقيقي لليمن فيقررون إفتقار الثورة ومصيرها إلى أن تدعمها القبائل وإلا فنجاحها غير مضمون ، ولا سبيل إلى كسب القبائل عن طريق التوعية والمنظمات فالوقت أضيق من السير في هذا الطريق الطويل ومن هنا يأتي الأمير عبد الله الوزير إلى الإمامة . ويتكون معظم رجالات الدستور المنصوص عليهم في الميثاق المقدس .

(الإمام عبد الله بن أحمد الوزير)

(كيف أختير عبد الله الوزير للإمامة)

كانت أفكار رؤساء المنظمات بما فيها الجماعات العسكرية ، تهدف إلى إقامة حكومة شعبية شورية (أي ديمقراطية) ليس عليها ملك ولا إمام متحكم بل حكومة لها مجلس أعلى (أو رئيس جمهورية) .

وكانت الطريق إلى إقامة هذه الحكومة في هذا النظام هي تهيئة الشمال بالتوعية لقبول هذا النظام غير المألوف ، ولكن حدث ما أشرنا إليه من التوتر وإحساس الإمام بالخطر ، وارتفعت درجة حرارة الثورة في شبابنا بصنعاء فراحوا يوزعون النشرات المطبوعة يتهددون كل من يقف بفكره أو بكلامه فضلا عن عمله في طريق الثورة وإنهاء أسرة حميد الدين ، بلغ الحماس بهم وبنا إلى هذه الذروة ، ولم يقف من هم دوننا شبابا معنا على هذه الذروة بل تجاوزها إلى تفجير القنابل والألغام والطلقات النارية هنا وهنا ويمثل هذه المجموعة من الشباب المتطرف حسن العمري وعبد القادر بن محمد وحسين المقبلي والسيد محمد بن أحمد عبد الرحمن الشامي والسيد عبد الوهاب بن محمد بن محمد الشامي وعلي عتمي وعلي البوني وعبد الملك الطيب ويحيى المطاع ، ومن أغرب حركتهم وحمى ثورتهم أنهم أصبحوا يوزعون المنشورات التهديدية في ظروف تجمع بين المنشور ودسته من العيارات ومعابر الجرمل والمسدس ، هذا الوضع أجبر المفكرين العاملين بالحقيقة وبأن هذا الحماس لا يتجاوزهم ، وصاعاً من شباب المدن ، أجبرهم هذا الوضع أن يتخذوا خطة علها تمكنهم من أن يتغدوا بالإمام يحيى وولي العهد أحمد قبل أن يتعشيا بهم .

وبعد دراسة سريعة متعمقة قرروا أنه لم يبق متسع لكسب قبائل الشمال بالتوعية فإن الإمام سيسبق الوقت بضربة رجال المنظمات فهو في طريق اكتشاف شخصياتهم المستترة داخل اليمن المتوكلية فلم يبق خيار للمفكرين إلا أحد أمرين الفرار إلى عدن والخارج قبل أن يطيروا إلى الرفيق الأعلى ، ولكن الفرار من الجحيم الذي أضرموه وإن كفل لهم السلامة خطة جبن وخيانة لشعبٍ

وقضيته ستبقى عار الدهر ، فلنبق في أتون الجحيم لعلنا نحوله لليمن برداً وسلاما ، وإلى جلادي الشعب إعصاراً من نار ما تذر من طاغ وطغيان إلا جعلته كالرميم ، ولكن على أي جنب نضطجع على هذا التوتر الملتهب ، والقبائل اليمنية المسلحة ليست بأيدينا ،وكل ما حولنا حكومات ملكية بالطبع تعادينا ، وكل ما بأيدينا هي مجموعات من مفكري الشباب ومثقفي الشباب ، ومتطرفي الشباب المعدودين في المدن ، وفي قلة من الطلاب يقودهم حسين المقبلي ، وإلا مجموعة من المحرومين الذين لا يظهرون ، إذا جد الجد ، وإلا الصياح في المنشورات والصحافة الخارجية ، إذا فلم يبق من مندوحة إلا اجتذاب القبائل عن طريق حكم إمامي ، يكون مؤقتاً ، يمثل دور انتقال من حكم الإمامة الزيدية ، إلى الحكم الشعبي ، ويشتد النقاش حول الأخذ بهذا الدور الانتقالي ، انتهى على مضض بالأخذ بهذا الدور الانتقالي .

وهناك شخصيات من غير بيت حميد الدين لها مقامها بين القبائل ، وهذه الشخصيات الأمير عبد الله الوزير والأمير علي الوزير والأمير علي بن حمود شرف الدين واقوى الثلاثة وأجمعهم لشروط الإمامة الزيدية التي من شروطها سلامة الحواس الظاهرة والباطنة هو عبد الله الوزير فليختر إماما ، ولتتخذ الحيطة من تغلبه وتحويله الحكم إلى الاستبداد والطغيان الفردي .

وهكذا جاء الأمير عبد الله الوزير إلى قمة الحكم ، وجاءت الإمامة بدل الحكم الشعبي الذي كان هدف النضال ، وجاء معظم رجال الحكومة المنصوص عليهم في الميثاق المقدس ، ومع هذا فلم يكن إقناع عبد الله الوزير ، بقيادة الثورة وتفجيرها بالأمر السهل إنه لا يقنعه الترغيب في القيام بهذا الواجب ما دام يشعر أنه في مأمن من الإمام يحيى ، وها هي الثورة تحث خطاها نحو خنق رجالها قبل مولدها ، أو نحو يوم اندلاعها قبل أن تهيء لها الظروف ، فما بقي إلا أن يدفع عبد الله الوزير الذي قبل ترشيحه للإمامة إلى قيادة الثورة وتعجيلها يدفع إلى ذلك بعامل تخوفه من الإمام يحيى وابنائه وتخوف الإمام وأبنائه من عبد الله الوزير .

المخاوف تقنع الوزير

تمكن الفضيل والكبسي والمطاع ورفاقهم من اثارة التخوف إلى درجة دفعت كلا من الإمام يحيى وبنيه وعبد الله الوزير إلى أن يعد العدة ليتخلص من الآخر وكان للشهيدين السيد محمد بن حسين عبد القادر والحاج عزيز يعني المطري نصيب الأسد في تسليط المخاوف على عبد الله الوزير ، كما كان للكبسي والشامي والشماحي الأثر الكبير في اثارة مخاوف الإمام يحيى وبعض بنيه فاقتنع الوزير بتوليه قيادة الثورة والاستعداد لتفجيرها فقوى علاقته بالفضيل ومن يتصل به وفتح لهم داره لعقد الاجتماعات ووضع المخططات واتصل بمن يثق به من أعيان القبائل الموالية ليكونوا على استعداد للساعة المطلوبة. وتمكن من استمالة القاضي عبد الله العمري والسيد حسين عبد القادر إلى وجوب التخلص من أولاد الإمام وولي العهد احمد وخطرهم الذي سحق معنوية العمري والوزير وحسين عبد القادر ومن يتعلق بهم والذي سيسحق شخصياتهم في المستقبل العاجل ، إلى ما هنالك مما جعل العمري يعمل في كتمان لصالح الوزير .

وراح الإمام يحيى وبنوه يفكرون في توجيه ضربة يهوي معولها أولا على عبد الله الوزير واعتقاله مع الأمير علي الوزير وبعض شخصيات ثم تنتقل الضربة إلى هنا وهنا .

ولهذا راح الإمام يحيى يجمع الوثائق لإدانة عبد الله الوزير وأخذه واعتقاله مع علي الوزير ، وقد وجدت هذه الوثائق في صندوق اليد الفولاذي الذي لا يفارقه الإمام يحيى المودعة فيه مفاتيح كنوز الإمام وخواتمه التي تحمل اسمه ويمهر بها القرارات والاتفاقيات والرسائل والأوامر ، مع مذكرته المالية ، الدقيقة المبين بها كلما تحتويه خزاينه من ذهب وفضة وحبوب وأسلحة ومجوهرات ومقدار واردات كل لواء وقضاء وصادراته وبيان ما هو خاص به وما هو لبيت المال ، إن وضع الوثائق لإدانة الوزير في هذا الصندوق الهام يدل على أنه كان في طريق تعجيل الضربة للوزير وأنه كان يحسب لاعتقال الوزير حسابه سيما من جهة الملك عبد العزيز وخوفه تدخله إلى جانب الوزير ولو بالضغط على الإمام

لإطلاق الوزير من الاعتقال ، ولم يكن يعلم الإمام بما وقفنا عليه من تحول الملك السعودي إلى جانب الإمام ، إلى هذه الدرجة بلغت الحالة بين الإمام والوزير أوجبت أن تتخذ المنظمات معها خطوة يتطلبها الموقف فكان الإتصال بين قادات المنظمات والبناء لتوحيد العمل .

الاتصالات والميثاق المقدس

عند أن بلغ الموقف هذه الدرجة راح الفضيل والمطاع والوزير والكبسي ورفاقهم يضعون الخطط ويتصلون في صنعاء بالرئيس العسكري العراقي جمال جميل وغيره ، وذهبت رسلهم تحمل المعلومات إلى من بتعز وإلى الزبيري ونعمان بعدن وإلى البنّا بالقاهرة وانتهت الاتصالات بالموافقة على أن يكون الوزير اماماً دستورياً ، على رأس حكومة دستورية وفعلا شكلت الحكومة ونص على أعضائها ووضع لها دستور سمي الميثاق الوطني المقدس ، اشترك في وضعه الفضيل والكبسي وغيرهما وكتبه السيد أحمد بن محمد الشامي وأرسلت منه نسخة بخط الشامي إلى الزبيري والنعمان ليطبع منه عدد كبير تحفظ هناك في سرية إلى الوقت المناسب لإعلان الثورة ، وطبع الميثاق واحتفظ بكل الأعداد ولكن السرية لم يحتفظ بها . وهذا نص الميثاق وأسماء مجلس الوزراء والادارات المختلفة ، والسبب الدافع إلى تعيين معظم الأشخاص في هذا الميثاق هو الظروف .

(نص الميثاق الوطني المقدس لثورة اليمن)

عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

لما صارت أحوال اليمن منحطة إلى حد بعيد في أمور الدنيا والدين ، بسبب الاستبداد والأنانية اللذين اشتهر بهما الإمام يحيى بن حميد الدين ، حتى صار الغرض المطلوب من الإمامة معدوماً في كل ناحية ، ولم يبق غير مظاهر خادعة كاذبة ، لا تتفق مع موجبات الشرع الشريف ولا تضمن شيئاً من الإصلاح الذي يوجبه الدين في الحال ، ولا تصون اليمن من أسوأ العواقب في الاستقبال .

وقياماً بالواجب ، لله تعالى ، وللمسلمين ، وطلباً للسلامة في الدين

والـدنيـا من العقـوبـة من الله سبـحـانـه وتعـالى والحفظ شـرف الـدين والاستقلال . . . . اجتمع ممثلو الشعب اليمني عـلى اختلاف طبقـاتهم ، في هيئة مؤتمر للنظر في وضـع نظام شـرعي صـالـح ، وإقـامـة من ينفـذه ويحفظ الأمن ويضبط مصالح الأمة ، ويقوم بكل واجب ديني ودنيوي لليمن وأهله ـ عند وفاة الإمام الحالي فقرروا الآن بالاجماع ما يأتي :

المادة ١ ـ مبايعة سيادة السيد(   ) لما اشتهر به من علم وفضـل ، ومنزلة عالية في نفـوس الناس الآن . مبـايعة دينيـة ناجـزة ، إمامـاً ، شرعياً ، شوريا ، دستوريا ، على نحو مـا تسير بـه أرقى الأمم اليوم في العـالم المتحضر ، فيما لا يخالف أدنى مخالفة التعاليم الإسلامية السمحة الصحيحة .

المادة ٢ ـ كانت البيعـة من ممثلي الشعب اليمني لحضـرة صاحب السيادة المشار إليه ، على الشروط المقدسة الآتية :

(أ) العمل في كل قول وفعل بما تضمنه القـرآن الكريم ، والسنـة النبويـة عـلى صاحبهـا وآله أفضـل الصلاة والتسليم ، ومـا كان عليـه السلف الصـالـح رضوان الله عليهم .

(ب) يكون حضرته هو الإمام الشرعي ورئيس الدولة اليمانية ، ويكـون لـه الحق الكـامـل الـذي يتمتـع بـه الإمـام المحق الملتزم تنفيـذ هـذا الميثـاق ، والشخصية التي لسائر الملوك ورؤساء الدول الحرة المستقلة في العالم .

(جـ) لا تصدر جميع مراسيم الدولة ، وجميع الأحكام في المحاكم الشرعية إلا باسمه .

(د) لا تتم أية معاهدة مع الحكومات الأخرى إلا بموافقته وتحت إمضائه .

(هـ) إليه وحده تقدم أوراق الاعتماد من الممثلين الـدبلوماسيـين الأجانب لدى الدولة اليمنية .

(و) لـه الحق في الإشـراف عـلى مجلس الشـورى وعـلى مجلس الـوزراء ، والاقتراح للنظر في كل ما يريد من المشروعات على اختلاف أنواعها .

(ز) وله الحق في الاشراف على جميع أموال الدولة ومناقشة أعمال أي شخص ذي علاقة بها .

(ح) له السمع والطاعة في المنشط والمكره من كل فرد داخل نظام هذه البيعة الجارية على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما كان عليه السلف الصالح وعلى العمل بكل تحسين يقبله الشرع الشريف . . . له في ذلك ما دام متمشياً على هذه البيعة ملتزماً لهذا الميثاق ساعية إلى الغاية المقصودة من ذلك بكل سرعة ممكنة .

المادة ٣ ـ يكون نظام الحكم شورياً دستورياً بما لا يخالف الشريعة السمحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله .

المادة ٤ ـ يقوم على وضع الدستور اليمني لجنة خاصة يعينها مجلس للشورى من أهل الكفاءة والصلاح علماً وعملاً ، ويجب أن نستعين في ذلك بالجامعة العربية وحكوماتها والعبقريين من رجالها ، ثم يعرض على الإمام ما يقررونه ليحيله حالا إلى الجمعية التأسيسية .

المادة ٥ ـ بعدما تضع اللجنة هيكل الدستور بمواده المفصلة يجب أن يرفع إلى الإمام ليحيله على الجمعية التأسيسية لتنظر فيه وتناقشه مادة مادة . ويكون التصديق على كل مادة منه بعد المناقشة بالأكثرية . وفي هذه الحالة يعرض مرة أخرى على الإمام ليطلع على ما فيه ويقرر ما اتضح له صلاحيته ، وله الحق أن يأمر بإعادة النظر فيما عدى ذلك مبيناً أوجه النقص فيه ، وعلى الجمعية أن توالي اهتمامها بدرس ذلك على ضوء التعاليم الاسلامية وبعد ذلك ترفعه إليه أخيراً مصحوباً بمستندات ما قررته الأكثرية ويصبح حينئذ واجب التنفيذ والتوقيع .

المادة ٦ ـ يكون ضمن أعضاء الجمعية التأسيسية الأساسيين أعضاء مجلس الشورى الذي سينص عليه فيما بعد .

المادة ٧ ـ مجلس الشورى المشار إليه هو الذي يضع قانوناً لانتخابهم إذا قرروا طريقة الانتخاب أو يعينهم بالاشتراك مع حضرة الإمام إن رأى طريقة

التعيين . . على أن يكون مفهوماً من الآن في حالة الانتخاب ما يأتي :

(أ) أن يكون لكل يماني ذكر بالغ من العمر ٣٠ سنة غير محكوم عليه شرعاً لإجرام حق الانتخاب .

(ب) أن لا يقل عدد ممثلي المدن عن الثلثين .

(جـ) أن تكون القبائل والقضوات ممثلة .

(د) أن يكون للمهاجرين اليمانيين في أي بلد يوجدون فيها حق إرسال ممثلهم في المجلس إذا كان فيهم ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب وإذا كثروا يكون لهم على كل ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب ممثل وواحد على الكسور مهما قلت ممثل واحد .

المادة ٨ ـ بما أن دعوة جمعية تأسيسية تتعذر الآن . وأن وضع الدستور وتحديد المسؤوليات الدائمة إنما هو من اختصاصها . . فإلى أن يتيسر ذلك يجب أن يكون تعيين مجلس مؤقت يسمى « مجلس الشورى » .

المادة ٩ ـ تكون صلاحية المجلس المشار إليه المؤقتة ما يلي :

(أ) القيام بالمهمات المشار إليه في المواد السابقة .

(ب) القيام بوضع القوانين المؤقتة وضعاً لا يخالف النظم الشرعية ، على أن يعمل بها حتى تصدق على الدستور وحينئذ تقر أو تلغى .

(جـ) يضع ميزانية الدولة للفترة المؤقتة .

(د) يصادق على المعاهدات ويرفضها ، وعلى الإمام أن لا يبرم أية معاهدة إلا إذا صادق عليها أكثرية هذا المجلس ، وعليه أن لا يعزل وزيراً أو مديراً ، أو أمير لواء ، أو موظفاً هو عضو في مجلس الشورى في المدة المؤقتة قبل وضع الدستور إلا بموجب عزله بحكم الشرع بعد تقرير وجوب ذلك من العلماء أهل الصلاح في مجلس الشورى أو لسبب آخر يتفق عليه أكثر هذا المجلس .

المادة ١٠ ـ يتألف مجلس الشورى من سبعين عضواً منهم الذين سيذكرون

إما بأوصافهم أو بأشخاصهم والباقي يتفق عليه تعيينهم مجلس الوزراء ، وحضرة الإمام ، والأعضاء المعينون من الآن هم :

(أ) أعضاء مجلس الوزراء .

(ب) مديرو الوزارات .

(جـ) المستشارون العموميون .

(د) القائمة (٢) التي تصطلح على تسميتها (قائمة الموظفين الشوريين) (الموفقة بهذا والتي ستتلى مع بقية القوائم ، كل هؤلاء يكونون أعضاء في مجلس الشورى المؤقت بحكم وظائفهم .

المادة ١١ ـ يتألف مجلس الوزراء على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (١) .

المادة ١٢ ـ تتألف هيئة مديري الوزارات على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٢) .

المادة ١٣ ـ تتألف هيئة الموظفين الشوريين على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٣) .

المادة ١٤ ـ تنتهي مهمة مجلس الشورى المؤقت بمجرد إنتهائه من وضع الدستور ودعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد وفي هذه الحالة يتحول اعضاؤه من غير أي إجراء جديد إلى أعضاء الجمعية التأسيسية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

المادة ١٥ ـ بمجرد الانتهاء من إقرار الدستور يجب على الحكومة القائمة أن تقدم استقالتها لحضرة جلالة الإمام ، وعليه هو أن يدعو من يشاء لتأليف حكومة جديدة حسب توصيات الدستور المشار اليه آنفاً .

المادة ١٦ ـ عند تأليف الحكومة الجديدة ، يجب أن تجتمع الجمعية التأسيسية فوراً للغرض الآتي :

بما أن اليمن لم تتهيأ بعدُ طباعُها للمعارك الإنتخابية وليس من مصلحتها ذلك في أول عهدها بالدستور فلأعضاء الجمعية التأسيسية أن يتحولوا من غير إجراء جديد إلى أعضاء في الهيئة الشرعية الجديدة التي سوف تسمى (مجلس النواب) أو غير ذلك من الأسماء وذلك لدورة واحدة فقط لعدد السنوات التي سيحددها الدستور وليكن ذلك بشرطين اثنين :

(أ) أن لا يرى أكثرية الأعضاء والإمام خلاف ذلك .

(ب) أن لا يكون من الشعب اعتراض ظاهر معتبر .

المادة ١٧ ـ بما أن اختصاصات المسؤولين للفترة المؤقتة لم تفصل في هذا الميثاق تفصيلا كاملا فيجب فيما عدا ما نص عليه فعلا أن تكون اختصاصات الجميع كما هو الحال في مصر ، والعراق ، بين الملك ، والحكومة ، والمجلس النيابي ، على أنه يجب في الوقت نفسه المبادرة إلى وضع الدستور اليمني ، في مدة لا تزيد عن سنة واحدة لتستقر الأمور نهائياً .

المادة ١٨ ـ يشرع في تأسيس حرس وطني في الحال من الشباب المثقف وغيرهم للاستعانة بهم على حفظ الأمن وتنوير الأفكار ويكون رئيسهم هو مدير وزارة الدفاع ووكيله مدير وزارة الداخلية ويتبعان معاً رئاسة مجلس الوزراء وتقدر لهم معاشات محترمة على أن يقطع بمجرد ما يسرحون عندما يتم الاستقرار .

المادة ١٩ ـ تبليغ الجامعة العربية ودولها حالا بالعهد الجديد ويطلب إلى تلك الدول الشقيقة أن تبعث للحكومة اليمنية الجديدة كل منها (أولا) عدداً من الطائرات للاستعانة بها على حفظ الأمن وعلى سبيل الاستعارة أو الإيجار لمدة قصيرة و (ثانياً) يطلب منها حالاً وبإلحاح إنتداب خبراء للاستعانة بهم على تنظيم جميع أنواع الادارات الحكومية .

المادة ٢٠ ـ تؤلف حالا لجنة تسمى اللجنة المالية لضبط مالية الدولة وحصرها ويكون من أعضائها رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية . ومدير

المالية ، ووزير العدل ، ووزير الداخلية وربيس مجلس الشورى ووكيله ومستشار الدولة العام ، وأعضاء آخرين يجوز أن يكونوا من الوزراء وغيرهم تعينهم الحكومة وتكون اللجنة تحت إشراف حضرة الإمام ويكون الجميع مسؤولين بالتضامن عن مالية الدولة حتى تنظم الأحوال ويعين ديوان محاسبة على النحو الموجود بمصر وغيرها ويتخلى طرف أعضاء اللجنة وتحل نهائياً .

المادة ٢١ ـ إذا ثبت على شخص مهما علت منزلته اختلاس شيء من أموال الدولة أو محاولته ذلك سواء كان بالانفراد ، أو بالاشتراك مع آخرين فإنه يحاكم أمام مجلس الشورى ويجب أن تحدد عقوبته بمدد قاسية وعقوبات حاسمة مما يجيزه الشرع الشريف على درجة خيانته بأتم صورة رادعة زاجرة .

المادة ٢٢ ـ جميع وظائف الدولة الرئيسية وتعيين الموظفين فيها يكون باقتراح الوزير المختص ويقدمه إلى الإمام للنظر فيه والموافقة عليه أو الأمر بإعادة النظر فيه .

المادة ٢٣ ـ حضرة الإمام .

يلقب بـ « صاحب الجلالة الإمام » و « الملك » باعتبار الأوضاع .

المادة ٢٤ ـ ويلقب رئيس الوزراء بـ « حضرة صاحب الدولة » والوزراء ومستشارو الدولة بـ « حضرة صاحب المعالي » .

المادة ٢٥ ـ يكون (للدولة) مستشارون عموميون وخصوصيون أما الأولون فيكون لهم درجة (وزير ممتاز) ويكون لهم حضور جلسات (مجلس الوزراء) ويكونون أعضاء في (مجلس الشورى)ولا يزيد عددهم على خمسة وأما الآخرون فيكونون يمنيين ويكون عددهم حسب حاجة « الدولة » وتحدد الحكومة درجتهم وحقوقهم وواجباتهم ويلقب المستشار العام بـ « حضرة صاحب المعالي ، المستشار العام للدولة اليمانية » ويعين أول مستشار عام للدولة حضرة صاحب المعالي «   » والباقون تعينهم الحكومة بموافقة الإمام فيما بعد وكلما دعت الحاجة إلى ذلك .

المادة ٢٦ ـ يجب الاسراع إلى تحسين حالة الجيش الذي هو رمز الأمة وفخارها بأن تزاد مرتبات كل فرد منهم وضابط وآمر إلى الدرجة التي تضمن للجندي اليمني من الاعتبارات ما يعطى لسائر الجيوش الحديثة من الملابس والتجهيزات وغيرها .

المادة ٢٧ ـ يجب الاسراع إلى إزالة الظلم والطغيان عن الرعايا في طريقه أخذ الواجبات وإسقاط البواقي الكاذبة .

المادة ٢٨ ـ يجب القضاء على روح الرشوة والمحسوبية في الدولة وعدها من الخيانات الكبرى مع إقامة نظام حديث كامل في جميع دوائر الحكومة يطارد الفوضى ويمنع التلاعب بمصالح الأمة ويكفل راحة الموظفين .

المادة ٢٩ ـ تصان أموال الناس جميعا وأعراضهم وأرواحهم إلا في أمر شرعي ويصير أفراد الشعب اليمني في درجة واحدة من حيث المساواة المطلقة إلا ما كان للمواهب والأعمال ويكون الكل تحت حكم الشريعة السمحة الصحيحة وتجري أحكامها على الصغير والكبير بدون فارق .

المادة ٣٠ ـ تكفل حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع في حدود الأمن والقوانين .

المادة ٣١ ـ يجب تأسيس مجالس للألوية والبلديات على نحو ما هو موجود في البلدان العربية .

المادة ٣٢ ـ يجب العمل على محاربة الجهل والفقر والمرض في غير هوادة وبكلما تسمح به وسائل الدولة والعمل بأسرع ما يمكن على تيسير أسباب المواصلات وإنعاش الزراعة التي هي أساس اقتصاديات اليمن .

المادة ٣٣ ـ يجب الاتصال بالعالم المتمدن بواسطة السلك الدبلوماسي والقنصلي لفائدة اليمن خاصة وللتعاون على إسعاد الجنس البشري عامة عملا اليم ديننا وتقاليدنا العربية .

المادة ٣٤ ـ يكون تعيين الممثلين للدولة في الخارج باقتراح وزير الخارجية

وتقديمه إلى الإمام للنظر فيه والموافقة عليه .

المادة ٣٥ ـ يجب المبادرة إلى تعيين ممثلين سياسيين بأسرع ما يمكن في البلاد العربية الشقيقة وينبغي البرهان على التعاون ومع الجامعة العربية إلى اقصى حد ممكن .

المادة ٣٦ ـ يجب الضرب على يد كل من تحدثه نفسه بالتعرض لإرادة الأمة بإحداث أدنى سبب يخل بالأمن العام أو يسبب أدنى ضرر للدولة في الداخل والخارج .

المادة ٣٧ ـ تجب العناية التامة بالمهاجرين اليمنيين خارج البلاد والعمل على إعادة من يمكن أن تنتفع به البلاد في الداخل .

المادة ٣٨ ـ بما أن التركة التي خلفتها حكومة العهد الماضي ثقيلة ومعقدة تقتضي وقتاً ، ومجهوداً جبارا فالحكومة تهيب بالشعب اليماني أن يلتزم الهدوء والسكينة وأن يتذرع بالصبر والتضحية في سبيل المجد وإقامة عهد جديد وسعيد .

المادة ٣٩ ـ يسمى هذا النظام (الميثاق الوطني المقدس) ويوافق الجميع على أن من خان أو حاول أن يخون معنى من معانيه بنية سيئة يكون خائنا لله والمسلمين وتجري عليه الأحكام اللائقة به .

ملحق الميثاق المقدس

المادة ١ ـ يكون الطلب بإلحاح من فضيلة الأستاذ السيد الفضيل الورتلاني المعروف عندنا جميعاً بفضائل يقدرها له الإمام والمأموم أن يضيف إلى سلسلة أعماله المشكورة قبوله لأن يكون مستشاراً عاماً للدولة من المستشارين العموميين المنصوص عليهم في المادة (٢٥) من هذا الميثاق .

المادة ٢ ـ من تبين عنه من أفراد أسرة الإمام يحيى قبول رغبة الأمة الممثلة في هذا الميثاق والتزم في كل ما جاء فيه فله ما لأمثاله من أبناء الأمة وعليه ما على مثله أيضاً :

المادة ٣ ـ يكون تعيين القاضي عبد الله بن حسين العمري وزير دولة .

المادة ٤ ـ ستعنى حكومة العهد الوطني الجديد بمكافأة الاحرار والوطنيين الذين ضحوا بأموالهم وجهودهم في سبيل خدمة الشعب اليمني الذي يقدر لهم هذه التضحيات الكريمة وبهذا يتم الملحق وهو أربع مواد والله ولي الأمر كله وبيده التوفيق .

القائمة (١) مجلس الوزراء للحكومة اليمنية

السيد علي بن عبد الله الوزير	رئيس مجلس الوزراء
السيد حسين بن محمد الكبسي	نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية
الشيخ محمد نعمان	وزير الداخلية
السيد حسين بن علي عبد القادر	وزير الدفاع
السيد عبد الرحمن حسين الشامي	وزير الشؤون الاجتماعية
القاضي محمد راغب بك	مستشار عام
الشيخ عبد الوهاب نعمان	وزير الصحة
السيد علي بن حمود	وزير العدل
القاضي أحمد بن أحمد الجرافي	وزير الاقتصاد والمناجم
الحاج الخادم بن أحمد غالب	وزير المالية
السيد عبد القادر بن عبد الله	وزير الأوقاف
القاضي محمد محمود الزبيري	وزير المعارف
السيد أحمد بن أحمد المطاع	وزير التجارة والصناعة
الأستاذ أحمد محمد نعمان	وزير الزراعة
السيد حسين بن علي الويسي	وزير المواصلات
السيد علي بن ابراهيم	وزير الأشغال
الأمير علي بن يحيى	وزير دولة
القاضي عبد الله عبد الإله الأغبري	وزير دولة
الشيخ علي بن محسن	وزير دولة

القائمة (٢) مديرو الوزارات

السيد محمد بن حسين عبد القادر	مدير وزارة العدل

السيد زيد بن علي الموشكي	مدير وزارة الداخلية
الأستاذ محي الدين العنسي	مدير وزارة الخارجية
السيد أحمد بن محمد باشا	مدير وزارة الزراعة
الأستاذ أحمد بن حسن الحورش	مدير وزارة المعارف
الشيخ محمد صالح المسمري	مدير وزارة الشؤون الاجتماعية
الشيخ أحمد بن قاسم العنسي	مدير وزارة المالية
الشيخ ناشر عبد الرحمن	مدير وزارة الصحة
السيد يحيى أحمد زبارة	مدير وزارة المواصلات
الحاج عبد الله حسن السنيدار	مدير وزارة الأشغال
الشيخ عبد العزيز بن منصور نصر	مدير وزارة الأوقاف
الشيخ محمد مكي بن يحيى زكريا	مدير وزارة الاقتصاد والمناجم
الرئيس جمال جميل	مدير وزارة الدفاع

القائمة (٣) الموظفون الشوريون

الأمير إبراهيم	رئيس مجلس الشورى
الشيخ حسن الدعيس	وكيل أول
القاضي عبد الرحمن الإرياني	سكرتير أول لمجلس الشورى
القاضي محمد أحمد الجرافي	سكرتير ثاني لمجلس الشورى
الأستاذ أحمد البراق	مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء
السيد العلامة أحمد الكحلاني	رئيس هيئة كبار العلماء
السيد محمد بن محمد زبارة	وكيل
السيد العلامة قاسم الوجيه	الحاكم الأول
السيد محمد يحيى الذاري	الحاكم الثاني
السيد يحيى محمد عباس	رئيس الاستئناف
القاضي محمد بن أحمد الحجري	رئيس ديوان المحاسبة
الشيخ عبد الله عثمان	مدير الأمن العام
عبد الله عبد الوهاب نعمان	سكرتير الأمن العام
القاضي أحمد بن علي العنسي	مدير دار الكتب
السيد عبد الله بن علي الوزير	مدير الدعاية والنشر
السيد محمد أحمد المطاع	وكيل الدعاية والنشر
السيد أحمد محمد الشامي	سكرتير مجلس الوزراء
السيد محمد بن محمد بن إسماعيل	سكرتير الشؤون الاجتماعية

السيد أحمد بن عبد الرحمن الشامي	مدير أملاك الحكومة
القاضي حسين بن أحمد السياغي	وكيل أملاك الحكومة
الصفي أحمد محبوب	رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
القاضي عبد الله الشماحي	وكيل
الحاج علي محمد السنبدار	مدير الجمارك
الشيخ جازم الشيخ	مدير جمارك تعز
عبد السلام صبره	مدير بلدية صنعاء
الاستاذ زيد عنان	مدير إدارة المهاجرين
القاضي يحيى السياغي	مفتش وزارة العدل
السيد حسين الحبشي	مفتش التجارة والصناعة
الحاج عزيز يعني	رئيس الحرس الملكي

القائمة (٤) كبار الموظفين غير الشوريين

القاضي عبد الله حسين العمري	وزير دولة
السيد العلامة زيد عقبات	محافظ صنعاء وأمير لوائها
السيد محمد بن أحمد الوزير	أمير لواء عمران
السيد محمد بن حسين الوداعي	أمير لواء الشام
السيد حسين الحوثي	أمير لواء حجة
القاضي حسين بن علي الحلالي	أمير لواء الحديدة
السيد محمد بن أحمد باشا	أمير لواء تعز
الشيخ علي محمد نعمان	أمير لواء رداع والبيضاء
القاضي محمد عبد الله الشامي	أمير لواء إب

اكتشاف السر ، وولي العهد وغموض موقفه

كان لولي العهد أحمد عيون داخل حزب الأحرار بعدن يلتقطون كل شاردة وواردة ، فوقفوا على طبع الميثاق المقدس ، إجمالا ونقلوا الخبر إلى أحمد وأن موعد نشره عند قيام الثورة وموت الإمام يحيى فرأى أحمد أنها فرصة لكشف المؤامرة ورجالها فأشاع بتعز أنها قامت ثورة بصنعاء وقتل فيها الإمام يحيى وأقيم عبد الله الوزير إماماً .

ونقلت الاشاعة بسرعة إلى عدن وكان قد أوعز إلى الحلالي بالحديدة بأن

يكلف الوكيل التجاري لحكومة عدن بالحديدة يرسل برقية من الحديدة إلى حكومة عدن بأن الإمام يحيى مات ميتة مشبوهة، فأرسل البرقية ، فأرسلت حكومة عدن مندوباً إلى ابراهيم بن الإمام يحيى والذي كان بعدن تفهمه بصفة موت أبيه وتعزيه ، وبذلك أصبح الخبر بعدن كحقيقة ثابتة ، مما دفع حزب الأحرار بعدن إلى المسارعة بإذاعة الحادث ونشر الميثاق المقدس المتضمن شكل الحكومة الدستورية ونظامها ورجالها ، وطار الخبر إلى الخارج وحمل إلى الإمام حسن البناء ، مما جعل كثيرين من رؤساء الحكومات وغيرهم يبرقون إلى الأمير عبد الله الوزير يباركون له بارتقاء عرش اليمن ويعترفون به وبحكومته ، وبالطبع أن تلك البرقيات لم تصل إلى الوزير بل إلى الإمام يحيى كما وصلت إليه وإلى غيره نسخ من الميثاق المقدس .

فيسر الإمام يحيى لهذا الاكتشاف فقد عرَّفه بالمؤامرة ورجالها ومنحه وثيقة بها يعتقل الوزير والمتآمرين وبها يقنع الملك عبد العزيز وغيره بتصويب اعتقاله الوزير ورفاقه إن هم راجعوه .

ويدخل عبد الله الوزير بعد الظهر على الإمام ويأخذ مكانه في مجلس الإمام حسب العادة فينظر في الأعمال المناطة به ، ولم يكن لديه حقيقة عما جرى بعدن ، وعما وصل إلى الإمام من برقيات وحقائق ، وأن الوزير لغارق في استعراض ما بين يديه من أعمال ، إذ بالإمام يحيى يستلفته وهو يبتسم . ثم يناوله رزمة من الأوراق قائلا : تأمل يا فخري هذه الأوراق ، وهي كيت وكيت ورقة ، فيستغرب الوزير تحديد الإمام لعدد الأوراق ، وما أن وقع نظره على أول برقية يبارك له بالملك إلا وانتابته رعشة وذعر دفعاه إلى المسارعة إلى التنصل . فقال له الإمام : تأمل الكل ثم لنا كلام ، فراح يطالعها مع الميثاق ويستجمع أنفاسه ، حتى إذا فرغ من تأملها أعلم الإمام بذلك . واستأذن في الكلام . فأفاد أن هذه مكيدة ضده وضد أمير المؤمنين (يعني الإمام يحيى) ، يراد بها سلب ثقة الإمام به والإيقاع به وبأشخاص ضم أسماءهم ما يسمونه الميثاق ، يعلم الإمام إخلاصهم له إلى غير ذلك من الدفاع الذي ختمه عبد الله الوزير باليمين أنه لا صلة له بمن في عدن ومن يتصل بهم ولا بالميثاق . وأنه لا يعلم

من ذلك قليلا ولا كثيراً ، ثم حرر كلمة أعلن فيها تكذيبه لما نشر وأذيع بالميثاق وغيره ، وطلب من الإمام أن يأمر بنشر كلمته بجريدة الإيمان ، وفعلا نشر ذلك التكذيب بجريدة الإيمان ، وقد تظاهر الإمام يحيى باقتناعه بصحة ما دافع به الوزير ، ثم قال للوزير كلمته العميقة وهي : يا ولد عبد الله ما نكره أن تكون إماما ، ولكن الإمامة باليمن ليست سهلة وأنت لا تقدر أن تقوم بها .

وبرغم هذا كله واليمين وإعلان التكذيب ، فإن الإمام يحيى بدأ في اتخاذ الخطة لاعتقال الوزير وغيره ، ولم يبق لتنفيذ الضربة إلا قدوم ولي العهد أحمد من تعز إلى صنعاء الذي كان الإمام يستحثه ، وهو من جهته يثير القضية ويضرمها ، ويتثاقل عن القدوم إلى صنعاء . منتظراً انفجار الثورة بصنعاء ومصرع أبيه ليستغل مصرع أبيه ، بالتخلص من أبيه ومزاحمة أخويه المتزايدة المقوي لها وجود أبيه ، ويتخلص من الوزير والمنافسين له بحجة أنهم قتلوا الإمام .

وقد كان يشيع كل يوم أنه سيخرج من تعز إلى صنعاء ، ويزداد الموقف بصنعاء كل يوم تجهماً مما ضاعف مخاوف الوزير وجعله ورفاقه يلحون في الثورة ، بينما كان جمال جميل . الفضيل يحاولون انتظار وصول أحمد ليصرع بجانب أبيه بصنعاء ، ولقد كلف الفضيل السيد أحمد الشامي بأن يكتب إلى ولي العهد يخوفه من الموقف بصنعاء ويشرح له الخطورة وما يهدده ويهدد اليمن ، ويطالبه بسرعة الوصول إلى صنعاء لتدارك الموقف ، وقد كان الشامي دائم الاتصال بولي العهد وعليه يعتمد في صنعاء ، فحرر الشامي رسالة بأسلوبه الأخاذ ، فأجابه : لبث قليلا الخ . دعهم يعملون ، وإني لواثق بكسب الموقف ، وفعلا دنا عقرب الثورة وأحمد لم يصل صنعاء .

عقرب الثورة يطفر

فقد عقرب الثورة سيره الزمني ، فالقرائن تنذر بأن الإمام يحيى سيضرب ضربة بصنعاء وإن لم يصل ابنه أحمد ، فتقرر تفجير الثورة بصنعاء على أن تتناول بخنجرها أحمد بتعز في يوم انفجارها بصنعاء ، فكان القرار باغتيال الإمام

يحيى بصنعاء وأحمد بتعز في يوم واحد ، على أن يكون اغتيال أحمد إثر والده .

وتعين يوم الأربعاء غرة ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ . لتنفيذ العملية ، على أن يقوم بها في صنعاء الشيخ علي بن ناصر القروعي المرادي المذحجي ومحمد ابن قايد الحسيني الخشيشي البكيلي ورفاقهما ، وفي تعز العقيد حمود الجايفي الهمداني ، والشيخ حسين بن صالح الشايف ، والشيخ محمد بن حسن أبو راس والمقدم محمد حسن غالب المطري ورفاقهم . ووضعت الخطط والإشارات وجاء يوم الأربعاء فاذا بالقردعي يتحرج من قتل الإمام يحيى قبل أن يعطى وثيقة تبرر القتل يلقى بها ربه ، فشرح له الوزير مبررات القتل وأعطاه الوثيقة ، فأجلت العملية إلى يوم الثلاثاء وفيه دقت ساعة التاريخ والتحول .

(يوم الثورة)
(٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ ، ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨)

طلع صباح الثلاثاء سابع ربيع الآخر عام سبعة وستين وثلاث مائة وألف هجريا ثامن عشر من فبراير سنة ثمانية وأربعين وتسع مائة وألف ميلاديا . طلع ذلك الصبح وقد اتخذت الاستعدادات ، وأعطيت الاشارة إلى تعز للاستعداد ، وفي صنعاء وزعت المسؤولية بين رجال الثورة لتفجيرها وحمايتها من كل ما قد ينجم في يومها الرهيب التاريخي ، واستعد كل لواجبه من عبد الله الوزير ، والأمير السيد حسين بن علي عبد القادر إلى الرئيس جمال جميل العراقي وغيرهم .

وقد كان حول جمال جميل كتلة قوية من الضباط وشباب الكلية العسكرية ومجموعة من أقوى المثقفين والعسكريين في مقدمتهم عبد الله السلال وحسن العمري ، وقاسم الثور ، وحسين عنبة ، وغالب الشرعي ، وأحمد المروني ، والحاج حزام المسوري ، وصالح الرحبي ، ومحمد السعيدي ، وقائد المدفعية أحمد الشعساني وغيرهم .

وذهب السيد حسين عبد القادر قبل يوم الثلاثاء بأيام إلى حمام علي ببلاد

أنس تجنبا من مصرعه مع الإمام يحيى لأنه كان يركب مع الإمام حال جولة الإمام على السيارة أو العربة في ضواحي صنعاء ، ولقتل ولي العهد إذا أفلت من تعز بعد الثورة وحاول طلوعه صنعاء عن طريق السيارات بآنس ، وخرج الإمام يحيى صباح الثلاثاء إلى ساحة قصره دار السعادة ليتصل بالجمهور كما هي عادته اليومية واستمر مع الجماهير أربع ساعات فقدم عليه القاضي عبد الله العمري على غير المعتاد فركبا السيارة للقيام بجولته التفقدية اليومية إلى ضواحي صنعاء ، ولمعرفة وجهته أرصد أحمد الشامي وحسن العمري فلما تحركت تبعاه على دراجتين إلى أن عرفا وجهته وعادا يخبران أنه في الطريق الجنوبية وهي النافذة إلى سواد حزيز جنوب صنعاء على بعد عشرة أميال تقديراً .

وكادت العملية أن تؤجل لركوب عبد الله العمري مع الإمام وكان من مقرر الثورة وجوب الاستعانة بالعمري ومقدراته وتجاربه ، ولكنه لم يبق وقت للتأجيل فأمر الوزير إلى القردعي بتنفيذ العملية فاقتفى القردعي ورفاقه على سيارة حمل مطربلة (الإمام) ووضعوا في طريق سيارته بالسواد العراقيل وكانت الطريق في مضيق وقف القردعي ورفاقه بجانبه متسترين في سيارتهم ، حتى عاد الإمام ، وما أن أوقفت سيارته الحواجز إلا وأمطره القردعي ورفاقه بوابل من نيران بنادقهم ورشاشاتهم فصرعوه مع العمري.وكل من في السيارة .

ولم يكن مع الإمام حرس فقد كان حرسه من الفرسان والمشاة لأنه منع أن يكونوا على مصفحات وسيارات لأن في ذلك إسراف لا يجيزه فإذا ركب سيارة ترك حرسه قريباً من صنعاء ويذهب ومرافقوه على سيارته المنفردة تجنباً للاسراف ولثقته بقداسته الشعبية ، وبعد أن تأكد القردعي من موت الإمام يحيى عاد ورفاقه فرحين في دهشة فلم ينقلوا الخبر إلى الوزير ولا غيره بسرعة ، بل استغنوا بإعلام السيد عبد الله بن علي الوزير فنام معه على فراشه الوثير وبذلك تسرب نبأ مقتل الإمام يحيى إلى سيف الاسلام الحسين وامثاله قبل أن يصل إلى جمال جميل وعبد الله الوزير فأسرع الحسين إلى دائرة البرق وأرسل برقية بالشفرة إلى ولي العهد أحمد ، يعلمه بمقتل الإمام وهو الذي كان يرتقبه أحمد ومن أجله كان يحتضن الأحرار ويدافع عن الفضيل ، وقد بلغه النبأ العظيم قبل غيره ، وهذا

مـا فوت المبادرة على حمود الجايفي والشايف وأبو رأس ومحمد حسن غالب .

فاحمد أصبح فوق متناول أية قـوة ، فقد أخـذ احمد الحيطة فأغلق البـرق لئلا تتسرب الأخبار ، وأعد العدة لاستغلال الموقف ومقتل أبيه وهنا بـدأ الموقف يتخذ شكلا جديداً هز التخطيط الذي وضعه رجال الثورة فقد قتل الإمام العجوز المتحرج المريض ، وأفلت الكهـل القوي الـرهيب المجرب الفتـاك احمد ، أفلت من الفخ الذي له نصب ، ونتج ما سيمر بك لحكمة إلهية ما زال يـظهر سـرها مع مرور الأيام وفصول ثوراتنا الخمس .

الموقف بصنعاء بعد مقتل الإمام يحيى

تركنا احمد بتعز وقد نجا من الوقوع في الفخ ، أما في صنعاء فقـد مضت ثلاث ساعات من مقتل الإمام والمعلومات عن قتله نائمة بجانب السيد عبد الله ابن علي الوزيـر ، لم تصـل إلى عبـد الله الـوزيـر ولا إلى جمـال بـل سبقت إلى الحسين الذي نقـل الحقيقة إلى احمـد ، وجعل الحسين يستعـد ونحن في غمـرة ولكن الحسين الفيلسوف لم يكن رجل حرب ، فقد ترك قصر غمدان والثكنـات العسكـرية ، وأسـرع بجمع إخـوتـه ويغلق أبـواب صنعـاء وأسـرع إلى النسـاء والأطفـال وحيث الكنوز ، إلى قصـري الإمام يحيى دار السعـادة ودار الشكـر ، وقبض عليهـما وطمأن النسـاء والأطفال ، يمسـح الدمـوع من خـدود البـاكيـات النائحات ، وحصن قصري السعادة والشكـر وبث فروعـه لإثارة الـرأي وتجميع القوة العسكرية وغيرها ، وكان يـريد الاتجـاه إلى قصر غمـدان ، ولو أنـه قبضه لأخمدت الثورة من يومها ، إلا أن اشتغاله بتحصين الدارين وتهدئة روع النسـاء أخره حتى وصل نبأ مقتل الإمـام يحيى إلى عبد الله الـوزير وجمـال جميل فـأسرع الوزير يصحبه ابن عمه السيد محمد بن علي الوزير وحارسه الخاص الحاج البطل الشهيد عزيز يعني المطري رحمـه الله ، أسرع الثـلاثة إلى قصـر غمدان واستـولوا عليه بطريقة بطولية خارقة طالما عرف بها عبد الله الوزير .

فقد كان القصر محصناً وعليه قوة كبيرة من خيرة الجنـد وأخلصهم للإمـام

يحيى وفيه من القوة المدفعية وغيرها ما لم يكن في كل اليمن . ولكن الوزير في هذه الساعة أظهر من البطولة ما كان يعرف بها من قبل ، فقد حاول حرس القصر إرجاع الوزير إلا أن شخصيته كان لها الأثر في التغلب على الحرس الذي صرخ في وجوههم مهدداً ، واجتذب رئيسهم جذبة استسلم معها وسلم مفاتيح القصر الذي أسرع الوزير إلى إغلاق أبوابه ثم التجول فيه حتى تمت له ولرفيقيه السيطرة على جميع أجزاء القصر وشعبه ومراكزه العسكرية ، وعلى الحرس الذي سرعان ما انقادوا للوزير متأثرين بشخصيته وكلامه .

وذهبت محاولة أعوان الحسين في الاستيلاء على القصر بالفشل ، فقد أعيدوا من أبوابه التي فتحت بعد ساعتين لأصحاب الوزير ، ولو أن الوزير التزم هذه البطولة الحازمة في المراحل التالية لما بعد أن الثورة كسبت الموقف ، أو على الأقل أن يطيل من عمر المعركة أو أن تتدخل الدول العربية والجامعة العربية لحل القضية لما فيه صالح اليمن ، إلا أن بطولة الوزير انتهت بهذه الوقفة المشكورة وأخذت مع حزمه عند هذه الخطوة ، فقد احتبس هو وخطوته البطولية الأخيرة في قصر غمدان .

الرئيس جمال جميل العراقي

باحتلال قصر غمدان تفرغ الرئيس جمال جميل لمنازلة الحسين وإخوته وأعوانهم بصنعاء وحفظ الأمن الذي بدأ حبله يضطرب في مخافر الجيش والعرضيين[1] فقد أسرع جمال إلى العرضي العسكري إلى سريتين من شباب الجيش كانتا تحت الاستعداد لأمر هام غير معلوم إلا لأفراد منهما فوضع سرية في المناطق العسكرية الحساسة ، واحتل حسن العمري الإذاعة ، وزحف جمال بسرية يصاحبه السلال وعنبه والسعيدي وغيرهم إلى قصري الإمام داري السعادة والشكر وضرب عليهما وعلى الحسين نطاقاً محكماً وكان في إمكان الحسين أن يضرب الحاضرين من أسوار القصرين بالبنادق والمدافع ويوقع فيهم مجزرة لأنهم كانوا خارج القصرين وأكثرهم غير مستورين ولو فعل الحسين ذلك لدخل

(١) أي المعسكرين .

معهم ومع الوزير في حرب بصنعاء قد تكون له أو عليه .

ولكن الحسين ليس برجل حرب فقد خرج إلى باب دار السعادة محاولا أن يكيد جمال جميل بالمنطق ليوقعه في الأسر فطلب من جمال أن يتقدم إليه لدراسة الموقف كأنه في جامعة أثينا مع سقراط ، لا في أتون ثورة لا تعرف إلا فلسفة المدفع والبندق ، والمبادرة وقد أجابه جمال ـ وهو القائد العسكري وفوت خدعة الحسين ـ أنه لم يبق هناك للدراسة مجال فالشعب قد ثار وعرف طريقه واختار عبد الله الوزير إماماً فعلى الحسين أن يذهب بأمان إلى مجلس الشعب المعقود بقصر غمدان برياسة الوزير وهناك المجال للدراسة ، فغضب الحسين ولم يتوار ويغلق الباب بل أمر في سذاجة بإطلاق الرصاص على جمال فسبقه جمال بإشارة خاطفة أطلقت الرصاص من عدة جوانب فإذا بالحسين وأخوه المحسن صريعان ، وكان بجانبهما أخوهما يحيى لم يصب إلا أنه تظاهر أنه من الصرعاء واضطجع بجانب أخويه المقتولين وتمكن يحيى من الاستلال في غمرة الهرج يريد قصر غمدان فقبض عليه ، وقد أخذ حرس دار السعادة الحسين والمحسن وأدخلوهما إلى وراء باب السور الذي أغلقه الحرس وتحصنوا بالقصر ، وبمصرع الحسين انتهت أية مقاومة وخطر بصنعاء .

فقد ترك جمال القصرين محاصرين ، وانصرف لتنظيم الإدارة بصنعاء وتنفيذ الخطط الثورية بينما راح الوزير يستقبل الشخصيات ويتبادل معهم النظريات ولم تغب شمس يوم الثلاثاء إلا وقد عادت الأمور إلى حالتها الاعتيادية وأعلن الوزير إماماً .

مبايعة الوزير بالإمامة وتكنيه بالداعي ثم بالهادي

بعد أن عادت الأمور بصنعاء إلى مجاريها اجتمع رجال الثورة مع أعيان وعلماء صنعاء وقادات الجميع ، وبعد محاولات أجمعوا على نصب الأمير عبد الله بن أحمد الوزير إماماً شرعياً ، وخليفة دستورياً ، وعلى ذلك بايعوه ، وتكنى بأمير المؤمنين الداعي ثم بالهادي ، ولم تغب شمس الثلاثاء إلا والأمور بصنعاء مستقرة وقد تمت البيعة ، وفي ليلة الأربعاء انطلقت الإذاعة وأرسلت البرقيات

تعلن موت الإمام يحيى وقيام الإمام عبد الله الوزير ومبايعة الأعيان لـه وبدأت البرقيات من جميع أنحاء اليمن تنهال إلى الإمام الدستوري أمير المؤمنين عبـد الله الوزير تحمل التأييد والمبايعة له ، وممن سارع بالتأييد والمبايعة والمخاطبة للإمام عبد الله الوزير بأمير المؤمنين هـو سيف الإسلام الحسن بن الإمـام يحيى الذي كان حينذاك بالقفلة ، وتراءى الجو يوم الأربعاء وكان كل شيء قد أحنى للثورة عنقه ، وإلى الإمام الـدستوري عبـد الله الوزيـر ألقى قياده ، ولم يكن في ذلـك الجو ما يكدره إلا برقيتان أحدهما من تعز تخبـر أن سيف الإسلام أحمـد قد غـادر تعز في قوة رمزية متوجهاً نحو الحديدة ، وبرقية ثانية من أمير ريمه حينذاك الأمـير يحيى بن محمد بن عباس المتوكل الشهاري يهاجم فيها الإمام الـوزير ولا يعتـرف بإمامته ويسأل عن الإمام يحيى وكيف كان موته ، وقـد أثارت البـرقيتان التفكـير وعقد اجتماع يوم الأربعاء قرر فيه المجتمعون القرار الآتي :

(القرار الحازم الذي لم يتم)

في صبـاح يوم الاربعـاء ثاني أيـام الثورة جـاء النبـأ اليقـين بمغـادرة سيف الاسلام أحمد تعز نحو الحديدة على سيارات ومصفحات عليها مجموعة من الجند والمعدات ، وهنا ظهر الإمام عبد الله الوزير في حزمه وبطولتـه الذي عـرف بهما من قبل وصاحباه في احتلال قصـر غمدان ، فقـرر أن ينهض بنفسه مـع قوة من الجيش والضباط المعول عليهم إلى الحـديدة لمـطاردة سيف الإسلام أحمـد فقوبـل قراره هذا بالترحيب وأعدت القوة لهذه الخطوة الحازمة التي كان المرجح نجاحهـا بقطع الطريق على أحمد إلى حجة ومطاردتـه بتهامـة حتى يقبض عليه أو يقتـل أو يفر إلى السعودية ، فلم تكن معه قـوة يعول عليهـا والجيوش التي تـرابط بتهامـة معظمها تميل إلى الإمام الوزير وكـذا قبائـل تهامـة تكره أحمـد وموتـورة منه سيـما قبائل الزرانيق وصليل ، وكانت مع ذلك مأخوذة بروعة الثورة والأمل في قائدها الإمام الوزير ومركزه الروحي إلى جانب مركزه بين القبائل التهـامية إلى مـا هناك من عوامل تـرجح كفـة الإمام الـوزير وتغلبـه على أحمـد ، ولكنه القـدر إذا جاء عمي البصر .

ومن الحق أنه من يوم الخميس ثالث يوم الثورة عميث البصائر بما استهلت به من رخاء وهدوء ، فقد شاهد يوم الأربعاء سيلا من برقيات التأييد والتهاني للإمام الوزير والاعتراف بحكومته من الداخل والخارج ، وشهد يوم الاربعاء ويوم الخميس ابتداء طوابير الوافدين من الخارج والداخل فيهم الأحرار والمناضلون كالزبيري والمسمري ويحيى الوادعي وفيهم المتناضلون أدعياء النضال والثورة وما أكثرهم وأخطرهم على الثورات والدعوات والمبادىء .

مجموعات من الثوار والأحرار والمتصلين بهم ، وطوابير من أدعياء التحرر والثورية ، وأنهر من برقيات ورسائل التهاني والتأييد والاعتراف بالإمام الوزير ، وجداول من المطالبة بالوظائف والمناصب ، ومطالب عمرانية وإدارية وعسكرية يتقدم بها الأحرار وقادة الثورة يطالبون الشروع في إتخاذها ، بعبارات ولهجات تتأرجح بين اللين والحكمة وبين غطرسة الدالة ، وقسوة الإمتنان ، بين هذه السحب الممطرة برداً وسلاماً وبهجة وحبورا المرعدة بخطر سيف الإسلام أحمد ، والمبرقة بمطالب الأحرار والإصلاح ، والملغمة بعبوات المستغلين وأدعياء التحرر والثورات الذين كثيراً ما خدعوا المصلحين ، واخدجوا الثورات .

هكذا يجد الإمام الوزير نفسه يوم الخميس ثالث يوم من عمر المولود الثورة ، فيسلم نفسه إلى حسن الظن بالأيام ، فيرى أن الأيام قد سالمته ، وأنه لم يبق من يقلقه إلا أحمد حميد الدين ، وإلا مجموعة متطرفة من الشباب والأحرار وهم في نظره خطر متركز بصنعاء فإذا فارقها لمطاردة أحمد فقد لا يعود إليها حينئذ ، ويضطرب الموقف بصنعاء وعلى هذه النظرية وبساطها نامت حكومة إمامنا الهادي لدين الله الوزير رحمه الله ، وزمل حزمه ، وتراخت عزيمته وبطولته ، وتبخرت تجاربه وقيادته العسكرية ، فإذا هو يتراجع ويثني عن تنفيذ فكرة المطاردة لأحمد ويقول : إن أحمد أحقر من أن أذهب لمطاردته ، ويقتنع بفكرته الكثير من قادة الثورة . هكذا رقصت الأحلام والمخاوف بأشباحها أمام أمير المؤمنين الإمام عبد الله الوزير وحكومته ، فترك الطريق لأحمد مفتوحاً وعدل إلى تدعيم الموقف بصنعاء ، وكل ما فعله أنه أبرق إلى حسين الحلالي أمير لواء الحديدة بأن يقبض على أحمد إذا أراد الاتجاه إلى حجة وإذا هو استسلم

وأراد الوصول إلى صنعاء فله أن يصل آمناً .

كان أحمد الرهيب قد تحول في يومين تيساً سيقوده الحلالي العجوز بحبل وجرة قلم .

(رجال الثورة بصنعاء وموجات الادعياء)

كان تراجع الإمام الوزير عن قرار مطاردته أحمد أول وهن أربك القادة للثورة فمنهم من نقد في هدوء ومنهم من غضب إلى درجة المطالبة بالتخلص من إمامة الوزير ويمثل هؤلاء ، الشباب المتطرف بقيادة (حسين المقبلي) ومنهم من وافق الوزير على تراجعه لأهمية الموقف بصنعاء واعتماداً على مركزه الروحي بين القبائل الشمالية .

وفي ظل هذا الارتباك جاءت سيول أدعياء الثورات والمستغلين والكائدين ينفذون إلى الصفوف الثورية والمناصب وتصريف الأمور فابتعدت الثورة وقادتها عن الاستعداد العسكري والاعلامي الذي كان يجب أن يواجه به الموقف والواقع ، وتركوا لاحمد وأعداء الثورة ليشرعوا في فتل حبال المؤامرة ضد الثورة ورجالها ، ثم ليسرعوا إلى الإجهاز على الثورة بتقطيعها من أطرافها ثم خنقها بصنعاء كما سترى وقد فارقنا أحمد وهو يحجز أمتعته بتعز ويعد عدته ، فإليه نعود لنرى كيف خرج من تعز .

(سيف الإسلام أحمد)

فارقنا أحمد وقد عرف مقتل أبيه الإمام يحيى إجمالا ، قبل أن يعرفه المرصدون لاغتياله بتعز ، فاستعد في غفلتهم فكتم الأمر وحزم شأنه ، وحال بين الخبر وانتشاره ، ولم يمض يوم الثلاثاء إلا وقد تم استعداده لحماية تعز مؤقتاً ولتحركه في منجاه ، وأعلن وهو يغادر تعز أنه سيتجه إلى صنعاء ، وقد فارق تعز آخر نهار الثلاثاء في نظام محكم وقوة محدودة على عدة سيارات عن طريق حيس فزبيد فبيت الفقيه فالحديدة وكان يتوقف في كل مركز ريثما يكسب به

الموقف ، ويطبع على البلدة وعلى ذويها والمسؤولين شخصيته العاتية الرهيبة ، لافتاً العواطف إلى أنه كل شيء ، ويضع في البلدة خبر مقتل أبيه عند من يثق به ليقوم بدوره الدعائي ، وما أن بلغ الحديدة يوم الاربعاء إلا وقد سبقته رهبة تعبد له الطريق وإذا بالحلالي بين يديه كالأحجية اليمنية ، تيس خصي ربع من كل حرف أوله ، فدرسا الموقف ، وكان احمد قد أبرق إلى الوزير يحثه على حفظ الأمن بصنعاء إلى أن يصل ، ولما فرغ من دراسة الموقف مع الحلالي وإتخاذ ما يجب فارق الحديدة يريد صنعاء ، فلما وصل باجل تلقى جواب الإمام الوزير بهذه الصيغة : من أمير المؤمنين الهادي عبد الله الوزير إلى الأخ سيف الاسلام أحمد حفظكم الله نعزيكم وأنفسنا بوفاة والدكم الإمام يحيى رحمه الله وعلى أثر وفاته أجمع ذوو الحل والعقد على إختيارنا للإمامة وكلفونا بالقيام بها فلم يسعنا نظراً إلى الموقف إلا الاجابة مكلفين غير مختارين ، فليكن منكم الدخول فيما دخل فيه الناس ولكم لدينا المكانة والاحترام والسلام ، فكان جواب أحمد أن أعلن نفسه إماما في باجل وبثها من هناك برقياً ورسائل وتكنى بالمؤيد بالله الناصر ، وأجاب على الإمام الهادي عبد الله الوزير بهذه الصيغة : من أمير المؤمنين المؤيد بالله الناصر أحمد بن أمير المؤمنيين المتوكل على الله يحيى بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى بن رسول الله إلى الناكث الذليل الحقير عبد الله وزير لقد ركبت مركباً صعباً عن طريق الغدر والخيانة وإنك ستسقط إلى الهاوية في القريب ذليلا حقيراً وإني زاحف إليك بأنصار الله الذين سترى نفسك تحت ضرباتهم معفراً فريداً ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله والعاقبة للمتقين والله المستعان .

ثم أرسل رسله ورسائله وبرقياته إلى العشاير والأعيان يعلن إمامته ويستصرخ الدين والغيرة للأخذ بثار الإمام يحيى مهولا الحادثة وإنها فاقرة في الإسلام ، وبعد أن فرغ من ذلك ، توجه هو نحو حجة التي وصلها اخر نهار الجمعة ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ .

وقد كان أحمد وهو بالحديدة أرسل بواسطة الحلالي إلى الملك عبد العزيز رسالة يعلمه بالحادث وإن خطورة الحادث لا تقف عند اليمن لأن الثورة ومقتل

أبيه الإمام يحيى وليدا حركة من يسمون أنفسهم بالأحرار والإخوان المسلمين ، وكلاهما خطر على العروش والأسر والملوك وعلى الدين كما زعم ، طالباً من عبد العزيز أن يتناسى ما كان بينهما من خلاف فاليوم غير الأمس ، وأن أحمد سيكون له إبناً إذا رضي أن يكون له أباً مستمداً منه النجدة والمؤازرة ، وأرسلت رسالة أحمد من الحديدة على سيارة إلى جيزان مرفقة بكتاب من الحلالي إلى أمير جيزان ، وأخرى إلى عبد العزيز ، وقد سحبت رسالة أحمد وكتاب الحلالي باللاسلكي من جيزان إلى الرياض ، فقام الملك عبد العزيز وقعد وأمر أمير جيزان بأن ينجد أحمد بكل ما يطلب ، فلم يصل أحمد حجة ويستقر بها إلا وأرسل اليه أمير جيزان بأوائل النجدة ذخيرة ومالا وجهاز اللاسلكي مصحوبة من الملك عبد العزيز برسالة معلما له بالمؤازرة حاثاً له على خوض المعركة في استبسال موعداً له بالمساعدة إلى آخر نفس وريال .

أحمد في حجة ، وعبد الملك

وعلي بن حمود ، وعلي بن عبد الله الوزير

كان أمير لواء حجة السيد عبد الملك المتوكل من أبرز القادة وأكمل الإداريين المدنيين والشرعيين ينظر إلى الغد بعين البصير المجرب ، وقد تلقى دعوة الإمام عبد الله الوزير في هدوء وتحفظ منتظرا ما تسفر عنه الأيام .

وكان أمير لواء الطويلة وكوكبان السيد علي بن حمود شرف الدين من أكبر العلماء وذا طموح ومنزلة مرموقة بين الجماهير والعلماء ، قلعة لا يثبت على أمر سرعان ما ينخدع ويُستفز ، وقد سبق أنه تعاهد مع الحسين بن الإمام يحيى والأمير بن علي الوزير وعبد الله الوزير ضد ولي العهد أحمد ، وقد علم الإمام يحيى وإبنه ولي العهد أحمد بتلك المعاهدة وكان علي بن حمود أميراً على لواء الطويلة المتناول كوكبان وقضاء المحويت فأشار أحمد على والده الإمام يحيى أن يولي الوزير قضاء المحويت ويربط به الطويلة وكوكبان بحيث يصبح علي بن حمود تابعاً لعلي الوزير ، وكان من الإمام أن نفذ فكرة ابنه أحمد ، فدخل الأميران علي

حمود وعلي الوزير في صراع على السلطة سر له ولي العهد أحمد وراح يغذيه ، وانزعج له أحمد المطاع ورفاقه وسعوا في إزالة الخلاف بين علي الوزير وعلي بن حمود فاتصل أحمد المطاع بواسطة أخيه محمد والملازم اشرف المروني والملازم حسين الدفعي الذين كانوا حينذاك بالمحويت لازالة الخلاف بين الأميرين وقد تمكن محمد المطاع من تفهيم الأميرين بالموقف وأظهر علي بن حمود قبوله النصيحة وتظاهر بالمصافاة لعلي الوزير إلا أنه تبين أنه لم يكن صادقا ثابتاً .

فما أن كانت الثورة ووصول ولي العهد حجة نهار الجمعة ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ حتى تغير كل شيء ،فمن حجة بدأ أحمد في إثارة القبائل بالرسائل وإرسال القواد والدعاة لمهاجمة صنعاء ، وإتصل من فوره بالشخصيات القوية التي يعرف طموحها ومنافستها لعبد الله الوزير ، ومنهم الأمير علي بن حمود الذي عرف أحمد من أين يقوده فإذا بعلي حمود غير متحرج من الغدر بعلي الوزير ، فقد استقدمه من المحويت مظهراً التمسك بالعهد الذي يفرض عليهما التعاون لمؤازرة الإمام عبد الله الوزير ، فأسرع علي الوزير من المحويت إلى الطويلة حيث قبض عليه علي بن حمود محتجاً بأن اشتراك عبد الله الوزير في مقتل الإمام يحيى وإبنه الحسين ناقض للمعاهدة بينهم ، ثم خير علي بن عبد الله الوزير بين أن يرسله إلى حجة أو يتركه يذهب صنعاء مجرداً من أية قوة ، فاختار صنعاء فذهب إليها مخفوراً ، وكان لهذه الغدرة أثرها فإن القبائل لا يعرفون معاهدة علي بن حمود مع الوزير فيقولون أنه غدر به ، وإنما الذي يعرفونه الأمير الكبير علي الوزير شخصية كانت تملأ اليمن وتعيش في ظلها رؤوس العشائر في الأمس بلواء تعز ويشغل الحديث عنها المجتمعات القبلية ، وها هي هذه الشخصية اليوم طريدة تمر في ضعف وتضاؤل بين القبائل من الطويلة إلى كوكبان وهمدان وبني مطر لا قيمة لها خائفة تترقب ، إنها ظاهرة عند هذه القبائل غريبة ، يفسر أسبابها دعاة ولي العهد أحمد (أنه غضب الله) على علي الوزير الذي اشترك في قتل الإمام يحيى وأنه (سر الله) في أحمد الذي لا يقهر ، قبلت الجماهير هذا التفسير فجنحت إلى أحمد الرهيب .

وبدأت في الأسبوع الأول للثورة ، الحرب الأهلية تبرق وترعد وأحمد

يزجي سحبها بتهويل مقتل أبيه وأنه عن مؤامرة نصرانية كفرية يراد بها بيع اليمن من الكفار الذين سيمحون الاسلام ويأخذون النساء إلى آخر ما كان ينشره من دعاية يضرب على الوتر الذي يعرف أنه مثير أحاسيس الجماهير الجاهلة وها هو يستغل شخصيتين لتأييد دعايته ، شخصية علي الوزير الذي يطاردها (كما يزعم) (غضب الله) وشخصية علي بن حمود الغاضبة لله على أعداء الله قتلة الإمام يحيى ، وقد اندفع علي بن حمود في بلاهته يحرض في الأخذ بثأر الإمام يحيى بصفة كهرب به الجو للحرب الأهلية التي راح أحمد في جنباتها يصول ويجول ويرغب ويرهب ، وبدأت القبائل تنهال إليه إلى حجة التي كان يقابلها بالصرامة والترغيب ، ولم يبد لها ولرؤسائها أي وهن فلن يسمح لأحد أن يشترط عليه أو يتهاون في تنفيذ خططه وأوامره ، ويسير في نشاطه واستعداده ، ويتصل بالملك عبد العزيز وبواسطته يثير الرأي العربي والملوك والرؤساء ضد الثورة اليمنية ، فإذا العروش تهتز غاضبة لمقتل الإمام يحيى وإذا الملك فاروق وعبد الاله وعبد الله ملك الأردن يساندون أحمد أدبيا وماديا ، وإذا الدعاية الاحمدية ترج اليمن رجا ، بينما نحن في صنعاء بالاسبوع الأول مخدوعون بالاستقرار ومظاهر الانتصارات المبكرة ، مظاهر حجبت عنا الحرب وسحبها التي تتجمع ويزجيها أحمد ، فإنصرفنا عن الاستعداد القوي لها إلى وضع الأسس القوية لاقامة مجتمع فاضل عادل متطور ، وإلى استقبال وفود الثوار حقيقة العائدين من عدن ومصر وحول كل ثائر حقيقي مجموعة من المتملقين والمتثاورين نقيم لكل وفد احتفالات تتعالى فيها الهتافات والتصفيقات سيما من أفواه وأكف المتثاورين ، فلقد أصمت صرخاتهم وأصداء أكفهم أسعد الكامل بغيمان ، والمظفر ، بأجينات تعز كما أصمت أفكارنا فصرنا أسارى المظاهر الساخرة بنا كما تسخر اللعب بالاطفال وهناك الحقيقة تسخر بنا وتفارقنا إلى أحمد فيمهرها عزمه وحزمه وتهبه حبها .

(ظاهرة مبكرة خادعة، وطيبة انطلق منها فشل الثورة)

لقد كان الإمام الوزير ، وأكثر قادة ثورة سبعة وستين وثلاثمائية وألف من طرز مثالي للأمانة والايمان والسلوك القويم والاخلاص لليمن .

إن الثورة وضعت تحت أيديهم عشرات الملايين من الذهب الإنجليزي والعثماني وغيرهما ، ومئات الملايين من ريال (ماريا تريزا) الفضي وما لا يقدر بثمن من المجوهرات والسبائك والذخائر والحلي والتحف إلى غير ذلك من النفائس الفتانة المبينة في مذكرة الإمام يحيى التي أشرنا إليها .

ومع هذا فما حدث الإمام الوزير ولا أحد من قادة الثورة بصنعاء نفسه أن يأخذ منها لنفسه ريالا أو ذرة أو درة .

لقد أبقوا تلك الاموال الطائلة المغرية في مستودعاتها منتظرين أن تحركها يد أمينة عليمة قديرة وطنية في سبيل إنهاض اليمن والتقدم به .

وبلغت مثالية هؤلاء القادة . أن ظروفا أحوجتهم إلى ألف جنيه ذهباً نفقات بعثة إلى الخارج لصالح اليمن والثورة ، وكان بدار السعادة مستودع يضم الملايين من الجنيهات الذهبية قد ختمه الإمام يحيى بالحجارة القوية والاسمنت لانه من أملاك بيت المال (أي الدولة) فأشار بعض الحاضرين أن يفتح المستودع هذا أو غيره ويؤخذ منه الالف جنيه وكمية نقد للحاجات الملحة ثم يعاد إغلاق المستودع وختمه كما كان فكان من الكبسي والمطاع معارضة هذه الفكرة لأنها ستكون بادرة سطو واختلاس المستودعات وسرقتها .

فعدل المجتمعون إلى استقراض الألف جنيه ، وهكذا كان هؤلاء الملايكيو الاخلاق ، هكذا كانت الشخصيات اللامعة من قادات ثورة ١٣٦٧ هـ في مثاليتهم واخلاصهم .

إلا أن الطيبة والتسامح جعلاهم يحسنون بالناس والأيام الظن ، وزادتهم في ظنهم الجميل تلك الإنتصارات المبكرة ، وذلك التأييد الشامل المبكر في ثاني يوم الثورة وما تلاه إلى يوم سابع الثورة ، فإذا بهم يعتمدون على ما كان والاوهام ، فابتعدوا عن الحزم والاستعداد الحربي ، وركزوا اهتمامهم بصنعاء على إقامة مجتمع أفضل متحضر متطور متقدم، ولم يعطوا الموقف الحربي إلا اهتماماً ثانوياً غير موحَّد التخطيط والتفكير، فللإمام الوزير وللرئيس جمال جميل مثلا أن يتصرف في المجال العسكري والحربي منفرداً .

وبهذه وقعت الثورة في الغلط بأسبوعها الاول ، مساقة اليه بخدعة الإنتصارات المبكرة وباعتمادها على مقام الإمام الوزير الروحي والقيادي الذي كان يتمتع به بين القبايل .

(الاعتماد على الوهم)

ثاني يوم الثورة قدمت القبايل الموالية للإمام الوزير له مبايعة ومعاهدة فأكرم وفادتهم ، وأعطاهم السلاح استعدادا لما تأتي به الأيام من جهة ومن أحمد والمتطرفين من الأحرار ، وأعطاهم السلاح اعتماداً على أن هذه القبايل موالية له وأنها تعرفه وكل يمني بالفضل والعدل والتحرج عن سفك الدماء والتقيد بالمظاهر الدينية ، عكس ما يعرفونه عن ولي العهد أحمد من بطش وجرأة وإراقة للدماء وإزهاق للنفوس وارهاق للرعية ، أسرفنا نحن والإمام الوزير في حسن الظن وفي الاعتماد على مركز الإمام الوزير الروحي والقيادي فإذا بالثورة تعتمد على الخيال والوهم ، فان أحمد كان يعرف مركز الوزير ويستعد لهدمه من قبل الثورة بسنين ، وها هو الوزير قد خلص أحمد من أبيه الإمام يحيى ومن أخيه سيف الإسلام الحسين بن يحيى .

فما عليه إلا أن يتخذ من مقتل أبيه الإمام يحيى والحسين اللغم الناسف مركز الإمام الوزير الروحي مستغلا مقتل أبيه ثم أخيه ، ولم يمض أسبوع على الوزير إلا وقد غير أحمد بدعايته رأي القبائل فجعل من الوزير قاتلا للإمام يحيى عن أمر النصارى والكفار ، وأن أحمد هو القوي الذي سيأخذ بالثأر ويقاتل النصارى والكفار إلى آخره .

هكذا صنع أحمد ونسف مركز الإمام الوزير الروحي الذي كان جل اعتمادنا عليه ومن الغريب أنّا لم نشعر بهذا النسف .

فظللنا نعتمد على مركز الوزير الديني الذي لم يبق له وجود إلا في خيالنا وأوهامنا ، أوهام زادتنا تعلقا بسرابها تلك الإنتصارات والتأييدات الشاملة المبكرة فتركنا الحبل على الغارب ، نركز اهتمامنا على إقامة المشاريع العمرانية

والحكوميه الدستورية المثالية تاركين الموقف الحربي لأحمد يخطط للحرب تخطيط القائد العسكري الذي استطاع في اسبوع أن يقنع القبايل أنه سيد الموقف والحامي لليمن من النصارى والكفار ، ويحشد الجيوش ويبعث كتبه وكتائبه إلى هنا وهنا ، ولقد احس قادة الثورة بسعير هذا النشاط الأحمدي ولكنهم لم يتخلصوا من قيود الاوهام فيعدوا للموقف العسكري الاعداد الكامل المستوحى من حقيقة الواقع والحاضر وإنما استصحبوا حسن الظن والاعتماد على قوة مركز الإمام الوزير فإذا بنا نواجه الحقيقة الماثلة ، بالخيال ونرسل إلى الملحمة جيشاً على النحو التالي في حملتي عمران وشبام .

(حملتا عمران وشبام)

جلبت الأنباء بتحركات أحمد في حجة ، واتصالاته بالملك عبد العزيز وموقف علي بن حمود ، ووصل الأمير علي بن عبد الله الوزير طريداً من الطويلة إلى صنعاء بعد أن تعرض للخطر عبر طريقه ، ونظرته القبايل يمر بها متخوفا مخفورا ، فلم تثأر له ، كما كان المنتظر ، فله عليها حق المتبوع والمنعم والقائد والهجرة (أي المقدس) فما الذي أنسى القبايل كل هذه الحقوق فلم تثأر له ولم تغضب لصاحبها ومتبوعها ، بل تعرض للشماتة ومحاولة نهب مركوبه ، لولا بقية حياء وعادات يمنية ، وخوف من عبد الله الوزير وثورته ، كل هذا وذاك طرق أسماعنا في أول أيام الثورة طرقاً يلين له الحديد البارد ، وتتفتح له الاقفال المعقدة ، والأبواب الموصدة ، فقد كان الموقف بلغ النهاية من التجهم والإكفهرار ، وما زال باب الحرب مغلقا ، وسيفها مغمداً ، على قبضته قد وضعت الحرب اكفها المخيفة ، وكان الحزم واليقظة يقضيان والخطة الحربية في مستهلها ، وفي اللحظة الأولى من الدخول في معمعانها ، أن يجتمع ذوو الرأي والقادة العسكريون مع الإمام الوزير لدراسة الموقف وعلى ضوء الواقع والحذر والأخذ بالاحوط ،وأسوأ الفروض توضع الخطة الحربية للحملتين ، إذ أن أدنى انتكاسة تصاب بها الحملتان أو إحداهما تثير ضراوة القبايل التي ما يزال عندها بعض تهيب للإمام الوزير ، والتي يتوقف انحيازها إلى أحد المعسكرين على هاتين الحملتين ، خلا أن كل شيء من الحزم والمشاورة لم تقع ، اعتماداً على ما

ذكرناه من الاوهام فقد اكتفى الإمام الوزير بتعيين رجال الحملتين ، فعين السيد البطل محمد بن علي الوزير لقيادة حملة عمران حجة ، وعين السيد محمد بن محمد الوزير لقيادة حملة شبام حجة ، وكان في أعيان حملة شبام الشيخ عبد الله بن صالح أبو لحوم ، وأسند الإشراف على الحملتين إلى السيد عبد الله بن محمد الشاب الشاعر الأديب المتحمس الذي لم يتجاوز عمره العشرين عاما ، ولم يكن قد عرف الحروب ، فضاعت الحملتان وضاعت الثورة .

فقد ذهبت الحملتان على السيارات من دون أن يكون لهما طلايع تعبد الطريق وتحمي الحملتين من المباغتات ، ولا لهما مؤخرة تحفظ خط اتصالهما بصنعاء وتكفل تموينهما وإعدادهما ، ولا لهما جناحان يصدان تخطف الحملتين والالتفاف عليهما ، بل ذهبت الحملتان على سياراتها كأنهما في رحلة إلى نزهة .

(حملة عمران حجة ، ومعركة ضروان ، وبطولة محمد علي الوزير)

اجتازت هذه الحملة أراضي همدان وعيال سريح وما أن وصلت عمران إلا وقد سبقتها طلايع أحمد ودعاته وكتبه ومقدمات كتائبه إلى عمران وعيال سريح وهمدان ، فإذا بالسيد محمد بن علي الوزير يجد نفسه وحملته بعمران في وجه طلايع العدو وفي خضم من القبايل المتهيئة للانقضاض والاطباق على حملته ، فتبادل مع طلايع جيش أحمد اطلاق الرصاص ولم يكن مركز حملته قوياً ولا حصيناً فقد تمركزت قوة أحمد في المواقع العسكرية ، تساعدها الاهالي وبرغم ذلك فقد أرهبها محمد بن علي وأسكتها فقرر أن ينسحب إلى قرب صنعاء بحيث تصل إليه الامدادات إلا أن القبايل كانت قد تجرأت فلم يصل محمد علي الوزير إلى ضروان همدان إلا وقد التفت عليه القبايل المعززة بجيوش أحمد وسيطرت على المرتفعات التي تمر بينها طريق السيارات فحالت بين حملة الوزير ومواصلة انسحابها إلى قرب صنعاء ، ولم يبق بد من الإستسلام أو القتال في استماتة ومهارة ، وكانت المعركة التي أبدى فيها القايد الوزير وحملته مهارة واستبسال الأسد في غابها ، ذعرت منها تلك القبائل والجيوش وأتعبت الوزير وحملته ، وكان مقدراً لحملة الوزير أن تتغلب على المعركة إلا أنها فوجئت بما لم يكن في

الحسبان ، فقد كانت المعركة الضارية استنفدت ما يحمله جنود الحملة من ذخيرة حيث كانوا يطلقون قذايفهم بكثرة اعتماداً على ما معهم من ذخيرة في الصناديق المحملة على السيارات فلما فتحوا تلك الصناديق وجدوا الذخيرة بها من نوع آخر غير صالحة للاسلحة المزودة بها الحملة ، وهذا نتيجة اشراف الشاب عبد الله بن محمد الوزير فسقط في أيديهم حتى هم معظم الحملة بالإستسلام إلا أن قايدهم نفخ من شجاعته قوة في الحملة وكان الجهد قد نال الفريقين ، وجاء الليل فحجز بين الطرفين فأتيحت للقائد الوزير الفرصة للإنسحاب فجمع أصحابه وأخذ الجرحاء وعلى ما بقي من السيارات عاد إلى صنعاء بجهد وشدة وكان لهزيمة وتراجع هذه الحملة صداها في أرجاء اليمن .

حملة شبام حجة

كان نصيب هذه الحملة أسوأ من حملة عمران فلم يكن لقائدها السيد محمد بن محمد الوزير بطولة ابن عمه محمد بن علي ومهارته الحربية ، فقد وصل إلى شبام وعرف أن هناك جيوشاً جرارة يقودها الأمير علي بن حمود وغيره ، وكان في وسعه أن ينسحب ، فطريق الانسحاب والتراجع كان آمن وأضمن من خط انسحاب حملة عمران ، ولكنه دخل مدينة شبام قبل أن يحتل كوكبان والمرتفعات المشرفة على شبام ، فأطبقت جيوش أحمد التي يقودها علي بن حمود عليه ، وسرعان ما استسلم فقبض عليه وعلى أفراد الحملة ، وسيق مع الحملة إلى حجة ، ونهبت مدينة شبام وأخربت دور الأمير السيد علي بن أحمد بن عباس شرف الدين ونهب كلما بها من مال ونفائس وذخائر لأنه من الثوار ومؤيدي الإمام عبد الله الوزير .

ولم يقاتل من حملة شبام إلا الشيخ عبد الله أبو لحوم ، فقد انحاز مع أصحابه إلى قصبة (مخفر) خارج شبام تحصنوا بها تحصن الأبطال ، إلا أنه ثبت في موقف لا يجدي به الثبات ولا رده ولا صلة بصنعاء .

وكلما جاء به الثبات والاستبسال أن أبا لحوم وأصحابه من نهم لم

يستسلموا إلا بشروط مشرفة ، منها العفو والأمان على الحياة والأعراض وعلى احتفاظهم بأسلحتهم ، وأن يذهبوا لا بصفتهم أسراء ، بل مسلمين على أحمد ومبائعين له بالإمامة والطاعة ، وقد ذهبوا على هذه الشروط إلى حجة ، فاستقبلهم أحمد بالحفاوة وأبقاهم بحجة ، بينما أودع السيد محمد بن محمد الوزير ورفاقه الحبس .

وبفشل هاتين الحملتين قوي مركز أحمد وأصبح الحاكم الحقيقي على قبائل الشمال والشرق والغرب وقوي شك بقية القبائل اليمنية في الثورة والإمام الوزير ، وراح معظم أعيان القبائل الجنوبية يتصلون بأحمد ويتقربون إليه ، ما عدا قبائل رداع ومراد والبيضا ، وأصبحت صنعاء في نهاية الأسبوع الثاني للثورة في موقف تكاد فيه أن تقطع صلتها بالقسم الجنوبي والغربي ، زحف يهددها من الشمال ومن خولان ، ويجهز على من فيها ويسحق رجال الثورة ومن ورد عليهم من عدن والخارج من الثوار والمنتحلين لها المتشاورين ولم يمض على الثورة سوى أسبوعين .

عودة الكثيرين من المهاجرين اليمنيين ، وخدعة الانتصارات المبكرة ومركز الوزير

كان بقاء ولي العهد أحمد بعد قتل أبيه هو البركان الكامن فيه القوة المعدة لنسف الثورة ومحو قاداتها ، فكان على الإمام الوزير وقادة الثورة أن يجندوا كل قواهم العسكرية والدعائية لدرء هذا الخطر الماثل ، وأن لا تحجبهم عنه تلك الانتصارات والتأييدات المبكرة ، ولا الثقل الشعبي الذي كان يتمتع به الوزير ، خلا أن تلك الانتصارات المبكرة والتأييد الشامل المبكر حجبت عن قادة الثورة ذلك الخطر إلى درجة الاعتقاد أنه لا قيمة لأحمد بجانب المركز الروحي الذي للوزير ، بل لم تدعنا تلك الانتصارات الأولية نفكر قليلا في مركز الوزير بعد مقتل الإمام بل ربطتنا به اكثر معللين بأن منه انطلقت الانتصارات وذلك التأييد الشامل . ولو أننا تخلصنا من هذا الشد الواهم لعرفنا بلا كلفة : أن مركز الوزير الروحي قد هزه مقتل الإمام يحيى في ثورة يقودها الوزير ، وكان يقدر له

البقاء إذا لم توجه إليه أدنى ضربة من أضأل شخصية ، فكيف إذا كـان الضارب هو أحمد الذي طالما انتظر مقتل أبيه وعمل له ليتخلص من والده ومزاحمة أخوتـه ومنازعة منافسيه لو مات أبوه موتـاً طبيعياً وهـا هي الفرصـة سانحـة فيسقط أبوه قتيلا في ثورة يقودها عبد الله الوزير أعظم منافس لاحمد على الإمامة ، فهل يدع أحـد الداهيـة القائـد العسكري والشعبي الفـرصة تـطير ، كلا لقـد استطاع في الأسبوع الأول للثورة أن ينسف مركز الإمام الوزيـر الديني ، فيحـول الوزيـر في رأي القبائل إلى غادر تآمر مع النصارى والكفار على قتل الإمام يحيى وبيع اليمن إلى النصـارى ، فأصبـح ذلك المـركز الـذي تعتمد عليـه الثورة والثـوار والإمـام الـوزير ، لا أسـاس له ولا وجـود إلا في خيالاتنـا ، وإلا سـراب انـدفـع وراءه المهـاجرون اليمنيـون يعودون إلى صنعـاء ، ويلهث وراء بريقـه أدعياء الثـورات والمستغلون ينفـذون إلى المنـاصب والصفـوف ويتملقـون ويشـوشـون الأفكـار ، ويزيدون الثوار اعتقاداً بقوة المركز الشعبي للإمام الوزير وأن الثورة لا تحتاج معه إلى المزيد من الاهتمام بالمـوقف الحربي ، فقـد طغت موجـة هؤلاء المتاورين في الأسبـوع الأول والثاني للثـورة يتزاحمـون عـلى المنـاصب والكـراسي والـوظـائف والمكاسب بحجة أنهم ثوار وأحرار تزاحماً اكتسح التفكير والخطط التي كان ينبغي أن تتخذ لحماية الثورة من الأخطار المحدقة إليها ، والمحدقة بها ، فإذا بصنعـاء ودار ضيافتها . بابل الثانية تتبلبل فيها ألسن المطامع المستغلة ، والبلاهة الثـورية وسمـاحتهـا . والمكـايـد المنـدسـة وسمـومهـا . إن هؤلاء المستغلين المتشـاورين والكائدين لا يكاد أن تحس بهم عند النضال والشدائـد إلا متربصـين من بعيد ، فـإذا ذهب الخوف انـدفعوا إلى الصفـوف والمناصب متعنتـرين متشـاورين بصلف ووقاحة وتملق بها يجتذبون الثوار وقـاداتهم ، يسلقونهم بـألسنة حـداد يتخدر بهـا قادة الثورات الغالبة على أغلبهم السماحـة والسماجـة ، والشجاعـة والبلاهـة ، فيلقي أولئك القادة السمحاء القياد إلى هؤلاء الدخلاء الأدعياء وهذا ما أصيبت به الثورة من ثاني يوم من ولادتها ، فلقد قدم قادة الثورة والثوار من كل مكان ، وكـان من أول القادمـين إلى تعز القـاضي محمد الـزبيري والأستـاذ محيي الـدين العنسي والأستاذ أحمد الحـورش والأستاذ أحمـد البراق والأستـاذ أحمد نعمـان مع

سيف الحق إبراهيم في موكب كبير من عدن ثم عاد الجميع إلى عدن إلا نعمان ومعهم محمد البدر بن ولي العهد أحمد ومن هناك طاروا إلى صنعاء كما وصل من مصر مجموعة من الثوار منهم الأستاذ محمد المسمري والسيد يحيى السوادعي وغيرهم ، أما المتشاورون الادعياء فقد غمروا تعز والحديدة وإب والطرقات ووصل منهم جحفل إلى العاصمة صنعاء ودار الضيافة ونفذوا كالمكروبات والأمراض المعدية إلى قلوب وأفكار القادة وصفوف الثوار من الشباب والأحرار وإلى المناصب ومصادر التوجيه فحولوا الثورة إلى إجتماعات تعقد ، وجلسات تقام وموائد لهم فيها ما يلذ من الطعام والشراب ، وإلى برقيات ورسائل ترد من الالوية والخارج يطالب ذووها بحظوظهم من مكاسب الثورة ، ثم تنقشع تلك الاجتماعات وتلك الجلسات والموايد عن أبخرة الطعام تميل بالاعناق إلى النعاس والمنام وعن لا شيء إلا (هوى في هواء) وإلا ضياع الوقت وتركه لأحمد حميد الدين ، هكذا كانت الثورة وقاداتها مع الأدعياء في الاسبوعين الأولين من عمر الثورة ، ويختم الاسبوع الثاني بظاهرة جديدة خادعة زادت الأفكار بلاهة والطين بلة ، هي فكرة الإعتماد على الجامعة العربية وقد كان منا ومن الإخوان المسلمين الذين كان يمثلهم الأخ عبد الحكيم عابدين الخطيب العالم الذي كان يخطب ونخطب فتهتز بالهتاف والتصفيق أرجاء الدنيا (دنيانا نحن) صنعاء ودار الضيافة ، دنيانا هذه التي سبق أن أعلن منها محمد البدر خروجه على والده وكان لإعلانه وتظاهر الكثير من الإنتهازيين والمخادعين ، (لا نحب أن نذكرهم) أثره على ما بقي للثورة من قواء وأحاسيس إنه يوم مشهور زادنا خبالا واسترخاء ختم به الأسبوع الثاني من الثورة ، وقد بقي الأستاذ نعمان بتعز وعدد من أقطاب الأحرار الثائرين وكان الحماس والهتاف بتعز وإب إذ ذاك يتعلق بأجواز الجوزاء ، حجب عن النعمان والموشكي والارياني ومن حولهم الواقع المر القائم بالشمال المهدد للثورة في قاعدتها الاساسية بصنعاء فلم يكن أمام الشباب وطبقة المنسبين إلى الثقافة والسياسة إلا إرسال سيول من البرقيات وكتلات من الرسايل إلى الإمام الوزير ومجلس الوزراء بصنعاء يطالبون فيها بإقامة المشاريع والمساواة في الوظائف وإصلاح جهاز الحكم إلى ما هناك من مطالب قد فات أوانها ونسف الموقف الحربي بالشمال بنيانها .

ولم يبق لها مناخ إلى مخيلات المتحمسين بتعز وإب ذلك الحماس الذي حبس القاضي عبد الرحمن الإرياني ورفاقه هيئة الجمعية الإصلاحية بإب ودفع الاستاذ أحمد محمد نعمان والسيد زيد الموشكي أن يتحركا إلى صنعاء في موكبين ، نعمان وموكبه عن طريق إب فذمار ، والموشكي وموكبه عن طريق حيس فزبيد فالحديدة .

وكلا الموكبين الموشكي والنعماني حبسها حابس (القصوى) فلم يصلا إلى صنعاء ، صنعاء التي أصبحت ولم يمض على عمر الثورة إلا اسبوعان في أمر مريج من داخلها ومعرضة لحصار خانق من خارجها ، فلندع صنعاء ووفود الثوار ثابتين في الاسبوع الثالث بصنعاء ، ونرى الادعياء المتشاورين وهم يفرون ويختفون أو على الثورة يتآمرون ، لندع ذلك كله وعنهم وعن صنعاء نسير فنواكب الموكبين النعماني والموشكي ثم ننيخ بإب مع الإرياني .

(الموكب النعماني)

إن حزب الاحرار بعدن الذي يرأسه الاستاذان الزبيري والنعمان ، كان ينقصه أن زعيميه النعمان والزبيري إبتعدا عن قلب المعركة داخل اليمن المتوكلية وعاشا قبل الثورة في جو دافىء بحرارة الامن بعدن خارج جحيم المعركة ، فبعدا عن واقع الوضع الرهيب فكانا يسبحان في شعور الطمأنينة والهدوء المستوحيين لهما من محيط عدن الآمن ، فلم يركزا تخطيطيهما وتقاريرهما بدقة على الحقيقة المرة الماثلة أمام المناضلين بصنعاء وبين القبائل المحيطة بصنعاء ، وقد دفع هذا الإستيحاء والشعور النعمان والزبيري إلى الثقة بالزمان وأن أيامه قد تهيأت لتفجير الثورة ، ولقد إنفجرت في هذه الظروف المار بعض فصولها ومفاصلها وملامحها .

وما برح الاستاذ النعمان بعد قيام الثورة وخروجه من عدن إلى تعز وما سمع به عن الموقف بالشمال متلبسا بشعوره الذي دفعه إلى الخروج من تعز في مجموعة من الشباب اليمني وأعيان الأحرار منهم الشيخ ناشر العريقي والشيخ جازم الحروي .

وقد وصل مع المجموعة إلى إب وسمع ما يجري في الشمال من حوادث في غير صالح الثورة .

ولكن الحماس الظاهري الطافي على أجواء تعز وإب جعل النعمان يستمر في ظنه الباسم ، فيفارق تعز مع المجموعة نحو صنعاء ، وبرغم التحذير له واصل رحلته مقتنعاً بأن كلما يجري بالشمال سحابة صيف ، وأنه بمجرد خطبة يلقيها بذمار أو غيرها في القبائل المتحمسة لاحمد يتغلب على عواطفها وقعقعة أسلحتها وزمجرة قاداتها .

ولقد وصل النعمان إلى يريم وجاءته الانذارات والنصائح بالرجوع إلى تعز وإلا فسيقع في الخطر فأصر على رأيه واستمر برحلته إلى ذمار فإذا الحقيقة دامية عجوز غير ذات خليل .

شمطاء جزت شعرها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

وهناك نظر الجحيم الجماهيري ولمس الواقع المر ، وحاول أن يخطب في تلك الجماهير القبلية الصايلة ليردها إلى الحقيقة ، ولكن هيهات هيهات أن توقف الخطابة والحجة سيل العرم .

ما ليس يدفعه المهند مصلتا لا الكتب تدفعه ولا الاقلام

فقد وقع النعمان في جحيم الوعي الصايل الجماهيري وتبين للنعمان كما تبين لغيره أن الدعوة الثورية تقوقعت في مجموعة من شباب وسكان المدن ، وابتعدت عن الجماهير القبلية فوقعت في هذا الوضع الذي أيقظ قادة الثورة وقد فات الاوان ، فقد وقع السيد النعمان وجميع رفاقه في الاسر بذمار وفيهم الكاتب الصحافي اللبناني (رشيد سنوه) والقاضي أحمد بن قاسم العنسي والقاضي محمد أحمد صبرة والشيخ جازم الحروي والشيخ ناشر العريقي والقاضي محمد الفسيل وغيرهم وقد قذف بالجميع إلى سجن ذمار ، الذي سيق إليه من يريم القاضي محمد بن إسماعيل الربيع والقاضي إبراهيم بن أحمد الحضراني ، وكان لوقوع النعمان ورفاقه في الاسر دويٌ هد ما بقي للثورة من معنى وإنطلق دعاة ولي العهد أحمد يعدون ذلك من كرامته التي إلى قبضته ساقت

أعداءه من الخارج والداخل وفي ذمار ندع النعمان وموكبه لنذهب إلى الموشكي وموكبه .

الموكب الموشكي

واكبنا الموكب النعماني من تعز إلى أن أغمد ذلك السيف بسجن ذمار ، وكنا قد ودعنا السيد زيد الموشكي بتعز وهو متكهرب بالحماس يعد العدة لرحلة نحو صنعاء عن طريق الحديدة ، وها نحن نعود إليه بتعز فنراه يواصل اجتماعاته برجال الثورة الأحرار ـ الذين أحسنوا الظن ـ فتركوا الأمر بأيدي المتربصين بتعز وبإب وبالحديدة ، فإذا بعكفة (حرس) ولي العهد أحمد والسياغي يسند إليهم حفظ الأمن بتعز وبإب . وبالسيد يحيى عبد القادر أمير إب وبالسيد محمد أحمد باشا أمير تعز ، الذي اتفق الموشكي ورجال الثورة على أن يبقى بها من رجال الثورة العقيد أمير الآلاي محمد السري الشائع والسيد محمد بن يحيى الوريث وغيرهما ، ويفارقها الموشكي إلى صنعاء بعد جولة استطلاعية واستعدادية في تهامة ، وقد فارقها الموشكي في موكب يضم الشيخ حسن بن صالح الشايف والقاضي عبد الله بن عبد الإله الأغبري والأستاذ علي ناصر العنسي والسيد يحيى بن محمد باشا والشيخ محسن الصعر ويمر الموشكي وموكبه بحيس فزبيد ، وينضم اليهم الخادم غالب الوجيه ، فيدخلون الحديدة فيحتفي بهم أمير الحديدة القاضي حسين الحلالي صاحب الخادم غالب ، وكان موقف الحلالي قد بدأ ينكشف للمسؤولين بصنعاء فأمروا بفصله من الحديدة وأن يحل محله السيد زيد بن يحيى عقبات ، فتدخل الخادم حتى استبقى الحلالي وفي هذه الفترة ـ والموشكي وموكبه بالحديدة ـ طرأ التغير السريع على موقف الثورة العام بحيث أخذ الحماس والهتاف بتعز وإب والحديدة تهبط درجته ، وبدأ المتربصون والإنتهازيون الذين اندسوا في الصفوف وشغلوا فيها مناصب هامة بدأوا يتظاهرون بمعاداة الثورة ، ويساندون ولي العهد أحمد .

وأول ما فكروا فيه بعد الاتصالات بأحمد أن قبض كل على من في جهته من الأحرار ومن تعاون معهم بإخلاص ، وقد كان السيد محمد بن أحمد باشا أمير تعز شريفا ، فقد أوحى إلى محمد الوريث ومن لديه بتعز من الثوار بأن

الموقف قد فلت زمامه من يد الوزير والثوار فعلى الوريث ورفاقه أن ينجوا بأنفسهم إلى خارج اليمن المتوكلية وإلا فهو مضطر أن يلقي عليهم القبض فأصغوا إلى إشارته وفروا إلى عدن .

كما أرسل من يحذر المشوكي ورفاقه بالحديدة وأن ينجوا بأنفسهم فلم يأخذوا بنصيحته فقد كان الموشكي والخادم مخدوعين بأنها سيقنعان الحلالي بالوقوف إلى جانب الثورة واستمرا مع رفاقهما يواصلون الإجتماعات بالحديدة وأنهم في إجتماعهم يخططون إذا داهمتهم الجنود وقبضت عليهم وأودعتهم سجن الحديدة ثم نقلوا في الأغلال إلى سجن مناخه بحراز وبعد متاعب السفر في الأغلال وصلوا حراز وفي سجن مناخه قذف بهم ، وهناك أسدل السجن ليله على موكب من مواكب الأحرار يقاسون ما يقاسيه أعلام موكب النعمان بسجن ذمار من الهول الذي فغرفاه ليبتلع المجاهد الكبير القاضي عبد الرحمن الإرياني والمؤرخ القاضي محمد الأكوع ورفاقهما بإب وغير إب .

الارياني وتمسكه بنظرية سقراط

مر النعمان بإب وهناك اجتمع بالقاضي عبد الرحمن الارياني والقاضي محمد الأكوع والشيخ الفيلسوف حسن الدعيس والنقيب عبد اللطيف بن قايد وغيرهم واستعرضوا الموقف المتجهم سيما في الشمال وحاولوا أن يقنعوا النعمان عن الذهاب إلى صنعاء وأن يستبقوه بإب إن لم ير الرجوع إلى تعز أو عدن فأصر النعمان على فكرته ، ويفارق مدينة إب في طريقه إلى صنعاء فيقع في سجن ذمار ويزداد الوضع خطورة تهدد الثورة في كل موضع ، فالموشكي مع رفاقه بسجن مناخه ، وصنعاء يطبق عليها الحصار بفكيه ، وكل القبائل الشمالية ملتفة حول أحمد ، وقبايل الجنوب وأعيانها تخطب رضا أحمد ، كل هذا عرفه الارياني ورفاقه الذين أصبحوا ينظرون بإب المتربصين يتظاهرون بالولاء لأحمد ، إلى ما هناك من دوافع على طلب رجال الثورة للنجاة كما فعل الشيخ حسن الدعيس والقاضي عبد الكريم العنسي فقد فرا إلى عدن يوم سقوط صنعاء ، ولكن الارياني تمسك بمثالية سقراط فلم يستجز الفرار في مثل هذه الظروف فرجح مع

رفاقه البقاء بإب طمعا في التغلب على الموقف ولو في إب وتعز . ولكن الأحداث لم تدع للإرياني ورفاقه وقتا لمعالجة الموقف فقد جاءهم الخطر من مأمنهم فإن الجند الذين اعتمدت عليهم الثورة بإب كانوا يوم سقوط صنعاء أول من انقلب على الثورة فاعتقلوا الزعيم الإرياني والأكوع وبقية رفاقه يوم الأحد رابع جمادي الأولى كما اعتقل إخوان لهم ولنا بتعز ، وهكذا رأينا شجرة الحرية وزهورها تذبل ثم تتناثر إلى السجون . لتساق بعد سقوط صنعاء إلى أنياب السباع ومناسر الطيور ، وإنها لحكمة ستختتم بها هذا الكتاب ولنعد إلى صنعاء .

صنعاء ، والاسبوع الثالث للثورة

لقد ذهبنا بعيداً عن صنعاء محلقين حولها مع الحوادث التي كانت تتجمع سحبها لتطبق أعاصيرها على صنعاء وتقتلع الثورة ورجال الثورة في مهدها (صنعاء) ، وترمي برجال الثورة إلى حيث تنتظرهم السجون والقبور والطيور ، وهم أعيان اليمن وحصيلة جيل كامل فيه تكونت شخصياتهم وتجاربهم وثقافتهم ، وقد تجمعوا ـ ويا لهول القدر ـ من الخارج ومن الداخل ومن كل صوب ، ومنهم من وقع في السجون خارج صنعاء ، ومنهم من ينتظره السجن .

ومن كان منهم في صنعاء ها هو قيد الحصار الذي يكاد قرناه وطرفاه أن يلتقيا ليخنق أقطاب الثورة في مهدها صنعاء ، وقد أحس رجال الثورة بصنعاء بأنهم وثورتهم في أسبوعها الثالث يقتربون مع الثورة من المصير الرهيب إن لم يتخذوا خطة قد تنقذ الموقف .

فكرة حكمية لم تنفذ

أمام هذه الزوابع المنذرة بسقوط الثورة وحكم الإمامة الدستورية اجتمع ذوو الرأي من رجال الثورة . وفي مقدمتهم الأمير علي الوزير والرئيس جمال جميل والأمير حسين عبد القادر والسيدان أحمد المطاع ، وحسين الكبسي والشيخ عبد الوهاب نعمان، ويحيى الدين العنسي ، ومحمد الزبيري . وبعد تقليب

الموقف ظهرا لبطن ، اقتنعوا أن الثورة تقترب من الفشل إن لم يتخذوا طريقاً تحول الثورة عن المنحدر الذي حفره حسن الظن ، والجمود الذي أصيب به رأي وعزم أمير المؤمنين الإمام الوزير رحمه الله ، وإن أنجح طريق يرجى منها النجاة يكمن في المواد الآتية .

المواد

١ ـ أن يتخذ من تعز عاصمة ثانية للحكومة الثورية .

٢ ـ أن تكون رداع قاعدة عسكرية للثورة .

٣ ـ تعيين الأمير علي الوزير أميراً للواءي تعز وإب ويكون الشيخ عبد الوهاب نائبه بإب .

٤ ـ أن يقوم الإمام عبد الله الوزير برحلة إلى رداع يضع فيها القاعدة العسكرية ويتصل بقبايل المشرق رداع ومراد والبيضا وقيفه والسوادية الذين سيتأثرون حتما بشخصيته فقد كانوا بدأوا يتجمعون لينقذوه

٥ ـ سحب كمية كبيرة من المال والذخيرة والمعدات الحربية من صنعاء إلى رداع .

٦ ـ تعيين الرئيس جمال جميل والسيد عبد الله بن علي الوزير والامير حسين عبد القادر نواباً للإمام عبد الله الوزير بصنعاء عند غيابه .

٧ ـ تحصين الجبال المطلة على صنعاء كنقم وعصر وتزويدهما بالماء والمؤن .

٨ ـ تطهير صنعاء من كل مشتبه فيه والقبض على أعيان أسر لم يبق لذكرها الآن موجب .

٩ ـ فصل القاضي حسين الحلالي من إمارة الحديدة وتعيين زيد عقبات الخادم غالب محله .

هذه هي أهم المواضيع التي اتفق على اتخاذها وتنفيذها رجاء تلافي الموقف

بأول الاسبوع الثالث للثورة قبل وقوع النعمان بحبس ذمار والموشكي بحبس مناخه ، وقبل إحكام الحصار على صنعاء .

وقد كانت هذه الخطة حازمة وحكيمة ، إلا أن القدر وقف في طريق تنفيذها ، فالإمام الوزير كاد يفقد الرأي فقد شد نفسه بقصر غمدان فلم يوافق على قيامه برحلته إلى رداع ولا باتخاذه بها قاعدة عسكرية ، ولا وافق على ذهاب الامير علي الوزير والشيخ عبد الوهاب نعمان إلى تعز وإب ولا سحب أموال وذخيرة إلى رداع وتعز ، فقد كان رحمه الله مأخوذاً بحسن الظن بالايام ثم بالجامعة العربية ، وبأن مركزه الروحي ما يزال قويا بين القبايل وأن الأزمة ستنفرج ، وأن تحوله عن صنعاء قد يعرض صنعاء والحكومة الثورية للسقوط وأن الامير علي الويزر قد يتغلب على لواءي تعز وإب ، يضاف إلى ذلك أن فكرة عودة علي الوزير إلى تعز لم تلق تشجيعا من نعمان والزبيري ، ومما زاد في حسن ظننا وظن الإمام الوزير بالجامعة العربية وأنها ستحل القضية ما كان إمامنا يتلقاه من الاستاذ عبد الحكيم عابدين مندوب الإمام حسن البنا إلى صنعاء من معلومات عن الجامعة العربية وما يقوم به الإخوان المسلمون . من نشاط لتدعيم الثورة اليمنية ، وكان عبد الحكيم صادقاً فيما حكاه من نشاط الاخوان المسلمين وتدعيم الثورة اليمنية إلا أنه كان يجهل الواقع اليمني ، وغير متعمق في السياسة ، حتى يعرف أساليبها برغم أنه كان من فحول الخطباء والعلماء ، وقد التقت براءته وسماحته ببراءة الإمام الوزير وسماحته ، فتولد من هذا اللقاء استمرار الإمام الوزير في حسن ظنه الذي ضيع الفرص والأخذ بالحزم .

ولم يكن عند قادة الثورة التصميم فيجبروا الإمام الوزير على قبول هذه الخطة ولا في الوقت سعة لتقبل أي تأجيل ، فقد كانت الأخطار تمشي بسرعة العاصفة ، وأصبح أحمد على أثر معركتي شبام وضروان يدفع العاصفة بقوة . فقواده وفي مقدمتهم علي بن حمود يسوقون جحافل القبائل من كل صوب ، وتنضم إليهم كتائب الجيش النظامي من كل مركز حتى من صنعاء ، فقد التحق بأحمد معظم الكتائب النظامية التي كانت بصنعاء وحولها بعداتهم ، واتصل أحمد

في سرية بالحاميات في جبل نقم بما فيهم المشرفون على كهوف نقم المودع بها الأسلحة والذخيرة ، واتصل بحرس قصر غمدان وغيرهما من الثكنات العسكرية الهامة وربط مع معظمهم اتفاقاً على أن يكونوا إلى جانبه في الساعة الحاسمة التي يقتحم فيها صنعاء ، واعداً لهم بالرعاية إن أجابوا ، وإلا فإنه سينتقم من عوائلهم بين قبائلهم الموالية له . وينتقم منهم في القريب العاجل .

كل هذا والإمام الوزير غارق في بحيرة حسن الظن الذي جعله لا يرى أي خطر بل صار متسامحاً مع من بدأ يعارض الثورة بصنعاء ويسخر بها مما أقلق قادة الثورة ، وقرروا أن تسند الإدارة العسكرية إلى الريس جمال جميل .

الرئيس جمال جميل ، والقيادة العسكرية

لم ينفذ من القرار السابق ولا بند واحد ، فلم يحصن نقم ولا عصر ولا غيرهما ولا طهرت صنعاء من أعداء الثورة ، ولا فصل الحلالي ولا غيره .

وغاية ما هناك أن الإمام الوزير استجاب إلى دعوة المصالحة مع ولي العهد أحمد التي اقترحها بعض الأعيان .

وقد قبل أحمد هذه الدعوة ، وتعين من صنعاء وفد إلى حجة مكون من السيد قاسم العزي أبو طالب والقاضي أحمد الجرافي وذهب الوفد ولم يصل إلى عمران إلا وقد غير أحمد نظره وأمر الوفد بأن يعود إلى صنعاء .

وما أن عاد الوفد إلا وزادت الحال سوءاً، ونشطت العناصر المضادة لنشر الأراجيف ، وكثرت البلبلة بصنعاء ، مما حمل مجموعة من قادة الثورة بأن يعقدوا مع الإمام الوزير اجتماعاً أقنعوه بأن تسند القيادة العسكرية والأمن إلى جمال جميل ، وقد قبل هذا العربي الكريم تحمل هذه المسؤولية في هذه المرحلة الدقيقة ، وماذا ترى هذا البطل سيعمل في وضع منهار من كل الجوانب ، إن روحه المؤمنة الثائرة فرضت عليه أن يعمل لحماية صنعاء ومحاولة فك الحصار وتأمين صلتها بالجنوب ، ذمار ويريم ورداع وإب وتعز إلى ما هناك .

وبأي قوة يا تراه ، ولا جيش ، ولا قبائل . ولم يكن هناك إلا عدد قليل

هم المخلصون من شباب المدارس والكليات الحربية وبعض أفراد من القبائل والجيش ، وقد استطاع جمال أن يكون من هذه الفئات قوة استطاع بادىء الأمر أن يرسل منها جانباً فتحت الطريق من نقيل يسلح إلى ذمار ، ثم قسم صنعاء وما حولها إلى أربع مناطق أسند حماية كل منطقة وإدارتها إلى من يثق به من رجال الثورة ، المنطقة الأولى قصر غمدان وجبل نقم استبقاها الإمام الوزير لتكون تحت إشرافه وعهدته ، المنطقة الثانية بإب الشقاديف والسبحه والمطار والعرضي إلى الرئيس جمال جميل مضافا إلى إشرافه العام ، المنطقة الثالثة بإب شعوب ورأس صنعاء وما حولها إلى السيد أحمد المطاع والعزي صالح ، المنطقة الرابعة الاذاعة بير العزب وعصر والصافية إلى محيي الدين وعبد الله الشماحي وأحمد الشامي وحسين المقبلي وغالب الشرعي ، وقد قام كل بالعمل في حدود اختصاصه ، وبدأ الموقف يتحسن ففتحت الطريق إلى ذمار وتم الاتصال بقبائل رداع وقيفه والسوادية ومراد وعبيدة ، لتنجد الثورة وإمامها الوزير . وبدأت هذه القبائل في التجمع ، وأعيد اقتراح ذهاب الإمام الوزير إلى رداع فأصر على الرفض .

إن القضاء إذا رمى دك القواعد من ثبير

وبدأ زحف القبائل على صنعاء من جميع جهاتها ، فأطبق علي حمود على عصر فهاجمه محيي الدين بمجموعة من شباب المدارس والضباط إلى عصر تساندهم المدفيعة فاضطر علي حمود على الانسحاب من عصر إلى المساجد .

بينما زحفت قبائل خولان وسنحان وبني بهلول وبلاد الروس وآنس وبني حشيش على جبل نقم ، الذي كنا نعتقد أنه قد حصن بمن يعتمد عليهم وزود بالمياه والمؤن ، فإذا جميع نقطه ومستودعاته كلها لم يدخل عليها تغيير ، ولم يكن إلا الشيخ علي القردعي والسيد محمد بن علي الوزير مع مجموعة صغيرة ترابط بقمته من دون أن يكون عندها التموين الكامل .

فواصلت القبائل زحفها في نقم من دون أن تلقى مقاومة من أية نقطة حتى وصلت قمة نقم وهناك قاومها القردعي ومحمد الوزير وأصحابها مقاومة

الأبطال انهزمت لها القبائل من قمة نقم إلا أن المرتبين في أثناء جبل نقم وكهوفه من النظام إنحازوا إلى هذه القبائل الأحمدية ، فانقطعت المواصلة بين صنعاء والقردعي ورفاقه المرابطين بقمة جبل نقم فإذا بالقردعي محصور مع رفاقه بقمة نقم ولم يكن لديهم من الذخيرة ما يمكنهم من الحركة ومهاجمة ورمي من تحتهم بجبل نقم من القبائل الأحمدية ومن انضم إليهم ، فوقفوا بالقمة مرابطين ولم يبق لديهم إلا كمية قليلة من الخبز اليابس وقليل من الماء حتى إذا نفذ كان خروجهم كما سيأتي ، وأصبح جبل نقم وكهوفه ومستودعاته بيد جيوش أحمد فتم لهم السيطرة على صنعاء والمطار والعرضي يقذفونها بالمدافع بل وبطلقات البنادق فقطعت الطريق الجنوبية مما أحبط خطة جمال جميل التي كان قد شرع في تنفيذها ويقترب الأسبوع الثالث للثورة من نهايته .

وقد عاد الحصار على صنعاء أشد مما كان في نهاية الأسبوع الثاني فقد أطبقت القبائل على صنعاء إلى قرابة أسوارها ، كأنهم الجراد المنتشر الجائع يسيل لعابهم على ما تحتويه صنعاء من كنوز وذخائر وأموال ، ولم يبق لرجال الثورة إلا أن يستميتوا في الدفاع عن صنعاء ، مع محاولة الخروج من المأزق ، وذلك باجلاء القبائل عن ضواحي صنعاء بطريق الاغراء ، والتخويف بالله من نتائج تعريض صنعاء للنهب وهتك الحرم والمقدسات فكانت المراسلة بين علي الوزير وحسين الكبسي وأحمد المطاع وبين علي حمود والشيخ حسين الأحمر شيخ حاشد والشيخ محمد القفري شيخ بلاد الروس والنقيب محمد الصوفي ريس خولان ، وقد أظهر الأحمر والصوفي رغبة صادقة في الاتفاق على حقن الدماء وحماية صنعاء من الويل ، وراوغ علي حمود ، وفي يوم الأحد ١٩ ربيع الآخر من سنة ٦٧ انتدب أحمد الشامي وعبد الله الشماحي للذهاب إلى قبة عبيد جنوب صنعاء أسفل جبل نقم بالقرب من بيت معياد للاجتماع مع الصوفي والقفري عملا بالإتفاق على ذلك ، كما قرر رجال الثورة إرسال وفد إلى الجامعة العربية .

أحمد الشامي وعبد الله الشماحي مع الصوفي والقفري

كانت قبة عبيد مورد الماء ، المكان المعين للاجتماع ، ويعد الوصول إليها

من صنعاء ضرباً من المخاطرة ، فهي بيد العدو ، والطريق إليها من صنعاء يتناول بندقية العدو من الجانبين ، ولم يكن هناك نظام تتقيد به القبائل المحاصرة صنعاء عند هذا الاجتماع ، ولكن حرص الشامي والشماحي ورجال الثورة على تقليل الخطر أخرج المندوبين على سيارة مدنية تخترق بهما الطريق إلى بيت معياد بين وابل من الرصاص وقد أصيبت السيارة بعدد من الطلقات ، وقد وصلت السيارة إلى بيت ميعاد متأخرة عن الوقت المحدد بساعة ، فذهب المندوبان الشماحي والشامي مشياً إلى قبة عبيد وقد فارقهما الصوفي والقفري فيجد المندوبان نفسيهما هناك في قبضة مجموعة من الجيش النظامي والقبائل الأحمدية غاضبة على الإمام الوزير ورجال الثورة قتلة الإمام يحيى ، وحاولوا أن يقبضوا على المندوبين وهم يترحمون على أبيهما شيخ الإسلام عبد الوهاب الشماحي والسيد محمد بن محمد الشامي ، ويقرعون المندوبين بأنهما عكس ما كان عليه سلفهما ، ولم يتخلص المندوبان إلا بخطبة ألقاها الشماحي شرح فيها الوضع وأن المطلوب حقن الدماء وإصلاح الشأن بما أمر الله به من الإصلاح بين المسلمين ، وأن المندوبين كانا على موعد مع الصوفي والقفري ، وقد هدأت الخطبة ثورة المجموعة ، وطلب المندوبان منهم رفيقاً يذهب معهما إلى مقر الصوفي والقفري فعادا مع الرفيق إلى بيت ميعاد الذي كان أهلوها ظاهراً معنا مخافة من مدفعية صنعاء ، وفي الباطن علينا ، ومن هناك تم الاتصال مع الصوفي والقفري نجم عنه أن يجتمع الصوفي والقفري مع وفد فيهم علي الوزير لتوقيع اتفاقية تصون صنعاء من ويلات النهب والخراب ويكفل بالوصول إلى عقد صلح بين الوزير وأحمد في خلاله يقرر مصير اليمن ، وتعين يوم الأربعاء موعداً لإعطاء الصوفي والقفري الحقيقة .

وقد استجاب الإمام الوزير إلى هذه الخطة وحرر رسالة للصوفي يذكره بالله وبما له من حقوق على اليمن وعلى قبيلة خولان ويطلب منه سحب قبيلة خولان من حول صنعاء ، وحرر رسالة للصوفي والقفري يوافق فيها على إرسال علي الوزير لمقابلتهما ، وفي يوم الأربعاء خرج الشماحي إلى بيت معياد متنكراً مشياً واجتمع بالصوفي والقفري وسلمهما الرسالتين ودرس معهما الوضع وتحتم

فك الحصار عن صنعاء ، وتعين يوم السبت ثالث جمادي الأولى موعداً لاجتماعهما بعلي الوزير ومرافقيه ، ولئلا يتعرض علي الوزير للخطر والرماية تقرر أن يصل الصوفي والقفري إلى جنوب عرضي الدفاع بصافيه صنعاء مع مجموعة من أصحابهما ، وكان المطاع قوي الصداقة مع الشيخ حسين بن ناصر الأحمر ، وقد كان أجرى معه بواسطة الرسل والرسائل مخابرة توصلا فيها إلى ما يقرب من الاتفاق مع الصوفي ، ولم يبق إلا أن يصل الأحمر إلى الروضة ثم يأتي إلى خارج باب شعوب يوم الأحد رابع جمادى الأولى ليجتمع بالمطاع وحسين الكبسي لوضع الخطة لانسحاب القبائل من حول صنعاء والدخول في مصالحة مع أحمد يشرف عليها العلماء والمشايخ والأعيان .

وفي هذه الأيام غادر وفد الثورة صنعاء إلى الحجاز ليجتمع بوفد الجامعة العربية .

(وفد الحكومة اليمنية الدستورية إلى الجامعة العربية)

كان الإمام الوزير وحكومته الدستورية قد اتصل بالجامعة العربية التي كان الجميع يبالغون في التعويل عليها وعلى أنها ستحل مشكلة اليمن .

وقد جرت هذه الآمال الويل والثبور على الحكومة اليمنية الدستورية ، تركتها وإمامها الوزير ، كلا على مولاهما (مولى) لا وجود له هو (الجامعة) التي تركت حكومتنا لا تعد أية عدة لا للدفاع ولا الميتة الشريفة ، بل تركتنا نستصحب السلامة ، وتركت الإمام الوزير يفرض أنه إن لم يظفر ويستمر على عرش الخلافة اليمنية ، فإن الجامعة ستنقذه وتنقذ الثوار من قبضة ولي العهد أحمد . هكذا تركته آماله في الجامعة ، والجامعة لا وجود لها خارجي ، فقد كانت الجامعة إذ ذاك لعبة بيد الملك فاروق وملك الأردن عبد الله ، والملك عبد العزيز آل سعود ، والأمير عبد الاله ونوري السعيد .

وكل ما تملكه الجامعة هو مبناها الفخم والإسراف في الحفلات ، وإلا المواعيد للإمام الوزير ولم تف بأي وعد ، فقد كانت أغدقت الوعود على إمامنا

الوزير بواسطة أعيان الإخوان المسلمين ، ومما وعدت به أنها سترسل إلى صنعاء أمين الجامعة حينئذ عزام باشا مع هيئة من الدول العربية لوقف الحرب في اليمن وتقرير مصيره الكفيل باستقلال اليمن ، وحسم الخلاف بين المتصارعين .

وفعلا تعين الوفد باطلاع الملك عبد العزيز لخروجه على طائرة إلى صنعاء ليوقف الجانبين عن الحرب ثم يقوم إلى حجه ويقوم بجولة إلى صعده وتعز وإب والحديدة ورداع ليأخذ صورة ، عليها ينبني الحل والصلح الذي يضمن المصلحة العامة وكرامة وحياة المتحاربين ، هذا ما وعدت به الجامعة واتفقت عليه مع الإمام الوزير وولي العهد أحمد في ثاني أسبوع للثورة ، ولما عرف أحمد قوة موقفه سعى في عرقلة وفد الجامعة واتصل بالملوك الذين لبوا مسعاه ، فإذا بوفد الجامعة يهبط من السماء إلى التراب ثم إلى زبد البحر ، فيتحول من الطائرة إلى الباخرة ، فقد تفضل صاحب المعالي أمين (الجامعة) الطويل العريض عزام باشا بالذهاب لا على قدميه بل على القطار إلى ميناء السويس يصحبه بعض موظفي الجامعة والشيخ يوسف يسين والسيد حسن بن علي إبراهيم ، ومن ميناء السويس أقلعوا على باخرة مصرية قاصدين اليمن على أن يعرجوا على جدة ، وما أن وقفوا بجدة إلا واستقدمهم الملك عبد العزيز إلى الرياض ، فأبرق أحمد إلى الملك عبد العزيز يطلب منه تأخير وفد الجامعة حتى يحتل صنعاء ، لأنه يثق أنه سيحتلها قريبا ، فيوقف على الجامعة التدخل في اليمن ، وقد عمل الملك عبد العزيز باقتراح أحمد فأخر وفد الجامعة بالرياض .

مما اضطر حكومة الثورة وهي في مأزق حرج آخر أسبوعها الثالث أن ترسل إلى الرياض وفدها المؤلف من القاضي محمد الزبيري والسيد عبد الله بن علي الوزير والفضيل الورتلاني الجزايري على طائرة فوصل الوفد الرياض وعقد اجتماع الجامعة بإشراف الملك عبد العزيز ودار حوار حاد اقتضى تكرار الاجتماعات وبرغم ما لاقاه وفد اليمن من معارضة ونقاش فما زال الزبيري ورفيقاه يواصلون جهودهم المضنية حتى اقتنع أمير الجامعة والمجتمعون بالخروج إلى اليمن ولم يبق إلا ترتيب الخروج .

وإن الوفد ليبذل جهوداً جبارة بالرياض ، ونحن نبذل جهوداً مضنية بصنعاء للدفاع عن صنعاء والثورة وتفتيت تحشدات القبائل المطبقة على صنعاء ، إذ بعملاء وأنصار أحمد في نفس صنعاء يركزون مؤامرتهم في قصر غمدان وداخله الذي غفلنا عن حراسته اعتماداً على تعهد الإمام الوزير بحمايته ، واعتماداً على أنه مرابط فيه ، فقد تسقط اليمن وصنعاء ، ولن يسقط قصر غمدان ، وإننا لفي تطهير صنعاء والدفاع عنها والسهر على أسوارها وأبوابها وخوض قتال مرير في ضواحيها ، ننتظر صباح السبت الذي سيجتمع فيه علي الوزير بالصوفي والقفري ، وتتم اتصالات الكبسي والمطاع يوم الأحد بالشيخ حسين الأحمر ، إذ بالطعنة القاصمة تغمد نصلها المسموم في قلب الثورة وإمامها وقلعتها في قصر غمدان فيستسلم الإمام عبد الله الوزير إلى أيدي مجموعة لا قيمة لها في الساعة الثالثة بعد غروب الشمس يوم الجمعة ليلة السبت ثالث جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ .

كيف نجحت مؤامرة أحمد في قصر غمدان

على أثر مقتل الإمام يحيى ألقي القبض على أولاده الموجودين بصنعاء وهم يحيى واسماعيل وقاسم وعلي مع بعض المتصلين بهم وأودعوا في مكان مستقل بقصر غمدان بالقرب من مقر الإمام الوزير الذي تسامح معهم ورفع عنهم الرقابة بحيث أصبحوا يتصلون بمن يريدون في شبه حرية ، بينما كان أصحابهم يذهبون إلى صنعاء ويعودون إليهم بلا رقابة ولا حرج مما حمل المطاع وجمال جميل وأمثالهما على نقد الإمام الوزير على تساهله ، ولكنه قال : إن عينيه مفتوحتان ، وما هنالك ما يثير القلق فإنهم لن يستطيعوا أن يعملوا أي عمل .

من هنا نفذت المؤامرة في كبد قصر غمدان ، وكان سيف الإسلام يحيى ابن الإمام يحيى بطل المؤامرة فاتصل ببعض مرتب القصر وبالمواليين لآل حميد الدين في صنعاء كما اتصل بأخيه ولي العهد أحمد الذي خطط المؤامرة وأمدها بالأموال وبمن يعتمد عليه من الرجال إلى صنعاء مع رسائله إلى مرتب القصر المهددة والمرغبة ، فتمهدت لأولاد الإمام يحيى الأربعة الطريق إلى القيام بانقلاب

على الإمام الوزير في داخل القصر ، ولم يأت يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى إلا وكل من في قصر غمدان من نظام وشرطة ورسم مرتبط بهم ما عدا الشيخ محسن هارون وبعض أصحابه من بني الحارث ، وتم لهم الارتباط بمن في صنعاء من الرجال الذين أرسلهم أحمد ومن يعتمدون عليهم من الأسر بصنعاء وهيُ أسر معروفة ، ولم يبق داع لذكرها ، كما تم الاتفاق مع بعض المرتب بأبواب صنعاء وغيرها ، ولم يبق معهم إلا محسن هارون الذي عجزوا عن استمالته . وما أن غربت شمس الجمعة إلا وقد فرغوا من خطة الانقلاب في القصر وتأكدوا من استعداد فروعهم بصنعاء وضواحيها ونقم للقيام بدورهم في أول لحظة للانقلاب في القصر ، وفي الساعة الثانية من ليلة السبت أغلق باب قصر غمدان وقطع خط التلفون الذي كان يربط قصر غمدان بمقر جمال جميل ، وأطلقت المدفعية من جربة المدافع على دار القصر الذي كان يسكنها الإمام الوزير فلم يبد الوزير أية مقاومة بينما كان الشيخ محسن هارون قد وثب واستولى على جانب من القصر ومنه باب ستران الذي ينفذ منه إلى ضواحي صنعاء الجنوبية .

وكان أولاد الإمام يحيى قد أرسلوا بعض أتباعهم إلى باب دار الإمام الوزير يرمون الدار ويهتفون : سَلِّمْ يا وزير فصنعاء قد استسلمت ولم يبق إلا أنت ، سلم وإلا هدمنا الدار عليك ، وفي استسلامك سلامتك ، فارتبك الوزير وأجاب إلى الاستسلام فعارضه الحاج عزيز يعني والقاضي محمد السياغي ومن معهما مطالبين بالمقاومة ثم المغامرة بالخروج من الدار والإتصال بالشيخ محسن هارون الذي ما يزال يقاوم ويحاولون معه انتزاع جربة المدافع فإن نجحوا فذاك ، وتمكنوا من القضاء على الإنقلاب في القصر ثم من السيطرة على صنعاء ، وإلا فإن الموت أشرف من القاء أيديهم إلى عبد الله السمة ورفاقه ، ولكن الإمام الوزير لم ير في المقاومة ثمرة فطلب الأمان واستسلم ، وذهب مع رفاقه إلى يحيى بن الإمام يحيى الذي أودعهم الحبس وأمر بإشعال النيران على منارة القصر وداره ايذانا بالإنتصار على الإمام الوزير في القصر . واعلاما للمتآمرين في صنعاء بنجاح الإنقلاب واشارة لهم ولمن في نقم وضواحي صنعاء للقيام بدورهم .

الدور الذي لعبه أتباع أحمد بصنعاء

ليلة السبت ٣ جمادي الأولى عام ١٣٦٧ هـ

كان هؤلاء الأتباع قد اتفقوا مع المتآمرين بقصر غمدان على خطة منسقة الخيوط ، منها اشعال النيران من قصر غمدان من اعلى الدار الذي كان بها الإمام الوزير ومن منارة غمدان إيذاناً بأن عملية الانقلاب في قصر غمدان قد تمت وتم التغلب على الوزير ، وما أن ظهرت النيران من غمدان إلا وأولئك الأتباع في انتظارها على سطوح منازلهم المعدة عليها رزم الرماد المعجونة بالبترول ، وقد جمع أولئك الأتباع إلى جانبهم وبيوتهم الكثير من الجيش النظامي المرتبطين معهم ومن المتسللين من القبايل ومن أرسلهم أحمد إلى مجموعة من المتاقين والصخابين .

وما أن ظهرت النيران من قصر غمدان حتى أشعلت النيران من على سطوح دور أولئك الأتباع الذين لا نذكرهم الآن ، ومن دور غيرهم المعروفين ، يصاحبها إطلاق نيران البنادق من السطوح والمتافات العالية من السطوح ومن الشوارع : بأن الإمام الناصر أحمد دخل قصر غمدان وقبض على عبد الله الوزير ، وأن الناس آمنون بأمان الله وأمان الإمام أحمد ، وانطلقت هذه الإشاعة تجوب صنعاء ، وما هي إلا بعض ساعات وإذا بصنعاء شعلة من النيران على السطوح المرحبة رغبة ورهبة بالإمام أحمد وانتصاراته ،تصب اللعنات وكلمات التشفي والشماتة على الوزير ورجال الثورة كمثل : لعن (الله قتلة الإمام يحيى ، يا ويل من عنده لجمال العراقي بندق يا يتم عياله يتما)، وفي غمرة هذه المباغتة المذهلة كان رجال الثورة كل بمركزه في صنعاء وبير العزب وعلى أسوار صنعاء ، والاذاعة بأيديهم تذيع الأخبار وزحف السيد حسين الحوثي من تهامة على حجة والسيد أحمد الشامي يحرض من الإذاعة الأحرار على التضحية وعلى الصمود وأداء رسالتهم الوطنية ويختتم كلمته بقول شوقي .

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

ثم تجمع الكثير من رجال الثورة إلى الريس جمال جميل بمركز قيادته بباب السبحة وكان موقفهم في هذه الليلة كما يلي .

رجال الثورة ، وليلة السبت

كان الموقف بصنعاء في الأسبوع الأخير من الثورة قد تجهم وأحس رجال الثورة : أن هناك بصنعاء حركات سرية ضد الثورة ولم يمر بخلدهم أن مركز المؤامرة هو بقصر غمدان ، فوجهوا اهتمامهم لكشف حقيقة المؤامرة خارج قصر غمدان بصنعاء المحاصرة وفي يومي الخميس والجمعة غرة جمادى الأولى وثانية كانت المعلومات قد وجهت الاهتمام على أسر بارزة معلومة ومن على مستواهم ندع بيانهم ، واتخذ الرئيس جمال جميل قراراً بالقبض على هذه الأسر وعلى تفتيش دورهم ، وتطهير صنعاء من كل مشبوه ، ولم يبق إلا تصديق الإمام الوزير على تنفيذ القرار الذي أرسل إليه عند غروب شمس الجمعة ، وقد كان يعارض مثل هذا الاجراء ، وبعد أخذ ورد معه وافق على تنفيذ القرار ، وبدأ الرئيس جمال بمساعدة محيي الدين وغيره في تطبيق القرار من بعد مغرب الجمعة فقبض على بعض أعيان تلك الأسر وأودعوا لدن الرئيس جمال بباب السبحة .

وإن حركة التطهير لفي بدايتها ليلة السبت إذ بصنعاء بالساعة الرابعة من هذه الليلة شعلة وصراخ وطلقات بنادق ورشاشات تعلن كلها أن أحمد متربع بقصر غمدان بين يديه عبد الله الوزير مستسلما منحنياً ، وما على الناس إلا أن يلزموا بيوتهم آمنين بأمان الإمام أحمد (خدعة) ماهرة من خدع الحرب ، أبرمت بحكمة مما جعل رجال الثورة في ارتباك غير مصدقين بأن قصر غمدان قد فلت من يد الوزير فتجمعوا إلى مقر الرئيس جمال فحاول الاتصال بالوزير في قصر غمدان فإذا بالتلفون مقطوع ، فقرر المتجمعون أن يتفرقوا لحماية الأمن وأبواب صنعاء والإذاعة ولكن خطة المتآمرين كانت محكمة الحلقات ، فقد تم لها أن تنشر الذعر في صنعاء بوجود أحمد بغمدان ، وتدفع القبائل المحاصرة صنعاء على مهاجمة أبواب صنعاء في ضراوة فلم تلق بمعظم الأبواب مقاومة قوية فإن الذعر استولى على من بقي من الحاميات الموالية للثورة في الأبواب والأسوار مما جعلهم

يتسابقون في إظهار الموالاة لأحمد ، واستولى المتآمرون على الإذاعة ، وذهبت كل مقاومة من رجال الثورة عبثاً ، ودخلت القبائل تندفع من الأبواب كالإعصار إلى قلب صنعاء وأحاطت بمقر قيادة الرئيس جمال تصب عليه وابلا من الرصاص من كل جهة ومن قصري السعادة والشكر اللذين احتلهما السيد أحمد عبد الرحمن الشامي لحمايتهما ، وقد قاوم جمال مقاومة الأبطال ، ولم يبق لديه إلا أفراد لا يتجاوزون العشرة منهم محمد السعيدي ، وهنا خرج جمال من باب خلفي في مقره نحو قصر غمدان ليتأكد من الموقف بالقصر فوقع في الفخ وقبض عليه ، وهناك بجانب بير العزب الأستاذ محيي الدين وغالب الشرعي ومحمد أحمد عبد الرحمن الشامي وعبد الله الشماحي وبعض شباب المدارس والضباط استمروا في المقاومة عن الجانب الجنوبي الغربي من بير العزب إلى صباح السبت بينما انطلقت في ظلام الليل قطعان القبايل في قلب صنعاء تهاجم البيوت والمحلات التجارية وتقتل وتسلب في غير تمييز ولا رحمة ، ولم يبق لرجال الثورة إلا أن يفكروا في مصيرهم ، وقد حاول الكثير منهم الفرار ولم ينجح منهم إلا القليل ووقع الباقون ومن لم يفر في قبضة القدر التي أسلمتهم إلى حكم أحمد كما سترى بعد وصف مأساة صنعاء ليلة السبت وما بعدها .

مأساة صنعاء ليلة السبت وما بعدها

صنعاء سرة اليمن ، وموحى التاريخ ومستودع التفكير الخلاق البناء قبل الإسلام ومحك الفلسفة الاعتزالية والزيدية والاسماعيلية في القرون الأخيرة ، وملتقى القبائل العسكرية الكهلانية والحميرية الصعبة المراس ، ومسرح صراع الطغاة والغزاة مع الأحرار وحماة العرين اليمني .

صنعاء الرابضة في قلب سهلها الذي سخت الطبيعة عليه بالهواء الطلق والنسيم العليل والتربة الخصبة ، والمياه الغزيرة المتدفقة من الينابيع الظاهرة والجوفية ، ومن مواسم السحب المنتظمة ، (صنعاء) المنضدة والمنطقة بالرياض الغناء ، والمروج الناضرة ، التي جعلت صنعاء عروسة الجزيرة العربية ، كأنها النجوم الزرقاء على ديباجة خضراء ، في كبد سهلها الخلاب غير المتفهق ، فقد احتضنته الطبيعة بتلك الجبال المتناسقة الشامخة كثيرة الأغوار والمنعرجات العامرة

بالمعادن والمياه ، ومصادر الثرى ، وبقبايلها ذات النفور والمغامرات والشراسة والأباء .

صنعاء مهوى أفئدة أبناء اليمن ، ومطمح أطماع الغزاة والطغاة ومريع مؤسسي الحكومات والأسر ، صنعاء صعبة القياد فليس بها مقر لحاكم ضعيف ، ولا مطمأن لحكومة بدأ الترف يسوقها إلى الانحلال والميوعة ، صنعاء أم الثورات ومهد الثوار ومثقفة الأحرار والأبرار ، ومثار الأراجيف على ساكنيها والحاكمين فيها أراجيف لزمت بمدلولها مواطني صنعاء لزوم الحرارة للنار .

حين اتخذ الصنعانيون أنفسهم لمدلول الأرجاف لفظ (الوقز) وكأن الذي وضع هذه اللفظة كان من حكماء عامة صنعاء الذين جرعتهم الأراجيف بكاسها المسمومة المريرة ، وجرت إلى صنعاء ومواطنيها الكثير من الأخطار والويل ، إن الأراجيف التي أولع بها الصنعانيون هي على أنفسهم وعلى من يستظلون بحكمه لا ضد عدوهم بل لتقوية عدوهم وأيهان تضامنهم ، على هذ درجت الأجيال والأراجيف تنخر في تضامنهم عند الشدايد نخر السوس للخشب ، فصدق الذي أطلق على الأرجاف لفظه (الوقز) فالوقزة في عرف اليمنيين هي (السوسة) .

استغل أحمد وأتباعه هذه الطبيعة إلى جانب الوهن الطارىء على خطة الإمام الوزير فكان ما سبق من سقوط الوزير ، وسقوط صنعاء بأيدي القبائل ، فيدخلها قرابة ربع مليون من القبائل لا هدف لهم إلا نهب وتدمير العمران ، دخلت هذه القبائل صنعاء بين زغردة أهالي صنعاء وأراجيفهم وإشعال النيران بانتصار الإمام أحمد رغبة ورهبة وبلا شعور ، دخلت مسلحة بالبنادق والفؤوس والمعاول والجمال والحمير ، غير ناظرين إلى زغردة ولا نيران ملتهبة ، ولا صيحات بهم وبأحمد مرحبة ، فكلما كانت تنظره تلك القبائل المغيرة هي الأموال والذخائر التي تزخر بها صنعاء ، فقد اندفعت تلك الجيوش تهاجم البيوت والمتاجر والأكواخ والمساجد ملتهمة كل مافيها ،متناحرة فيما بينها ، واستمرت في همجيتها طيلة السبت وسبعة أيام حسوماً ، ذاقت فيها صنعاء من الهول ما ينطبق عليه تصوير ابن الرومي في هذه القطعة .

كم أغصوا من شارب بشراب	كم أغصوا من طاعم بطعام
كم ضنيناً بنفسه رام نجوى	فتلقوا جبينه بالحسام
كم أباً رأى أعز بنيه	وهو يعلى بصارم صمصام
كم أخاً رأى أخاه صريعاً	ترب الخدين صرعى كرام
كم مفدى بأهله أسلموه	حين لم يحمه هنالك حامي
كم رضيعاً هناك قد فطموه	بشبا السيف قبل حين الفطام
هاجوهم فكابد القوم منهم	طول يوم كأنه ألف عام

أسبوع حل بصنعاء يعادل ألف عام ابن الرومي ، تحملت فيه صنعاء من الهول ما تأود له الراسيات بمشهد من الحسن وتشجيع من إسماعيل وعباس وقاسم أبناء الإمام يحيي ومن علي بن حمود وأضرابهم الذين لم يهتز لهم أمام هذه الجرائم ضمير ولا عاطفة ،وكل ماهتم به هؤلاء القادة في هذا الأسبوع هو حراسة قصور الإمام يحيي وكهوفه والدفاع عنها من مهاجمة القبايل لنهب ما فيها من أموال وذخاير وأسلحة وذخيرة ، تركز إهتمام القادة هؤلاء على الدفاع عن هذه الأموال مع الاهتمام بتتبع رجال الثورة وكل مستنير للقبض عليه أو قتله أو سجنه ، ولم يكتف بعض هؤلاء القادة وأذنابهم بتشجيع المغيرين على الفساد بصنعاء ونهبها .

بل انطلقوا في عصابات لأنفسهم ينهبون ويرتكبون أبشع الجرائم اندفاعاً أشبعوا به ثروتهم وخزاينهم وبطونهم وجيوبهم ، ولقد كان اسماعيل بن الإمام يحيى يهاجم البيوت فيسلب ويهتك ، ثم يقف على عربيته أو متن فرسه في الشوارع يسخر بأفواج المدهوشين الهايمين من أهالي صنعاء ويضحك من مناظر صفوفهم الطويلة المشتبك فيها الرجال والأطفال والنساء وهم تائهون وشبه عرايا الذي أصبح معظمهم لا يعرف أين أفراد أسرته ، على هذه المناظر يقهقه اسماعيل وأمثاله .

ويأتي علي بن حمود فيدوس بخيله ورجله الاشلاء ويقتل ويتبر ، ويلتقي الجميع حول اطفاء الوميض المنطلق مع الثورة من الحياة المتطورة ، ولن يخمد

ذلك الوميض ما بقي رجل من رجال الثورة ، فإلى رجال الثورة ومصيرهم بعد فشل الثورة .

رجال الثورة بعد فشلها

بخبخ أحمد بحجة لهذا الفوز الخادع حقا بمظهره ، وهو فوز فوق ما كان يترقبه وينتظر فقد تخلص من أبيه ومن مزاحمة إخوته ، وفي يده يسقط أعظم منافسيه في الملك والإمامة (عبد الله الوزير) وكل معارضيه وناقديه وأصبح هو الحاكم المطلق لليمن والإمام المستبد ، ومن حجة أصدر أوامره إلى جميع أنحاء اليمن بجمع كل رجال الثورة وكل مفكر ومتحرر والاحتفاظ بهم في السجون وتقديم إحصاء لهم إليه .

فانطلق كل مأمور في تتبع رجال الثورة يقتنصونهم من بيوتهم ويتتبعون من فر فقبض في صنعاء ليلة السبت ويومه على عدد كبير منهم الإمام الوزير ومن كان معه في قصر غمدان منهم الحاج عزيز يعني المطري والقاضي محمد السياغي . والشيخ محسن هارون . وفي صنعاء قبض على الأمير علي الوزير وجمال جميل . وحسين الكبسي . وعبد الله السلال . وحسن العمري . ومحيي الدين العنسي . وأحمد الحورش . وأحمد البراق . وأحمد المروني . ومحمد أحمد المطاع . وعبد الله المجاهد الشماحي . والحاج حزام المسوري . ومحمد الحلبي وعلي السمان . وغالب الشرعي . وعلي الشرعي . وأحمد محمد الشامي . ومحمد أحمد عبد الرحمن الشامي . وعبد الوهاب نعمان وحمود الجايفي . وأحمد محبوب . ومحمد الغفاري وعلي السنيدار وغالب السري ، وقد فر بعض الأحرار منهم أبو الثورة أحمد المطاع فقبض عليه في الحيمة والعزى صالح وعبد السلام صبره وعلي عقبات فوقعوا بقبضة المتربصين بالطرقات ،ونجا حسين المقبلي فاجتاز الحدود وكان الشيخ علي بن ناصر القردعي بقلعة نقم قد نفدت عليه الذخيرة والزاد والماء ، وفي مقاومة الأبطال الخالدين اخترق المحاصرين له بنقم حتى بلغ خولان فغُدِرَ به وقاتل حتى قُتِل ، وكان الشيخ محمد أبو راس قد وصل إلى صنعاء وهي محاصرة فقبض عليه وسجن بصنعاء ، وفي أب قبض يوم الأحد

رابع جمادى الأولى على القاضي عبد الرحمن الارياني ورفاقه كما سبق ، وقد تركنا الأستاذ أحمد نعمان ورفاقه بسجن ذمار ، وفي سجن حراز المشوكي ورفاقه .

وانطلقت الأيدي في كل أنحاء اليمن تتتبّع رجال الثورة والتنوير والشباب المثقف في كل مدينة وقرية إلى السجون تقدمهم ، وبمضي الأسبوع المشؤوم الأول على فشل الثورة وقد غصت السجون في اليمن بصفوة الشعب اليمني من علماء وقواد ومشايخ وشباب وضباط ، وأحمد بحجة يستقبل وفود المهنئين وبرقياتهم وأسماء المسجونين ، وهو من جهته ومعلوماته الشاملة يتتبع الشخصيات التي تهمه فيأمر بالاحتراس على من قد سجن منهم وبالقبض على من لم يهتد إليه أولئك الأذناب حتى عرف أنه اقتنص جميع الشخصيات التي طالما يتطلع إلى فرصة افتراسه لهم ، ولم يفته إلا الزبيري وعبد الله بن علي الوزير والفضيل وأما من عداهم فقد وقعوا من الخارج والداخل في قبضته ، وها هي سجون اليمن تغص بهم فيصدر أمرا إلى جميع الألوية بتصفية المسجونين وسوق معظم الصفوة منهم الذي نص عليهم في الأغلال إلى حجة وإبقاء من عداهم في سجونهم حيث ما هم .

صفوة الشعب تساق إلى حجة

بعد التصفية بدأ إرسال الصفوة إلى حجة في دفعات منظمة يطوف بهم على مدن اليمن وقراها التي يمرون بها وهم محاطون بالجنود والأغلال في أعناقهم أو المغالق في أيديهم كما ترى في هذه الصورة أحمد الشامي وعبد الله الشماحي والشهيد حسين الكبسي ثلاثتهم مقرونون والمغالق الخشبية الثقيلة الطويلة في يد كل واحد من الثلاثة ، وكلما مرت الدفعة بقرية أو مدينة أوقفوا عن السير ترشقهم الغوغاء بالحصى والتراب والقاذورات ، وتقذفهم بالبصاق والشتائم ، وإذا فارقوا المجتمع واصلوا السير على الأقدام أو على السيارات ، وهكذا دواليك إلى أن يقدم بهم حجة ، وهناك يمر بهم في أزقة حجة الضيقة المنعرجة بين كتلات من الجماهير المتجمهرة على جوانب الطرقات وعلى الربا والبيوت ، وكلهم كأنه في مسرح رقص وسكرة نصر ونوبة جنونية يسخرون بالقادمين في



الأغلال ويشمتون بهم ويقذفونهم بالتراب واللعنات بين ضرب الطبول وطلقات البنادق، (والمحجرة) اي زغردة النساء والمغارد والزوامل (أناشيد المجموعة من الرجال) ، والبرع (رقص الرجال على الطبول) وهكذا إلى أن يصل الأسارى إلى ساحة قصر الإمام أحمد نحو ساعة إلى ثلاث ساعات . يتلقون اللعنات والخطب والقصائد المشحونة بأنواع التكفير والتفسيق ، وقد يطل عليهم أحمد من عل ثم يسار بهم إلى السجن (نافع) للمغضوب عليهم والقاهرة لطبقة مغضوب عليها من طبقة منظور إليها (والمنصورة) ، لمن الغضب عليه محدود أو غير وطني حقيقي ، أول دفعة إلى حجة هو السيد محمد بن محمد الوزير والشيخ عبد الله

أبو لحوم ومجموعتهما على أثر معركة شبام في الأسبوع الثاني للثورة قبل سقوط صنعاء ثم الأمير عبد الله بن أحمد الوزير بعد سقوط صنعاء وتنازله عن الإمامة لأحمد مع جماعته . ثم الرئيس جمال جميل والأمير علي بن عبد الله الوزير . وقد سجن من آل الوزير كثيرون بقاهرة حجة منهم محمد بن محمد وعبد الله بن أحمد إمامنا الدستوري وثلاثة من أولاده وأخوه محمد بن أحمد وابناه عبد الله بن محمد وابراهيم بن محمد ومحمد بن علي وأبناؤه أحمد وعبد الصمد وعباس وعلي بن عبد الله الوزير وأولاده عباس وابراهيم وزيد وقاسم ، الدفعة الثالثة إلى حجة معظم من سبق ذكرهم المقبوض عليهم ليلة سقوط صنعاء مع غيرهم ويقدرون بسبعين وقد اجتمعوا بسوق شرس بالأستاذ أحمد نعمان ورفاقه وقدرهم نحو ثمانين وكانوا في الأغلال ونحن في المغالق وفي شرس أعطينا أكلة بحق شهية تمكن ذوو الأغلال من تناولها بأيديهم .

أما نحن ذوو المغالق فدون تناولها بالأيدي أهوال وقد أطعمنا الجنود المحافظون علينا ، وبعد هذه الأكلة بشرس حملتنا السيارات نحن والموكب النعماني إلى حجة بين تلك الجماهير ومظاهرها وفي ساحة سعدان قصر الإمام أحمد أفرغتنا السيارات إلى الساحة التي وقفنا بها أكثر من ساعة ، وكلما حولنا من أغوار وجبال وبيوت وأشجار قد غطتها الجماهير الصاخبة الشاتمة المصفقة المزغردة الراقصة المطبلة ، وبعد أن أخذنا النصيب الوافر من ذلك الهرج والمرج أخذ أحمد الجرافي وحسين مطهر ومحمد العلفي وعلي لطفي ومحمد أحمد الشامي إلى حبس المنصورة ، وسيق الموكبان النعماني والصنعاني إلى سجن نافع ثم تتابعت الدفعات ، فقد جاء الموشكي وجماعته وعلي عامر ، وعلي الغفري ، والحاج محمد هاشم ، وعلي تلهي وجماعته ومن آخرها القاضي عبد الرحمن الارياني وجماعته يتلقاهم سجن نافع فيلتهمهم التهام الليل أضواء النهار .

ويستقبلهم في سجن حجة السابقون الأولون من إخوان لهم ، في مقدمتهم الأستاذ قاسم غالب المعافري والشيخ صالح المقالح والشيخ نعمان محمد نعمان ورهين نافع الأخ سالم الزرتوقي والشاعر السيد محمد بن علي المطاع

وغيرهم ممن سبقونا وسبقوا ثورة ١٣٦٧ هـ إلى السجن الرهيب نافع وعاشوا فيه وفي سراديبه ردحا من الزمان قبل أن يبتلع رجالات ثورة ١٣٦٧ هـ .

(ما وراء سجن نافع)

فشلت الثورة فمرت اليمن المتوكلية بمحنة قاسية استحكمت حلقاتها في أول عام من فشل الثورة ، فرجالات اليمن من قادة ومستنيرين وأحرار وهم صفوة الشعب وحصيلة أربعين عاماً وقعوا في قبضة الإمام أحمد الذي أحنت له رأسها اليمن والتف حوله إخوته سيوف الإسلام وأشركهم في الحكم وزال ما بينهم من خلاف ، وتأكدت الصلة والصداقة بين الأسرتين المتوكلية والسعودية وتضافرت العوامل والظروف على تدعيم الإمام أحمد الذي التزم خطة أبيه في سياسة العزلة ولم يأخذ بخطة أبيه في تذويب الشخصيات تدريجياً بل اتخذ سياسة التقتيل والسجن ، وها هم قد سقطوا بين يديه من كل صوب من الخارج والداخل وفي سجن نافع وغيره قذفهم ، ثم انتقل من حجة إلى القاعدة بلواء تعز ليثبت موقفه بالجنوب ، ومن القاعدة بتعز إنطلق في التخلص من رجال الثورة والشخصيات التي يرى فيها الخطر،يصدر أوامره إلى حجة وصنعاء بإعدام من يراه ، وابتدأت المجزرة بالسيد زيد الموشكي والإمام عبد الله الوزير اللذين أعدما بقاهرة حجة ضربا بالسيف ثم تتابع الإعدام بحورة حجة وبصنعاء يخرج من السجون جماعات جماعات بين صيحات الجماهير وتصفيقهم ، وهتافات أدعياء ثورتنا بالأمس وتحريضهم وكان يوم الجمعة هو موسم الإعدام قل أن يعدم في غيره .

وخيمت على اليمن سحابة استسلام قاتمة جثم ثقلها على صدور الأحرار بالسجون ، لا لما يقاسونه من مرارة السجن والقتل بل تخوفا على الشعب من سوء المصير الذي يقوده إليه أحمد ومهد له اغترار قادة الثورة بمظاهر الإنتصارات البدائية فتركوا الحزم والأخذ بالحيطة والحذر وتركوا صفوفهم مفتوحة لأدعياء الثورة حتى حل بالثورة وقاداتها واليمن ما تعيشه اليمن اليوم من مأساة وما يرتقب لها من مصير أسوأ إن لم تتدرع الجمهورية وقاداتها بالحزم والاصلاح .

إن فشل الثورة وما وقع فيه قاداتها وشبابها من سجن وقتل لم يسلب قادة الثورة إيمانهم بنظريتهم وعدالة قضيتهم وقد أقلقهم ما وقعت فيه اليمن نتيجة التخطيط الناقص للثورة ثم ترك الحزم بعد الثورة وراح المصير القاتم يرقص بأشباحه المخيفة أمام أفكارهم وفي ضمائرهم .

إن تصور هذا المصير أنساهم فشل الثورة والسجن وهوله وأسرهم المحرومة المشردة ، والسيوف المصلتة على رقابهم فراحوا يفكرون فيما يجنب الشعب هذا المصير .

وإنا نلمس هذا الشعور والتخوف والإيمان من هذه القطعة من قصيدة لعبد الله الشماحي وهو بسجن نافع لحجه .

ماذا وراءك أيها الأسوار ... قدر يجن وأمة تنهار

الجهل أشقاها وعن أبوابها ... صرف الحياة ونورها أعصار

فاستسلمت عن طيبة لعداتها ... وهنا النصوح بأمرها يحتار

لا السجن والتقتيل يرهب عزمه ... والشعب فيه للمصير خيار

وأراك يا شعبي الخيار سلبته ... فعلى مصيرك يحكم الجزار

هذا الذي في السجن أقلق خاطري ... وأنا عليك وإن جفوت أغار

فلأعملن مع الرفاق لغاية ... همي أن يحرر شعبي الأحرار

من ها هنا من سجن نافع نبتدي ... فالسجن تهدم سوره الأفكار

ولسوف يعلم أحمد وسيوفه ... أن الشعوب بكفها البتار

ولها وإن طال السرى حكم القضا ... ولكل شيء غاية وقرار

وينقضي عامان على سقوط الثورة وقد قتل من قادات الثورة وأعلامها صبراً عشرون بحجة هم ، عبد الله الوزير ، وعلي الوزير ، ومحمد بن محمد الوزير ، ومحمد بن علي الوزير ، وعبد الله محمد الوزير ، وعبد الله بن حسن أبو راس ، ومحمد بن حسن أبو راس ، وحسن بن صالح الشايف ، ومحسن هارون ، وعزيز يحيي ، والخادم غالب الوجيه ، وزيد المشوكي ، ومحمد المسمري ، وأحمد المطاع ، وحسين الكبسي ، ومحيي الدين العنسي ، وأحمد

الحورش ، وأحمد البراق ، وعبد الوهاب نعمان ، وأحمد ناصر القردعي .

وقتل بصنعاء وتعز علي سنهوب ، وعلي محسن هارون ، ومحمد ريحان ومحمد قايد الحسيني ، وحسين الحسيني وعلي العتمي ، وجمال جميل العراقي وأمير الآلاي محمد سرى الشائع والعنجبه . مر هذان العامان المشؤومان وقد طارت إلى ربها تسعة وعشرون روحاً من أعلام اليمن والإسلام لا يعوض الواحد منهم بالألف رحمهم الله ، ولقد مضى العامان وما من ساعة إلا وكل المسجونين ينتظر كل واحد أنه سيدعى لتضرب عنقه بساحة الشهداء حوره ، ومع ذلك فما ترى واحداً ممن استشهد اكترث بالموت وهو يساق إليه ، لقد كانوا يمضون إلى النطع والسيف في عزة المؤمنين متبسمين وفيهم استبشار ، عزة وإيمان يتمثلان في قول[1] محيي الدين العنبي عندما تقدم إلى الإعدام قائلا .

ومن لم ينله السيف من الأحرار المسجونين فقد استمروا في انتظار الشهادة ليلحقوا بإخوانهم الشهداء ، ولم يكن يجز في قلوبهم إلا أن يتمكن أحمد والجهل من إخماد روح التحرر والثورة فيتناسوا ما هم فيه وما ينتظرهم وراحوا يفكرون في اتخاذ خطة تقدح روح الثورة ، وتبعثها من جديد .

وبعد طول تفكير قرر أولو الرأي أن نبدأ الخطة بخطوتين مزدوجتين بهما يتوقف القتل فيتمكن من بقي من قادة الثورة وشبابها من أداء الرسالة وإحياء الثورة من جديد على ضوء التجارب والعظة من الثورة الأولى وفشلها وهاتان الخطوتان المزدوجتان هما : إثارة الخلاف بين أحمد وإخوته ، وثانيهما توعية من نلمس منه استعداداً من الرسم وجنود السجون وشباب رهائن القبائل الذين نختلط بهم أحيانا .

ولقد نجحنا في اجتذاب مجموعة من الجنود والرهائن ، وكان هؤلاء البررة رسل دعاية إلى خارج السجون ، تغيرت بهم نظرية الكثير من السخط والإحتقار والتفكير إلى العطف والاحترام والتقديس للمسجونين والشهداء والثورة ، وكان

---

(1) كم تغربت في سبيل بلادي وتعرضت للحمام مرارا
وأنا اليوم في سبيل بلادي ابذل الروح راضيا مختارا

رسالة من خالة المؤلف واسمها مريم، وكانت تعبر عن نفسها بمحمد وهي عمة زوجة الإمام أحمد أمة الرحمن بنت عبد الله نصار ، والرسالة موجهة إلى الإمام أحمد تستعطفه على ابن أختها القاضي عبد الله .

لأحمد محبوب النصيب الأوفر في التأثير الفكري والتوجيه الروحي في الجنود والرسم والرهائن .

وعن طريق هؤلاء الرسل من الجنود والرهائن انطلقت أول رصاصة من سجن نافع إلى تضامن الإمام أحمد وأخوته سيوف الإسلام وما تلك الرصاصة إلا إثارة مطامع سيف الإسلام محمد البدر بن الإمام الناصر أحمد في ولاية العهد.

هذه الرسالة هي الرد من الإمام أحمد على الرسالة السابقة .

ولاية العهد

بدأت فكرة ولاية العهد من نافع وقاهرة حجة ، وإلى البدر محمد بن الإمام أحمد نقلت في مظهر خلاب بواسطة السيد محمد بن أحمد الشامي الذي كان بحبس المنصورة أشبه بطليق وبواسطة السيد حمود نائب حجة وغيرهما وقد أثرت عليه الفكرة ، واجتذبته ببريقها الذي جعله يتطلب لها أنصاراً يدعون إليها ، ويؤثرون على أبيه ، فيشار عليه : إن خير من يضطلعون بالدعوة هم في السجون .

ومن هنا ومن أوائل العام الثالث لفشل الثورة أي عام تسعة وستين هجرية بدأت صلة محمد البدر بالقاضي عبد الرحمن الأرياني والأستاذ أحمد نعمان والسيد أحمد بن محمد الشامي وغيرهم من قادة الثورة المسجونين ، وتشبع البدر محمد بفكرة ولاية العهد ، وإن أداة تحقيقها يكمن في السجون ، وسارت بمرحلتها الأولى سرية لم يطلع عليها لا سيف الإسلام حسن ولا إخوته ، واهتم البدر بوقف المجازر في المسجونين ، وراح بطريقته الخاصة المقنعة يثير عواطف أبيه على إخوته ويدأ في نقل بقية المسجونين من نافع إلى قاهرة حجة ووسع لهم في نفقاتهم وفي الدراسة والمطالعة والتأليف فعلق القاضي محمد الأكوع على الجزء الأول والثاني من الأكليل تعليقاً هاماً وشرح القاضي عبد الرحمن الأرياني والقاضي عبد الله عبد الاله ديوان الآنسي الحميني ، وألف القاضي عبد الشماحي نبذة تاريخية أهداها إلى البدرمحمد وشاد به وبمواهبه ، مما ضاعف طموح البدر إلى ولاية العهد ، وتحولت قاهرة حجة إلى جامعة من أساتذتها الأرياني ومحبوب والمروني والشماحي وحسين الحوثي وأحمد الشامي ومحمد الوزير وأحمد الوزير وابراهيم الحضراني وأحمد المعلمي والأستاذان أحمد نعمان وعلي ناصر العنسي ومحمد الأكوع وعبد الله السلال وعلي الغفري وغيرهم تخرج فيها إبراهيم الوزير وزيد الوزير وقاسم الوزير وإبراهيم الوزير ومحمد بن عبد الله الوزير وعلي عبد الله السلال وعبد الله عبد السلام صبره وعبد الله بن عبد الله الشماحي وغيرهم وأحمد جعمان من الرهاين .

وقد كان لوجود الأحرار في حجه وهم خلاصة جيل بأكمله من المفكرين

والأدباء والشعراء وذوي الغيرة أثره على حجه أولا ثم امتد إلى آفاق بعيدة فتناول قمم الشمالي وقبائلها بما كان يحمله الرهائن وزوار حجه والسخبأ من سائر الانحاء لا سيما من الشمال لارتباطها بمركز حجه وهذا التأثير ما زال يعمل عمله في أفكار محصورة من الشباب أمثال محمد المحطوري عبد الوهاب بن حسن الشماحي ويحيى بن حسن نصار وعبد العزيز المقالح ومحمد الشهاري وعبد الوهاب جحاف وعبد الرحمن حميد ومحمد عبد الملك ومحمد الناظري وعبد الله عناش وغيرهم كثير .

وفي هذا الجو راحت فكرة ولاية العهد تنمو ومن حجة وقاهرتها تضرم نارها فتتسع فتلاعب عواطف الإمام أحمد وتداعبها فتستسلمها ، ويبدأ الإمام أحمد في تدعيم مركز ابنه البدر في الخارج والداخل ؛ وينشرح إلى ما يسمعه من الثناء على ابنه البدر ، ويبدأ أحمد في الانقباض عن إخوته ومحاولة إزاحتهم عن طريق ابنه البدر ، وكان قد ارتاح بموت أخيه سيف الحق ابراهيم بحجة مسموما في السجن ثم بموت أخيه سيف الإسلام يحيى ابن الإمام يحيى وقد كان هذا يحيى أخطر إخوته وأشرفهم نفساً لم يشارك إخويه إسماعيل وعباس في جرائمهما التي ارتكباها في أسبوع مأساة صنعاء بل ترفع عن ذلك ودافع عن كثير من الأسر ، مع أنه بطل انقلاب قصر غمدان ، وقد قيل أن أحمد تخلص منه بالسم ومهما يكن فإن أحمد ارتاح بموته ، ثم زج أحمد أخويه إسماعيل وعليا في سجن حجه بيت المؤيد مع الحسن بن علي .

ويبتدىء الاحتكاك بين الإمام أحمد وأخوته بشأن ولاية العهد ، وراح كل من البدر وأعمامه يدعو إلى فكرته ، ويكسب أنصارا ، فاستقدم البدر وهو بالحديدة من حجة السيد أحمد الشامي والقاضي عبد الرحمن الارياني والأستاذ نعمان فيدفعون فكرة ولاية العهد إلى دور العمل ويقف أحمد الشامي يعلن ولاية العهد في قصيدة رايعة يمدح بها أحمد ويشرح بها مواهب البدر ثم يخاطبه بما يتطلب منه الشعب ومستقبله ، ويختتم الخطاب بهذين البيتين .

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده   وفاءً وشكراً بل جزاءً محتما

فـلا نبضت للشعب روح ولا علت　　لـه رايـة حـتى يـكـب جـهـنـمـا

وقد هزت هذه القصيدة الإمام أحمد بتعز سمح معها لدعـوة ولاية العهـد بأن تنطلق إلى إعلانها وطلب البيعة لإبنه البدر من عموم أعيان اليمن وعهـد إلى القاضي عبد الرحمن بتحرير صيغة البيعة مدعمة بالحجة فقام القـاضي عبد الرحمن بذلـك ، وبناء عليهـا أخذ البيعـة للبدر من علماء زبيـد ومن في تعز من العلماء ورجال الدولة ، وقد أسرع الجميع إلى ذلك تزلفاً للإمـام أحمد غـير آبهين إلى ما رمى إليه الأحـرار من الدعـوة إلى هذه البيعـة من بذر بـذرة الخلاف بـين أفراد الأسرة وتمزيق وحدتها .

ويتلقى القاضي عبد الله الشماحي وهو ما يزال بحجة رسالة من البدر مرفقة بتعليمات من الشامي لأخذ البيعة للبدر بولاية العهد في لـواء حجة فـراح الشماحي يدعو إليها ويلهب الجماهير بخطاباته المقنعة ، وفي أثناء هذا الحمـاس المشوب بالمعارضة من بعض الشخصيـات قدم ولي العهـد محمد البـدر إلى حجة من الحديدة يصاحبه أحمد الشامي وأحـمـد نعمان فتقـام الحفلات الكبـرى لمبايعـة البـدر والإشادة بـه ، ويبلغ الحمـاس لـدعـوة ولايـة العهـد درجـة دفعت سيف الاسلام الحسن وإخوته إلى إعلان معارضتهم لولايـة العهد والضغط عـلى الإمام أحـمـد بأن يمنـع الدعـوة إليها وأن يـرجـع الاريـاني ونعمان والشمـاحي والشـامي وغيـرهم من دعاتهـا إلى سجن حجة ، فيأمر الإمـام أحمد بـوقف الدعـوة اليهـا ويظهر أنه غير راض بها ، ولكنه لم يسعد بارجاع المطلقين إلى السجن ، كما ترك ابنه وأعمامه يتصارعون .

ويقدم الملك سعود صنعاء آخر عام ثلاثة وسبعين فيستقبله الإمـام أحمد في صنعاء ويغادر سعود صنعاء ، ويستقـر الإمام أحـمد بصنعاء ويعيـد بها الأضحى ويـستهل عام أربعـة وسبعين وهـو بصنعاء وحـوله القـاضي عبد الـرحمن الإرياني الـذي تمكن من إقناع الإمـام أحمد بـاطلاقي من حجـة فأطلقني مـع الأمر ببقـاء عائلتي بحجة فوصل الشماحي إلى صنعاء في العشر الأواخر من الحجة عام ثلاثة وسبعين وضمه الإمـام إلى حاشيتـه بجانب الاريـاني ، ويقدم ولي العهـد صنعاء

معه أحمد الشامي ومحمد الشامي ومجموعة ممن أطلقوا من السجن ، ويفتح البدر قصره دار البشائر لإقامة أندية علمية وأدبية يشرف عليها البدر ويحضرها كثير من العلماء كالعزي الشرفي والسيدين محمد المنصور وعبد القادر بن عبد الله ومجموعة من الشباب المستنير كالأستاذ عبد الله البردوني وعبد الله حمران وغيره ، وكان حسن العمري مشرفا على الإذاعة فسخرها في تقوية ولاية العهد ولم يمكن الحسن وأتباعه من استغلال الإذاعة ، ويبلغ الصراع بين البدر وعمه الحسن إلى درجة فتح الباب لتدخل القبائل في النزاع ، فقد أصبح كل من البدر والحسن بصنعاء يستميل القبائل إلى فكرته وصفه ، وتحكمت الوحشة بين الإمام أحمد وإخوته حتى اعتقد الإمام أحمد أن إخوته يدبرون اغتياله بصنعاء ففارقها بغتة إلى تعز تاركا ابنه البدر في صراعه مع عمه الحسن وإخوته ، صراعاً دفع الحسن إلى أن يعلن فكرته المعارضة لولاية العهد على صفحة جريدة الإيمان الرسمية ، مما زاد الخلاف والصراع شدة أجبرت الإمام أحمد على إخراج أخيه الحسن من اليمن وتمخض الصراع عن انقلاب المقدم أحمد الثلايا والحاج مرشد السريحي وإعلان عبد الله بن الإمام يحيى إماما .

انقلاب المقدم أحمد الثلايا والحاج مرشد السريحي
وإمامة سيف الإسلام عبد الله

يوم الخميس ١٤ شعبان عام ١٣٧٤ هـ - ٢٥ مارس عام ١٩٥٥

تمهيداً للإنقلاب

إن فكرة ولاية العهد المنطلقة من سجون حجة ها هي قد نضجت وراحت تأتي بثمارها المتوالية ، فالمجزرة البشرية وقفت ، والمسجونون السياسيون يفرج عن الكثير منهم ، وتنشق الأسرة المتوكلية على نفسها ، ويتصل المطلقون السَياسيون بالإمام أحمد وابنه (البدر ولي العهد)، ويجبر الإمام أحمد أخاه سيف الإسلام الحسن على مغادرة اليمن ، والحسن رغم بخله وجموده وقسوته سيما في جباية الأموال هو رجل الأسرة المالكة بعد الإمام أحمد في الإدارة والخبرة والعلم ودراسته النفسية اليمنية والشعب إلى جانب مقامه الروحي الديني المحترم في القبائل ، لأنه لم يظهر على الشعب يوما متلبسا برذائل الشهوات وسقط العادات وسفاسف الفسوق ، وهو في نظر الأحرار دعاة الإصلاح عدو لدود وحجر عثرة ، وقد أملت عليه خبرته ونظرته الملكية العميقة موقفه المتصلب ضد ترشيح البدر لولاية العهد إذ كان مقتنعاً أنها خدعة انطلقت من مساجين حجة ليتخذوا من البدر وسيلة إلى إنهاء حكم الأسرة المتوكلية . لأن البدر في نظر الحسن على حقيقته ساذج لا يعقد عليه أمل في حماية عرش ولا في التفاهم لحماية الملك ، وبرغم نظريته هذه فكم حاول أن يتفاهم مع البدر وأبيه الإمام أحمد ، فيحول

رجال فكرة ولاية العهد الإرياني ورفاقه دون تحقيق هذا التفاهم على قاعدة منطقية لصالح الأسرة المتوكلية ، وتلك القاعدة هي أن يتخلى البدر والإمام عن الإرياني ونعمان ورفاقهما وعن المستنير من الضباط وغيرهم الذين يطلق عليهم الحسن المعطلين والمدامين .

وقد تمسك الحسن بهذه القاعدة اساساً للتفاهم، مما جعل الإمام وابنه يقتنعان بصحة الإشاعة المروج لها الأرياني وصحابة بأن الحسن وإخوته يتآمرون على الإمام والبدر ، وأن من خطط تنفيذ المؤامرة إقصاء أنصار البدر والإمام عن المناصب الحساسة والعسكرية من حول الإمام والبدر ، واحلال أنصار الحسن محلهم ، وبهذا الشرط الذي يطلبه الحسن للتفاهم وتلك الدعاية المضادة له ، توسعت شقة الخلاف فأصبح الإمام في قلق من إخوته لا على مستقبل ابنه البدر بل على حياة الإمام وسلطته ، وهو يعرف الحسن وصرامته وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نظريته بالإستمالة ، وما هناك إلا أن يتخلص منه باخراجه من اليمن ، فكلفه بأن يقوم بجولة في خارج اليمن ، وفعلا فارق الحسن اليمن ، وبفراقه استدنى الإمام أحمد اليه أخاه سيف الإسلام عبد الله وفي تعز أقام عبد الله كرئيس وزراء ومستشار لأخيه الإمام أحمد .

بينما ترك أخاه الجاهل عباس بن الإمام يحيى في أعماله بصنعاء ولوائها والانغماس إلى قمته في شهواته وأبدى على أبناء أخوته عطفا مادياً في حدود تأمين المعيشة المتوسطة .

وبدا الجو كأنه قد هدأ وبدأت على ولي العهد عوارض التنكر لنا وللقضية وأسدل على ولاية العهد والتكلم لها أو عليها ستارة من الصمت ، خلا أن هذا الهدوء لم يتركه دعاة الثورة يستمر ، إذ عمدوا إلى النقطة الحساسة فأثاروا تخوف البدر من عمه عبد الله وبقية الأسرة المتوكلية من أن يتمكنوا بلينهم للإمام وإحاطتهم به من إثناء الإمام عن فكرة ولاية العهد سيما والمذهب الزيدي لا يقر ولاية العهد ، وقد كانت تبدو من الإمام أحمد كلمات تزيد من مخاوف البدر ، كقول الإمام للبدر : قوم لك سلبه ، (وهذا مثل يمني للعاجز الكسول الكل الذي لا يقتدر أن ينفع نفسه دع من سواه) (والسلبة) الحبل من الليف ، كما

أثار دعاة الثورة مخاوف عبد الله ومن اليه على العرش وعلى الأسرة إذا ما تمكن البدر من السيطرة على اليمن بمساعدة أبيه ، وتولى الأحرار المتظاهرين بمناصرة للبدر .

وسارت حركة الإثارة في الاتجاهين تعمل عملها وتؤدي نتائجها .

(الاجتماعات)

لقد نجحت الإثارة وما بقي إلا دراسة الوضع والتخطيط للثورة من جديد فتعددت الاجتماعات بتعز ، وصنعاء ، والحديدة بين دعاة الثورة والناقمين والمحرومين ، ويظهر على المسرح القيادي العسكري المؤمن الطيب النفس المقدم أحمد الثلايا المتشبع بحب الله واليمن ومحط احترام الجيش وضباطه وعارفيه ويظهر بجانبه شخصية عسكرية قوية الملازم الحاج مرشد السريحي ، وحول الثلاثي التقى دعاة الثورة والناقمون فاضرموا عواطف الثلايا على الوضع القائم من احتجاب الإمام أحمد وادمانه المرفين إلى تحكم المفسدين المستغلين المعتمدين على صلتهم بتلك الحفنة التافهة من الغلمان والنساء المحيطة بالإمام ، وكان الثلايا يلتهب غيظا من تردي الوضع . إلا أن مأساة فشل ثورة سبع وستين هجرية وتجاربها التي شرب الثلايا كأس مرارتها ، جعلته يفكر ويتلمس الطرق إلى ثورة وانقلاب يكفل مصلحة اليمن ، وكان يرى أن المصلحة لا تأتي عن طريق القتل وإراقة الدماء .

وقد كان الإمام أحمد يبدو وكأنه من التخدير والمرض اللذين كان يتظاهر بهما في شبه ميت مسلوبّ الارادة ، وتفكير الثلايا هذا تركه لا ينزع إلى ثورة تقتلع من أول يومها حكم الأسرة المتوكلية ، بل ثورة تحجب الإمام أحمد عن مسرح الحكم وتنصب من الأسرة المتوكلية إماما غير مستبد ، وعنده قابلية وتفتح للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ولا أمل في البدر أن يقوم ضد أبيه ، وقد بدأ البدر يتنكر لدعاة الثورة والاستنارة . والحسن متحجر مترمت وعدو للإصلاح والتطور ، ولا بد من انقلاب ونصب إمام سيف الاسلام عبد الله هو الذي يمكن يرشح ، وتشاء المصادفات أن يزداد البدر ابتعادا عن الأحرار وتملصاً من اللقاء معهم وأن تزداد مخاوف عبد الله فيتصل عبد الله بالثلايا من دون أن يعلم

ما لديه من تفكير وحيرة ، فيجتمع بالثلايا ويبدي له تذمره من الوضع فيصادف هذا التذمر هوى في نفس الثلايا إلا أن عقله سيطر على أعصابه فلم يزد على بدائه مشاركته لعبد الله في إنكار الوضع ، مظهراً أن علاجه بيد الإمام ومساعدة ذوي الرأي الذين في طليعتهم عبد الله ،وأن كل ما بيد الثلايا وأمثاله القيام بالواجب العسكري في إجراء ما يأمر به القائد الأعلى الإمام .

ويفترق عبد الله والثلائي ، وكلاهما يستعرض الآخر ويزداد سبحا في التفكير ، وتتجدد الاتصالات مباشرة ، وبواسطة السيد حسين الويسي والأمير الحسن بن علي بن الإمام يحيى وغيرهما من خاصة سيف الإسلام عبد الله تجنبا أن تلفت الاتصالات المباشرة الإمام أحمد .

وقد نجم من هذه الاتصالات تأكد الثقة المتبادلة بين الثلائي وعبد الله فيصارح كلاهما الآخر فيقبل عبد الله خطة الثلائي التي لمحنا إليها ويتعهد بالتزامها وإنهاض اليمن نهضة شاملة . وبإطلاق المسجونين وبالاتصال بالأرياني ورفاقه ذوي الرأي والوطنية ومعرفة رأيهم في الموضوع ودراسته ، فيعرض الثلائي على الأرياني ونعمان خطته فيترددان في امامة عبد الله أولا ثم يوافقان على الخطة وراح الأستاذ نعمان يتصل بعبد الله ، ويشرع الثلائي في تهيئة الظروف للانقلاب فيواصل التردد بين صنعاء وتعز وكذا عبد الله للتعبئة والتمهيد ولم يحسبا لا هما ولا الأرياني للبدر ومن حوله بالحديدة، ولا لمحمد الزبيري وحزبه بمصر.

ولا للحكومة السعودية والجمهورية العربية الحساب الكامل .

فالزبيري لن يعارض في إزالة الإمام أحمد عن السلطة ، وكذا الجمهورية المصرية إنها سيرحبان بتنحية الإمام أحمد ، والسعودية هي أميل إلى عبد الله من البدر وأما البدر فتافه النظر وقد بدأ يتنكر للأحرار وميؤوس أن يقوم بعمل ضد أبيه .

ولم يحسب دعاة الإنقلاب لمكر الإمام أحمد ومراوغته وشخصيته القوية

الحساب اللازم فإن احتجابه وإغراقه في المرفين وتظاهره بالأمـراض المنهكة لعقله وارادتـه، وبدنـه أقنع دعـاة الانقلاب وغيـرهم أن الإمام أحـد أصبح في حكم الميت ولم تبق فيه بقية يتخوف منها ، وأنـه لأدنى ضغط عسكري سيتنـازل لأخيه عبد الله راضياً بأن يعيش محترماً في قصوره مع الحريم سليب التفكير والإرادة المركزتين وبتنازله لعبد الله تنقطع حجة البـدر في ولاية العهد ، وتنقاد القبـائل وقد يقتنع الحسن ولو على مضض ، لأن في قيام عبد الله اقصاء خطر تولي محمد البدر للإمامة وهو في نظر الحسن كما سبق .

وكـان سيف الإسلام عبـد الله قد ضم إليـه أكثر أفـراد الأسـرة المـالكـة وأقنعهم بنظرته واعتمـد في صنعاء على أخيه سيف الإسـلام عباس وعـلى الأمير الحسن بن سيف الإسلام علي وغيرهما ، وعـلى هذا الحسـاب والتقدير والمظاهـر بنى عمـل الانقلاب ، ولم تكن الخـطة قد اكتملت بـوضع قـاعدة بـالحديـدة من رجالها حمود الجايفي وأحمد الشامي الموجودين بـالحديـدة وكان الثلائي في طريق الاتصـال بهما واقتـرح على سيف الإسـلام عبد الله أن يعين عمـلا بـالحـديـدة لمحمـد بن حسين عبـد القادر وعبـد الله الشماحي ليتمكنـا من إرساء القـاعـدة بالحديدة ويتصلا بالجايفي والشامي وغيرهما ومن مهمة هـذه القاعـدة هي القبض على محمد البدر يوم الانقلاب والسيطرة على الحديدة .

كما كان الثلائي يفكر في تبديل الجنـود بقاهـرة تعز ، ودار النصـر بصبر ، إلى غير ذلك ، وقبل أن تستكمل عملية خطة الانقـلاب يتدخـل القدر لتعجيـل الانقلاب إذ حصل احتكاك من بعض الجنود وأهالي حوبان تعز فتكـون حادثـة الحوبان .

(حادثة الحوبان المنحوسة)

كان شيخ الإسلام عبد الرحمن الارياني ، والأستـاذ أحمد نعمـان وغيرهمـا ممن وافق على خطة الثلائي الانقلابية بعد مناقشة وأخذ ورد ، وكانا مع االثلائي يهتمون بإتقان الخطة للانقلاب ، وأن يعجـل بالانقـلاب مخافـة أن يموت الإمـام أحمد الذي كان يبدو وكأنه قد اقترب من المـوت ، وبموتـه سيعود سيف الإسـلام

الحسن ويستولي على الحكم حتما فيطول شقاء اليمن ، ويحجبه الحسن عن النور ، ويجمد منابع الحياة والإصلاح ، ويقضي على دعاتها كالأرياني وكل متحرر لا بالموت فيريحهم ، بل بقبرهم أحياء في السجون ، ولا يصح من البدر شيء ، كما أن عبد الله سيتلاشى في أخيه الحسن . وفي جو هذه المناقشات خرج بعض الجنود النظاميين من معسكرهم (عرضي تعز)[1] إلى الحوبان صباح الأربعاء ١٥ شعبان للاحتطاب والصيد فجرت بينهم وبين بعض أهالي الحوبان منازعة قتل بها أحد الجنود فعاد رفاقه مستصرخين الجيش ، وكانت دعاية دعاة الانقلاب قد ذمرت الجيش ضد الإمام أحمد وجعلت الجيش يكاد يعتقد أن الإمام أحمد لم يعد ذلك الرهيب ، فخرج الجيش من جميع ثكناته ينهب قرى الحوبان ويحرقها ويقتل من وجد ثم يعود إلى ثكناته بتعز بعد مغرب شمس الأربعاء .

ولم يكد الجيش يستقر في ثكناته حتى عادت إلى أفراده المخاوف من الإمام ، فيفكر أكثرية الجيش بالمفارقة بصفة جماعية إلى خارج حدود اليمن وفعلا بدأت سرايا الجيش تحزم أمتعتها ، وتأخذ أسلحتها ، وتحرك بعضها للفرار ، بينما اتصل الإمام أحمد سرا بمشايخ صبر وغيرهم وبالجيش البراني (القبلي) ليسحق الجيش النظامي .

وقد كان هذا الجيش النظامي هو المعول عليه للقيام بالانقلاب بتعز ، وكان ضباطه المهمون معدين لذلك ، ومنهم الملازم الحاج مرشد السريحي فإذا تفرق هذا الجيش أو كان سحقه أو جله فمعناه تجميد الانقلاب واكتشافه ، فلم يبق بد من تعجيل الانقلاب . وراح الثلاثي والحاج مرشد ومن معهما من الضباط ليلة الخميس يرجعون من غادر العرضي وتجميعهم ، ودفع الجيش للقيام بالانقلاب فجر الخميس ٥ شعبان سنة أربع وسبعين قبل أن يسبقهم الإمام أحمد إلى سحق الجيش مهونين أمر الانقلاب ، فالإمام قد أصبح كميت وأنه بمجرد مهاجمته إلى قصره يستسلم ويتنازل لأخيه سيف الإسلام عبد الله

---

(١) أي المعسكر.

الذي يؤيد الجيش ، فاقتنع الجيش بهذه التعليلات التي دفعته هي وتخوفه إلى تفجير الانقلاب فجر الخميس .

(فجر الخميس ١٥ شعبان سنة ١٩٧٤)

صندق الجيش شياما (تهوين) جانب الإمام ، مع الخوف العميق في قلوبهم منه الذي جعلهم يتصورون السحق والتعذيب ، ويفكرون في الخلاص وها هو عبد الله سيكون إماماً . فلا داعي للفرار . ويمشي الجيش فجر الخميس رابع عشر شعبان عام أربعة وسبعين وثلاث مائة وألف وراء الملازم الحاج مرشد السريحي المجحزي (بطل الموقف ، ودثيت الانقلاب) فيحيطون بقصر الإمام أحمد القائم جنوب (المعسكر) عرضي تعز والملاصق له ، ويحتلون من سور القصر مخافر حراسته وأبواب سوره ، ويقبضون على ضباط الحرس وما هناك من سيارات ومعدات ويرسلونها إلى العرضي هاتفين بمطالبة الإمام أحمد بالتنازل عن الإمامة .

ثم استدعى المقدم أحمد الثلائي إلى العرض جميع ذوي الرأي والشخصيات من أعضاء الحكومة الأحمدية المتوكلية ، منهم نعمان والإرياني ، وأمير البيضاء محمد بن عبد الله الشامي ، ومحمد الذاري ، وحمود الوشلي ، وزيد عقبات . وعبد الله الشماحي ويحيى السياغي ، وأحمد زباره ، ويحيى الكبسي ، ويحيى محمد باشا المتوكل ، وأمير جيشي تعز محمد الحوثي ، ومحمد بن علي المجاهد ، وعبد الله عبد الإله الأغبري ، وأحمد بن محمد المهدي ، وقاسم بن ابراهيم ، ومحمد بن حسني عبد القادر ، ومحمد بن قاسم بن الهادي ، ومجموعة كبيرة من الشخصيات ، ويحتدم النقاش فيستدعي الحاضرون سيف الإسلام عبد الله من غرفته بالقصر فيحضر ، ويبدأ الاتصالات مع الإمام أحمد فتظاهر بأنه في حالة مستحضر ولم يجب إلى التنازل .

فيندفع الحاج مرشد ويهاجم القصر وراءه الجيش والذي استمر في إطلاق الرصاص على حجرة الإمام بالقصر نحو خمس دقائق كما ضربت المدفعية شرفات القصر صارخين بتنازل الإمام ومبايعة عبد الله مهددين أنه إذا لم يستجب الإمام

ويبايع عبد الله فسينسفون الإمام مع قصره ويسحقون المجتمعين بالعرض فيذهب أمير الجيش محمد الحوثي وأمير لواء البيضاء محمد الشامي فيوقفان إطلاق النار ويتصلان بالإمام أحمد فإذا هو متناوم وفي مظهر مستحضر فيعرضان عليه تأزم الموقف ومطلب الجيش فيجيبهما في هدوء واستكانة إلى أنه متنازل ويحرر ورقة فيها شيء من المواربة : إذ يقول أنه متنازل لأخيه عن الأعمال وأنه من قبيل انتقال الخاتم من اليمين إلى اليسار ، ويتلقى المجتمعون هذه الورقة بالقبول متجاهلين أنها لم تصرح له بالتنازل عن الإمامة بل عن الأعمال : ويبايع الأعيان عبد الله في الساعة الثانية من صباح الخميس .

(الأستاذ أحمد نعمان)

سار الأستاذ النعمان والزعيم الإرياني مع مقدمات الإنقلاب كما سلف ، ويجيء الإنقلاب مفاجأة قبل استكمال الاستعداد فإذا بالثلاثي ورجال الإنقلاب أمام الأمر الواقع الذي لم يبق معه خيار للإنسحاب ولا مبرر للانفلات عن مؤازرة الإنقلاب مهما تكن النتيجة ، وتجري المبايعة لعبد الله بن الإمام يحيى وتظهر على وجه النعمان وهو يبايع ملامح التخوف عام فإن النعمان قد ذاق بثورة سبعة وستين هجريا مرارة المغامرة التي قذفته في سجن ذمار ثم جرته في الأغلال إلى حجة وسجونها الرهيبة وإلى ما بعد السجون مما هو أشد منها كما جرت اليمن إلى تلك المآسي ، فالأستاذ نعمان هو اليوم غير الثائر المغامر انه الثائر السياسي المجرب الحذر الحريص على رقبته من الأغلال ومن السيف وعلى رجليه من القيد وعلى يديه من المغلقة التي ذاق مرارتها في ثورة سبعة وستين وأصبح يتخيل أشباحها الرهيبة صباح يوم الإنقلاب اليوم فالإمام يوارب في كلمة تنازله ، وعبد الله مدهوش ، والبدر محمد بالحديدة وله خطره ، ولم يكتم مشاعره سيما عن موقف البدر بالحديدة وينعقد اجتماع من الثلايا والإمام عبد الله والنعمان والإرياني ويبدي فيه النعمان موقف البدر وأن إرجاء حل مشكلة البدر ساعة من نهار تكون الخطر ، وفي سرعة من النقاش وافق الثلاثي والإمام عبد الله على إرسال وفد برئاسة النعمان إلى الحديدة لإقناع البدر أو القبض عليه

قبل أن يتمكن من القيام بحركة معاكسة للانقلاب ، فيذهب النعمان على رأس وفد من أعضائه القاضي عبد الله عبد الإله الأغبري والسيد أحمد بن المهدي على طائرة الساعة الرابعة من صباح الخميس ويصل الحديدة ، فإذا به يعجز عن القبض على البدر ويقع في قبضة البدر فيقوي موقف البدر بالنعمان وبالسيد أحمد الشامي وحمود الجايفي ومحمد الرعيني وغيرهم فيضع البدر بالحديدة من يعتمد عليه مع القوة اللازمة ويرسل إلى الملك سعود وفدا من النعمان والشامي فيقيمان الدنيا ويقعدانها وإذا بالجمهورية العربية المتحدة والقاضي محمد الزبيري يوجهان دعاية إذاعية وصحافية ضد الإنقلاب الثلاثي كان لها أثرها في جو الإنقلاب فقد كان الأستاذان الزبيري والعيني والأحرار في الخارج يرون أن الأمير عبد الله بن الإمام يحيى عميل أمريكا وأنه سيحول الإنقلاب إلى أداة تجعل اليمن تحت النفوذ الأمريكي .

أضف إلى ذلك أن الأحرار بالخارج وفي مقدمتهم الزبيري والعيني وإن كانوا على صلة بالثلاثي وأهدافه الثورية إلا أنهم لم يكونوا ولا نحن قد انتهينا إلى قرار نهائي منه تنطلق الخطوة الأخيرة إلى الثورة ونظامها ونظام حكومتها ، فإن حادثة الحوبان كما سبق أرغمت الأحرار في الداخل إلى تلك الخطوة الأخيرة قبل التزود لها عسكريا ونظاماً مما جعلهم يرون الإبقاء على مظهر الإمامة ، فأعلنوا سيف الإسلام عبد الله إماما ديمقراطياً عن طريق تنازل الإمام أحمد له .

وبلا شك ان الأحرار في الخارج فوجئوا بأمرين اثنين بالإنقلاب أولاً قبل أوانه ، وثانياً بابقاء نظام الإمامة وإعلان عبد الله إماما مع الإبقاء على أحمد ، ولكن هذه المفاجأة مهما كانت ما كان لأحرارنا بالخارج أن يندفعوا بها إلى محاربة الإنقلاب بالداخل وإن كانوا قد ذعروا من إمامة عبد الله وبقاء أحمد ، فتخيل إليهم ان الإنقلاب قائم في غابة بين شدقي الهول ، يكتنفه أسد مفترس « هو أحمد » وذئب مخاتل « هو عبد الله » .

ويفسر هذا التخوف أن الزبيري أرسل إلى الثلايا رسالة شرح فيها هذا التخوف وطلب من الثلايا إعدام الإمام أحمد ، والخلاص من سيف الإسلام عبد

الله ليستطيع الإنقلاب السيطرة على الموقف ويلتف جميع الأحرار حول الإنقلاب ، وقد حمل هذه الرسالة الأستاذان محسن العيني ويحيى جغمان إلى الثلايا وجرت بينهما محاورة إنتهت بالتقاء التفكير حول ترسيخ الإنقلاب في مراحل تنتهي بالتخلص من الإمامة وأحمد وعبد الله وعاد العيني وجغمان يحملان جواب الثلايا وأفكاره ليدرسها الزبيري ومن حوله ويوقفوا حملاتهم ضد الانقلاب ولكن الأستاذين العيني وجغمان لم يصلا إلى عدن إلا وقد تغلب الإمام أحمد على الانقلاب وعلى رجاله ، ونال أحرار الخارج والداخل ما كانوا منه يحذرون كما ستراه فيما بعد[1] ، فإن البدر قوى موقفه بعد وصول النعمان[2] إليه فثبت موقفه بالحديدة وصعد إلى حجة يصحبه النعمان والشامي اللذان بلسانيهما كهربا جو القبائل وشحناه بصواعق من نار يرسلانها من شوامخ حجة على الانقلاب ومقره ورجالاته ، ومن حجة هز البدر اليمن ببرقياته ورسائله يستصرخ القبائل والقادة لفك الحصار عن أبيه الإمام أحمد ، ويرسل إلى تعز برقيات التهديد ، وبرقية يعلم أباه سراً بواسطة مدير اللاسلكي بتعز العسولي بموقفه ، فيشتد أحمد ويتصل من حاله في كتمان بضابعه من الجيش البراني بتعز وما حولها وبجبل صبر وغيرها يعلمهم بموقف ابنه البدر وأن يستعدوا لما يتلقونه منه ويحرر منشورا بخطه ظاهره النصح للجماهير بالهدوء ولرجال الإنقلاب بالحكمة في التصرف كان له أثره ، وقد شعر الثلاثي بحراجة الموقف ، وإليها وإلى رجال الانقلاب بتعز نقف ، أما النعمان فقد نجا بنفسه ، وبالبدر التحق وإعارة لسانه وقلمه هو والشامي .

(رجال الانقلاب بتعز)

تم الإنقلاب من دون أن يراق بحجم دم وتنازل الإمام أحمد لأخيه عبد الله وبويع عبد الله إماما، وتكنى بالمتوكل على الله وكان ما سلف ونوقشت مع ذوي الرأي والأعيان اهم المشاكل وغادر نعمان تعز إلى الحديدة في ثقة بأنه سيتغلب بأسلوبه على البدر فيغلق باب الفتنة (وقد أغلقه علينا) وفي ظل هذا الظن والاطمئنان

(١) انظر كلمة العيني في الملحق .
(٢) أنظر في الملحق رسالتي الإمام أحمد .

إنصرف رجال الانقلاب إلى تدعيم حركة الانقلاب وما تطلبه من نظم جديدة ، فأرسلت البرقيات إلى عموم اليمن معلنة إمامة عبد الله المبنية على تنازل الإمام أحمد نظرا إلى ما عليه الإمام أحمد من مرض اقعده عن القيام بأعباء الإمامة وواجباتها نحو الشعب ، وقد قوبل هذا التنازل بارتياح وتأييد ويطير الأمير الحسن بن سيف الإسلام علي من تعز إلى صنعاء يشرح الموقف لعمه سيف الإسلام عباس والمسؤولين والأعيان ويعرض عليهم صورة فوتوغرافية لتنازل الإمام أحمد ويأخذ البيعة لعبد الله .

ويحمل من عبد الله والثلائي توجيهات أولية لتنظيم الأعمال في صنعاء والشمال ومشاورة ذوي الرأي ، ويعود الحسن بن علي آخر نهار الخميس إلى تعز بما لمسه من ترحاب عام ، ويحمل معه رسائل التأييد من أعيان صنعاء وعلمائها . وفي الساعة الثانية من مساء الخميس ليلة الجمعة عقد اجتماع بمقر الثلائي بالعرضي حضره رجال الانقلاب وذوو الرأي .

وكان الحسن بن علي بعد عودته من صنعاء قد زار الإمام أحمد بعد المغرب فلمحه من وراء باب غرفته قبل أن يشعر به فإذا بالإمام يتمشى بساحة غرفته كأصح ما يكون ، ثم برك أحمد بركة الأسد وأخذ القلم يكتب والخداع والشر يتطاير من عينيه النجلاوين الرهيبتين فتأخر الحسن بن علي من باب الغرفة خطوات ثم تحرك حركة تشعر أن هنالك قادماً ، وتقدم في بطء إلى غرفة الإمام ودخل فإذا بالإمام أحمد ملقى على سريره متظاهراً بأنه في حالة مستحضر فاقد الإحساس ولم يزد أن قلب عينيه إلى وجه الحسن الذي فارقه إلى المجلس المنعقد بالعرضي وشرح ما نظره مقترحاً اتخاذ خطة حازمة مع الإمام أحمد ولو بقتله ، وقد أيده الحاج مرشد مفيداً : أنا إذا لم نسبق إلى قتل أحمد فسيقتل رجال الثورة ، وشمر الحاج مرشد لينفذ القتل لأحمد فعورض فأوقف .

واستمروا في دراسة الوضع على ضوء ما حمله الحسن بن علي عن صنعاء . فاطمأنوا على الوضع الداخلي ، بأن أخطر المشاكل قد اختفت أكثرها بتنازل الإمام أحمد من دون أن يراق دم ، ثم إن أكبر الشخصيات المسؤولة يميلون إلى

عبد الله مثل أميري لواءي البيضاء وإب محمد الشامي وأحمد السياغي ، ولم يكن هناك إلا البدر محمد ، وقد ذهب الأستاذ نعمان المرجح أنه سينجح في التغلب على البدر . وفي ظل هذا الاطمئنان والفرض تركز الاهتمام على موقف سيف الإسلام الحسن الموجود بالخارج ، وموقف الملك سعود والجمهورية العربية والجامعة العربية . فشكلت ثلاثة وفود ، ومن مهمة الوفد إلى الحسن إقناعه بمبايعة عبد الله وإيقافه بالخارج حتى تستقر الأوضاع ، وفعلا عين أفراد الوفود وتم إعداد كل ما يلزم لسفرهم بعد صلاة الجمعة .

ويسفر صباح الجمعة ويفرغ من صلاة الجمعة لا عن ذهاب الوفود بل عن موقف البدر وضمه النعمان إليه وسفره إلى حجة وما قام به من تعميم البرقيات يستصرخ القبائل إلى آخره .

وهنا تنقلب الخطط رأساً على عقب ، ويلوح في الأفق الخطر يبرق ، فتوقف الاهتمام بالخارج فتتوقف الوفود ، وتكشر النوائب عن أنياب الإمام أحمد ، فيصدر منشوراً بخطه وزعه ليلة السبت يعلم فيه الجمهور أن ابنه البدر قد صعد إلى حجة وأن القبائل تلتف حوله ، وأن الإمام قلق لهذه المباغتات وأنه قد أمر البدر بأن لا يعرض اليمن للفتنة والحرب الأهلية ، وناشد الإمام الجمهور أن يخلدوا إلى الهدوء والسكون ، وطالب أخاه والثلائي أن يكونا حكيمين في تصرفهما إلى ما هنالك ، مما هز الشعور واستعاد إليه هيبة العملاق أحمد « فها هو بفكره القوي ، وعزمه القوي ، وخطه القوي ، إذن هو غير مريض ، وهو لم يتنازل» هكذا تتجاوب الأوساط والأفكار في أي موضع ظهر فيه هذا المنشور الذي لم يكن في ظاهره أي غمز في الانقلاب ولا رجاله ولكن في باطنه السر والشر الخفيين ، فإنه لم يظهر في مدينة تعز إلا وحرك الأهالي بمظاهرة ضد الانقلاب يقودها الشيخ الغماري الأهنومي ، وحاول المتظاهرون أن يقتحموا مقر الانقلاب بالعرضي ، وفعلا دخل الغماري وأحد ذويه وبعض المتظاهرين إلى مقر القيادة واشتبكوا مع جنود الانقلاب ، فقتل الغماري وأحد رفاقه بعد أن قتلا جنديين وجرحا أحد ضباط الانقلاب الشيخ محسن الصعر ،

وقد ترك المنشور البلبلة الكلامية والفكرية تسود المجتمعات ، ولكل هذه المباغتات عقد رجال الانقلاب جلسة مستعجلة فيها بحث الموقف .

(بحث الموقف على أثر فشل النعمان)

ها هو البدر احتفظ بسلطته بلواء الحديدة ، فأطلق من مستشفى الحديدة حمود الجايفي الذي كان قد نقل إليه من حجة ، وبالجايفي ربط القيادة العسكرية وحفظ الأمن .

والتف حول الجايفي محمد الرعيني ، ومجموعة من الضباط ، وأقام البدر بالحديدة للإدارة المدنية السيد يحيى عبد القادر ، واحتجز كل مشتبه به .

وتغلب على النعمان ورفاقه وضمهم إلى أنصاره وأرسل إلى الملك سعود وفداً مكوناً من الشامي والنعمان فأقاما الدنيا وأقعداها وتركا في مسامع الجزيرة طنينا ، وبعد أن ثبت البدر موقفه بالحديدة فارقها إلى حجه يصحبه أمير لواء الحديدة السيد محمد بن أحمد باشا المتوكل . إذ كان غير مطمئن اليه ، وتلتف حوله القبائل ويصل حجه فيطلق بقية المسجونين السياسيين منهم حسن العمري وعبد الله السلال والقاضي محمد بن علي الأكوع والشيخ علي محسن باشا والسيد عبد القادر وأبو طالب ، ويضمهم إليه فاخلصوا له في المعركة ، ومن حجه يستصرخ القبائل والأعيان والعلماء ، ويتصل بأبيه برقيا فيعلمه بموقفه ، فيشتد الإمام أحمد فيرسل منشوره السياسي السالف الذكر فيحدث تلك البلبلة ، ويدوي صوت القاضي محمد الزبيري من مذياع صوت العرب ضد الانقلاب وسيف الإسلام عبد الله ، فتجمعت السحب المنذرة بالخطر ، فقلبت خطط الانقلاب على رأسها ، دعت قادات الانقلاب لدراسة الموقف من جديد ووضع تخطيط جديد ، فينعقد اجتماع طارىء صباح السبت بمقر القيادة العرضي ، ويشتد فيه النقاش فيرى العسكريون الذي منهم حسين الجناتي والجدري وأحمد الدفعي ومحسن الصعر وفي مقدمتهم الحاج مرشد ، يرون ويصرون على المسارعة إلى قتل الإمام أحمد ثم يفعل الله ما يشاء ، أو على الأقل إخراجه من قصره

الملاصق للعرضي واحتجازه في مقر القيادة بالعرضي ليؤمن من مكايسده ومؤامراته سيما بعد عملية المنشور ، وكان في هذا الرأي الحزم والصواب إلا أنه عورض بشدة من عبد الله والثلايا وغيرهما بحجة أن الحكومة الانقلابية بنيت على تنازل الإمام أحمد ، وفي قتله أو احتجازه إثارة يستغلها البدر ، ورأوا أن يضغط عليه ليعلن تنازله بصراحة لا غموض فيها في محرر يصدره بخطه الذي كتب به المنشور ويحرر رسالة إلى ابنه البدر يوقفه عن أية حركة ، ويلزمه بمساندة عمه عبد الله ومبايعته ، ويستقدمه للمفاوضة إلى تعز أو صنعاء ورسالة ثالثة إلى الجمهور والأعيان بصفة منشور يعلن لهم فيه موجبات تنازله ويطلب منهم الطاعة لأخيه عبد الله ، فإن أبى الإمام أحمد احتجز أو قتل .

ولذلك ذهب إليه وفد منهم القاضي عبد الرحمن الأرياني وأمير جيش تعز السيد محمد الحوثي ومجموعة يتقدمها الإمام المتوكل على الله عبد الله بن الإمام يحيى فيدخلون عليه وقد ظهر في جلد النمر كامل الصحة فيعرضون عليه الموقف وتشكك الناس وحراجة الوضع الذي قد يدفع الجيش إلى إقامة مذبحة فاجعة ، ويتبعون ذلك بعرض مطالبهم فيجيبهم إلى ذلك ، ويفيدهم أنه لم تبق عنده أية رغبة في الإمامة والقيام باعبائها وان كل ما يهمه استقرار اليمن واستقلاله، وان كل مايطلبه ويشترطه هو الإبقاء على كرامته واحترامه ، ويتمنى لأخيه عبد الله النجاح والفوز ويعده أنه سيسانده في كل أعماله لصالح الشعب . وحرر ثلاث وثائق أحدها عن تنازله لعبد الله عن الاعمال والثانية إلى الشعب والجيش والثالثة لابنه البدر .

فيعود الوفد من أحمد وهم مثلوجو الصدور مقتنعون بصدق ما قاله أحمد وأبداه ، ويأمر الإمام المتوكل عبد الله الثلائي برسم آلاف الصور للثلاثة محررات وتوزيعها في أنحاء اليمن بالطائرة وغيرها واذاعتها[1] ويحدث نشرها نوعا من اقتناع الجمهور بتنازل أحمد لأخيه وتسود الطمأنينة والتفاؤل ، وخفيت بل اختفت المراقبة من قبل القيادة الانقلابية على أحمد عملا بالشرط الذي طلبه

(١) أنظر الوثيقتين بالملحق .

عليه أصدر محرراته الثلاثة ، فتمكن أحمد من إبرام مؤامرته بتعز في سرعة كما سنمر بك ، وتبين ان كل ماعمله أحمد وأبداه مع الوفد لم يكن إلا مكيدة خدر بها قادات الانقلاب فقد انصرفوا عن المراقبة على أحمد إلى تدعيم النظام الجديد في الداخل ومواجهة ما يتمخض عنه موقف البدر إن هو أصر على العناد ، فيلزم الإمام المتوكل عبد الله أخاه العباس بنشر محررات أحمد وإرسال صور منها إلى البدر وأخذ إفادته ، وأن يجند من القبائل المحيطة بصنعاء ليحركهم إلى حجة إذا لم يستجب البدر إلى دعوة أبيه كما أن إمامنا المتوكل على الله عبد الله استدعى الأمير لوآ إب القاضي أحمد السياغي فيصل إليه يوم الأحد ويعقد معه جلسة خاصة نحو ثلاث ساعات لم يحضرها حتى الثلاثي ، مما أوجب قلق قادة الانقلاب واتهام إمامهم عبد الله بأنه يدبر مع السياغي خطة ضد العسكريين ورجال الانقلاب مما جعل بعضهم يبرر موقف النعمان ، ويعود السياغي فور انتهاء اجتماعه بالإمام عبد الله من دون أن يقف مع أحد فيترك وراءه قادة الانقلاب في اضطراب فكري اجتمعوا له وبعد مشاورة قرروا الأناة إلى أن يتبين موقف البدر وتنتهي مشكلته ثم لهم الراي مع الإمام عبد الله إذا بدأ ينحرف .

وتغيب شمس الأحد ويأتي مساؤه بسكون ليلة الإثنين وكأن كل شيء هاد كل ما يهزه صوت الزبيري ضد حكومة الإمام عبد الله والاذاعة جنده ضد الانقلاب . وانه لهدوء كان أحمد يعمل طيه ليحوله إلى جحيم ويسفر صباح الاثنين ثامن عشر شعبان خامس يوم من عمر الانقلاب الثلاثي في وكره بعرضي تعز ولم يأت عصر الاثنين إلا وشرع في تنفيذ مخططه فتغلب على المحافظين عليه وأرسل النساء والأطفال من قصره بعرضي تعز إلى قصر صاله ثم شرع في الهجوم على مقر القيادة الانقلابية بالعرضي الذي بدأ على النحو التالي .

معركة عرضي تعز

أبرم أحمد المؤامرة في سرية وسرعة خارقتين أعانه عليها مهارته الحربية وقدرته في المداورة والمواربة . إلى جانب سذاجة رجال الانقلاب وطيبة الثلاثي وحنان الإمام عبد الله على أخيه أحمد من القتل ، فلم يسفر صباح الاثنين إلا

وقد فرغ من خطته ، ففي غفلة رجال الانقلاب اجتذب أحمد معظم المرتب بكل القلاع العسكرية بجبل صبر وصاله والجحملية وتعز واستوثق منهم بأنهم إلى جانبه في أول حركة يقوم بها من قصره بالعرضي الذي كان قد ملأه بالزاد والماء والحطب والذخيرة ، كما استمال بعض مشايخ لواء تعز منهم إبراهيم حاميم وبعض الكتيبة العسكرية المحافظة عليه في قصره بقيادة الضابط إسماعيل الأكوع واتصل بمعظم الجيش البراني (القبلي) وبعض مشايخ الشمال الذين كانوا بتعز ولم يبق بمدينة تعز وما جاورها من المواقع الجبلية وغيرها إلا بعض المراكز العسكرية النظامية وإلا مقر القيادة الانقلابية بعرضي تعز لم تتسرب إلى المرابطين بها خيوط المؤامرة .

ولم يكن مقر القيادة الانقلابية هذا بالموقع العسكري الحربي فهو عبارة عن مقر إدارة وتجمع يستقر به الجيش وينام ويتعلم التمرينات العسكرية الجسمية ، غير حصين ولا صالح للدفاع والإشراف ، تُشرف عليه القلاع من صبر وغيره ويتحكم عليه قصر الإمام اللاصق به ، ولا بئر فيه ولا مستودع واسع للماء ، وبأدنى مضايقة على من فيه يقضى عليهم ، وإلى جانب هذا أنا لم ندخر فيه أية كمية من الماء والزاد ويأتي ظهر الاثنين وجانب المؤامرة الأحمدية بتعز أرجح من موقف الانقلاب ولا يتوقف نجاح المؤامرة إلا على ضرب من المغامرة يحرك بها أحمد لغم المؤامرة لتفجره الفرصة التي ان تأخر اغتنامها فلربما فاتت على أحمد .

ومن الاعتراف بالحقيقة أن أحمد هو من أولئك القلة الذين لا يدعون الفرص الحربية تمر من بين أيديهم بل يأخذونها ولو من بين لهوات الأخطار ولم يكن أحمد رعديداً ولا متردداً عند أن يطلبه النجاح أن يغامر ليموت أو ينجح .

فقد كان معظم الكتيبة المحافظة عليه الخروج متشددين لم يجد عندهم ليناً معه ، ومن المحتم تغلبه عليهم ، فإن مساعدة المرتبطين بأحمد في خارج قصره متوقفة على أن تبدأ من أحمد بحركة وفكه هو الحصار المضروب على قصره ، وإذا هو لم يعجل بحركة فإن المؤامرة ستنكشف ويسحقه في قصره الجيش ، ولذلك ـ وقد مهد أحمد لمبادلته ـ أخذ لأمته وسيفه في يده وتقدم إلى باب قصره ففتح

الباب بسه كان لها دوي أخرج المحافظين من غرفتهم متجهين نحو الباب فإذا بهم مع أحمد وجهاً لوجه وسيفه مصلت بيده فصرخ فيهم ها هو إمامكم بينكم ما تريدون منه ، تريدون أن تقتلوا إمامكم أمير المؤمنين انكم لا تقدرون فإمامكم محروس بالله ، من يريد منكم المبارزة أو منع الإمام من الخروج فليتقدم ، فتأثر المحافظون ووقف كل واحد مكانه كأنه مسمور وتقدم الضابط اسماعيل الأكوع نحو أحمد فهجم عليه أحمد وأخذ بتلابيبه فخارت قوى الأكوع ولم يبد حراكاً فنادى أحمد الجند خذوا هذا العاق إمامه واطرحوا بنادق الإمام فيلقون البنادق ويحتجزون الأكوع فيأمرهم أحمد أن يتركوا الأكوع فقد تاب وعفا عنه ، ثم أخرج أحمد النساء والأطفال من قصر العرضي وأمر الأكوع وبعض العبيد باطلاعهم إلى قصر صالة ، وأمر الجنود الذين كانوا محافظين عليه بعدة أوامر فينفذونها كالآلات وفتحوا عن أمره مستودع النقود ونقلوا منه إلى داخل قصر القدر الذي طلبه ثم أغلق باب المستودع ولم يقفله إلا بحبل ووكل حفظه إلى جنديين من المحافظين محذراً إن فتح ليفعلن ويفعلن ، ثم أذن لأولئك الجنود بأن يأخذوا بنادقهم التي ألقوها بين يديه ووجه ثلة منهم ومن الجنود الذين كان أدخلهم في سرية قصره وجه الجميع إلى إحتجاز السيارات الواقفة بالساحة حول العرضي مقر القيادة وقبض كل سيارة تمر فينفذ الأمر ، بينما شرع من على قصره المشرف على مقر القيادة بضرب المقر والمراكز الإنقلابية المتناثرة هنا وهناك بالبنادق والرشاشات ، وبدأت المعركة التي لم يكن رجال الإنقلاب ينتظرونها . فلم يعدوا لها أية عدة .

وفي بداية المعركة قام أحمد بجولة في مصفحة إلى بعض المراكز الحربية والحكومية كدار الضيافة يطمئن النازلين بها من أجانب وغيرهم ويعود إلى قصره يواصل قذف مقر القيادة الإنقلابية وغيره ، وما أن نظر المتآمرون إلى ذلك وعرفوا جولة أحمد إلا وهب الجمع يتسابقون إلى أحمد .

وأسعدهم من كان الأسبق ، وما هي إلا ساعة من نهار إلا وقد ضرب على مقر القيادة الإنقلابية الحصار وقد اشتعلت المعركة ، وعاد الضابط اسماعيل الأكوع من صالة على السيارة ماراً بباب مقر القيادة فيخرج إليها الحاج مرشد

ورفاق معه بين وابل من رصاص أحمد وتمكن الحاج مرشد من القبض على السيارة بعد أن قتل الضابط الأكوع وعبد الله العبد على السيارة التي اقتادها إلى المقر مع سائقها كامل خادم أحمد الذي أصيب بجراح مات منها .

واشتدت المعركة وطلب الثلايا من مدفعية قاهرة تعز وغيرها الضرب على قصر الإمام بالعرضي فلم ترفض بل ذهبت أولا تضرب على غير الهدف حتى أثناء ليلة الثلاثاء وإذا بالمدفعية تصب قنابلها على مقر قيادة الإنقلاب إلى جانب ماطر من رصاص الرشاشات والبنادق من كل جهة ، حوّل قيادتنا إلى أتون ونحن إلى ليوث تحترق في غابها مما اضطر رجال الإنقلاب والجنود إلى مفارقة الطابق العلوي وانقطع الماء والزاد والنور ، وكانت ليلة من ليالي الهرير أظهرنا فيها من البسالة والمقاومة فوق ما تعبر عنه كلمة البطولة ، وتبين فيها إمامنا المتوكل على الله عبد الله رابط الجأش قويا .

فقد أرسل إليه أحمد إنذارا بخطه : انه سيسحقه ومن معه إذا لم يستسلموا وقد استهل أحمد إنذاره بالأبيات المشهورة مع تبديل بعض الكلمات .

أرى خلل (الجبال) وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
إذا لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فأجاب عليه الإمام المتوكل عبد الله جواباً كله حجة وقوة يذكره بغضبة الجيش وتنازله ووعده وعهده ، وكيف أنه حمى أحمد من الموت الذي يهدده به أحمد ثم قال : وما أنا وأنت إلا كما قيل : أريد حياته ويريد موتي .

ثم ناشده الوفاء بعهده وبما فيه صلاح الشعب الذي يجب أن يكون فوق كل اعتبار ومصلحة ذاتية إلى آخر تلك الرسالة الجوابية .

ولكن تلك الرسالة لم تغن ، فقد كان جواب أحمد أن ضاعف من إمطار المقر بالقذائف المدفعية وغيرها ، ويصبح صباح الثلاثاء والمقر قد تحول إلى أتون من نيران القنابل التي تصب عليه من كل جهة ، واشتد بالمحصورين فيه العطش والجوع .

وبدأ الجيش الانقلابي ينقسم ،، فمنهم وهم الأكثرية من يطالب بالتسليم وطلب الأمان من أحمد ، ومنهم من أصر على القتال وفي مقدمتهم الثلايا والحاج مرشد فقد دعيا إلى أن تضرب مدفعية المقر قصر أحمد حتى تنسف جانبه المتصل بالمقر ثم يقوم الجيش بالهجوم على القصر من جانبه المنسوف بينما يلتف نصف الجيش بقيادة الحاج مرشد على القصر من جوانبه الآخرة ويقتحمون أبوابه وسينضم اليهم فوج (لواء) القناصة المرابط خارج المقر بعدد من المراكز والبيوت ، وهي خطة مغامرة ، الموت فيها هو الراجح ، أما النجاح بعد التضحية فهو بيد الله ، وعلى هذه المغامرة أصر الثلائي والحاج مرشد ومن إنحاز إليهما وحاولا الاتصال بالقناصة .

ولكن أكثرية الجيش المحصور بالمقر كان الهلع قد استولى عليهم فرفضوا الخطة وأثاروا في المقر الشغب فاشتد النزاع وحاولت تلك الأكثرية أن تفتح باب المقر وتخرج منه معلنة استسلامها ، فتدخل الإمام عبد الله والمطري والوشلي وعقبات والشماحي فهدأوا الشغب وطلبوا من الجيش الثبات والمقاومة على أن يكون الاتصال بأحمد لإبرام صلح مشرف يتقدمه عقد هدنة وفي هذه الحالة صادف أن أرسل أحمد إنذاراً واتصل تلفونيا بأخيه عبد الله ، وبعد أخذ ورد وافق أحمد على الهدنة في خلالها يخرج اليه من المقر مندوب .

(الهدنة ومحمد الذاري سامحه الله)

تمت الهدنة في عصر الثلاثاء فتوقف إطلاق النار من الجانبين ، وانتدب السيد محمد بن يحيى الذاري، أحد المحصورين بالمقر ، فخرج الذاري عصر الثلاثاء من المقر على أن يذهب إلى أحمد لعقد صلح يضمن سلامة رجال الانقلاب وحياتهم وكرامتهم والتسليم لأحمد ، وكان أحمد مستعدا إذ ذاك لقبول تلك الشروط إذ كان يعرف أن في المحصورين مجموعة مستميتين لا يستهان بهم من الأشداء يتجاوب معهم لواء القناصة النظامي ولا يقل عددهم عن ستمائة شاب ، فإذا قرر المحصورون المهاجمة له فقد يكون لها أثرها .

ولكن الذاري خرج من المقر منهوك الأعصاب فنسي رجال الانقلاب فلم

يتجه إلى أحمد بل طار من خارج المقر إلى بيته ، وساد الهدوء فغلب علينا نحن والإمام عبد الله النوم .

ولكن الثلائي والحاج مرشدا وعددا قليلا من الضباط لم يناموا ولم يبق لديهم أمل في المقاومة ، فالجيش لم تبق لهما عليه سيطرة ، ولا أمل في السلامة ولا في وفاء أحمد ، فانتظرا مع رفاقهما أول الليل ففتحوا من مطبخ المقر فجوة وخرجوا منها ومن تعز آمين الجنوب المحتل .

وعلى أثرهم خرج الجيش لا ليفروا بل لينضموا إلى أحمد بطريقة تجعله لا يعتقد أنهم من أتباع الثلائي والجيش الإنقلابي .

أما نحن وإمامنا فقد أرخينا أعصابنا المتعبة لنومة عميقة لم يوقظنا منها إلا تفجر قنابل المدفعية ورذاذ البنادق والرشاشات المتجدد اطلاقها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء ، لها استيقظ النائمون مذعورين فيتلمس إمامنا ومن حوله وهم لا يتجاوزون العشرة الحاج مرشد والثلائي وضباط المدفعية والرشاشات فلا نجد إلا أنفسنا وثلاثة جنود أقعدتهم الشيخوخة يحرسون باب المقر ، ومن هؤلاء الثلاثة عرفنا كيف فارق الجيش المقر ، فاستولت علينا الدهشة التي في سرعة تحولت ضربتها المذهلة إلى مهزلة بالحياة تركتنا نقهقه هازلين بالحياة ، وفي هذا الجو المذهل الساخر والمدفعية والرشاشات والبنادق تدك مقرنا بقذائفها وترقص شظاياها بيننا ، اتصل الإمام عبد الله بأخيه أحمد تلفونيا على ضوء شمعه ، يعاتبه على نقض الهدنة التي بموجبها أرسل منا المندوب الذاري لعقد صلح مع أحمد فأجاب أحمد أنه لم يصل الذاري ولا غيره ولذلك فالهدنة تعد ملغاة ولم يبق مجال لصلح ولا مراجعة وما لعبد الله ومن معه لديه إلا أن يستسلموا بلا قيد ولا شرط وإلا فسيأمر الجيوش باقتحام المقر وقتل كل من فيه ، وأعطانا مهلة نصف ساعة للتفكير ثم إعلامه بما نقرره في الساعة التاسعة التي فيها سيتصل بنا تلفونيا ، وأغلق التليفون ، وتوقف إطلاق النار ، وبالطبع قررنا الإستسلام الذي جرنا إليه مع رجال الانقلاب موقف الذاري الذي فوت فرصة الإستسلام المشروطة .

(الاستسلام ، ورجال الانقلاب)

كان الانقلاب قد لفظ أنفاسه ظهر الاثنين . وأبقى إمامه وبعض رجالاته في المقر ، وبعضهم خارج المقر ومن المقر بالساعة العاشرة من ليلة الأربعاء لفظت إمامة المتوكل على الله عبد الله أنفاسها ، فلحقت الإمامة الانقلابية الديمقراطية بإمامة الوزير الدستورية في الرفيق الأعلى .

وبقي رجال الانقلاب في المقر وغيره ، وكان يرجى لهم الحياة وعدم السجن لو تمت المصالحة مع أحمد خلال الهدنة إلا أن خروج الذاري وموقفه كان كارثة على رجال الانقلاب ، فقد خرجت حقيقة الوضع بالمقر من انهيار معنوية الجيش واختلافه ثم فراره ، خرجت تلك الحقيقة بخروج مغوارنا الذاري مما جعلت أحمد يلغي الهدنة ويرفض المصالحة وينذرنا كما سبق ثم يتصل بنا في الساعة التاسعة للإجابة على طلبه ، فيجيبه أخوه المتوكل عبد الله بالإستسلام المطلق وبذلك انتهت الإمامة الإنقلابية الديمقراطية وما بقي إلا رجال الإنقلاب .

(رجال الإنقلاب)

وفي مقدمتهم الزعيم أحمد الثلائي ، قبض عليه وهو في طريق فراره فجر يوم الأربعاء .

٢ ـ سيف الإسلام عبد الله ورفاقه المحصورون بالمقر وهم ١ ـ حمود الوشلي ٢ ـ عبد الله الشماحي . ٣ ـ علي المطري ٤ ـ زيد عقبات ٥ ـ يحيى الكبسي ٦ ـ يحيى محمد باشا المتوكل ٧ ـ علي حجر ، قبض على ثمانيتهم وغلت أيديهم بعمائمهم واعتقلوا في مبنى وزارة الخارجية ، وسرعان ما أطلق البعض .

كما قبض في ليلة الأربعاء على بقية رجال الانقلاب خارج المقر بتعز وإب وصنعاء ، وفي مقدمتهم القاضي عبد الرحمن الارياني ، ولم يفلت من القبض إلا بطل الانقلاب الحاج مرشد ، فقد أعانته عضلاته ، وقدماه الحافيتان وحياته الخشنة وإيمانه بعدالة الانقلاب إيمان العامة ، أعانته هذه الخلال على التسلق

واختراق الصعاب والجبال إلى الجنوب اليمني المحتل ، وما أحوج اليمن إلى مثل هذا الشاب وخلاله ، إلى جانب قيادة حكيمة قديرة مهابة مخلصة ، فإنا واليمن لن تصل إلى أهدافنا وتطلع اليمن الشخصية اليمنية المنتظرة ونتجنب العثرات والمجازر إلا إذا تحققت تلك القيادة الخالصة اليمنية المخلصة لها حماة ومنفذون شباب مخشوشنون متمعددون ، وبيمنهم ودينهم مؤمنون وعلى كرامة واستقلال يمنهم حريصون . فالشباب هم القوة لرسوخ المبادىء ، ونهضة الشعوب ، ولن يكون الشباب قادرين على أداء هذا الواجب إلا إذا استمدوا قوتهم من أنفسهم ومن واقع بلدهم ، فلا يقعوا فريسة للمطامع الأجنبية والأفكار المستوردة المردية ، ولا ألعوبة بيد أدعياء الثورات والوطنية والدين ، فإن هؤلاء الأدعياء هم أعداء الأوطان والأديان والسرطان المؤذي القاتل لقادات الإصلاح والثورات والانتفاضات والانقلابات ، فكما قضوا على ثورة عام سبعة وستين هجريا وساقوا أبطالها إلى بطون السباع ومخالب الطيور فهم هم الذين قبروا الانقلاب في مقره .

وساقوا معظم رجالاته ، إلى (الإعدام)

وفي صباح الأربعاء ٢١ شعبان ابتدأ إعدام رجال الإنقلاب فأعدم بتعز :

١ ـ الزعيم المؤمن طيب النفس المقدم أحمد الثلايا .

٢ ـ الشيخ علي الغولي .

٣ ـ الشيخ علي المطري .

٤ ـ الشيخ محسن الصعر .

٥ ـ الأمير السيد محمد بن حسين عبد القادر ، ولما مثل في ساحة الإعدام قال كلمته المأثورة : اللهم إن أحمد قد أسرف في قتل الأبرار فلا تسلط سيفه على أحد بعدنا .

٦ ـ القاضي يحيى السياغي .

٧ ـ القاضي حمود السياغي .

٨ ـ الضابط أحمد الجدري .

٩ ـ الضابط أحمد الدفعي .

١٠ ـ الضابط أحمد معصار .

١١ ـ الضابط عبد الرحمن باكر .

١٢ ـ الضابط حسين الجناتي .

١٣ ـ الضابط علي السمه .

وأرسل سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى مع أخيه سيف الإسلام العباس من مبنى وزارة الخارجية إلى حجة وكان إعدامهما هناك بقاهرة حجة ، كما أعدم في صنعاء عبد الله الشامي صهر العباس .

(القاضي عبد الرحمن الإرياني ونجاته والسيف مصلت على عنقه)

وأخرج القاضي عبد الرحمن الإرياني من معتقله بتعز وسيق مخفورا مغلولا إلى ساحة الاعدام ميدان عرضي تعز وهناك يجري الإعدام فأوقف الإرياني ينتظر دور إعدامه ولما فرغ السياف من الإطاحة ببعض رؤوس رجالات الانقلاب دعي الارياني والسيف مصلت بيد الجلاد ليلحق رأس الإرياني بمن سبقه في تلك الساحة وتلك اللحظة وبذلك الصارم المصلت الذي يسيل الدم عليه ، وفي رباطة يتقدم القاضي الإرياني إلى النطع وذلك السيف وعلى مشهد من الناس وتحت نظرات أحمد الرهيبة وأن قاضينا شيخ الإسلام بين النطع والسيف إذ بالقدر يتدخل فيأمر الإمام أحمد بتأخير إعدام الإرياني ، وأن يرجع إلى معتقله ، ثم كان إطلاقه .

وقد كان في مقدور الإرياني أن يفر يوم الاثنين إلى عدن إذ كان في بيته بصالة لا رقيب عليه ، ولكنه كما سبق من أولئك القادة القلائل الذين لا يستجيزون أن يقودوا أمتهم حتى إذا فشلوا ووقعت الأمة في محنة ورفاق النضال في كارثة تخلوا عن الأمة وعن الرفاق ونسوا الدعوة وفروا لينعموا بعيدين عن أمتهم ومصير رفاقهم .

ولقد تمسك الإرياني بفكرته في ثورة سبع وستين هجرية وفي انقلاب عام ٧٤ أربع وسبعين هجرياً ، فأنجاه الله كما أنجانا من الغم ليؤدي ونؤدي

الرسالة ، فإن الانقلاب وإن فشل وأفقد اليمن مجموعة من الأبطال فقد ترك آثاره .

(آثار الانقلاب)

يعد الانقلاب امتداداً لثورة سبعة وستين هجرية ومن صنع رجال تلك الثورة وقد كان له آثاره ، فقد بلغت رهبة الإمام أحمد الذروة ، وبلغ سوء ظنه بإخوته وأبنائهم النهاية ، ولم يبق من أعيان إخوته إلا سيف الإسلام الحسن المنفي خارج اليمن .

وزادت ثقته بابنه محمد البدر ، وأعلن ولاية عهده رسمياً ، وكان من ولي العهد أن أخرج من السجون بقية رجال ثورة سبعة وستين هجرية وضمهم ومن كان قد أطلق منهم إليه ، وعليهم وعلى مجموعة من المستنيرين شباباً وضباطاً وعلماء وشخصيات كان جل اعتماد ولي العهد في استعداده لمقاومة عمه الحسن وأتباعه الذين منهم أبناء أعمامه ، ويجنح في سياسته الخارجية عن الكتلة الغربية إلى الحكومة السوفيتية والصين الشعبية ومن يصادقهما من الدول العربية ، وفي مقدمتها الجمهورية المصرية وقد نجم من ذلك وبإيحاء من المتصلين به إقامة ميناء الحديدة ، وشق الطريق من الميناء إلى صنعاء وتسليح اليمن بالطائرات والدبابات وسائر الأسلحة المقدمة من الاتحاد السوفيتي ، وتدريب مجموعة من الشباب على تلك الأسلحة إلى غير ذلك مما لولاه لما نجحت ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ .

وعلى أثر فشل الانقلاب واستشهاد من قتل من رجاله ، كان من أحمد حل لواء القناصة وتمزيق شبابه ثم خلد الإمام أحمد إلى الراحة وأسرف في تناول المورفين حتى كاد يسلبه فتوته وحياته ، فقرر ذهابه إلى الخارج للمعالجة .

(سفر الإمام إلى روما)

اطمأن الإمام أحمد إلى استقرار الوضع باليمن وأراد أن يختبر ابنه ولي العهد ويمرنه على حكم اليمن ، ويتخلص هو من مرضه فقرر أن يسافر للعلاج

إلى روما فاستناب عنه ابنه ولي العهد وجعل بجانبه أمير لواء إب القاضي أحمد السياغي ثم سافر ومعه مجموعة من ذويه وخدمه وحاشيته إلى شخصيات يرى فيها خطراً ومنهم القاضي عبد الرحمن الإرياني الذي كان الإمام يحترمه ويقدر آراءه ويتوسم فيه خطورة ، وكان غياب الإمام أحمد فرصة تزاحم في اغتنامها المستنيرون الملتفون حول ولي العهد مع أتباع سيف الإسلام الحسن وذوي المصالح والميول الغربي .

وقد تمكن الملتفون حول ولي العهد من إصلاحات جزئية وإدخال شخصيات جديدة في أجهزة الحكومة وإقناع ولي العهد بإنشاء جيش قوي مزود بأنظمة وأسلحة عصرية ، وعمليا بدأت أول خطوة بتعليم مجموعة من الشباب وتشكيل لواء عرف بفوج البدر عهد تشكيله إلى السلال الذي أدخل فيه مجموعة من أفراد القناصة الذين طردهم الإمام أحمد ، إلى ما هناك من خطوات هادية إصلاحية كان مقرر لها أن تتوسع لو طال غياب الإمام واستقرت الأوضاع في غيابه ، واستقدم عدداً كبيراً من الضباط من جمهورية مصر العربية لتدريب الجيش .

ولكن ذوو المصالح وأتباع الحسن لم يدعوا الأوضاع تستقر فهو خطر على مصالحهم المهدد لها ولي العهد واتجاهاته ، وفي الاستقرار قوته ومزيد ثقة والده به وإذا اضطربت الأوضاع زالت ثقة الإمام بإبنه وتحول بثقته إليهم وقد وجدوا في غياب الإمام الفرصة فما كاد يستقر بروما إلا وقد تمكن هؤلاء من إثارة الإضطراب يساعدهم أحمد السياغي وأمثاله من ذوي الميول الحسنية ، فإذا بالجيش النظامي يتمرد بتعز وبصنعاء ويثير الرعب والذعر ، ويهدأ التمرد لا عن طريق القوة القيادية ، بل عن طريق المداراة التي خلفت وراءها استمرار الذعر وضعف الأمن ومهابة الحكومة ، وغليان الجيش ، ونشاط هؤلاء الأتباع في بث الأراجيف التي بلغت في بعض الليالي إلى اعتقاد ولي العهد بأن الجيش سيهاجمه في قصره مما دفعه إلى أن يستنجد بالقبائل .

(الجيوش القبلية تدخل صنعاء)

استجابت القبائل لنداء ولي العهد في سرعة فدخل منهم إلى صنعاء بأيام

قلائل أكثر من خمسين ألفا ، فازداد الموقف تعقداً ، فقد انطلق الناقمون وأتباع الحسن وذوو المصالح والميول الغربية وأشخاص معلومون في مضاعفة تعقيد الموقف بإثارة الأحقاد بين الجيش وبين القبائل وبث الأراجيف ، ثم تسجيل الموقف بأشرطة تسجيل للرهج والاحتفالات والخطب الحماسية المطالبة بالإصلاح ونحوها ، وإرسال تلك الأشرطة المرفقة برسائل مهولة للموقف إلى الإمام بروما محملين التبعية الملتفين حول ولي العهد سيما أولئك الذين أطلقوا من سجون حجة وتعز أمثال حميد بن حسين الأحمر وسنان أبو لحوم مفيدين أن هؤلاء يحاولون دفع ولي العهد إلى إقامة حكومة جديدة متحررة وخلع الإمام أحمد إلى ما هناك من إثارة للإمام زادها المحيطون بالإمام من الحسنيين تهويلات أغضبت الإمام أحمد وجعلته يكتب لإبنه مهدداً له ويعلن أنه سيعود ويضرب أعناق هؤلاء المفسدين ، وأن أول من يضرب عنقه إبنه محمد البدر ، وكان الإمام قد تحسنت صحته وقرب من استكمال المعالجة ، ولم تدعه الأحداث أن يتم المعالجة فعاد إلى اليمن وعند نبأ عودته وقبل وصوله الحديدة إندفعنا نحن وأولئك الذين أثاروا الإضطراب نرقص ، نحن خوفا ، وهم فرحا .

(الحديدة)

وللتخلص من الخطر القادم مع الإمام أقنعنا ولي العهد باستقبال والده إلى الحديدة وإظهار البهجة بمقدمه وإقامة المهرجانات الابتهاجية نتمكن فيها بالخطابات والشعر على استرضائه وتبديد تصوراته المظلمة نحو إبنه ونحونا فاستجاب ولي العهد ، ومن الحديدة ذهب على زورق لمقابلة أبيه في الباخرة وسرعان ما أثر على والده بأسلوبه القصصي الساحر ، الذي كان يجيده ، وبروح البنوة السلالية ، فلم يصل الإمام الحديدة إلا وقد تغيرت نظرته الجافة في إبنه ، وخف غضبه بالنسبة إلينا ما عدا السلال والجايفي فكان حنقه عليهما شديدا وكانت الحديدة قد لبست حلل الزينة وامتلأت بالجماهير المستقبلة سيدها الإمام ولم يصل إلى قصر البوني إلا بمشقة لازدحام المستقبلين المرحبة الفرحة بعودته وفي قصر البوني ومن على شرفات سوره أشرف على المحتشدين ، وألقى خطبته النارية ، التي رعد فيها وأبرق وتهدد بأنه سيهشم بمعوله أنوفا متغطرسة

فاسدة ، ويشدخ بصرامة رؤوساً هدامة مخربة ، ثم استشهد بقول المتنبي مع تبديل بعض الكلمات ماسخا للمعاني الجعفية .

(سأحرس شعبي) بالقنا و (فوارس) كأنهم من طول ما التثموا مرد
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده وضرب كأن النار من حره برد

ثم أرسل حبل النقد للمطالبين بالتطور وصب عليهم جام السخرية اللاذعة وتعرض غير مصرح لشخصيات بأنها تريد الرياسة والسلطة عن طريق الاضطرابات والتظاهر بالإصلاح والوطنية ، إلى غير ذلك ثم انه قال ليس عنده لهؤلاء وغيرهم إلا السيف (وسل سيفه من غمده) ثم شهره أمام الجماهير المحتشدة قائلا ان صارمي ليلتهبُ عطشاً إلى دماء رقاب هؤلاء الذين توسوس لهم أنفسهم نيل الحكم وانتزاعه من أهله ثم قال : وإن من بقي في عروقه نبض وفي نفسه وسوسة ، فليظهر (فهذا الفرس وهذا الميدان) ومن كذب جرب .

وكان لخطبته دوياً فما كادت تسمعها الجيوش القبلية عن طريق الإذاعة إلا وفرت من صنعاء عن بكرة أبيها خوفاً وهلعاً . كأنما تلك الخطبة نفخ الصور ، أما نحن فقد اتخذنا من الخطبة الوتر الذي يجب أن نوقع عليه لدفع الخطر عنا فقد أقيمت حفلات أصغى فيها إلى كلماتنا المرحبة بمقدمه والخالعة عليه حلل الثناء والشارحة مواقف ابنه الحكيمة الحازمة التي مكنته من مقاومة الاضطرابات والمؤامرات التي أثارها أعداء أمير المؤمنين وولي عهده الذي حفظ الأمانة التي حمّله إياها حتى سلمها إليه كما استلمها رغم المشاكل التي أثارها أولئك الحاقدون إلى ما هنالك من المواضيع الحساسة التي استلت غضب الإمام وحولت تخوفنا إلى أولئك الذين رقصوا فرحاً بمقدمه ، فقد توجهت أصابع التهمة بالاضطراب إليهم ، ومنهم أحمد السياغي .

وقد هدأت الأوضاع ، واستقر الإمام بالسخنه ولم تبق هنالك جذوة إلا في حاشد وبكيل تركت بعض قاداتها كأنهم على جمر الغضاء نجمت منها حركتا حاشد وبكيل ، وكان لسنان بن عبد الله أبو لحوم في إشعالها نصيب كبير فأثار الأحاسيس هنا وهنا ، كما اتصل بالقاضي عبد الله الحجرى وأقنعه بتقديم مائة

ألف ريال وخمسين ألف ريال من خزانة المواصلات لتدعيم الحركة ، كما أنه أثر على أحمد السياغي بأن يعدل عن موالاة آل حميد الدين إلى موالاة الشعب اليمني وقد استماله عن طريق تخويفه من الإمام ففر السياغي بمساعده سنان إلى بيحان . وبذلك خسر الإمام أقوى دعائم حكم آل حميد الدين ، مما شجع على قيام حركتي حاشد وبكيل .

(حركتا حاشد وبكيل ، ومحاولة اغتيال الإمام)

على أثر إعلان الإمام أحمد تحديه في خطبته بالحديدة ، لم يتحمل ذوو الإحساس والإباء هذا التحدي ، وأن تذل أمة بأسرها فيفر خمسون ألف مسلح من صنعاء بمجرد سماع صوت أحمد من الإذاعة ، انه إذلال وتسلط باطن الأرض خير من تحمله على ظاهرها .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

ولمحاولة غسل هذا الإذلال والموت دون تحمله عقد مؤتمر سري بصنعاء من اعضائه القاضي عبد السلام صبرة . والقاضي عبد الله محمد الأرياني والشيخ حميد بن حسين الأحمر ، وعبد اللطيف بن قايد ، وسنان أبو لحوم ، وعبد الله الضبي ، وعبد الله السلال ، ومحمود الجايفي ، وصالح الرجبي ، قرر فيه المجتمعون وجوب التخلص من الإمام أحمد ، ووضعت لذلك عمليتان مزدوجتان ، هما ـ اغتيال الإمام أحمد بالسخنة ـ وقيام ثورة تبتدىء بحركة تمرد حاشد وبكيل ، يمهد لها بالتفاهم بين رجالات حاشد وبكيل لجمع صفوفهم في وحدة تكفل بالنجاح ، ويندمج فيها الموثوق بهم من الشخصيات المدنية والمثقفة والعلماء ، وقادات الجيش النظامي ، وبعد التفاهم تعلن حاشد وبكيل تمردها على الحكومة بطرد موظفي الحكومة واحتلال المراكز الحكومية بخمر وحوث وريده وذيبين وبرط والجوف ومأرب وصرواح وجحانه وغيرها ، وتعينت في هذا الاجتماع بصنعاء الشخصيات المسندة إليها الأعمال في الجهات .

فكلف الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والنقيب علي أبو لحوم ومحمد أبو

لحوم والنقيب عبد الولي القيري وعلي ناصر طريق والشيخ جار الله القردعي والأستاذ سعيد أبليس الحجري لاغتيال الإمام أحمد ، وكلف النقيب سنان أبو لحوم والشيخ أحمد الزايدي وغيرهما بالعمل في خولان من صرواح ، والنقيب حمود بن محمد بن ناجي أبو راس والشيخ عبد الله دارس والشيخ زيد معقل ، وغيرهم ببرط ، والنقيب علي بن ناجي الشايف وغيره بالجوف ، والشيخ حسين بن ناصر الأحمر وابنه حميد في حاشد على أن يقوما بتجميع رجالات حاشد عذرى وعصيمي وخارفي وصريمي إلى خمر ، ومن هناك توجه رسائل إلى جميع القبل والجيش والعلماء يشرح فيها الوضع المتردي ويطالب بجمع الكلمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تكون كلمة الله ومصالح الشعب وكراماته فوق تسلط الإمام وتحكمه ، وقد صيغت هذه الرسائل بصنعاء وحررت منها نسخ كثيرة ، وفي صنعاء قام عبد السلام وعبد الله الأرياني وغيرهما بالاتصالات مع قادات الجيش وغيرهم ، ويجمع التبرعات وقد قام كل بالعمل الذي كلف به ، وابتدأت الحركة عام ثمانية وسبعين هجرياً ، فعقد حسين بن ناصر الأحمر وابنه حميد مؤتمراً بحاشد وأرسلت من المؤتمر الرسائل إلى كل القبل وصنعاء والجيش وغيرهم ، وبالطبع إن الإمام عرف التحركات بحاشد وبكيل ، ولما كان دارساً لأحوال اليمن وقبائلها عارفا أمرها واتجاهاتها تظاهر بالهدوء وبدأ يستعد ، ووجه جل اهتمامه إلى حاشد لإثارة الأشخاص والأسر التي يعرف منافستها للشيخ حسين الأحمر ، ولاستمالة غيرها بالمال وغيره ، كما استخدم بعض الشخصيات الحاشدية وغيرها في تخذير حسين الأحمر عن مواصلة استعداده وعن تعجيل حركته ، وترغيبه في نيل مطالبه ومطالب حاشد وبكيل واليمن بطريق التفاهم مع الإمام وابنه ولي العهد وقد نجح أحمد في ذلك .

وأبرق إلى ابنه ولي العهد بأن يقبض في صنعاء على سنان أبو لحوم ورفاقه فأعلمنا سنان بما يبيت له فخرج مع رفاقه إلى خولان واتصل بقبيلة جهم التي قامت بقيادة الشيخ أحمد الزايدي وتوجيه النقيب سنان عام ثمانية وسبعين باحتلال صرواح وطرد موظفي الحكومة ثم دعوة خولان إلى ثورة شاملة ، فأمر الإمام محافظ لواء البيضاء القاضي محمد الشامي بإخماد التمرد ، وجرت معارك

انتهت بتغلب الشامي وفرار سنان والزايدي والقيري وغيرهم .

وكان عبد السلام صبره قد وثق الصلات بين الشيخ حسين الأحمر وبين الموثوق بهم من قادات الجيش النظامي بأنه عند أن تثبت حاشد وجودها في أرضها فإن الجيش يؤدي واجبه ، وإذا أرسل إلى حاشد فإنه بادنى مقاومة من حاشد سينضم إلى حاشد وبقية القبائل في الزحف على صنعاء ، وتنشط مجموعة من الضباط في التأثير على الجيش ويمثل هذه المجموعة من الضباط عبد الله جزيلان الذي كان يعقد اجتماعات ببيت الملازم عبد الله الجرموزي ويتصل بعبد السلام والسلال وتأتي سنة تسعة وسبعين وقد فرغ الإمام أحمد من تفتيت الجبهة الحاشدية من داخلها كما سبق ، وفرغ من استعداده للزحف على حاشد ثم برط والجوف ونهم وخولان ذلك الزحف الذي قد مهد له بشق الوحدة الحاشدية .

فقد جمع جيوشاً جرارة من عذر والعصيمات والشرفين وحجور وشحه وقاره والأهنوم وسفيان والحماريين وغيرهم حشدها أمير لواء حجة السيد عبد الملك ، وتولى قيادتها عامل حوث السيد محمد ساري الذي زحف بها على معاقل آل الأحمر بالخمري وغيره وعلى خمر وبني صريم وخارف ، كما خرج من صنعاء الجيش الدفاعي بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش النظامي بقيادة الشريف محمد الضميم ، وتوجه الجيشان مع من انضم إليهما من الجيوش القبلية إلى ريدة .

وقد وقف الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد في وجه هذا الطوفان وقفة صادقة فاحتلا بعض المراكز الحكومية بخمر وغيرها وتقدما نحو ريدة وجرت معركة خاضاها في بسالة ، وانهما في قلب المعركة إذ بعملاء الإمام ينسحبون من المعركة ومنهم من انقلب على الأحمر .

ولم يبق بجانب الأحمر إلا نفر قليل لا يغنون فتيلا فعرض على الأحمر الأمان على أن يذهب إلى الإمام بالسخنة فاستجاب وإلى السخنة ذهب فاعتقل بها ، أما إبنه حميد فعن مخطط سابق ذهب مع بعض رجالات من ذو حسين إلى

الجوف ونزل مدينة الحزم وهناك اجتمع مع النقيب علي بن ناجي الشايف ، وكان عبد القادر أبو طالب قد وصل مع الجيش إلى الجوف فجرت بينه وبين الأحمر والشايف معركة جرح بها الشايف وتفرق عنهما أصحابهما ونفذ ما عندهما من مال وذخيرة ، فقبض على الشايف وانسحب حميد إلى الزاهر مدينة الأشراف ونزل دار الشريف علي الضميم وهناك قبض عليه ، وأرسل هو والشايف إلى السخنة ومن السخنة أرسل الثلاثة الشايف وحميد وأباه حسين إلى سجن حجة وأرسل بعدهم إلى حجة النقيب عبد اللطيف بن قايد بن راجح وهناك أعدم حسين الأحمر وإبنه حميد والنقيب عبد اللطيف رحمهم الله ، واستمر النقيب علي الشايف في السجن .

وفي عام تسعة وسبعين خلال الحركة الحاشدية حاول الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ورفاقه إغتيال الإمام بالسخنة وانتدب لذلك الأستاذ سعيد ولما كاد ينفذ العملية قبض عليه وهو يحمل القنابل وعذب ليبين بمن هو متصل ومتآمر فلم يبح بأية معلومات فأعدم كما اعتقل الشيخ عبد الله الأحمر ثم أرسل إلى سجن المحابشة بالشرف .

وبفشل حركة الشيخ حسين الأحمر واستسلام حاشد ذهبت أعظم عقبة عن طريق مخطط الإمام الإخضاعي .

فتقدم محمد ساري بجيوشه الجرارة يجوس خلال الديار الحاشدية فيفرض عليهم ضيافته وضيافة الجيش أياماً معلومة يترك بها الجيش في كل البيوت يأكلون ويقيلون وينامون وهذه الضيافة الإجبارية هي المعبر عنها (بالخطاط) وفي خلال هذه الضيافة قبض ساري على أبناء الأعيان من كل قرية وأرسلهم إلى صنعاء ليبقوا بها ، رمزاً للخضوع ويعبر عنه (برهائن الطاعة) وقد أخرب ساري عدداً من دور أهالي حاشد كما أخرب دور الشيخ حسين الأحمر بالخمري وانتهب كل ما بها من مال وذخيرة .

وكما عمل ساري بحاشد عمل أبو طالب والضميم عن أمر الإمام في برط ونهم والجوف وأخربت ببرط ونهم بيوت وقبض على عدد من الشخصيات من

حاشد وغيرها منهم الشيخ عبد الله دراس والنقيب زيد مهفل والنقيب حمود أبو راس والشيخ مجاهد أبو شوارب واعتقلوا بصنعاء وغيرها .

ولم تلق هذه الجيوش الإمامية أية مقاومة بعد مقاومة الأحمر والشايف إلا في خولان فقد أوقفت جهم وغيرها جيشي أبو طالب والضميم مما أقلق الإمام وأبرق إلى القاضي محمد الشامي بأن يحل الموقف بما يراه وحول له بماية بندق جرمل وماية ألف ريالي ، وقبل أن يقبض النقد والسلاح تغلب جيشا الإمام على خولان ودخل أبو طالب والضميم خولان يطبقان قانون (الخطاط) وباخضاع حاشد وبكيل ، خبت الجذوة لا بالماء فتطفى بل اختفت تحت رماد من التفرق ومن الأغلاط ومن الأوهام إذا هبت ريح من التذمر طار ذلك الركام وأشعلت ريح التذمر الجذوة نارا تحرق ما حولها ما تلبث أن تختفي تحت رمال الأغلاط لتضطرم من جديد وهكذا إلى أن تأتي القيادة اليمنية القديرة الحكيمة فتحول بكفاءتها تلك الجذوة إلى شعلة من نور تملأ الدنيا بأضوائها وتعيد إلى السعيدة سعادتها وكرامتها وحضارتها ، وتمكن اليمن من اداء رسالتها الإنسانية .

وإلى هذه الحياة المعبأة بالأنوار تسير الأحداث باليمن ، فإن الجذوة لن تنطفىء ولو صب عليها الطغاة والمستغلون المحيطات ثلجاً ، فكم طاغية ورجالا ومستغلا ودعياً حاول إخماد الجذوة اليمنية فلم ينجح .

فالطاقة الكامنة في تلك الجذوة هي من نور الله الذي أودعه في أعماق النفسية اليمنية المتجلية مظاهرها في حركات جماعية استعرضنا مجموعة منها فيما كتبناه ، وقد تتجلى تلك المظاهر في حركات فردية فإن النكسات المتتابعة التي أصيبت الحركات الجماعية بها هي التي دفعت الثلاثة الأبطال الهمدانيين العلفي واللقيه والهندوانه إلى ما قاموا به من عملية أنهت حياة الإمام أحمد .

(العلفي واللقيه والهندوانه)

لم تكن لهؤلاء الثلاثة البواسل صلة تخطيطية بأية جماعة أو أفراد في اغتيال الإمام أحمد وإن ادعى تلك الصلة الكثير سيما بعد موت الإمام أحمد وثورة

سادس وعشرين سبتمبر عام ١٩٦٢ م ، إنّا ومن يعرف محمد العلفي وعبد الله اللقيه يحكم أن هذين الشابين كانا أمة وحدهما ، وقد كان اللقيه أولهما تفكيراً في الوضع والأحداث من ثورات وانقلابات ونكسات ، وإنها لا تأتي إلا بانهيار اليمن وبارتفاع الإمام أحمد وأمثاله ، وكان اللقيه يرى أن أهم الأسباب لهذه النتيجة تكمن في تلك التجمعات التي غالب ما يكونها الحرمان الشخصي فيحاول المتجمعون أو الداعون إليه أن يحلوا محل المحرمين لهم ، في الحكم ، ومن هنا تتخذ القرارات والخطط لا عن وحي الشعب ومطالبه الواقعية ، فيكون مصير القرارات وما فجرته من ثورات حتما الفشل إذا واجهها رجل قوي كأحمد ، كان اللقية مؤمنا بنظريته هذه ومؤمناً بأن أحمد هو مصدر شقاء اليمن ، والسد الذي إذا انهار انطلقت اليمن إلى عهد جديد ولو بعد فوضى واضطراب ، ولقد عرفت هذا التفكير من حديث مع عبد الله اللقيه وقد كان هذا الشاب قوي الإيمان بالله مستقيما كأنه من أصحاب طالب الحق الكندي كما كان مخلصا لليمن في إيمان مجرد عن أي مصالح شخصية وقد أزعجته النهاية التي وقعت فيها اليمن بعد التضحيات الجسام ، وقد دفعته عقيدته وفكرته في التجمعات : أن يجعل من نفسه الرجل المخلص لليمن من الإمام أحمد ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

ولقد دفعه إيمانه بالله أن يستخير الله فيما يهم به ولما ذهب لأداء فريضة الحج أكثر من الدعاء والاستخارة ، وخرج مقتنعاً بأحقية ما يفكر فيه ، وكأنه وقد اقتنع رأى عملية قتل الإمام عملية هامة قد لا يطيق عليها منفرداً ، فظفر بعد بحث بمحمد العلفي ووجد فيه خير رفيق ، وثاني اثنين ، ثم ضما إليهما الهندوانة .

فقام الثلاثة بمراقبة الإمام فرأوا في تردده بعد غروب الشمس إلى المستشفى بالحديدة أحسن فرصة وكمنوا له حتى إذا دخل المستشفى مع خاصته أمر العلفي بصفته مدير المستشفى باغلاق باب المستشفى ثم اطفاء نور الممر وفي الممر وثب الثلاثة على الإمام يصبون على جسمه رصاص مسدساتهم فتفرق عنه بطانته الرعاديد وسقط الإمام بين يدي الثلاثة مضرجاً بدمائه المنبعثة من

الجراحات المتعددة سقط متماوتا حتى أيقن الثلاثة بعد تقليبهم له أنه قد مات ، وقد تمكن أحمد في هذه المفاجأة المذهلة أن يضبط أعصابه فيخدع الثلاثة أنه جثة هامدة ، فيذهبون عنه مقتنعين بموته مسرورين بنجاحهم وسرعان ما حمل الإمام وهرع الأطباء إليه لعلاجه وإخراج الرصاص من جسده .

وكم كانت دهشة أولئك الثلاثة لبقاء الإمام على قيد الحياة ، مما حمل العلفي على الإنتحار أما رفيقاه فقبض عليهما وبعد تعذيب ومحاكمة أعدما .

إلا أن الإمام أحمد لم يفلت من آثار تلك الجراحات ، إنها قد جرحت كبرياءه وجعلته سجين قصره ، قرين الأنين من آلامها ، رهين الفراش قرابة عامين ثم انتهت بموته في تاريخ واحد وعشرين ربيع الثاني عام اثنين وثمانين وثلاثماية وألف هجريا الموافق عشرين سبتمبر عام اثنين وستين وتسعماية وألف ميلاديا ، وبموت الإمام أحمد إنهار السد كما قاله اللقيه ، فقد خلفه ابنه محمد البدر وتكنى بالمنصور بالله ، ولم تمض على إمامته إلا ستة أيام حتى طوحت به ثورة ١٦ سبتمبر ١٩٦٢ ميلاديا الموافق ٢٧ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ هجريا ، وبهذا انتهت دولة آل حميد الدين بالمنصور بالله محمد كما ابتدأت بالمنصور بالله محمد ، فلنلق نظرة (خاطفة متنزعة مما أسلفناه) على أحمد ودولة آل حميد الدين والإمامتين الدستورية والإنقلابية .

(الإمام أحمد)

إن الإمام أحمد كما سبق من أولئك القادة القلائل الذين تلتقي في مقوماتهم وحولهم المتناقضات فملامحه تكاد تتحدث عن ذلك اللقاء وعن شخصيته القوية وما يمتاز به من أريحية وشجاعة وسرعة حركة وبادرة وفتك وإثرة في السلطة والحكم ، وذكاء يلمح الفرص فلا يدعها ينبت ريشها حتى يخطفها بمغامرة القائد العسكري الواثق بقدرته على اقتناص العظائم .

وقد جاءت الأحداث فصقلت مواهب الخير والشر في هذا الرجل فإنه من عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف تاريخ احتلاله حجة وطرد شيبان منها وهو في

صراع مع الأحداث والأخطار لا هوادة فيه ، ولا هدنة ، فما تغلب على خطر جليل إلا فاجأه حادث أخطر ، قل من يصمد لمواجهة أعاصيره فضلا عن مصارعة تلك الأعاصير ثم التغلب عليها وإحناء أعناقها لمشيئه ، ولم يكن مرجع صمود هذا الرجل وتغلبه على منافسيه إلا لما ذكرناه ، وتمرسه بالأهوال منذ ظهوره على مسرح الحياة السياسية إلى جانب دراسته النفسية والأوضاع اليمنية .

وعلى أثر تحركات حاشد وبكيل وتغلبه عليها بدا اليمن والإمام أحمد وكأنهما قد سئما الصراع وان اليمن قد أخلد إلى راحة الاستسلام وأن أحمد قد شعر بالاطمئنان والاستقرار فرأى أن يتظاهر بأنه قد شرع في إخراج اليمن من سياسة العزلة فساعد إبنه ولي العهد بتقوية العلاقات مع الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي وعلى تحقيق بعض المشاريع كالميناء وشق طريق الحديدة صنعاء وغير ذلك كما استجاب إلى مؤتمر القمة بجدة المكون منه ومن الرئيس جمال والملك سعود وإلى إقامة الاتحاد بين اليمن وجمهورية مصر العربية .

ولكن إخلاد اليمن إلى راحة الاستسلام لم يكن إلا نوبة استجمام لوثبة يمنية جديدة ، بدأت بعملية اللقيه ورفيقيه وتجسدت في الثورة التي أنهت حكم آل حميد الدين .

(دولة آل حميد الدين ،
والإمامتان الدستورية والانقلابية)

مما أسلفناه نعرف أن مؤسس دولة آل حميد الدين القاسميين هو الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين .

عام ١٣٠٧ - ١٣٢٢ هـ
فخلفه ابنه .

الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد .
عام ١٣٢٢ - ١٣٦٧ .

الذي حذا حذو سلفه في محاربة الأتراك انتهت بانتصار اليمن وإتفاقية دعان عام ١٣٢٩ وقيام دولة آل حميد الدين المعروفة بالحكومة المتوكلية اليمنية التي استقلت عام ١٣٣٦ هـ يحكمها الإمام يحيى إلى أن قتل في ثورة ٧ ربيع الآخر عام ١٣٦٧ هـ وقامت حكومة دستورية ، إمامها .

الإمام الدستوري الداعي عبد الله الوزير

من ٧ ربيع الآخر عام ١٣٦٧ - ٣ جمادى الأولى عام ١٣٦٧

وهو أول إمام دستوري إنتهت إمامته بفشل الثورة ٣ جمادى الأولى عام ١٣٦٧ فعادت الإمامة الملكية إلى أسرة حميد الدين بتغلب أحمد .

الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين

٣ جمادي الأولى عام ١٣٦٧ - ١٤ شعبان عام ١٣٧٤ هـ .

تاريخ الانقلاب الديمقراطي ونصب سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى حميد الدين إماماً إنقلابياً ديمقراطياً .

الإمام المتوكل على الله عبد الله بن يحيى حميد الدين .

٤ شعبان عام ١٣٧٤ - ٢١ شعبان عام ١٣٧٤

وبفشل الانقلاب ٢١ شعبان ١٣٧٤ عادت الإمامة الملكية إلى الإمام أحمد حتى مات .

٢١ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ فخلفه ابنه .

الإمام المنصور بالله محمد البدر بن أحمد بن يحيى بن المنصور محمد حميد الدين

٢١ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ - ٢٧ ربيع الثاني عام ١٣٨٢

تاريخ ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م التي أنهت الإمامة الملكية وأقامت الجمهورية العربية اليمنية وعن هذه الثورة سنتكلم في كتاب خاص نتناول مقدماتها الممكن معرفتها من هذا المؤلف ، كما سنتناول هذه الثورة مع ذويها وقاداتها والدخلاء عليها وما واكبها من أحداث وتيارات معاكسة ومساندة نتناول كل ذلك بقلم التاريخ وأمانته ، وبالله الاستعانة ، وسنختتم مؤلفنا هذا بملحقات هامة وملخص .

(خلاصة لما تناوله هذا المؤلف من تاريخ اليمن)

١ ـ اليمن مهد الساميين (العرب القدامى) وهو مهد الحضارة ومنه استمد السومريون والبابليون وقدامى المصريين وغيرهم العلوم والحضارة ونقلوها إلى الفرس واليونان والرومان .

٢ ـ قامت في اليمن قبل الإسلام دول عظيمة منها ما لم يعثر لها حتى اليوم على آثار في اليمن ، وهي :

العمالقة ، وعاد الأولى والثانية ، وثمود الأولى ، ويعرب ، ومنها مـا عثر لها على آثار وأعظمها ثلاث .

١ ـ معين عام ٣٧٠٠ ـ ٩٠٠ ق.م تقديرا عاصمتها معين ، ثم قرن بالجوف .

٢ ـ سبأ عام ٩٠٠ ـ ١١٥ ق.م عاصمتها مأرب .

٣ ـ حمير عام ١١٥ ـ و م ٥١٥ ب.م. عاصمتها ظفار (ذي ريدان) .

وبعد سقوط العرش الحميري عام ٥٢٥ ب.م. لم يستقر لليمن وضع وانحدرت حضارته إلى هوة من التأخر لا يعرف له قعر ، نتيجة الإنقسام العقائدي من مسيحية ، ويهودية ، وزرادشتية ، ووثنية ، ودهرية ، وغيرها .

٣ ـ جاء الإسلام فكانت اليمن أول من ناصرته ، وأول شعب لبى بصفة جماعية الدعوة الإسلامية ، وتحققت بعهد الرسول وخلفائه الراشدين الوحدة اليمنية في ضمن الوحدة الإسلامية .

٤ ـ اليمنيون هم الذين دفعوا عجلة الإسلام في صدر الإسلام ، مما أدى

٦ ـ الدول المستقلة باليمن والمتداخلة من عام ٢٠٠ إلى عام ١٣٨٢ هـ

عدد	دولة	اسم	نسب	تاريخ	مذهب	عاصمة	عدد ملوك
١	دولة	آل زياد	قبل قرشيون	٢٠٣ ـ ٤٠٩	سنيون	زبيد	٥
٢	دولة	آل يعفر	الحميريون	٢٢٥ ـ ٣٩٧	مجتهدون	شبام ثم صنعاء	١٠
٣	دولة	آل الصليحي	الهمدانيون	٤٣٩ ـ ٥٣٢	إسمعيليون	صنعاء ثم جبله	٤
٤	دولة	آل مهدي	الحميريون	٥٥٤ ـ ٥٦٩	مجتهدون	زبيد	٣
٥	دولة	آل أيوب	الكرديون	٥٦٩ ـ ٦٢٨	شافعية	تعز	٥
٦	دولة	آل حاتم	الهمدانيون	٤٩٢ ـ ٦٢٥	اسمعيليون	صنعاء	٥
٧	دولة	آل رسول	الأزديون	٦٢٨ ـ ٨٥٨	شافعية	تعز	١٢
٨	دولة	آل طاهر	المذحجيون	٨٩٨ ـ ٩٢٣	شافعية	المقرانة	٤
٩	دولة	المماليك المصريون ، والجراكسة		٩٢٣ ـ ٩٤٥	شافعية	زبيد وصنعاء	
١٠	دولة	الأتراك	العثمانيون	٩٤٥ ـ ١٠٤٥	حنفية	زبيد وصنعاء	
١١	دولة	آل القاسم	الهادويون	١٠٤٥ ـ ١٢٦٥	زيدية	ضوران ثم صنعاء	١٩
١٢	دولة	الأتراك مرة ثانية	العثمانيون	١٠٦٥ ـ ١٣٣٦	حنفية	الحديدة ثم صنعاء	
١٣	دولة	آل حميد الدين	القاسميون	١٣٣٦ ـ ١٣٦٧	زيدية	صنعاء	٣
١٤	دولة	الإمام عبد الله الوزير	الهادوي	١٣٦٧ ـ ١٣٦٧	دستورية	صنعاء	١
١٥	دولة	آل حميد الدين مرة ثانية	القاسميون	١٣٦٧ ـ ١٣٨٢	زيدية	صنعاء	٣
١٦	دولة	الجمهورية العربية اليمنية		١٣٨٢ ـ ٠٠٠٠	مجتهدون	صنعاء	

الإمارات اليمنية كثيرة وكلهم يمنيون ما عدا انجاح بني شهرها كما يلي :

عدد	إسم	نسب	تاريخ	مذهب	عاصمة
١	بنو معن	حميريون	٣٧٥ ـ ٤٣٩	مجتهدون	عدن
٢ ـ	بنو الكرندي	حميريون	٣٧٥ ـ ٤٣٩	مجتهدون	ذي جب العافر
٣	بنو النبعي	حميريون	٣٧٥ ـ ٤٣٩	مجتهدون	الشعر
٤	بنو وائل	حميريون	٣٧٥ ـ ٤٣٩	مجتهدون	وحاظة من بلاد إب
٥	بنو المناخي	حميريون	٣٧٥ ـ ٤٣٩	مجتهدون	مذبخرة عدين
٦	بنو نجاح	أحباش	٤٥٣ ـ ٥٥٥	شافعية	زبيد
٧	بنو الضحاك	الهمدانيون حاشديون	٢٦٥ ـ	مجتهدون	ريده بون عمران
٨	بنو الدعام	الهمدانيون ارحى	٢٦٥ ـ	مجتهدون	الجوف
٩	بنو أبو الفتوح	الخولاني حميري	٣٤٥ ـ	مجتهدون	جمحانه خولان
١٠	بنو زريع	الهمداني	٤٦٧ ـ ٥٦٩	إسمعيليه	عدن
١١	بنو شرحبيل	الحجوريين الهمدانيين	٤٥٠ ـ ٥٣٣	إسمعيليه	الجريب من أفلح
١٢	بنو سلاطين جنب	مذحجيين	٤٩٢ ـ ٥٨٣	مجتهدون وزيديه	ذمار

هذه هي الدول والإمارات التي قامت باليمن بعد الإسلام ، وقد قام بجانبها الأئمة العلويون كما بيناه منذ خرج الهادي والذي نلخصه في الملحق الآتي :

عليهم أعداء العروبة والإسلام واليمن ، ففتت أولئك الأعداء الوحدة تفتيتاً ظهرت عوارضه أيام معاوية فإذا باليمن تعود إلى الانقسام .

٥ ـ فتعرضت لموجات سياسية ومذهبية وعصبية ، ولمطامع خارجية اتخذت الدين وسيلة أقعدت اليمن على بركان لا يهدأ من الثورات المختلفة الأسباب والأهداف فمن ثورة القيل عباد الرعيني عام ١١٠ هـ إلى ثورة طالب الحق الكندي وأبي حمزة الأزدي عام ١٢٩ هـ إلى ثورة القيل الهيصم عام ١٧٤ هـ إلى ظهور العلويين بالحجاز واليمن عام ١٩٨ هـ إلى استقبال اليمن عهد الدول والإمارات المستقلة عام ٢٠٣ هـ .

ملحق حول الأئمة العلويين باليمن
من عام ٢٨ - ١٣٨٢ هجرياً

استمر الأئمة العلويون باليمن أحد عشر قرناً لعبوا دوراً خطيراً في تاريخ اليمن .

ويعد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المؤسس الأول لمركز العلويين باليمن فقد استطاع أن يجعل من صعدة مقاطعة يعتصم بها الأئمة العلويون ، والدعوة الزيدية ، ويشنون منها غزواتهم ، ومعارضتهم للدول التي قامت باليمن من عام أربعة وثمانين ومائتين هجرياً إلى عام خمسة وأربعين وألف هجرياً أي مدة سبعمائة عام وواحد وستين عاماً ، فقد كان دور العلويين في هذه القرون السبعة والنصف دور المعارضة والمنازعة للدول القائمة باليمن والإمارات لأن العلويين مروا في اليمن في ثلاثة أدوار كما يلي :

١ ـ دور الدعاية من أيام الإمام علي كرم الله وجهه إلى عام ٢٨٠ هـ .

٢ ـ دور المعارضة ٢٨٠ ـ ١٠٤٥ هـ .

٣ ـ دور الحكم والملك ١٠٤٥ ـ ١٣٨٢ هـ .

هذه الأدوار الثلاثة عرفتها مما كتبناه ، ويبتدىء دور حكم وملك العلويين في اليمن من العام الخامس والأربعين من القرن الحادي عشر هجرياً ، وينتهي

بعام ٨٢/ اثنين وثمانين من القرن الرابع عشر ، ولا يستثنى منه إلا فترة الحكم العثماني التركي الأخير في الشمال من عام ١٣٨٩ وفي تهامه من عام خمسة وستين ومائتين وألف إلى عام ستة وثلاثين وثلاث مائة وألف على أن الأتراك لم ينعموا في هذه الفترة بحكم مستقر وقد بلغ عدد الأئمة الظاهرين من العلويين باليمن في دوري المعارضة والملك ثلاثة وسبعين إماماً .

اثنان منهم من أولاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وهما : الإمام يحيى بن حمزة عام ٥٦٩ في عصر الدولة الرسولية والإمام شرف بن محمد عشيش عام ١٢٩٦ هـ خلال الاحتلال التركي الأخير .

وبقية الأئمة من أولاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ، منهم ثلاثة من ذرية زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهم :

١ ـ الإمام محمد بن يحيى السراجي في عام ٦٥٩ هـ أيام بني رسول .

٢ ـ الإمام محمد علي السراجي الوشلي عام ٩١٠ هـ أيام بني طاهر .

٣ ـ الإمام أحمد بن علي السراجي في عام ١٢٤٧ هـ أيام بيت القاسم .

واثنان من أبناء علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهما :

١ ـ الإمام أبو الفتح الديلمي عام ٤٣٧ هـ أيام بني الصليحي .

٢ ـ الإمام أحمد بن علي الفتحي الديلمي عام ٧٣٠ هـ أيام بني رسول .

والباقون ستة وستون إماماً من ذرية الإمام القاسم بن ابراهيم الرسي ، ثلاثة من أولاد عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وهم :

١ ـ الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن عام ٤٣٦ هـ في الفترة بين اليعفريين والصليحيين .

٢ ـ الإمام عبد الله بن حمزة عام ٥٨٣ هـ أيام بني أيوب وبني حاتم .

٣ ـ الإمام المطهر بن محمد الحمزي عام ٨٤٠ هـ أيام بني طاهر .

وثلاثة من أبناء محمد بن القاسم الرسي وهم :

١ ـ الإمام القاسم العياني عام ٣٨٩ هـ في الفترة بين اليعفريين والصليحيين .

٢ ـ الإمام الحسين بن القاسم العياني عام ٤٠٣ هـ في الفترة نفسها .

٣ ـ الإمام أبو طير أحمد بن الحسين عام ٦٤٦ هـ أيام بني رسول والباقون ستون إماما من أبناء الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي .

(أئمة دور المعارضة)

ثلاثة وأربعون إماماً سنة ٢٨٤ ـ ١٠٥٤ هـ .

الأئمة الذين عارضوا بني زياد وبني يعفر وآل الضحاك ١٠ عشرة .

١ ـ الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٢٨٠ ـ ٢٩٨ قبره بصعده

٢ ـ الإمام المرتضى محمد بن الهادي يحيى ٢٩٨ ـ ٣٠٠ قبره بصعده

٣ ـ الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى ٣٠٠ ـ ٣٢٥ قبره بصعده

٤ ـ الإمام المنصور يحيى بن أحمد بن الهادي يحيى ٣٢٥ ـ ٣٤٥ قبره بصعده

٥ ـ الإمام المختار قاسم بن يحيى بن أحمد بن الهادي يحيى قتله الضحاك قبره بصعده

٦ ـ الإمام المنتصر محمد بن المختار بن يحيى بن أحمد نقل أباه إلى صعده

٧ ـ الإمام الداعي يوسف بن يحيى بن أحمد طالت أيامه يعزل ويعود وتغلب العيانيون بوقته } قبره بصعد

٨ ـ الإمام المنصور قاسم بن علي العياني بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي جاء من الحجاز عن طريق خثعم إليه ينسب العلويون العيانيون . } ٣٨٩ ـ ٣٩٣ عيان قرية من حرف سفيان

٩ ـ المهدي الحسين بن القاسم العياني قتله بنو الضحاك عام ٣٩٣ ـ ٤٠٣

ادعى أنه المهدي المنتظر وراجت دعوته حتى أن أخويه الفاضل وذا الشرفين لم يدعيا أخذاً بهذه النظرية وأن الحسين حي ويعرف أتباعه بالزيدية الحسينية .

١٠ - أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي هو جد الحمزات ودفن بناعط — ٤٢٦ - ٤٣١ قبره بناعط

٢ - الأئمة الذين عارضوا آل الصليحي وآل حاتم

١ - الإمام أبو الفتح الديلمي الناصر بن حسين بن محمد بن عيسى بن محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب قتله الصليحيون ودفن بقاع فيد شرقي ذمار وقد خرج من فارس رأساء طعن في نسبه العيانيون . — عام ٤٣٧ - ٤٤٤ قبر فيدعنس

٢ - الإمام المتوكل أحمد بن سليمان الهادوي حارب السلطان حاتم واحتل صنعاء وبلغ ذمار ودخل زبيد ، ثم ضعف واعتقله العيانيون فانجده السلطان علي بن حاتم وارجعه الى صعده كما ادب العيانيين . — قبره في حيدان صعده

٣ - الأئمة الذين عارضوا دولة بني أيوب وآل حاتم أيضاً

١ - الإمام المنصور عبد الله بن حمزة ويعد من أعظم الأئمة صولة ودعاية شاعراً كاتباً فاتكاً عبقرياً ، عارض آل حاتم والأيوبيين واستأصل الفرقة الزيدية المطرفية بأن قتل منهم أكثر من مائة ألف وأخرب مدنهم وكفرهم وسباهم لأنهم لا يرون حصر الخلافة في الفاطميين ، وكان ينسبهم إلى الطبيعيين ، مغالطة . — عام ٥٨٣ - ٦١٤ قبره في ظفار ذيبين

٢ ـ الإمام محمد العفيف بن المفضل الهادوي جد آل الوزير ثم تنازل لعبد الله بن حمزه وآزره فسمى بالوزير وأبناءه . | عام ٥٩٩ .

٣ ـ الإمام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ الهادوي جد بيت الشامي تغلب عليه الأمراء أبناء عبد الله بن حمزة وكان من عظماء العلماء . | عام ٦١٤ ـ ٦٣٦

الأئمة الذين عارضوا بني رسول

١ ـ الإمام المهدي أبو طير أحمد بن الحسين من أبناء محمد بن القاسم الرسي ، قوي أمره فأثار عليه المظفر أبناء عبد الله بن حمزة فقتلوه . | عام ٦٤٦ ـ ٦٥٥ قبره بظفار ديبين

٢ ـ الإمام محمد بن يحيى السراجي من أولاد زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قبض عليه سنجر الشعبي وسمله ومات وقبر بمسجد الأجذم بصنعاء المعروف بالوشلي . | عام ٦٥٩ ـ ٦٦٠ صنعاء

٣ ـ الإمام المنصور الحسن بن بدر الدين الهادوي قام بهجرة رغافة بمخلاف صعده وناصره اخوه الحسين مؤلف الشفاء في الحديث . | عام ٦٦١ ـ ٦٧٠

٤ ـ الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين ابن أخ الحسن بن بدر الدين ، قوي أمره نازله سنجر حول صنعاء فتحول إلى ذمار فتلقاه المظفر بأفق جهران وأسره فمات بالسجن بتعز . | عام ٦٧٠ ـ ٦٧٤ بتعز

٥ ـ	الإمام المتوكل المطهر بن يحيى الهادوي المظلل بالغمام قام بخولان ثم فر من تنعم بني بهلول بين المطر فسمى المظلل بالغمام ثم استقر بحصن ذروان حجة الذي مات فيه من أعلام علماء الأئمة .	عام ٦٧٦ ـ ٦٩٧ ذروان حجه
٦ ـ	الإمام المهدي محمد بن المطهر بن يحيى من أعلم وأقوى الأئمة استولى على صنعاء والمغارب وحجه وثلاء وجميع الشمال ، دفن بجامع صنعاء .	عام ٦٧٠ ـ ٧٢٨ قبره بصنعاء
٧ ـ	« المؤيد يحيى بن حمزة الحسيني دعا بصعدة من أعلام العلم عارضه ثلاثة .	عام ٧٣٠ ـ ٧٤٧ قبر في ذمار
٨ ـ	« الواثق مطهر بن محمد بن المطهر تنازل للمهدي علي إبن محمد ٧٥٠ كاتب شاعر .	عام ٧٣٠ ـ ٧٥٠
٩ ـ	الإمام أحمد بن علي الفتحي الديلمي	عام ٧٣٠ ـ ٧٥٠ قبر في رغافة
١٠ ـ	الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور الهادوي من عظماء الأئمة الدهاة امتد نفوذه إلى ذمار وريمه وقضى على الفوضى بالشمال وصارع الإسمعيلية خلفه ابنه صلاح الدين .	عام ٧٥٠ ـ ٧٧٣
١١ ـ	الإمام الناصر صلاح الدين بن المهدي علي بن محمد أخذ صنعاء ووسع رقعة إمارته وتتبع الاسمعيلية واغمد السيف في همدان صنعاء ثم طحن رؤوس القتلى بالبقر وجمع أضراسهم وجعلها بخزانة جامعة صنعاء وكانت دولة بني رسول قد شاخت .	عام ٧٧٣ ـ ٧٩٣ قبره بصنعاء

١٢ ـ الإمام المنصور علي بن صلاح المذكور كان جاهلا فاتكاً مسعر حرب . — عام ٧٩٣ ـ ٨٤٠ قبره بصنعاء

١٣ ـ الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الهادوي كان إماماً علمياً وعلى مؤلفاته تعتمد الزيدية عارض علي بن صلاح فقبض عليه علي وسجنه بصنعاء ثم فر واستقر اخيراً بظفير حجه وبه قبر . — عام ٧٩٣ ـ ٨٤٠ ظفير حجه

١٤ ـ الإمام الهادي علي بن المؤيد بن جبريل الهادوي قام بهجرة قطابر من بلاد صعده وقبر بفلله من بلاد صعده . — عام ٠٠٠ ـ ٨٣٩ فلله

الأئمة الذين عارضوا بني طاهر والجراكسة والأتراك عدد ١٣

١ ـ الإمام المطر بن محمد الحمزي — عام ٨٤٠ ـ ٨٧٩ هـ قبره في ذمار

٢ ـ الإمام صلاح بن علي الهادوي تعارض هو والمطهر — صنعاء

٣ ـ الإمام المنصور ناصر بن محمد الهادي تعارض هو والمطهر خلفه ابنه — ٨٦٦ صنعاء

٤ ـ الإمام محمد بن الناصر نعمت صنعاء في أيامه بعهد زاهر خلفه أخوه أحمد الذي أسره عامر عبد الوهاب بن طاهر . — عام ٨٦٦ ـ ٩٠٨ صنعاء

٥ ـ الإمام عز الدين بن الحسن الهادوي قام بفللة بلاد صعده . — عام ٨٧٩ ـ ٩٠٠

٦ ـ الإمام الناصر الحسن بن عز الدين تركه الناس بعد أن أخذوا خزاينه

٧ ـ الإمام محمد بن علي السراجي من أبناء زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مات في سجن عامر عبد الوهاب بن طاهر . | عام ٩٠٠ ـ ٩١٠

٨ ـ المتوكل يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى سالف الذكر ، ويعد هذا وابنه المطهر القوة التي قضت على الطموح اليمني إلى الملك والسلطة كما شرحناه . | عام ٩١٢ ـ ٩٦٥ ظفير حجه

٩ ـ الإمام مجد الدين الهادوي قام بفللة صعدة ومات بالحرجة . | عام ٩٢٩ ـ ٩٤٢

١٠ ـ الإمام المطهر بن شرف الدين يعد هذا أعظم الأئمة صولة وفتكاً إن لم يكن أعظمهم، عبد الطريق لقيام الدولة العلوية . | عام ٩٦٥ ـ ٩٨٠ ثلاء

١١ ـ الإمام الحسن بن علي بن داود نفي إلى الاستانة مع أولاد المطهر مما ساعد القاسم على وضع قواعد الملك لأبنائه . | عام ٩٨٦ ـ ٩٩٤ تاريخ نفيه

١٢ ـ الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادوي مؤسس الدولة القاسمية . | عام ١٠٠٦ ـ ١٠٢٩ شهارة

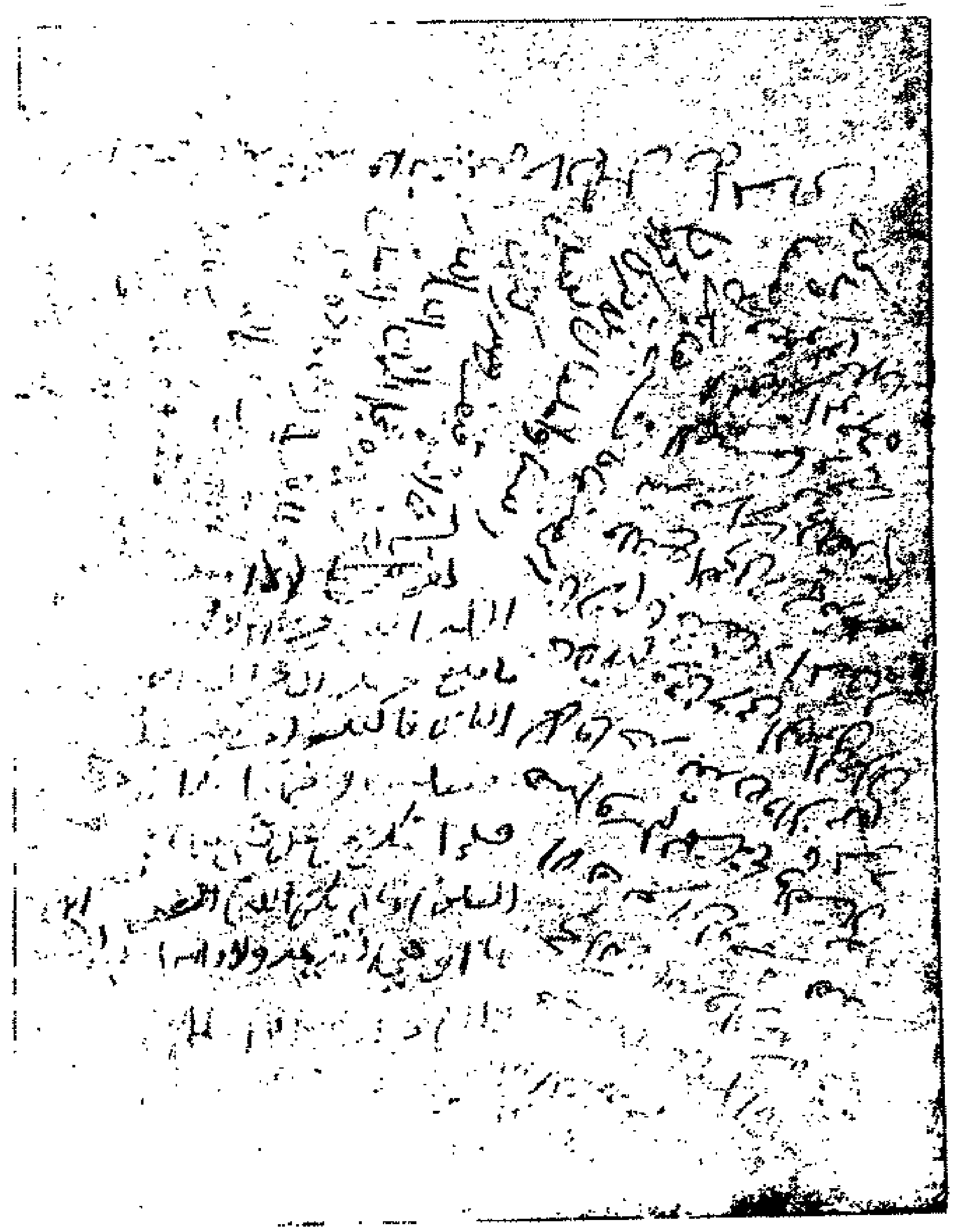
١٣ ـ الإمام المؤيد محمد بن القاسم المذكور ، جرت في عهد هذا الإمام وابيه القاسم وعهد المطهر وأبيه شرف الدين معارك طاحنة بين اليمنيين وبين الاتراك استمرت مائة عام انتهت بخراب اليمن وجلاء الاتراك عن اليمن ١٠٥٤ هـ وفي هذا التاريخ انتهى دور المعارضة العلوية . | عام ١٠٢٩ ـ ١٠٥٤ شيارة

وابتدأ دور الحكم والملك العلوي في اليمن وهو دور الدولة القاسمية الهادوية العلوية وهذا الدور قد سبق أن بيناه وبينا عدد أئمته وهو يبتدىء من عام ١٠٥٤ ـ ١٢٦٥ ثم من عام ١٣٣٦ ـ ١٣٨٢ هـ وعدد الأئمة من عام ١٠٥٤ ـ ١٣٨٢ ثلاثون إماماً خمسة منهم غير قاسميين وخمسة وعشرون قاسميون وعدد الأئمة في دور المعارضة من عام ٢٨٠ ـ ١٠٥٤ ثلاثة وأربعون إماما كما سبق بيانه .

وقد انتهى دور الإمامة الفاطمية معارضة وحاكمية في اليمن بقيام الجمهورية العربية اليمنية عام ١٣٨٢ هجرياً ١٩٦٢ م وإنا لنرجو لجمهوريتنا الفتية البقاء وأن يتحقق في ظلها لليمن كل السعادة والتقدم والعدالة الاجتماعية بقيادة المخلصين المؤمنين الأكفاء الحكماء من أبناء اليمن الحريصين على يمنهم وإيمانه وعروبته ووحدته وأداء رسالته الإنسانية والحضارية التي عرف بها اليمن قبل الإسلام وبعد الإسلام حقق الله ذلك وجعلنا من المتخلقين بأخلاق القرآن نحب الخير وندعو إليه ونحب الغير ونأخذ بيده كما ندعو الله أن يمنحنا ويمنح جمهوريتنا الثبات والنصر حتى تتغلب قريباً على جحافل العدوان المحاولة إماتة جمهوريتنا ، (وهو ما لم يكن) فقد شاء الله لهذا اليمن أن ينطلق والله المستعان وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وصلى الله وسلم على محمد واله وصحبه .

ملحق، فيه نص بعض الوثائق .

١ ـ نص المحرر الاول بخط الإمام أحمد المؤرخ ٨ شعبان سنة ١٣٧٤ هـ



٢ ـ نص المحرر الثاني بخط الإمام أحمد المؤرخ ٩ شعبان سنة ١٣٧٤ هـ .



٣ - ترجمة النص الأول .

بسم الله الرحمن الرحيم « أحمد الله تعالى »

الولد البدر حرسه الله وأعانه والسلام .

ما بلغ عزمك إلى عمران إلا من أخبارالناس فالتلغراف مقطوع والشفرة وصلت وفيها أغلاط خطية فلم أتمكن من حل شيء منها وقد حصل الظن إنها لم تكن التي نعمل بها ، أو هي القديمة ولا والله أعلم أين هي الآن ، والمراد أن هذا بواسطة الأخ سيف الإسلام الفخري حرسه الله ، فقد كان التنازل له لقيامه بالأعمال على كتاب الله وسنة رسوله ، والشريعة المطهرة ، فعند وصول هذا أنا أحجرك بحجر الله سبحانه وألزمك بالتوقف الآن بعمران أو حيث يصلك هذا ، وسلم للمشائخ والعقال مصروفاً كل واحد بقدره ، وألزمهم بالعود محلاتهم ، وفي عزمي الوصول إلى عمران فالزم بافتقاد المطار ، والأخ الفخري حرسه الله قد كلفته بتدبير إرسال نظام إلى صنعاء ويجمع المواتر الموجودة ويكونوا عليها إلى صنعاء فالخشية هنالك ، كم ضعفا ومساكين ونساء وأطفال ، فلا تترك مجهوداً في التوفيق ، وصدر كتب للمصلي وغيره عجلها إليهم الله الله والانتظار للإفادة ، والله المعين ، اجتهد في تسكين الناس ومنع الفتنة ولو تضحي بدمك ، فابذل الجهد ، هذا فإني والله أحب أن ألقاك عند الله وأنت شهيد ، ولا وأنت قائد فتنة وأنت بمحل من الكمال والله المعين .

٨ شعبان ٧١٢ إذا وصل هذا وأنت بحجة فتوقف مكانك

٤ - ترجمة النص الثاني :

بسم الله « أحمد الله تعالى »

إلى المحبين الكرام النظام سلمهم الله ، لقد كان مما سبق في علم الله سبحانه ،

والآن لعل الله سبحانه قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح فإنا حملنا الأخ سيف الإسلام عبد الله حفظه الله الحَجة وكان التنازل على أن يقوم بالأمور ويجريها على شريعة الله سبحانه ، ولم يبق ما يوجب الأخذ والرد ، وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء ، فليعد كل واحد محله ، والأخ سيف الإسلام حفظه الله يخرج إلى محله ـ بالعرضي للقيام بأعمال الناس ، وعليكم جميعاً اعتماد أوامره ، ومن خالف هذا فعليه حجة الله والله المعين والسلام عليكم .

٩ شعبان ٧٤ وقد كان منا التحرير إلى الملحقات بوقوف كل أحد بمحله وعود من قد خرج بيته وسيرسلها الأخ الفخري حفظه الله .

٥ـ كلمة فخامة رئيس المجلس الجمهوري القاضي العلامة عبد الرحمن الأرياني تعليقاً على هذا المؤلف :

الحمد لله

الأخ رئيس الوزراء حياكم الله :

للأخ الفخري الشماحي مؤلف تاريخي هام كان منا نحن والولد مطهر مطالعته بدقة ، وقد تناول فقرات ومواضيع لم تطرق سيما الفترة الممتدة من أول القرن الرابع عشر هجرياً إلى عام ٨٣ هجرياً ، فقد طرقها من جميع نواحيها إلى جانب دراسة ناقدة نافذة للمذهب الإسمعيلي والزيدي ،وكنا امرنا بطبعه هنا وأمرتم بذلك قبل نصف عام ثم ترجح أن يطبع بالخارج . ومن الرأي أن يكون بلبنان تحت إشراف الفخري والسفير هناك فتراجعوا مع الفخري في الطريق المحققة لتنفيذ الفكرة في الوقت المناسب .

عبد الرحمن الأرياني

رئيس المجلس الجمهوري

٦ ـ كلمة دولة رئيس الوزراء الأستاذ محسن العيني ٢٥/ ٥/ ٧٢

الأخ العلامة القاضي عبد الله الشماحي مستشار وزارة العدل الأكرم ، حفظه الله .

تحية وتقديراً :

تصفحت مؤلفكم الفريد ، وقد أمضيت معه أمتع الساعات ، وعاد بي إلى المراحل التي مر بها شعبنا وخاصة في ربع القرن الأخير ، وهو أروع ما سطر عن الحركة الوطنية قبل ١٩٤٨ وبعدها .

وإني لأشارككم الرأي في ضرورة الإسراع بطبعه ، لتتمكنوا من مواصلة الكتابة ، وخاصة في أحداث الثورة وحتى يومنا ، ليكون ذلك سجلا لأبناء الذين لا يعرفون كيف سارت الأمور ، وكيف تعاقبت الأحداث .

لكم تهنئتي وتقديري وصادق التحية والسلام عليكم .

أخوكم

محسن العيني

٧ ـ ملاحظة رئيس الوزراء الأستاذ محسن العيني على إنقلاب المقدم أحمد الثلايا ، الظاهر صفحة ٣٦٧ .

للحقيقة والتاريخ :

عندما فوجئنا بحركة ١٩٥٥ أقلقنا الإبقاء على حياة الإمام أحمد وتأكدنا من الفشل ، كما استغربنا ظهور سيف الإسلام عبد الله ، ليس فقط لإرتباطاته الغربية وإنما لإحتمالات الغدر من جانبه ، ولهذا فقد كتب المرحوم الأستاذ محمد محمود الزبيري رسالة إلى الشهيد العقيد الثلايا يشرح فيها هذا ، وينصح باعدام الإمام أحمد ، والخلاص من السيف عبد الله ليستطيع الانقلاب السيطرة على

الموقف ويلتف الجميع حول الحركة . وقد حملت الرسالة مع الأخ يحي جغمان ، ولكننا لم نكد نصل عدن حتى كان الانقلاب قد فشل وقد استعاد أحمد السيطرة على الموقف .

محسن العيني

١٩٧٢/٢/١٥

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على محمد وآله وصحبه

تصفحت هذا المؤلف وشكرت الله الذي أعان ووفق الأخ القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي على إخراج هذا الكتاب المتضمن لمحات من تأريخ اليمن ثم شرح الظروف والأفكار التي أثرت في حياة هذا البلد وتولدت منها تلك الأحداث التي من فصولها ما تضمنه واشتمل عليه قرننا الرابع عشر الهجري الذي شاهدنا جانباً من أحداثه نحن والمؤلف والمجاهد الكبير الأخ أحمد بن أحمد المطاع .

ومن الحق أن المطاع هو أبو الثورة كما لقبه الأخ المجاهد الشماحي فرحم الله المطاع ورضي عنه وعن جميع المجاهدين والشهداء الذين سبقوا المطاع وعاصروه ولحقوه . ويتحتم على أخينا الشماحي أن يتبع هذا المؤلف بعدة مؤلفات وألا يدع معلوماته وقدراته محجوبه فيسئل عن حجبها وكتمها ثم عن ضياعها والله الموفق بتاريخ الحجة سنة ١٣٨٦ .

عبد السلام صبره

(خاتمة)

قد عرفنا مما كتبناه أن اليمن طيلة الألفي عام الأخيرة استمرت تخوض صراعا دمويا ، لا في سبيل شخصيتها فحسب ، بل في سبيل الاحتفاظ بالشخصية العربية المعبر عنها بالسامية ، لا بدافع عنصري بحت بل لما لتلك الشخصية من مولدات ومقومات إنسانية تمثلها العرب ونشروها ، وعليها قامت حضارتهم وآدابهم المنبثق فجرهما من اليمن ، تمدان الإنسانية بحياة تتناسب مع الإنسان جسما ومادة ، ومع الإنسان وجدانا وفكرا وروحا . حضارة أطلعت للعالم من شرقه العربي أولئك الفلاسفة والمشرعين والممدنين والمعمرين . وهيأت وجدان الشرق السامي لتلقي الرسالات السماوية .

وكانت الإنسانية بهذه الحضارة، وهذه الآداب ، وهذه الاشراقات السماوية تشق طريقها إلى أوج الكمال الإنساني مادياً وروحياً .

وكلما وهنت أمة عربية عن القيادة المتكاملة جاءت أمة من ذوي قرباها تعيد اليها القوة ، أو تحل محلها في المركز القيادي وكان العرب البابليون والفينيقيون والمصريون والحيثيون والايجيون في مستهل الألف الأول قبل الميلاد قد لينتهم الحضارة ودمثهم ترفها ، ومزقتهم المنافسات والمنازعات .

وكان من المقدر أن الجزيرة العربية اليمن كعادتها تمدهم من جديد بالقوة التي ترجع الحيوية إليهم ، خلا أن الإنسانية بمستهل هذا الألف قبل الميلاد

فوجئت بظهور الشعب الآري بنزعته المادية البحتة يتطلع إلى الحضارة والسيادة ، وشاء القدر أن ينبع الماديون ـ أحد بطون الآريين ـ من أرض بابل ، وقد شرع الانحلال يهدد وحدة العرب البابليين، وما هي إلا فترة وإذا بهؤلاء الماديين الآريين ينازعون البابليين الآشوريين السلطة ثم يشترك الماديون مع البابليين الكلدانيين في القضاء على المملكة البابلية الآشورية ويدمران عاصمتها « نينوى » ثم يأتي الفارسيون بطن أخر من الأريين بقيادة « قورش » الفارسي فيلتقي مع الماديين الآريين في محو المملكة البابلية الكلدانية ويتمكن « قورش » من التغلب على مليكها « نابونيدس » ومن هدم العاصمة « بابل » في القرن السادس قبل الميلاد .

ويصبح « قورش » وريث البابليين والسيد غير المنازع في سلطانه الممتد من حدود الهند إلى البحر الأبيض وجزره وآسيا الصغرى إلى حدود اليونان وحدود الجزيرة العربية .

ويمضي الأريون من فارسيين فيونانيين فرومانيين في توسعهم المنطوي على نزعاتهم المادية الجافة الهدامة للجانب الروحي في حياة الإنسان ووجدانه ، فإذا بالدول العربية تختفي تباعاً فيلحق بالبابليين المصريون والحيثيون ، والايجيون والفينيقيون ، ثم العبرانيون ، الكل التهمهم الآريون ، للشخصية العربية أو السامية ماحين، ولاراضيهم مستعمرين مستوطنين .

ولم تبق إلا الحبشة أثيوبيا العربية وإلا الجزيرة العربية اليمن ، ويبلغ الخطر قمته في القرن الأول قبل الميلاد ، فالحبشة العربية تحولت إلى عميلة ورأس حربة بيد الرومان .

وبذلك لم تبق هناك إلا اليمن التي أعارها القيصر « أغسطس » مزيد اهتمامه ، فأرسل لابتلاعها وإذلالها جيشاً جراراً بقيادة أكبر قواده نائبه على مصر « جالوس » ويتوغل هذا الجيش في الجزيرة العربية إلى أن قرع جبال عسير وسهل نجران ، وكانت الظواهر تنبي بانتصار هذا الجيش الروماني الغازي ، وإنهاء الجنس العربي السامي وإخماد الوجدان الإنساني إلى الأبد .

ولكن هذا الجيش لاقى مصرعه بوادي نجران وهضاب اليمن عسير، بفضل الإعداد الذي مهد له اليشرح يحضب كما سبق.

ومن ذلك اليوم من القرن الأول قبل الميلاد أصبحت اليمن القلعة الشماء الوحيدة التي اعتصمت بها العروبة والإنسانية، وأصبحت في صراع مع الآريين الرومانيين والفارسيين، وعميلة الرومانيين الحبشة، صراع عسكري وصراع فكري استمر سبعة قرون في نهايتها انتصرت الإنسانية بقيادة العرب تحت لواء الإسلام وروحه الإنسانية ومناصرة اليمنيين، فاندحر البرابرة من فارسيين ورومانيين، وعادت أرض بابل وأشور ومصر وشمال افريقيا وغيرها إلى أحضان العروبة الإسلامية الإنسانية من جديد.

وكان اليمنيون القوة الرئيسية في تحقيق هذه الانتصارات الإنسانية التي أعادت الأوطان العربية إلى ذويها وأخرجت منها الغزاة الآريين.

ولم يكن هذا الانتصار بالسهل فقد كلف اليمن واليمنيين ثمناً باهظاً أنه امتص من اليمن طاقاته البشرية تدفعهم اليمن إلى خارج اليمن لنشر كلمة الإسلام في أرجاء العالم وفي أنحاء المعمورة، فخلت اليمن من معظم أبنائها وفتيانها، وقلت باليمن اليد العاملة، فأصيبت بانحطاط اقتصادي إلى جانب انهيارها العمراني والاقتصادي، وبذلك غدت اليمن عرضة لأطماع الطامحين إلى المال والملك والسلطة لا بطريق الغزو العسكري فحسب، بل عن طريق الغزو المذهبي والفكري، ولقد واجه اليمن الغزو العسكري والفكري قبل الإسلام وبعد الإسلام.

وكان حظ الغزو العسكري قبل الإسلام وبعده هو الإفلاس كما عرفت مما كتبناه، فلم يجن الغزاة من وراء حملاتهم العسكرية إلا المرارة والخسران ثم دفنهم مع أحلامهم وجيوشهم في أكفان العدم المحض بمهاوي جبال اليمن السحيقة.

الغزو الفكري

أما الغزو الفكري فهنا هنا مصيبة اليمن، ونكبة اليمن عبر الألفي عام،

إنه السلاح الرهيب بيد أعداء اليمن والعروبة والإنسانية ، إنه الوباء الذي دمر اليمن وحضارته ، وهد عمرانه ، إنه الأعصار الذي نسف سد مأرب والخانق وريعان وغيرها ، وأطاح بقصور ورياض مأرب وبيحان وصرواح وحاز وحضر موت وناعط وبينون وغيمان وغمدان ومعين ويحضب ، إنه الزلزال الذي حول السعيدة إلى أطلال ومخيمات للبوم والغربان ، ومثوى للدخلاء والدجالين والغرباء والمتوردين ، إنه الغول الذي وهب أعداؤنا أنيابه التي تخيلها شاعرنا القديم في قوله :

أيـقتـلني والمشـرفي مـضـاجعي ومسنونة زرقٌ كـأنيـاب أغـوال

وكنتيجة لهذا الغزو الفكري فاني أكتب هذه الخاتمة ، والقلم يرتعش بين أناملي من مشهد من مشاهد الصراع البطولي في غير محله ، إني لأكتب هذه الخاتمة وأنا والأخ حسن العمري ورفاقنا الذين منهم قائد المنطقة محمد الأرياني والسيد عبد القادر بن محمد والقاضي إبراهيم الحمدي وصالح العروسي والشهيدان حمود الاشموري ومحمد الزهيري قد انتقلنا بعد معارك طاحنة بهمدان والمنقب وثلا وحضور ومصانع حمير إلى كوكبان ثم حصن بيت عز احد القلاع الجبلية بذراء جبال ضلع كوكبان شبام همدان المطل على سهل حبابة وشبام ، وقد أحدقت بكهفنا ببيت عز وجيشنا بدافع عقائدي من الإمامة إلى جانب توهم تدخل أجنبي - احدقت فتيان همدان ومصانع حمير ومغاوير قبائلها بمدافعهم الخفيفة ورشاشاتهم وبنادقهم وحتى الفؤوس والخناجر ، وهم في شوق هستيري ، واندفاع جنوني ، وبطولة تغبط ، ينقضون كالسهام علينا وعلى مدافعنا ومواقعنا الخلفية بالضلع وسهل حبابة وشبام وكان ظهور إخواننا المصريين إلى جانبنا يزيد أولئك الفتيان اليمنيين ضراوة علينا وعلى جمعنا وحصننا إلى درجة عدم المبالاة بالقنابل والدبابات والطائرات وما تحمله من هول وموت ، ولكم شاهدنا شبابا ينطلقون إلى مرابض الدبابات محاولة اعتلائها فيصرعون وقد يتمكن أفراد من اعتلائها وتعطيلها والتغلب على طاقمها كما حدث ذلك غير مرة في معركتنا هذه وغيرها .

بطوله خارقة تذهب نتائجها أدراج الرياح ، فإنها وإن كان المحرك لها توهم التدخل الأجنبي ، إلا أن المولد لذلك التوهم ، والدافع لهذه المغامرة الهوجاء في مثل معركتنا هذه هو عقائدي أكثر خلفته في الوعي الباطن فكرة الإمامة الزيدية ، ولذا ذهبت كل محاولة للتفاهم ، ويرجى مع طول المدة والتوعية أن يجمعنا التفهم لمعنى الجمهورية .

وقد بينا كيف جاءت إلى اليمن فكرة الامامة الزيدية مع المذهب الزيدي وتمنينا مخلصين أن إخواننا من القادة الفاطميين باليمن يتعاونون معنا في الاحتفاظ بالمذهب الزيدي وقوته كنظام وذلك بتخليصه من جمود الإمامة الهادوية المتحجرة ، إنهم لو أبعدوا الإمامة الهادوية عن المذهب الزيدي وفقهه وأصوله لكان المذهب الزيدي أقوى قاعدة ، لا لانطلاق اليمن وحده بل لانطلاق العالم الإسلامي .

ولكن إصرار قدماء القادة الفاطميين على شد المذهب الزيدي بالإمامة الهادوية هو الذي جعل المذهب الزيدي مذهباً سياسياً وقف في وجهه القادة اليمنيون ، وذوو الفكر ، وجعل من اليمن مسرح صراع اشتد أواره من أواخر القرن الثالث هجرياً إلى هذه الساعة وإلى ما لا يعلم نهايته إلا الله .

ولقد جنى هذا الصراع على اليمنيين بمن فيهم الفاطميون ، وجر إلى الجميع النكبات ، وما الإمام يحيى إلا كغيره ضحية جموده على نظرية الإمامة الضيقة الفارضة عليه إتباع حكم لا يتلاءم مع مقتضيات العصر ، واحتياجات شعبه ، وجعلته لا يصغي إلى حتمية التاريخ وتطوره مما نتج عنه تخلف اليمن وانعزاله عن التيارات الحضارية العالمية المتطورة فكان الإمام يحيى ضحية سياسته وتفكيره التي استمرت آثاره بعد مصرعه في صراع مع قوى المعارضة ذات العناصر المختلفة والتي تلتقي في محاولة الإطاحة بأسرة الإمام يحيى واقصائها عن الحكم ، ولهذه الغاية قامت عدة محاولات أشرنا إلى بعضها حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م وأعلنت انتهاء حكم الإمامة وقيام الحكم الجمهوري في اليمن .

إن قيام الجمهورية فوز كبير ، وخطوة فريدة غريبة في بلد كاليمن أليف الحكم الملكي النابع عن حق إلهي مزعوم ، يتمثل في اكتسابه بموالاة الفاطميين الحسينيين عند الاسماعيلية ، وفي الإمامة الفاطمية عند الهادوية الزيدية ، وفي الإمامة القرشية عند الشافعية .

وبرغم ما تركه الماضي من تخلف مادي وفكري ومن مشاكل اجتماعية فإن الجمهورية قد حققت إلى جانب رسوخها كثيراً من المكاسب فالمجتمع اليمني اليوم ينتشر في جوانبه وأجزائه شعور الأخوة الوطنية ونظام تساوي جميع المواطنين في الحقوق ، وأصبح الفرد من أي قطاع يحس بقيمة عضويته في الكيان اليمني ، وأنه لم يبق في طريقه وطريق كل مواطن أي عائق من تقدمه وسموه إلى حيث ترفعه كفاءته وقدراته ، ويمكنانه من أن يحقق ويبدع أقصى ما يستطيع من صفاته الإنسانية النافعة الخيرة لإقامة الدولة اليمنية العصرية ، دولة الجمهور دولة العدالة والإخاء والمساواة والكفاءة والوحدة ، دولة تضافر جميع أبناء الوطن الواحد من أجل الشعب كل الشعب ، من أجل اليمن كل اليمن ، من أجل الوطن كل الوطن ، لا من أجل فرد وأسرة .

حقاً إن قيام الجمهورية لفوز وأي فوز ، وإنه لمن المعجز الغريب ما حققته من قواعد رسوخها ، ومن مكاسب اجتماعية من وراء خطواتها ، إن كل ذلك لمقدمات نتنبأ معها بأن اليمن السعيدة في طريقها إلى استعادة سعادتها ، وإقامة حضارة تعيد إلى اليمن مركزها القيادي للحضارة والمجتمع الإنساني المتطور ، وأنه لهدف قد تحققت مقدماته وما بعد المقدمات إلا النتائج المنتظرة التي ستحققها جهود المخلصين من القادات والعلماء والشباب ، فالشعب قد عرف طريقه وسيشقها في ظل الحكم الجمهوري متغلباً على الصعاب والمخلفات العاتية التي تتطلب المزيد من الجد والصمود والتضامن والإخلاص والحكمة والفهم .

فإن قيام الجمهورية ورسوخها وما حققته من مكاسب إلى عامها الرابع الذي تكتب فيه هذه الخاتمة ليس معناه أن الطريق أصبحت مسفلته بين لسانين من الورود ، وأن الصراع أغمد سيفه أو انتهى وأن المشاكل أخذت عصاها

ورحلت ، كلا ـ إن الطريق ما زال طويلا شاثكا لما خلفه الماضي من أفكار مفرقة ، وتخلف فكري ومادي ، التغلب عليها يحتاج إلى مجهود جبار وعزيمة وإيمان وحكمة تتجلى ، وقبل كل شيء في الزعماء حتى يكونوا قدوة لغيرهم ومن دونهم .وقوة تحتفظ بما لماضينامن حسنات وأمجاد وعادات مشرقة، وتذيب كلما خلفه الماضي من مشاكل وما أضافه قيام الجمهورية (بطبيعة مرحلة التخلص من الحكم الاستبدادي) من مشاكل التحلل والميوعة والسرف والصلف وادعاء الثورية وتفتح شهوة التهام المال في غير تفكير بمصير ولا عقبى ؛ إنها مشاكل تستلفت انظار ذوي الغيرة واهتمامهم باليمن ووحدته ، وشخصيته .

إن الجمهورية في اليمن وريثة الإمامة فلا بد للجمهورية من زمن طويل تكون فيه القيادة بيد قادات كفاة مخلصين عندهم حزم المفكر العميق ، وعزم البطل الابي المغوار ، ونزاهة المؤمن برسالته المتفاني في الدعوة اليها[1] .

فإن هذه القيادة ستواجه مشاكل مادية وحضارية ومعنوية وفكرية ، كل منها يتطلب جهودا وجهاداً . وتبرز المشكلة المعنوية في حاجة اليمن إلى الوحدة الوطنية التي تذوب في فيضها الأحزاب والمذاهب والشيع الضيقة والمصالح الشخصية ، وحتى يتحقق هذا الذوبان في فيض الوحدة الوطنية فلا بد من رفع مستوى الوعي الوطني حتى يشعر البعض المستغل والبعض العميل والبعض المرتزق والبعض المتمرد بفائدة وأهمية الوحدة والاندماج في فيضها والمشاركة في بناء أركان الجمهورية الفتية . وإن أقرب وأنفع من يستجيب للدعوة ويتأثر بها ويؤثر فيها هو الشباب إلى جانب قاداتنا وشبابنا المناضل والجماهير من أولئك البعض المتمرد أما البعض العميل والمستغل والمتخلف فليس علاجه إلا الكي ، وإن رفع المستوى الوطني من الشباب القوي هو من الأهمية على جانب كبير .

إنه يجب أن نرتفع بالجماهير إلى مستوى من الوعي الوطني تتخلص معه

---

(١) كتبنا هذا عام خمسة وثمانين هجريا ونحن اليوم عند الطبع في العام الثاني والتسعين . وللقيادة والتوجيه الفكر الكبير الارياني . وقد تحقق السلام وتعانق الشعبان الكريمان اليمني والسعودي . ووضعت أسس الوحدة الكبرى لليمن .

اليمن من اثار النظريات والأفكار والمذاهب التي غزت اليمن ومزقت وحدته ، وفي الوقت نفسه يحمي الوعي الجماهيري من غزو فكري جديد .

وهذا التخلص ، وهذه الحماية ليس تحقيقها بالأمر السهل ، ولا يأتي من خارج اليمن ، فما حك جلدك مثل ظفرك ، إنه وقف على زعامة يمنية خالصة مخلصة قوية عليمة بأوضاع اليمن ومثار مشاكله ، دارسة لعاداته وأحاسيسه قديرة على تنمية الصالح منها ، وإقامة المعوج منها ، وملاشاة الفاسدة منها .

وملاك هذه الزعامة هو إيمانها بالله ، وثقتها بنفسها وشعبها ، وما فيه من قدرات وإمكانيات حتى تواجه هذه الزعامة الحياة وتطوراتها في قوة وعزيمة وثبات ترتفع بها عن التبعية والتقليد لغيرها وترتفع إلى مستوى مسؤوليتها القيادية لليمن الحديث ، وبهذه الزعامة الواعية ، ومن مستوى مسؤوليتها ستضع هذه الزعامة يدها على ذوي الكفاءة والإخلاص والتجارب من اليمنيين الذين بهم تتمكن من رفع المستوى الفكري وإنارة الوعي الجماهيري بهدى الاسلام الصحيح الذي لا طبقية فيه ولا عصبية ولا جمود ولا انغلاق ولا ضر ولا ضرار ولا احتكار ولا استغلال ولا اهدار ولا اباحية ولا أمعية ولا ميوعة ولا تكاسل ولا جبن ، ولا ملق ولا رياء ولا إفراط ولا تفريط ولا سيد ولا مسود بالأنساب والأموال واللون والدم ، إن في الاسلام وتعاليمه الصحيحة كل ماتتطلع إليه الإنسانية الحائرة اليوم من عدل وخير ورخاء وارتقاء وطمأنينة .

وفي هذه الطريقة ، وبهذه الزعامة المثالية حتما تتخلص اليمن لا في طرفة عين من آثار الأفكار والمذاهب السياسية التي نخرتها ومزقتها ، وتتحصن من غزو فكري يطرقها من جديد بمبادىء وعقائد لا تتفق ومنهج اليمن في الحياة ، وطريقها في العيش ، ورسالتها في دنيا الناس ، وفي الوقت نفسه تستعين هذه الزعامة في المجالات الاقتصادية والعمرانية والصناعية والحضارية والعسكرية بذوي الخبرات من أية رقعة في العالم فالحكمة ضالة المؤمن .

أما في المجال النظري والعقائدي والتشريعي فأهل اليمن أخبر (بشعوبها) وما على الزعامة الجمهورية إلا أن تفتش عن حماة الأفكار ، ومخلصيها من الأوهام ، فتستعين بهم وتشجعهم ماديا ومعنوياً على إنارة الوعي الجماهيري

بروح الإسلام الصافية ، لا أن تفتح هذه الزعامة الباب من جديد لغزو فكري جديد ؛ فكفى بالماضي موعظة وعبرة ، فإن اليمن لألفي عام ها هو بين أيدينا ، وما نرى فيه إلا يمنا ما يكاد يتخلص من موجة فكرية غازية إلا وفاجأته موجة جديدة تحمل على سطحها من الخارج مواكب الطامعين والسياسيين والمستغلين في مسوح الرهبان ، ومسابح النساك وحنان الأمهات ، حتى إذا تثبتت أقدامهم وقويت قبضتهم فإذا بالرهبان ذئاب ، وبالسبحات أغلال ، وبالمسوح فسو الضربان وبالأمهات هرر تأكل اليمن وخيراته وتنتظر الجنين .

وإذا كان الإسلام انتصر باليمنيين وخلص اليمن من النظريات المسيحية واليهودية والزرادشتية والمزدكية ، فإن اليمن ما كاد يفلت من حبائل تلك النظريات حتى وقع في شباك نظريات سياسية جديدة مستوردة ، فمن عثمانية وعلوية وحرورية وأباضية إلى شافعية وزيدية هادوية وجارودية ومطرفية إلى إسمعيلية إلى نعرات عدنانية وعمرية وهاشمية وقحطانية وقبلية ضعيفة ، وإننا وها نحن واليمن في القرن العشرين ميلادياً ، وآخر القرن الرابع عشر هجرياً ، ونهاية القرن العشرين لانتصار اليمن عسكرياً بقيادة اليشرح يحضب على الجيش الروماني بعسير ونجران ، ومع هذا فإنا نرى اليوم بعد مواعظ الألفي عام ، نرى ـ ويا للأسف ـ آذاناً تصغي إلى طنين نظريات جديدة تتوارد على اليمن من الشرق ومن الغرب ، غير نابعة من واقع اليمن ومتطلباته حتى يرجى معها تحقيق وحدة ، أو ارتفاع وعي ، أو نهوض من عثرة ، أو تخلص من انحطاط اقتصادي وحضاري .

يا قوم :

لقد مل اليمن السرى في ليلة مر عليها ألفا عام ولا يعرف أين فجرها ، وأن الرجاء في جمهوريتنا الفتية أن تجعل لهذا الليل نهاية فتطلع من ظلمته المعتمة فجراً يشرق بالإخاء الصادق الموحد ، والعمل الصالح المثمر العادل ، وصبحئذ ينتهي الصراع وتتحقق الوحدة ويشمل العدل والإخاء والرخاء فينطلق اليمنيون قحطانيهم وعدنانيهم لأداء رسالتهم العالمية التي طالما عُرِفَ بها اليمن ، واعتاد تقديمها إلى الإنسانية ، والله المستعان .

ملحقات

إن الذي دفعنا إلى أن نتبع هذا المؤلف بالملحقات الآتية هو إكمال الفائدة بالوثائق على ما بيناه في خلال الكلام عن المذهب الزيدي الاسمعيلي وإن من أسباب تعثر الأول على قوته التشريعية والنظرية ، هيَ نظرية الإمامة وتمسك قادات الهادوية بها ، تمسكا عبر عنه الإمام عبد الله بن حمزة في أرجوزته وستراه في جواب الإمام يحيى على وفد مكة .

وأما المذهب الاسمعيلي فمرجع تعثره إلى انطوائه على نظريات وفلسفة غامضة معقدة رمزية معماة يصعب على الجمهور فهمها والتفاعل معها ومع تعاليم الإسلام الأصولية ، ويتخذ من ظواهرها أعداء الاسمعيلية وسيلة إلى محاربة الاسماعيليين وتجريح عامتهم وتكفير قاداتهم وأية حجة بيد محاربي الدعوة الاسماعيلية تبلغ في قوتها كوصف العقل الفعال والإمام بأسماء الله وصفاته كما نراه في بعض قصائد عالم الاسماعيلية ومقول قحطان وفارسها السلطان الخطاب الحجوري الهمداني تلك القصائد المناجي بها إمام عصره المستور في شطره ومؤلفاته .

وقلنا ان الإمام يحيى أضاع الفرصة التي أتاحها سعيد باشا لضم الجنوب اليمني المحتل إلى اليمن الأم على أثر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ومن هنا جاءت الملحقات الآتية .

أولا[١] جواب الإمام يحيى على وفد مكة المرسل من الخليفة العثماني عبد الحميد[١] وقد وصل إلى صنعاء ١٨ شعبان ١٣٣٥ (أكتوبر عام ١٩٠٧ م) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه ، والصلاة والسلام على القائل من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار ، وعلى آل الله المطهرين من الأرجاس ، المصطفين على كافة الناس ، وعلى صحابته الراشدين ، أولى العفة والعزيمة في الدين .

أما بعد ، فإنه وصل إلينا كتاب جليل من علماء مهابط التنزيل ومعارج ميكائيل وجبرائيل ، السيد الجليل عبد الله بن عباس ، ورفقائه العلماء التسعة الأكياس ، أفرغ الله عليهم سحائب الرضوان والتسليم ، وأوضح بحميد سعيهم الصراط المستقيم ، وصرف عنهم كل شيطان رجيم ، ونزههم عن خدمة ضمير كل جبار أثيم ، ووفقهم إلى مطابقة مراده ومراد سلطان الإسلام وحامي حمى الدين القويم . . متضمنا للنصيحة ، معرفا بمادهم الإسلام من تكالب ذوي الملل القبيحة ، ملوحا بما لم يكن من مواد ، ومن حاد الله ورسوله ، ومعرفا بما هو المعروف من حق وقدر سلطان الإسلام أيد الله به الدين ، ونصره على الكفرة والمشركين فنقول :

الحمد لله الذي قيض لنا من يفهم الخطاب ، ويعرف الخطأ من الصواب ويدرك مدارك الأحكام ، ويحكم الشرع الذي ارتضاه لنا العلام وها نحن نقدم نفثة مصدور ، وزفرة مصدور . اعلموا حاكم الله تعالى أن الله ولله الحمد اختار لنا دينا قويما هو أشرف الأديان ، فبعث الله به أفضل الرسل سيد ولد عدنان ، وأكمل له ذلك الدين ، فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم » ثم قبض الله رسوله إليه ، وقد أوضح المنهج ، وأزال المعوج عن خير القرون . فما زال الإسلام ينمو ويرتفع . والضلال ينقص ويتضع . وكان كلما حدثت بدعة أزيلت ، أو مظلمة

---

(١) أنظر الجواب بنصه في صفحة ٣١١ - ٣١٨ من تاريخ اليمن للواسعي .

ارتفعت . حتى تولى ذو الملك العضوض ، فتناقص ذلك لتمام ، وتكاثر الفساد من عام لعام . واختلف على الدين الولاة ، ومدت إلى جانبه أعناقها لابتلاع الإسلام العداة . وطغت نيران الشر ، وظهر الفحشاء والمنكر . وكان ما كان من مغلوب وغالب ، ومطلوب وطالب ، ومكن الله الدولة العثمانية من الحماية للدين ، وحفظ حوزته من الكفرة المعتدين .

وكانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الآل الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخ ، ولم ينفك قائم الحق منا إما متوليا لجميعها أو بعضها ، كما هو معروف في تواريخ اليمن وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوأهم لرغبة أهل اليمن في ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضي الله عنهم ، واعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم .

وكما يعرفون من أحوالهم وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر المخوف ، وإقامة الشريعة وتعديل المائل وإرشاد الجاهل ، وتقريب المؤمنين وإبعاد الظالمين . ثم لما توجه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمن ، وكان قائما ذلك الوقت الإمام محسن بن أحمد وكان بينه وبين المأمورين ملاحم ، ثم بعده الإمام شرف الدين ولا زال ظلم المأمورين يتضاعف من عام إلى عام ، وتنوعهم في المعاصي وارتكاب الشهوات ظاهر بلا حياء ولا إحتشام .

وكلما ظهر شيء أو زاد كثرت البغضاء في قلوب أهل اليمن للمأمورين ، فالإيمان والحكمة يمانية ، حتى قام والدنا رضي الله عنه . وقد ضرب ضلال المأمورين بجرانه . وتطاردت أفراس شهواتهم في حلبة الفجور وميدانه ، وكان بينه وبين المأمورين ما كان حتى مضى لسبيله ، ولحق بحزب جده الأمين وجيله ، فانتصبنا لذلك المقام ، حين نفر أهل اليمن من مأموري السلطنة على الدوام ، ولم نقم والله لدرهم ولا دينار ، ولا لطلب علو ولا فخار ، ولكنه أكرهنا على ذلك قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ونحوها من صرائح الكتاب والسنة .

ثم كان بين أهل اليمن والمأمورين ما كان ، وكان منا غاية الإحسان لأتباع سلطان الإسلام . كما قد عرفه من له بما كان أي إلمام . وعقد الصلح بيننا وبين المأمورين مؤكدا بذمة الله وذمة رسوله مع إغفالها النظر عن إمكان الغدر وخفر الذمم . فلم يرعنا إلا محررات من الحاج أحمد فيضي باشا ، مشعرا بما تقشعر منه الجلود من نقضه تلك العقود ، وخفره لتلك الذمم والعهود ، فراجعناه ونصحناه وأعلمناه بما في خفر ذمة الله من التعرض للوبال والاستعجال للنكال فما زاده إلا شدة ، وثقة بغير الله بل من التعرض للوبال والاستعجال للتكال فما زاده إلا شدة ، وثقة بغير الله بل بما في يده من العدد والعدة ، وكان ما كان من إخراب الدور وسفك الدماء وذهاب الأموال ، ولم يكن منا إلا مجرد الدفاع المأمور به شرعا . ثم أردنا السكون والاشتغال بما أمانة المأمورين من إحياء للعلم الشريف وإقامة شريعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعلم الناس معالم الدين ، وإرسال المعلمين إلى القرى لتعليم أهلها الصلوات فلم يشعرنا إلا تجاوز يوسف باشا الحدود ، وتبنيد الأبناد وتجنيد الأجناد ، وإدخالهم إلى أطراف بلاد حاشد وإلى ما هو بأيدينا فلم يسعنا السكوت فكان ما كان .

نعم والمأمورون لم يزالوا يثيرون غضب السلطان على أهل اليمن ، ويستنجدون منه الأجناد المترادفة والأموال المتكاثرة ، ويشيرون باستئصال أهل البيت النبوي والدين المصطفوي ، وينسبوننا عندهم إلى الخوارج والرافضة ، وربما يخرجوننا عن دائرة الملة المحمدية ، وإلا والله ما لنا مذهب غير ما كان عليه خير القرون والسلف الصالحون ، وإنا لنبرأ إلى الله من الخوارج والروافض وأهل البدع المحدثة والمأمورون يعرفون ذلك منا لكنه حداهم على ذلك ما جبلوا عليه من حب جمع الأموال والتسلق لأخذها من غير الوجه الحلال ، ولم يتم ذلك إلا باستمرار القتال ، والتنقل من حال إلى حال فتراهم يحسبون على الأموال الميرية ما يأخذونه على الأهالي بيد العدوان ، ويضاعفون أجر الحيوانات ، على أنهم كثيراً ما يغتصبونها ولا يعطون أهلها شيئاً وهم مع ذلك على اللذات والشهوات عاكفون ، وعلى التفنن في الفجور يتنافس منهم المتنافسون ، فتنكرهم المساجد والجوامع ،ويجحدهم شهر الصوم الذي هو لكل خير جامع . وتعرفهم الكؤوس

والأقداح . وتساقيهم ربات القدود الملاح . وكل هذا بين واضح سترونه عياناً إن لم يضرب عنكم الحجاب ، وترصد الأبواب .

ومع ذلك تراهم يصادقون لرابطة عداوتنا كل ضال ، حتى أنهم ليقربون الباطنية الكفرة ويعطونهم كثيراً من الأموال . ولا وأيم الله ما دندنتهم الجامعة غير عداوتنا آل محمد ، إن مصادقتهم لمثل الباطنية مما يزيدنا إلى الناس حباً ويزيدهم إلى الناس كراهة وبغضاً . واسألوا أهل الإنصاف عن جميع ما حررنا .

ولقد أكثر المأمورون على سلطان الإسلام تزويرات الكلام ، حتى خيلوا إليه أن محاربتنا أقدم من محاربة الكفار الطغاة . وأشغلوه لمحاربة آل النبي المختار . وفي خلال المدة السابقة أرسل سلطان الإسلام أيد الله به شريعة سيد الأنام ، هيئة بعد هيئة ، ومفتشين بعد مفتشين ، وكلما خرج أحد منهم تلقاه المأمورون بالإحسان وأدخلوا عليه من يتكلم بمرادهم ، وحالوا بينه وبين ما هو مأمور بإمضائه . وسيكون ذلك أو نوع منه معكم أو قد كان حتى لقد أرسلنا كتباً عديدة إلى الباب العالي من طرق شتى لم يعد لنا جواب رأساً لاحتفال المأمورين بردها عن ذلك الباب .

وأما الأحكام الشرعية فيا كأنهم أمروا بغير هدمها ومحو إسمها ، وطمس رسمها فإنا لله وإنا إليه راجعون. عوداً على بدء. النصيحة مقبولة إن شاء الله تعالى ، غير أنا نحب أن تطلعوا على ما دار بيننا وبين الوالي أحمد فيضي ومن كاتب إلينا من المأمورين لتعرفوا مسلكنا في الإنصاف ، وبعدنا عن الميل والإعتساف ، وستعرفون حقيقة الحال ، وها نحن ننشدكم الله والإسلام ، هل تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف ، أم هل تجدون من محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنات والبنين ، أم هل من مانع لقتال من أضاع أركان الإسلام ، أم هل من تثريب على من اقتفى الأثر بالآل قرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عمر وأوان ، الذين أوجب الله محبتهم على كل بني الإنسان ، أم هل من ناسخ لآيات : ومن لم يحكم بما أنزل الله . وإنا

نحذركم من دسائس المأمورين فإن لهم طرقا إلى جلب أمثالكم إلى إتباع مقاصدهم ، كما انتخبوا لخدمة أفكارهم أناساً من أهل اليمن ، وجعلوهم آلة لهم في كل مكان حتى بلغ بهم الحال إلى أن أرسلوهم للوفادة للباب العالي للتعبير عنهم بما علموهم اياه كما يفعلونه إذا وصل مثل حضراتكم أو مفتش فهم يمرون عليه في كل يوم بأماكن الأمراء ، ويدلسون بأقوال لا يعبأون ولا يبالون بظهور الكذب فيها والافتراء ، ثم ابحثوا عن العلة الباعثة فإن من عرف الداء ، عرف الدواء .

وإنا نمد إلى الله أكف الإبتهال أن يحصل على أيديكم جبر كسر اليمن الميمون ، وأن يقذف في قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة باستدراك حشاشة أهله فهم مؤمنون .

وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر في ١٨ شعبان المعظم سنة ١٣٢٥ هـ

إن هذا الكتاب الطويل لصورة صادقة لواقع اليمن في تاريخه ولما كان عليه معظم أمراء العثمانيين في إدارتهم وسلوك معظمهم كما أن المطالب المعروضة لحل الأزمة اليمنية هي التي كانت تفرضها تلك المرحلة بالنظر إلى أوضاع اليمن وإلى وضع الدولة العثمانية المهتز الذي كان المفكرون من رجال الدولة العثمانية يشعرون به ويعملون لإعادة القوة إلى هيكل الدولة ، ومن هؤلاء حسن حلمي باشا ثم عزت باشا وعزيز علي المصري وسليم الجزايري وعصمت باشا وغيرهم من الشخصيات بالعاصمة العثمانية الذين التقى تفكيرهم إلى انهاء الأزمة اليمنية باتفاق دعان عام ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م بإشراف عزت باشا وعصمت باشا ، وكان الإمام يحيى واضحاً في محرره بالنظر إلى اليمن ومطالبه والأمراء العثمانيين وإلى ما يراه الإمام ويعتقده في أسرته الفاطمية ، وكان يتكلم من مركز قوي على إثر معارك طاحنة بشهارة وما تلاها ألحقت بالأتراك الهزائم المتتالية وكبدتهم نفقات كبيرة وعشرات الآلاف من القتلى مما جعل الأتراك يرسلون عزت باشا في قوة عسكرية كبيرة فك بها حصار الإمام لصنعاء فاستعاد بها جانباً من المهابة للدولة العثمانية مكنته من إبرام إتفاقية دعان .

والذي يستوقفنا من كتاب الإمام يحيى هذا هو اقتفاء الإمام لسلفه في التمسك بانحصار الإمامة العظمى والخلافة في أسرته الفاطمية وأن انحصارها فيهم من قبيل الحق والإصطفاء الإلهي ، ومن هنا نراه في كتابه بما فيه من مجاملة - لم يصف الخليفة عبد الحميد بالإمامة أو الخلافة بل بالسلطان ، ويصرح في غير جملة بأنه وأسرته الفاطمية هم أبناء النبي واله وقرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عصر وأوان ، وأن طاعتهم واجبة وأنهم سادات اليمن وأن اليمن لا يرضى إلا بولايتهم وحكمهم إلى آخره . وتمسك الإمام بهذه النظرية وهذا الإصطفاء هو الذي جمد اليمن من التطور وأثار المعارضة ومصرع الإمام يحيى وما تلاه من أحداث ، وجعله يترك الفرصة التي خولها سعيد باشا لضم الجنوب اليمني المحتل إلى اليمن الأم فيحقق الوحدة الشاملة لليمن ، فقد ترك الفرصة والجنوب اليمني يطيران من يده ، وفي ظروف مواتية ، تلك الفرصة التي يقدمها سعيد باشا في خطابه التالي .

خطاب سعيد باشا من لحج
إلى القائد العثماني أحمد توفيق باشا في صنعاء [1]
٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ م جفره

إن القلاع المهمة والأراضي التي استرددنا مثل قلعة باب المندب والشيخ سعيد وسواحل المخاوذباب ، وكذا النواحي التسع الموجودة الآن تحت إشغالنا وتأثيرنا وهي :

لحج والصبيحة والحواشب والضالع ، ويافع العليا والسفلى ، وبلاد الفضلي تلك النواحي باعتبارها أوسع من لواء تعز في داخل جنوبي اليمن ، وعلى الساحل من باب المندب إلى شقره ما عدا شبه جزيرة عدن ؛ فجميع هذه الاراضي المذكورة في قبضتنا ونحن المحافظون عليها ، وأما البلدان التي تعود تابعيتها إلينا ، حضر موت ، وبلاد الصومال ، حتى بلاد الدناكل ، وقد

(١) هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن ص ٣٥١ - ٣٥٣ لأحمد فضل .

عقدت مقاولاتهم بتابعيتنا ، وأوراق المقاولة المعقودة محفوظة بأيدينا تحت أسماء كل من الأمراء والمشايخ وعقال وأهالي البلدان المذكورة . أما المواقع والخطط الحربية والنقط المهمة الموجودة فيها قوتنا العسكرية ، وعليها المدار والمقابلة لباب عدن والشيخ عثمان فهي كما سيأتي :

الدرب وبير ناصر ودار هيثم المسمى دار المشايخ ، والمجهالة ، وكدمة الأصلع . وبير جابر ، والمحاط ، ولما أن حكومتنا المتبوعة قد قبلت أساسات الصلح مع حكومة انكلتره وحلفائها ، وعقدت الهدنة بتاريخ تشرين أول سنة ١٣٣٢ هـ رومي ، وبعد أن رست مراكب الإنكليز وحلفائهم في مراسي دار السعادة ـ بالصورة الودية ، وسويت أمور وضع المهادنة ، فهذه الصورة التي هي من قواعد الهدنة المبلغة رسمياً من حكومة انكلتره حصل هيجان عظيم بين العساكر والأهالي في داخل الخطط الحربية فتلافيت الأمر مسرعاً لأجل تسكين ذلك الهيجان . ولكي نفهم من قريب نوايا العدو ، وكان ضرورياً أن تلاقيت مع والي وقومندان عدن لأجل هذا الغرض ، ولتأمين المخابرة بين اليمن ودار السعادة لا لغرض آخر يوجب الشك وسوء الظن ، كما ظهر لي من جواب سيادة الإمام بتعبير كلمة « لقد ساءنا » قاصداً بهذا التعبير تقبيحي ، وما حمله على ذلك إلا مقاصدكم وأغراضكم الخصوصية لبعض أسباب كاشتراككم مع والي ولاية اليمن بنشرياتكم وإشاعاتكم غير اللائقة والمخالفة للحقيقة ، قاصدين بذلك إهانتي عند عموم أهالي اليمن المحترمين ، الذين ليس لهم وقوف على الحقيقة لسوء تفسيركم لها .

ولكني قانع وقائل كل ذلك ليس له عندي أهمية مثقال الذرة ، لما لي من سوابق الخدم ، خصوصاً في هذه التربة المقدسة اليمانية ، وما قمت به من المحافظة والمدافعة والثبات والمحاربة المتواصلة ضد العدو في باب المندب وباب عدن منذ أربع سنوات ، وكل ذلك بمساعدة ومظاهرة رؤساء ومجاهدي وأهالي لواء تعز ، لما بذلوا من أرواحهم وأموالهم خدمة للدين والوطن .

أما حضرة الإمام ووالي الولاية ، وجنابكم فلم يكن لكم نصيب في شيء من المعونة المادية أو الفعلية نحونا سوى الكلام لا غير ، مع حرماننا من كل شيء .

ويشهد على ذلك كل من أرباب الشرف وأصحاب الوجدان ، من عموم أهالي اليمن من ذكر وأنثى حتى الصبيان ، وفوق كل شيء فالتواريخ والوثائق ستبين بالصراحة . والحاصل أن لليمن مفتاحين مهمين ، وهما لحج وباب المندب اللذان هما من أهم ما يكون لسلامة ومحافظة عموم اليمن ، فكل من له علاقة وصلاحية من الذوات فليشرف سريعاً للاستلام . أما نحن فقد أمرت حكومتنا المتبوعة المفخمة بإجازتنا ، وختمت وظيفتنا ، فلسنا مأذونين بالبقاء نحن بصفة محاربين في هذا الوطن الذي نعتبره وطننا الثاني ، وقد كفانا ما لقينا نحن العساكر العثمانيين والفدائيين في هذه المدة الطائلة من المتاعب المضنية للأجساد ، والمفاداة بأرواحنا العزيزة ضد العدو وتحت قذائف الطيارات والمدافع « والمكائن » وبين الرمال والجبوت من غير ماء في أيام الصيف الجهنمي ونحن معرضون للحميات لشدة الرطوبة في داخل الخنادق أيام الشتاء من جهة ، ومن الجهة الأخرى كل هذه الدماء التي أرقناها والأرواح التي أزهقناها في هذا السبيل ، إنما هي للمحافظة على عرض وشرف ووجدان أهل اليمن المقدس الذي هو من ضمن الحرمين الشريفين من تجاوز الأعداء ، والحالة هذه مع كوني لا زلت ولم أزل مضحياً بروحي ليلا ونهاراً في سبيل الدين والوطن ، وبحسب الوظيفة مع الحرمان الكلي ، ففوق كل هذا ترموننا من بعيد بما يسهل على طباعكم ، ولكنه عندنا من أغلظ القول مشيعين في حزم وإصرار أني لمقابل بعض المنافع الخسيسة سأعيد لحجا وما حولها للأعداء . فإننا نرجوكم خاصة أن تتفضلوا بالتبليغ لمن يلزم ، ليسارع بإرسال أي كائن يكون ممن له حمية وطنية قهرمانية بالوفود إلى باب المندب وإلى لحج لإستلامها قبل فوات الوقت .

ومع أني لا أقبل أصلا أن أكافأ بالتهم المهينة التي يقصدون بإذاعتها وافترائها أن يلصقوها بي ، ولكن المفتريات مردودة ومعادة لمذيعيها وقائليها وناشريها بتمامها .

قائد منطقة الحركات بلحج

٣ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي

أمير اللواء

علي سعيد

علي سعيد باشا كان قائد القوات العثمانية في الجنوب اليمني ، وهو شخصية ما تزال حتى اليوم محط احترام اليمنيين ، ويعرف « بسعيد باشا » .

وكان على جانب من الشجاعة والكفاية العسكرية مع الإيمان بالله ، وقد استطاع بكفاءته ومساعدة اليمنيين سيما أبناء لواء تعز وإب من الاستيلاء على معظم الجنوب ومحاصرة الانكليز ، ولم يتمكن من اقتحامها لحصانتها الطبيعية ولتحصينها المضاعف عسكرياً من الانكليز .

وكان الإمام يحيى في الحرب العالمية الأولى محايداً إلا أنه ترك لليمنيين الحرية في مساعدة سعيد بالمال والرجال لأنه يحارب كافراً محتلا هو الانكليز ، ولم يكن سعيد بروحه العسكرية مقتنعاً بهذه المساعدة ، وأنه يريد مشاركة الإمام لتركيا في الحرب وإعلانه ذلك قولا وعملا ، ولكن الامام لم يشأ أن ينضم إلى أحد المعسكرين لأنه صراع بين ألمانيا وحلفائها من جهة ، وبريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة لا يعني في نظر الإمام المسلمين ولا يكسبهم فائدة ، فأصر على حياده ووقوف مساعدته في حدود السماح والتشجيع لمن يريد أن يشترك في القتال إلى جانب سعيد . وكان هذا الموقف مرضياً للوالي العثماني محمود نديم وغيره ممن كانوا من القادة الاداريين والعسكريين بصنعاء والحديدة وتعز وإب ، ما عدا سعيداً الذي كان وكتائبه يتحملون أعباء المعركة ولذلك كانت العلاقات بين سعيد والإمام فاترة عكس ما كانت بين محمود نديم ورجاله الاداريين والعسكريين فقد كان الوالي العثماني ورجاله يقدرون موقف الإمام ويرون فيه الخليفة الطبيعي للعثمانيين باليمن إذا لم يكن لهم النصر ، ولذلك مهدوا له واستدعوه إلى صنعاء وإليه سلموا اليمن .

أما سعيد باشا فكان غير راض عن خطة الإمام الحيادية فلم يحرص في تمكينه من الجنوب إلا في اللحظة الأخيرة وبعد هزيمة ألمانيا وتركيا فقد عز عليه أن يعود الجنوب اليمني إلى بريطانيا فأرسل خطابه هذا فلم يلب في سرعة لا الوالي ولا الإمام نداء سعيد ، فاستلم الانكليز معظم ما كان بيد سعيد باشا ما عدا باب المندب والشيخ سعيد وذباب والمخا وسواحلها ، ولذلك طارت الفرصة

باليمن المحتل وعدن إلى اليوم ، وإن يوم استرجاعها وانقاذها لقريب بإذن الله ، فأحرار الجنوب في ثورة عارمة ضد المحتل الغاصب وإن بروق انتصار أولئك الأحرار الأبطال ليلوح في أفق الجنوب وتضيء شمسان الأبي وميناء اليمن الأبدي عدناً[1] .

وإلى أن يأتي انتصار إخواننا في الجنوب نذهب إلى الوالد السلطان الخطاب الحجوري الهمداني ونظرته الاسماعيلية المودع لها في مؤلفاته وقصائده التي سنأتي بنماذج من تلك القصائد كما وعدنا به .

نماذج من شعر الخطاب المذهبي وذكر بعض مؤلفاته

إن بعض كلام الخطاب يبدو منافياً ومصادما للشريعة وصرائح الكتاب المنزل ، وقبل أن نورد تلك النماذج من كلماته وشعره نمهد لها بكلمة قصيرة عن الفلسفة الإسماعيلية عن الطبيعة وما وراء الطبيعة الذي نبع من أعماقها شعر وكلام « السلطان الخطاب الهمداني » العقائدي فنقول : إن الدعوة الاسمعيلية ـ وإن كانت سياسية النشأة كما سنبينه في غير هذا المؤلف إلا أنها في الوقت نفسه دعوة دينية واجتماعية ، وإن الفرقة الإسمعيلية بكل فروعها هم كغيرهم من الفرق الإسلامية والدينية ، بالله الخالق مؤمنون ، وله موحدون ، إيماناً وتوحيداً ، جعلاهم يعنون بوجود الخالق وكماله المطلق الواجب الوجود .

وفي الطريق القرآني سلكوا في إثبات وجود الخالق وكماله الأكمل ، فقالوا : إن وجود الخالق وأزليته وكماله الأكمل لا ضرورة لاثباته عن طرق الفلسفة المعقدة المتناقضة ، لأن وجوده ، واجب الوجود بارز للعيان ساطع سطوع الشمس ، فهو متجلي لخلقه بخلقه ، وإن من فكر في نفسه وما حوله وفي خلق السموات والأرض وما في الآفاق وألا الآفاق من الآيات واختلاف الليل والنهار والحياة والموت تبين له وجود الخالق المبدع تبينا لا يطرقه شك في وجود الخالق وقدرته ووحدانيته ، فكثرتها دليل على وحدانيته ، وازدواجها على فرديته وانتقالها على دوامه ، وعجزها على قدرته وضعفها على قوته ، إلى آخرها ، ولكنها قدرة

---

(١) كان هذا عام ١٣٨٥ هـ اما اليوم فقد عاد الجنوب الحبيب وتخلص من الاستعمار وأساليبه .

ووحدانية وفردية ودائمية وقوة وعظمة إلى آخر صفات وأسماء الكمال فوق فهم وقدرة الإنسان وإدراكه ، فلا ضرورة لعرض صفات الله واسماء الخالق المبدع على الإنسان أضعف وعقله أعجز عن الإحاطة بأمر اسماء وصفات الخالق ، ويلخصون رأيهم في استحالة وصف الله ، بأن الإنسان لا يقدر أن يدرك إلا صفات تميز الكائنات المؤلفة من المادة ومن الصورة ، في حين أن الخالق منزه عن الجسمية .

هكذا يقول علماء الإسمعيلية ومنهم « الخطاب » ولو وقفوا هنا لأحسنوا صنعاً وتلقوا ما جاء في الكتب المنزلة من أسماء الله الحسنى بالتسليم وإنها أسماء وصفات تدل على الحمد والتقديس للخالق الواجب الموجود ليس كمثله شيء ، وإن تلك الصفات والأسماء المقدسة الحسنى لا يراد منها شرح ماهية ولا تشخيص مادة ، حتى يكون الموصوف غير الصفة والصفة غير الموصوف .

ولكن إخواننا الإسماعيليين كلفوا الإنسان وكلفوا أنفسهم وكلفوا أفكارهم وعقولهم فوق قدراتهم الإنسانية عندما حاولوا أن يعرفوا كيفية خلق المخلوقات من عقل ونور وهيولى وجسم فوقعوا فيما وقع فيه إخوان الصفاء والصوفية والأفلاطونيسون في بحر لجي من الألغاز والمعميات والظنون فبعد أن قرروا أن وجود الخالق أمر ضروري يتجلى في مخلوقاته وأنه كان وليس معه كائن آخر ، انطلقوا مع الخيال في محاولة معرفة كيفية خلق المخلوقات ، فقالوا : إن الخالق أحدث العالم عن طريق الإفاضة[1] ، فخلق الأشياء كلها بالقوة ، ثم أخرجها من القوة إلى الفعل الشيء بعد الشيء ، مبتدئاً بالعالم الروحاني العلوي ثم العالم الجسمي السفلي ، وأول ما فاض عنه هو العقل الكلي المستكمل الفضائل القريب كل القرب من علته ومصدره من حيث الصفات[2] ، ثم فاض عن العقل الكلي الفعال ، النفس الكلية ، وإن نسبة العقل إلى الخالق كنسبة نورا الشمس إلى الشمس ، ونسبة النفس إلى العقل نسبة ضوء القمر من الشمس ، ثم فاض عن النفس الكلية الهيولى الأولى التي هي ذات بالقوة لا وجود

---

(١) أي العلة والسبب فالله هو مصدر كل شيء نور السماوات والأرض وعلة العلل .

(٢) ومن هنا جعلوا أسماء الله وصفاته « للعقل الفعال » .

بالفعل ، ثم فاضت عن الهيولى الطبيعة السابقة للنفس الجزئية ، والطبيعة هي سبب مواليد الكائنات وأصل تركيب أحياء الحيوانات والنبات تمدها الهيولى الأولى بقوى روحانيتها لقربها من النفس الكلية وهنا ينتهي الحدوث العلوي .

ويبتدىء الحدوث السفلي والمادي ، وذكر أن النفس الكلية بتأييد من العقل الكلي الفعال تحرك الهيولى الأولى طولا وعرضاً وعمقاً فتكون منها الجسم المطلق ، وبواسطة هذا تركب عالم الأفلاك ، ثم دارت الأفلاك حول الأركان بحيث يختلط بعضها ببعض ، فظهرت منها المتولدات الكائنات[1] من المعادن ليكون النبات ، ثم النبات ليكون غذاء الحيوانات ، ثم الحيوانات ثم بدأت الحيوانات يتركب منها الأدنى فالأدنى حتى الإنسان ثم الفلاسفة والأنبياء والأئمة .

فالبداية في الخلق الأول النوراني كان بالأفضل « وهو العقل الفعال » إذ عالم الجواهر النورانية لا تركيب فيها ولا تغاير ولا تباين إلا شرف السبق بالرتبة والقرب من الخالق الباري ، أما الخلق المادي الجسماني القابل للفساد والاستحالة فكانت البداية فيه بالأدنى حتى تكون النهاية بالأفضل .

فالعقل الفعال : هو أول مخلوق وأقربه إلى الخالق في النور والإبداع . أما في عالم المادة والأجسام والدنيا فغاية الكمال تتمثل في الأنبياء والأئمة ، وأنها « أي العقل الفعال والأنبياء والأئمة » هم الذين يمكن وصفهم بالصفات المقدسة والأسماء الحسناء ولذلك أول الاسماعيليون كل ما ورد في الكتب المنزلة من أسماء الله الحسنى ، أنها من قبيل التقريب والمجاز وأنها في الحقيقة أسماء وصفات « للعقل الفعال » في عالم الإبداع ، وأنها تنطبق على الإمام في عالم الأبدان .

أما الله فهو منزه من الصفات ، ويوردون هم والإمامية الذين منهم الرضي جامع نهج البلاغة ، يوردون كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام المحكي في النهج وهو قوله عليه السلام : أول الدين معرفة الله ، وكمال معرفته

---

(١) للخطاب مؤلف هام في المواليد سماه « غاية المواليد الثلاثة » وهو من أهم ما تعتمده الاسماعيليون .

التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار أليه ، ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى عنه .

انتهت الكلمة المنسوبة إلى علي كرم الله وجهه ، وإذا ثبت أنها من كلامه عليه الصلاة والسلام ، فالمراد هو نفي الصفات المشخصة لا الصفات المراد بها الحمد والتقديس المجردان عن التمييز والتشخيص حتى تستلزم الصفات المادة المتغيرة ، والجسمية المحددة ، كما تبادر إلى أفكار إخواننا من الإمامية والإسماعيلية ، فاضطروا إلى تأويل أسمائه وصفاته الحسنى بأنها من قبيل المجاز والتقريب ، وتجاوز الإسماعيليون فعدوها أسماءاً وصفات للعقل الفعال ، في عالم النور والإبداع ، وإنها على الإمام المعصوم تنطبق في عالم الأجسام والدنيا .

ومن هذا التأويل النابع عن مقدمات وهمية لمعرفة كيفية خلق المخلوقات جاء شعر الخطاب العقائدي الذي منه ما تراه :

(النماذج)

شعر الخطاب ، ككتابته سهل مطبوع بريء من التعقيدات اللفظية والمعنوية ، يمتاز بالعفة لا وصف منه للخمر والنساء والغلمان ، ولم يتكسب بالشعر ، ومدائحه للأئمة والداعي الذؤيب والملكة السيدة ، روي أنه يصدر من عقيدته في المذهب الفاطمي الذي اعتنقه ، ويتميز بالموسيقى النابعة من السلاسة والوضوح ، ومن تكرار الحرف أو الحرفين في الجملة والبيت كما نراه في قصيدته الثانية التي يصف فيها النفس ورجوعها إلى عالم النور والخلود عن طريق الاستقامة فقد تكرر في هذه القصيدة حرف التاء في البيت الواحد بصفة إيقاعية كما تراه في هذا البيت :

إن النفوس إذا صفت وتهذبت ... وتجوهرت تعلو إلى جناتها

وكذا قصيدته العينية التي يمدح فيها السيدة أروى بكونها حجة الإمام فقد تكرر في كلماتها حرف العين والميم بشكل مرقّص تلمسه في هذا البيت :

وقـولك مسـموع وعـزك أقعس   ورأيـك متبـوع وريحـك زعـزع

والخطاب يتحدث عن النظرية الإسماعيلية القائلة أن كل النفوس متكونة من نفس الخميرة الإبداعية أي النفس الكلية الصادرة من العقل الفعال كما تقدم ، وأن ذوات النفوس الجزئية لا أفراد الإنسان ، كانت موجودة بالقوة في هذه النفس الكلية المعبر عنها « بالخميرة » وعند المعتزلة والزيدية بعالم الذر الذي يطبق عليها بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ . فالخطاب بهذه النظرية يرى أن ذاته وذات الإمام كانتا ممتزجتين متصلتين متعارفتين في النفس الكلية وعالم الإبداع الذي منه هبطتا وإليه ستعودان . فيقول مخاطباً الإمام :

أنـــا أنتم أم أنتم أنـا بينـوا   حقيقة ما أعني فقد خفيت عني
تراكم بشخصي مقلتي عند رؤيتي   وتسمعكم في حال نطق فمي أذني

وفي هذه النظرية وما أسلفناه من كلام الاسماعيلية عن العقل الفعال والإمام ، ومن طريق تنزيههم الله عن الصفات ، نرى الخطاب في صراحة يكشف حقيقة العقيدة الاسماعيلية فيخاطب إمام عصره المستور وكأنه أبو القاسم الطيب ، على طريقتهم أن الإمام في عالم الدين مقام العقل الفعال في عالم الإبداع ، وبذلك اندفع الخطاب مع الوهم المجنح والتأويل غيـر المفهوم شرعاً ولا المفهوم عقلا يناجي الإمام بهذه المناجاة التي ما كنا نحب أن نحكيها لولا أمانة التاريخ فقال :

يـا من نسميه تعـريفاً نقـرره   شخصية في نفوس القوم تقريرا
إشـارة ورمـوزاً تحتهـا نـكت   من العلوم سـترناهن تستيـرا
ولو نشاء لقلنـا في النداء لـه   بالصدق ، يا حي يا قيوم مشهورا
يا عالم الغيب منا والشهادة يا   بـاري البريـة تركيباً وتصـويـرا

شهدت أنك فرد واحد صمد شهادة لم تكن ميناً وتزويرا
وجهت وجهي في سري وفي علني إليك حمداً وتهليلاً وتكبيرا
ابا علي إمام العصر ناطقه كناية عنه لا تحتاج تفسيرا

إلى آخرها مما يعد ظاهره خروجاً على الشريعة والإسلام ، جر إليه التدخل في الفلسفة حول خلق المخلوقات وكيفية بدايته إلى أعماق لا يمكن للعقل الانساني أن يقوم في سراديبها إلا مع الخيال والأوهام فإذا به يصدر من ظلمات تلك الأعماق بمثل هذه الألغاز والمعميات التي يصفها حتى الخطاب « بأنها إشارة ورموز تحتها نكت إلخ » إنها نكت وتأويلات يمجها الفكر السليم ، ولا تقدر الجماهير أن تفهمها، ومثل هذه المعميات هي التي جعلت الدعوة الاسمعيلية تتعثر ويتخذ منها أعداء الاسماعيلية الحجة على الطعن في الدعوة الاسماعيلية ، وتجريم متبعيها ، وتكفير قادتها ، مع أنا نقطع بأن مثل الخطاب والسيدة اروى والتبع علي بن محمد الصليحي والداعي الذويب وأمثالهم هم متدينون وبخالقهم فاطر السموات معترفون ، وله موحدون ومنزهون ، وبرسله مؤمنون .

وإنما صدر من كلمات من مثل الخطاب ومناجاته هو عن خطأ في التأويل نجم عن تلك الفلسفة التي أشرنا إليها ، ويتضح ذلك في أعمالهم واستقامتهم .

وهذا هو الخطاب يتكلم عن الباطنية « أي الاسمعيليه » فيصف الباطني بما يتحلى به المؤمن المستقيم القوي الإيمان ويرد على أولئك الطاعنين المغرضين والمروجين الدعاية ضد الباطنية ونسبتهم إلى الإباحية والاستهتار كالحمادي وأمثاله فيقول الخطاب في ذلك هذين البيتين :

إن صح ما قالوا وما شنعوا من الكلام الفاسد الفاضح
ديني لعن الباطني الذي يصد عن نهج الهدى الواضح

وها هو يخاطب الملكة السيدة أروى بصفتها حجة الإمام ومدار الدعوة

ويذكر مواقفه من نصرة الدعوة ونشر الدين والهداية فيقول :

حرام علي النوم غير غرار ... يلم بجفني بعد طول نفار
وبسل على نفسي السلوالي مدى ... أنال به حقي وأدرك ثاري
وأظهر أعلام الهدى مستنيرة ... أشعة أقمار لها ودراري
وأعلي منار المؤمنين ودينهم ... بهدمي من الفجار كل منار

ومنها :

فمن مبلغ مولاتنا بنت أحمد ... تهانئي القصوى وقطب مداري
وما كان من كشف القناع لمذهبي ... ولكن لم أخش العدا فأداري
خطبت لمولانا وأظهرت سكة ... عليها اسمه طارت بكل مطار
لدى معشر حبل الضلالة عندهم ... مغار وحبل الدين غير مغار
ثلاثة أصناف ، أباض وناصب ... لدي ، وزيدي أحطن بداري
ضربتهم بعضاً ببعض كأنما ... اصطك حجاراً منهم بحجار
ولي غرض لا بد لي من ركوبه ... بلا رقبة مني ولا بحذار
سأمضي له عزمي فإمّا منية ... تحين بكفي من وثاق أساري
وإلا غدت لي دعوة آمرية ... بها وإليها نسبتي وشعاري

وحسبنا من شعر السلطان بخطاب هذه الطائفة ، ويعد الخطاب من أعظم الدعاة الاسماعيليين ، وقاداتهم وفقهائهم وفلاسفتهم ، وله عشرات المؤلفات التي تعتمد عليها الدعوة الاسمعيلية سيما الفرقة المستعلية والطيبية المعروفة بالبهرة ، ومؤلفاته مما يحتفظ بها الاسماعيليون في اليمن بنجران وحراز وهمدان صنعاء وعراس يريم ومزاحن العدين ، وفي الهند وباكستان ، ويوجد منها مجموعة « بدار الكتب بالأعظمية بباكستان ومنها كتاب « المواليد الثلاثة » وكتاب « استتار الإمام » ويعدان من أهم المصادر المعتمد عليها محمد حسن الأعظمي ، في مؤلفه « عبقرية الفاطميين » ونحن معتزمون أن نخرج كتابا يحمل هذا العنوان « اليمن مع الزيدية والاسمعيلية والشافعية » ونرجو أن نحقق هذه الأمنية فقد لعبت هذي المذاهب الثلاثة دورا هاما في حياة اليمن وأحداثه .

وبالكلام عن السلطان الخطاب والنظرية الاسماعيلية ننهي هذا المؤلف وسيتبع بمؤلف (اليمن وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢) والله المعين وسبحان الله وبحمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه :

مؤلفه : عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي الكهلاني

« تم بحمد الله »

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



منشورات المدينة
ص.ب : ٦١٦٦ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

